

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحديث في النسخ

عَلَى كُرْنِي الْعَامِلِي

المجلد الأول

الطبعة الأولى

٢٠٢١-١٤٤٣



دار المعارف
للطباعة والنشر

[illegible]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام

على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فقد كتبت: الجديد في الإمام الحسين عليه السلام في ثلاثين نقطة من سيرته، والنقاط أكثر في سيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وهي تحتاج الى تحليل وتفصيل؟

وهذا النوع من عرض السيرة أنفع وأعمق من العرض المجرد، بشرط أن يكون غنياً في الفكرة، بليغاً في الصورة، سلساً في الأداء.

وقد توفقت والحمد لله لبحث سبعين مفردة من سيرة النبي صلى الله عليه وآله فكانت في مجلدين، وقد اختصرت في بعضها وفصلت في بعض آخر، حسب ما قدرت الحاجة العامة الى ذلك.

ومن أمثلة هذه المفردات:

افتخار النبي صلى الله عليه وآله بنبوته وبكونه ابن عبد المطلب، فلما انهزم المسلمون في حنين وأطبقت هوازن بجيشها المؤلف من عشرين ألفاً على النبي صلى الله عليه وآله لتقتله ثبت في وجههم وقاتل وهو يرتجز:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فمن هو عبد المطلب وما هي صفاته التي تستحق أن يفتخر بها رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله؟ وما هو تأثير إرثه في شخصية صلى الله عليه وآله؟

ومنها: قوله في المشهور: أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد. لكن لم يصححه بهذا اللفظ أحد!

وصححه الشهيد الثاني بلفظ: بيد أني من قريش، واسترضعت في بني زهرة ونشأت في بني سعد. فما هي صلة الفصاحة بقريش وبني زهرة وبني سعد؟ وما هي القيمة العلمية والدينية لفصاحة النطق بالضاد؟

ومنها: أن بني هاشم لما بعث النبي ﷺ كانوا أربعين مقاتلاً شجاعاً، تهاهم بطون قريش، وهي مختلفة الرأي وعدد مقاتليها الأشداء لا يصل الى مائة.

وكان باستطاعة أبي طالب عليه السلام أن يغلبهم في المعركة ويخضعهم ويقيم دولة النبي ﷺ في مكة، فلماذا لم يقم النبي ﷺ بذلك؟ بل رفض اقتراح بعض المسلمين عليه ونزل فيهم قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ.

فلماذا رفض أن يخضع قريشاً، وصبر حتى خاض معها حروباً عديدة؟!

ومنها: حالات غضب النبي ﷺ، وحالات تبسمه وضحكه، ورأيه في المرأة وتعامله معها، وتعامله مع الأطفال، وتعامله مع الحيوان، وحالاته في حروبه، وحبه للعطر، وطعامه وشرابه، وبرنامجه اليومي..

الى غيرها من النقاط والموضوعات الغنية في سيرة رسول الله ﷺ، تستحق الدراسة، كما درسنا نقاطاً من سيرة ولده الحسين عليه السلام.

أسأل الله عز وجل أن يفتح لنا أبواب فهم شخصية نبيه روعي فداه، ويضيئ حياتنا بأنوار هدايته وحكمته وأهل بيته الطاهرين عليه السلام.

كتبه: علي الكوراني العاملي، عامله الله بممنه ولطفه

بقم المشرفة

في شهر صفر الخير ١٤٤٢



الفصل الأول

ختم النبوة برسول من ذرية إسماعيل عليه السلام

ما هي العلاقة بين قوله تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ..

وقوله تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

١. العلاقة بينها أنها مفردات لمشروع رباني واحد:

يتكون من مراحل، حيث أخذ الله فرعاً من أبناء إبراهيم عليه السلام وعزله عن تعقيدات بني إسحاق، وأمهل بني إسرائيل وبني إسحاق حتى يكملوا دورتهم، فيأتي وقت الدورة الختامية، دورة الأميين بقيادة بني إسماعيل عليه السلام ونبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وإمامة أهل بيته عليهم السلام.

وأول ما يبهرك في هذا العمل القدرة الإلهية على التحكم في الكون والمجتمع وأن كل شيء تحت السيطرة والقدرة والإدارة!

فهل تستطيع أن تقول: هذا طفلي أسكنته هنا وسيكبر ويكون أمة. وسوف يبعث من بنيه

رسول وتكون له أمة كبيرة تمتد قروناً حتى يبعث فيها من ذرية هذا الطفل إماماً يطهر الأرض من الظلم ويملؤها قسطاً وعدلاً.

فمن أين تعلم أن طفلك سيعيش، وتعرف ما سيكون فتقول هذا القول؟ ومن أين تقدر على فعل ما سيكون، بأحداثه الكبار والصغار وتفاصيلها؟!

لكن عندما يقول الله تعالى سيكون كذا وكذا، يكون رصد له ألوف الأدوات والوسائل والعناصر والفعاليات حتى يكون كما أخبر عز وجل؟!

وعندما يتحدث عن إسكان ذرية إبراهيم عليه السلام عند البيت الحرام، وعن بعثة النبي من ذريته، وعن أمته التي ستكون من الأميين، وعن إظهار دينه على العالم كله.. فهذا كلام مهيمٍ على كل شيء، يملك كل الأوراق.

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ.. فأدوات جميع الأحداث بيده وقد أمرها أن تجري بهذا الاتجاه، أحداث الطبيعة والتكوين، وأحداث المجتمع.

فهكذا يعمل الله تعالى ويدير الناس والعالم، وينسج الأحداث كبيرها وصغيرها، ويسوقها الى الهدف الذي قرره!

لا تتوهم أن هذه جبرية، فإنما هي جبرية في التكوين والمجتمع والظروف، لكن داخل هذه الدائرة إنسان مختار ضمن الخطة، يخدم باختياره المشروع!

٢. نحن لا نعرف فلسفة هذا المشروع الرباني:

وأبونا آدم عليه السلام لم يكن يعرف، فعندما خلق الله تعالى آدم عليه السلام نشر ذرية في عالم الذر وأراه إياهم (الكافي: ٩/٢): (فنظر آدم عليه السلام إلى ذريته وهم ذرٌّ قد ملؤوا السماء! قال عليه السلام: يا رب، ما أكثر ذريتي، ولأمرٍ ما خلقتهم فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله عز وجل: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم. قال آدم عليه السلام: يا رب فإني أرى بعض الذر أعظم من بعض، وبعضهم له نور كثير، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟ فقال الله عز وجل: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم.

قال آدم عليه السلام: يا رب فتأذن لي في الكلام فأتكلم؟ قال الله عز وجل: تكلم. قال آدم: يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة وجبله واحدة وألوان واحدة وأعمار واحدة وأرزاق سواء، لم ييغ بعضهم على بعض، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض، ولا اختلاف في شيء من الأشياء؟

قال الله عز وجل: يا آدم بروحي (بقوتي فيك) نطقت، وبضعف طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به، وأنا الخالق العالم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيئتي يمضي فيهم أمري، وإلى تدبيري وتقديري صائرون، لا تبديل لخلقِي. إنما خلقت الجن والإنس ليعبدون، وخلقت الجنة لمن أطاعني وعبدني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي. وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم، وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملاً، في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، فلذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في تقديرِي وتدبيري. وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم، وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد، والبصير والأعمى، والقصير والطويل، والجميل والدميم، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة، ومن لا عاهة به، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه، ويصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي. وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته. فلذلك خلقتهم، لأبلوهم في السراء والضراء فيما أعافيه، وفيما أبتليهم، وفيما أعطيهم، وفيما أمتنعهم، وأنا الله الملك القادر، ولي أن أمضي جميع ما قدرت، على ما دبرت، ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت، وأقدم من ذلك ما أخرت وأؤخر من ذلك ما قدمت، وأنا الله الفعال لما أريد، لأسأل عما أفعل، وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون).

وفي رواية سعد السعدي/٣٥: (قال آدم: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، قال كم هم يا رب؟ قال: هم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، المرسلون منهم ثلاث مئة وخمسة عشر نبياً مرسلًا).

قال: يا رب فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: لفضله عليهم جميعاً. قال: ومن هذا النبي يا رب وما اسمه؟ قال: هذا محمد نبي ورسولي وأميني ونجيبني ونجني وخيرتي وصفوتي وخالصتي وحبيبي وخليلي وأكرم خلقي عليّ، وأحبهم إليّ، وأثرهم عندي، وأقربهم مني، وأعرفهم لي، وأرجحهم حلماً وعلماً وإيماناً، وقيناً وصدقاً وبراً وعفافاً، وعبادةً وخشوعاً وورعاً، وسلباً وإسلاماً، أخذت له ميثاق حملة عرشي فيما دونهم من خلائق السماوات والأرض، بالإيمان والإقرار بنبوته، فأمن به يا آدم تزد مني قربة ومنزلة وفضلاً ونوراً ووقاراً. قال: آمنت بالله وبرسوله محمد. قال الله: قد أوجبت لك يا آدم وقد زدتك فضلاً وكرامة.

أنت يا آدم أول الأنبياء والرسل، وابنك محمد خاتم الأنبياء والرسل، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأول من يكسى ويحمل إلى الموقف، وأول شافع، وأول شفيع، وأول قارع لأبواب الجنان، وأول من يفتح له، وأول من يدخل الجنة. وقد كنتك به فأنت أبو محمد).

ونحن أولاد آدم ﷺ نقول: اللهم إنك خلقتنا أجيالاً، وبعثت فينا الأنبياء والرسل ﷺ وأعطيت الفرصة للطغاة والأشرار أن يقتلوهم فيقتلوههم ويضطهدوا أتباعهم! وقد تغلبوا عليهم وسيطروا على الأرض وناسها، إلا فترات قصيرة جداً.

ونحن لانعرف أسرار إدارتك للأنبياء والأوصياء ﷺ وتقسيمهم إلى مستويات، وتوزيعهم في الزمان والمكان، ولماذا جعلتهم بعد إبراهيم ﷺ من أبنائه فقط، وأسكنتهم بلاد الشام، وأسكنت إسماعيل منهم جزيرة العرب، وجعلت في ذريته ختم النبوة والإمامة، وأمهلته الطغاة أن يحكموا في الأرض إلى أن تبعث المهدي من ذرية إسماعيل ﷺ، الذي أمرته بتطهير الأرض من الظلم والظالمين، وإقامة دولة العدل!

اللهم: لا نقترح عليك كما اقترح أبونا آدم ﷺ، لكننا نسألك أن تفهمنا ما نطبق من الحكمة في سياستك مع الأنبياء ﷺ، وإمهالك الطويل للطغاة؟!

٣. بواد غير ذي زرع:

فقد وضع الله بيته للناس في أرض قاحلة، حولها صحراء وبحر. واختارها ليمتحن الناس! قال أمير المؤمنين ﷺ: (ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه وسلامه إلى الآخرين من هذا العالم. بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها

بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نتائق الأرض مدرّاً، وأضيق بطون الأدوية قطراً! بين جبال خشنة، ورمال دميّة، وعيون وشلة، وقرى منقطعة، لا يزكو بها خُفٌّ ولا حافرٌ ولا ظِلْف، ثم أمر آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم وغاية لملتقى رحالهم. تهوي إليه ثمار الأفتدة، من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزوا مناكبهم ذُكلاً يهلّلون الله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غُبراً له، قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم، وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم. ابتلاء عظيم، وامتحاناً شديداً، واختباراً ميبناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً إلى رحمته ووصلة إلى جنته.

ولو أراد الله سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جم الأشجار، دافي الثمار، مُلتفّ البنى، متصل القرى. بين بُرة سمراء، وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وعراض مغدقة، ورياض ناظرة، وطرق عامرة، لكان صغر قد الجزاء على حسب ضعف البلاء!

ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها، بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفف ذلك من مسارعة الشك في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفي معتلج الريب عن الناس.

ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبد لهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكار، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فُتِحاً إلى فضله، وأسباباً ذُلاًّ لعفوه). (نهج البلاغة: ١٧٠/٢).

إن كل شئ في مكة يثير العقل والقلب: موقعها الجغرافي بين آسيا وأفريقيا، وتركيبها الجيولوجي من رمال وجبال داكنة أشبعتها شمس القرون نضجاً. وموقعها الكوني حذو الضراح الذي في السماء وهو البيت المعمور (الكافي: ٤/١٨٨). وتاريخها الضارب إلى بدء تكوين اليابسة وبدء الإنسان الأرض، الممتد مع أمجاد النبوات: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ.

ففي هذا الوادي جعل الله بيته من قبل آدم عليه السلام، ثم أمر آدم وأبناءه بالحج إليه.

ثم هُجر ونُسي، ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يسكن عنده من ذريته ليعمر بهم البيت ويبقى عامراً بهم إلى آخر عمر الأرض. فأسكن عنده إسماعيل عليه السلام!

٤. بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ:

قسم الله المجتمع البشري إلى: أهل كتاب، وأميين لم ينزل عليهم كتاب. قال تعالى: فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَخَيِّيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا.

وقال: وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّي إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّي إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

وقال: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

وقال: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. فالأميون الشعوب الذين ليس لهم كتاب، أي غير اليهود والنصارى.

وتستعمل فيمن ليس له ثقافة دينية فهو كالجاهل وإن كان من أهل الكتاب!

قال الإمام الصادق عليه السلام (تفسير القمي: ٣٦٦/٢) في قوله: مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ: كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسولا، فنسبهم الله إلى الأميين). فهم أميون حكماً، وإن كانوا من أهل الكتاب عدداً.

وتستعمل بمعنيين آخرين: الأول: الذي لا يقرأ ويكتب فتقول فلان أمي. والثاني: المنسوب إلى مكة أم القرى تقول: أمي. وسمي نبينا ﷺ النبي الأمي لأنه بعث إلى الأميين غير أهل الكتاب. ولأنه بعث في مكة أم القرى.

وقد نفى أئمتنا عليهم السلام أن يكون لا يقرأ ولا يكتب. ففي علل الشرائع (١/١٢٤): (سألت أبا جعفر محمد

بن علي الرضا عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله لم سمي النبي الأمي؟ فقال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنه إنما سمي الأمي لأنه لم يحسن أن يكتب. فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن! والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين لساناً. وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة ومكة من أمهات القرى. وذلك قول الله عز وجل: وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا.

وعن علي بن أسباط قال: قلت للإمام الباقر عليه السلام: (إن الناس يزعمون أن رسول الله لم يكتب ولا يقرأ! فقال: كذبوا لعنهم الله أنى يكون ذلك وقد قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يُحَسِّنُ أَنْ يقرأ ويكتب! قال قلت: فلم سمي النبي الأمي؟ قال: لأنه نسب إلى مكة، وذلك قول الله عز وجل: لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا. القرى مكة، فقيل أمي لذلك).

فالأمي: الواحد من الأميين، وهم من عدا أهل الكتاب.

والأمي: الجاهل ولو كان من أهل الكتاب.

والأمي: المنسوب إلى أم القرى.

والأمي: الذي لا يقرأ ولا يكتب.

وقد استعمل أمير المؤمنين عليه السلام الأمية النسبية فقال (الكافي: ٦٠/١): (أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول ﷺ وأنزل إليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، على حين فترة من الرسل). فيصح قولك: أمي عن الكتابة، وعن الخطابة، وعن الحاسوب.. الخ.

هذا، وقد روي أن الفرس من الأميين (حقائق التأويل/ ١٢٥): (جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ كان يكره أن يظهر الأميون على أهل الكتاب، يريد فارس على الروم، لأن الروم لهم كتاب وفارس لا كتاب لهم). لكن فقهاء السنة والشيعة عاملوا المجوس كأهل كتاب، ورووا أنهم كان لهم كتاب وأحرقوه!

٥. لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ:

ظهر الشيء: فهو ظاهر. وظهر عليه: غلبه، وقد يحذف حرف التعدية: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى

عَدُوَّهُمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ. أي عليهم.

وظاهره: ناصره. وتظاهر معه: عمل معه ضد آخر: تَظَاهَرُوا عَلَيْهِم بِالْأَثَمِ وَالْعُدْوَانِ. إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ.

والظهور على الآخرين: الغلبة، أعم من الانتصار عليه بحرب أو بحجة، أو بأحداث توجب ذلك. ولذلك استعمله الله تعالى في غلبة أنصار عيسى على اليهود: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَتَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ. وفي غلبة الإسلام الموعودة على الأديان: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

فقد تكون الغلبة بالحرب أو بالحجة أو بالمعجزة. وقد استعملها في سورة الفتح مقابل المشركين: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

وفي سورة التوبة مقابل اليهود والنصارى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ. إِنَّا نَحْنُ أَخْبَارُهُمْ وَرُهْبَانُهُمْ أَزْيَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

وفي سورة الصف مقابل اليهود: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

والنتيجة: أن الله تعالى تكفل بأن مشروعه الإسلام الذي بدأه بمحمد ﷺ وواصله بالأئمة من عترته عليهم السلام، لا بد أن يظهر على الأديان والمبادئ، بالحجة والعلم والمعجزة والحرب.

ومعناه أن النبي ﷺ بَشَّرَ بطور جديد في الحياة البشرية، وانتهاء السماح للظالمين بأن يحكموا أي مكان من الأرض، وبدء دولة العدل الإلهي ودوامها إلى يوم القيامة.



الفصل الثاني

يُتَمُّ الرُّسُولُ ﷺ ضَاعِفَ الرَّحْمَةِ فِي شَخْصِيَّتِهِ

إِنْ يُتَمُّ النَّبِيُّ ﷺ وَالَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، لَيْسَ صَدْفَةً، بَلْ هُوَ خُطَّةٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْيَتِيمُ لَشَخْصِيَّتِهِ ﷺ ضُرُورَةً، أَوْ كَمَا لَا إِضَافِيًّا؟

مَعْنَى يَتَمُّ النَّبِيُّ ﷺ

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْايَةِ (٢٩٢/٥): (الْيَتِيمُ فِي النَّاسِ: فَقْدُ الصَّبِيِّ أَبَاهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ، وَفِي الدُّوَابِّ: فَقْدُ الْأُمِّ. وَالْأَنْثَى يَتِيمَةٌ وَجَمْعُهَا: أَيَتَامٌ، وَيَتَامَى. وَإِذَا بَلَغَ زَالَ عَنْهَا إِسْمُ الْيَتِيمِ حَقِيقَةً، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا مَجَازًا بَعْدَ الْبُلُوغِ، كَمَا كَانُوا يُسَمُّونَ النَّبِيَّ وَهُوَ كَبِيرٌ: يَتِيمًا أَيْ طَالِبًا، لِأَنَّهُ رَبَاهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: تَسْتَأْمُرُ الْيَتِيمَةَ فِي نَفْسِهَا، فَإِنْ سَكَتَتْ فَهُوَ إِذْنُهَا. أَرَادَ بِالْيَتِيمَةِ الْبِكْرَ الْبَالِغَةَ الَّتِي مَاتَ أَبُوهَا قَبْلَ بُلُوغِهَا، فَلَزِمَهَا إِسْمُ الْيَتِيمِ فَدُعِيتَ بِهِ وَهِيَ بِالْغَةِ مَجَازًا. وَقِيلَ: الْمَرْأَةُ لَا يَزُولُ عَنْهَا إِسْمُ الْيَتِيمِ مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ، فَإِذَا تَزَوَّجَتْ ذَهَبَ عَنْهَا. وَمِنْهُ حَدِيثُ الشَّعْبِيِّ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَيْهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ يَتِيمَةٌ، فَضَحِكَ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: النِّسَاءُ كُلُّهُنَّ يَتَامَى، أَيْ ضَعُافٌ).

وَفِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَالِيهِ السَّلَامُ لِمَالِكِ الْأَشْجَرِيِّ (نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ١٠١/٣): (وَتَعَاهَدُ أَهْلُ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرِّقَةِ فِي السَّنِّ، مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثَقُوا بِصَدَقِ مَوْعِدِ اللَّهِ لَهُمْ).

فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى: أَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْكَ فَهِيَ لَكَ جَدُّكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَعَمُّكَ أَبَا طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَكَفَلَكَ فِي نَشَأَتِكَ. وَكَنتَ مَتَحِيرًا فَبَيَّنَّكَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ، فَأَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَعَلَّمَكَ

دعوة الناس إلى دينه.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا: عليك نفقة بيتك ومن تريد مساعدتهم، فأغناك بأن هياً لك خديجة فوهبتك ثروتها، كما وهبت سارة ثروتها لإبراهيم عليه السلام.

ومذهبن أن نبوته كانت من صغره ورسالته في الأربعين، قال أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: ١٥٧/٢): (ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطياً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره).

ومعنى وَوَجَدَكَ ضَالًا: وجدك متحيراً فيما يجب أن تفعله لهداية الناس، فهداك إلى رسالته وعلمك كيف تدعو الناس، لا أنه كان متحيراً في ربه عز وجل.

وقد كان النبي ﷺ يتيماً من صغره، لأن والده توفي وعمره شهران، وتوفيت أمه وعمره ست سنين، فكفله جده عبد المطلب رضي الله عنه إلى أن توفي وعمر النبي ﷺ ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب رضي الله عنه، وكان يقال له: يتيم أبي طالب. وقد أضاف يتمه ﷺ إلى شخصيته الفريدة طاقة من الحنان والرحمة، فكانت نوراً على نور.

لئلا يكون لأحد عليه طاعة

روى الصدوق في الفقيه (٤٩٤/٣)، والعلل (١٣١/١): (أن الإمام الصادق عليه السلام سئل: لم أيتم الله نبيه محمداً ﷺ؟ قال: لئلا يكون لأحد عليه طاعة).

ومع أن كفالة جده عبد المطلب وعمه أبي طالب رضي الله عنهما، فضل عظيم عليه، إلا أنهما يختلفان عن الأب لو كان فإن طاعته ستكون واجبة وكأن من عليه طاعة واجبة لأحد غير الله تعالى لا يصح أن يبعث رسولاً؟! لكنه منطوق غير قوي، ويوجب الشك في صحة الحديث.

لا معنى للصدقة في كل الكون

لا يصح القول إن النبي ﷺ صار يتيماً بالصدقة بدون قصد من الله تعالى، فاعتقادنا أن الله عز وجل هو الخالق المدبر المهيمن على كل ما في الكون، فيتم النبي ﷺ أمر مقصود الله تعالى بتخطيط حكيم وهدف صحيح، ولا يوجد شيء في الكون خارج عن سيطرته عز وجل، ليكون الحدث صدقة!

نعم تستعمل الصدفة مجازاً لكل حدث غير متوقع، فيكون ما هو صدفة عندك عملاً مقصوداً عند غيرك. والكل مقصود بالنتيجة عند الله تعالى.

تأثير اليتيم على الشخصية

لليتيم تأثير إيجابي على الشخصية المستقيمة، وبهذا نفسر ظاهرة اليتيم في العديد من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فهو يجعل شخصياتهم أرق، ومشاعرهم أرفف، وحنانهم على الناس والضعفاء أكثر. ومما قيل: ما رأينا يتيماً متوسطاً، فهو إما شريد، أو على درجة عالية من النبيل. وسبب ذلك أن اليتيم حرمان من الأب، فإما أن يكون تأثيره إيجابياً ويوجب انكسار القلب والشفافية، أو سلبياً فيوجب الحقد على المجتمع!

ومما يدل على أن تأثير اليتيم على النبي ﷺ تأثير إيجابي على شخصيته، أن الله تعالى قال له: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. يعني أنك عشت انكسار القلب من اليتيم، فلا تظلم يتيماً، وعرفت ألم مس الحاجة، فلا ترد فقيراً.





الفصل الثالث

أنا ابن عبد المطلب!

لما انهزم المسلمون في حنين وأطبقت هوازن بجيشها المؤلف من عشرين ألفاً على النبي ﷺ لتقتله، وصاح رئيسهم كعب بن مالك: أروني محمداً فأروه إياه فأغار عليه، واعترضه أيمن فقتله ثم رأى علياً عليه السلام يقصده فهرب. وثبت النبي ﷺ في وجههم وقاتل وهو يرتجز:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

(الارشاد: ١٤٣/١ والبخاري: ٢٣٣/٣)

فافتخر بنبوته وبأنه ابن عبد المطلب، فما هي صفات عبد المطلب التي تستحق أن يفتخر النبي ﷺ بها؟ وتأثير إرثه في شخصية ﷺ وسيرته؟

الجواب: أنه افتخر بأنه صادق في نبوته ﷺ وأن الله تعالى سينصره كما وعده.

وافتخر بجده عبد المطلب وارث إبراهيم عليه السلام وأنه أخذ من جده صفات كثيرة، وقد اشتهر منها أن عبد المطلب وبنيه لا يفرون في الحرب أبداً!

فقد فر كل الناس في حروب النبي ﷺ، وما فر النبي ﷺ وبنو عبد المطلب في حرب أبداً، وبهم قامت معارك الإسلام فكانوا أبطال بدر، وفي أحد وخيبر فر الجميع وثبتوا، وفي حنين: انهزموا بأجمعهم فلم يبق مع النبي ﷺ إلا عشرة أنفس، تسعة من بني عبد المطلب وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، فقتل أيمن، وثبت تسعة نفر الهاشميون «(الارشاد: ١٤٠/١).

أما العباس وأولاده فكانوا يفرون، لكن العباس ابن أمة كما سيأتي.

حسدت قريش عبد المطلب وعملت للحط منه

قال اليعقوبي (٢٤٨/١): (ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر، طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزّوا، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف، فتطيب بنو عبد مناف، وأسد، وزهرة، وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر، فسموا حلف المطيين.

فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا: من أدخل يده في دمها ولحق منه، فهو منا! فأدخلت أيديها بنو سهم، وبنو عبد الدار، وبنو جمح، وبنو عدي، وبنو مخزوم، فسموا اللعقة).

وقال اليعقوبي (١٧/٢): (حضر رسول الله ﷺ حلف الفضول وقد جاوز العشرين، وقال بعد ما بعثه الله: حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، ما يسرني به حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت).

وفي مسند أحمد: (١٩٠/١): شهدت حلف المطيين مع عمومي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم).

وكان هذا الحلف جواباً على حلف لعقة الدم الذي دعا إليه بنو عبد الدار، حيث ذبحوا بقرة، وجعلوا تحالفهم بأن يلحق ممثل القبيلة لعقة من دمها!

قال ابن هشام (٨٥/١): (فكان بنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، مع بني عبد مناف. وكان بنو مخزوم، وبنو سهم بن عمرو، وبنو جمح بن عمرو، وبنو عدي بن كعب، مع بني عبد الدار).

بنو عبد المطلب لا يفرون في الحرب إلا العباس!

في الخصال ٥٢؛ عن الإمام الباقر عليه السلام عن جابر قال: «سئل رسول الله ﷺ عن ولد عبد المطلب فقال: عشرة، والعباس!».!

وروى في الكافي (٢٥٩/٨) تفسير الإمام الصادق عليه السلام لقول النبي ﷺ: (عشرة والعباس) فقال: (توفي مولى لرسول الله ﷺ لم يخلف وارثاً فخاصم فيه ولد العباس أبا عبد الله عليه السلام وكان هشام بن عبد الملك قد حج في تلك السنة، فجلس لهم فقال داود بن علي: الولاء لنا. وقال أبو عبد الله عليه السلام: بل الولاء لي. فقال داود بن علي: إن أباك قاتل معاوية. فقال: إن كان أبي قاتل

معاوية فقد كان حظ أبيك فيه الأوفر ثم فرّ بخيائته. وقال: والله لأطوقنك غداً طوق الحمامة، فقال له داود بن علي: كلامك هذا أهون علي من بكرة في وادي الأزرق، فقال: أما إنه واد ليس لك ولا لأبيك فيه حق! قال فقال هشام: إذا كان غداً جلست لكم، فلما أن كان من الغد خرج أبو عبد الله عليه السلام ومعه كتاب في كرباسة وجلس لهم هشام، فوضع أبو عبد الله عليه السلام الكتاب بين يديه، فلما أن قرأه قال: أعدوا لي جندل الخزاعي وعكاشة الضمري، وكنا شيخين قد أدركا الجاهلية، فرمى بالكتاب إليهما فقال: تعرفان هذه الخطوط؟ قالا: نعم، هذا خط العاص بن أمية، وهذا خط فلان وفلان لفلان من قريش. وهذا خط حرب بن أمية.

فقال هشام: يا أبا عبد الله أرى خطوط أجدادي عندكم؟ فقال: نعم، قال: فقد قضيت بالولاء لك، قال: فخرج وهو يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

قال فقلت: ما هذا الكتاب جعلت فداك؟ قال: فإن نتيلة كانت أمةً لأم الزبير وأبي طالب وعبد الله، فأخذها عبد المطلب فأولدها فلاناً، فقال له الزبير: هذه الجارية ورثناها من أمنا وابنتك هذا عبد لنا، فتحمل عليه ببطن قريش، قال فقال: قد أجبتك على خلة على أن لا يتصدر ابنك هذا في مجلس، ولا يضرب معنا بسهم. فكتب عليه كتاباً وأشهد عليه فهو هذا الكتاب).

أقول: معنى ذلك أن العباس وأولاده مضافاً إلى أنهم من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فهم عبيد لأبناء عبد المطلب: الزبير، وأبي طالب وعبد الله الذين كانت أم العباس أمةً لأهمهم (دلائل النبوة/ ٩٩)، وقد أحلوها لأبيهم فتزوجها، فولدها تبعاً لها ملك لهم، لأنهم أحلوا أمه ولم يبيعوها.

ونلاحظ أن المؤرخين (تاريخ دمشق: ٢٦/٢٧٦) قالوا إن أم العباس نتيلة بنت جناب من بني النمر بن قاسط. وزعموا أن ابنها ضاع فنذرت أن تكسو الكعبة حريراً. لكن هذه القصة لأم ضرار بن عبد المطلب، وليست لأم العباس!

وقد رواها ابن حبيب في المنطق/ ٣٦، والبلاذري في أنساب الأشراف: ٩٠/١، قالوا: (كان ضرار بن عبد المطلب من فتيان قريش، جمالاً، وعقلاً، وهيبة، وسخاء، وإن أمه نتيلة أضلته فكاد عقلها يذهب جزعاً عليه، وكانت كثيرة المال، فجعلت تنشد في المواسم وتقول:

أضللت أبيض كالحصاف للفتية الغرّ بني مناف
ثم لعمري منتهى الأضياف سنّ لفهر سُنّة الإيلاف
في القرّ حين القر والأضياف

فجعلت لمن جاء به هنيذة، ونذرت أن تكسو البيت إن رده الله عليها..).

فأخذوا قصة أم ضرار بن عبدالمطلب، ونسبوها إلى أم العباس!

فالعباس ملحق إلحاقاً ببني عبدالمطلب العشرة لأنه ابن أمة مملوكة لأعمامه! وبسبب أنه
من الطلقاء، اختلف عن بني عبدالمطلب فكان هو وأبناءؤه يفرون في الحرب! وقد فروا في
حياة النبي ﷺ وفروا بعده في حياة علي عليه السلام لما جعلهم ولاية اليمن ومكة، وقادة في جيشه!
أما بقية أبناء عبدالمطلب فلا يفرون في الحرب، وبهذا وأمثاله افتخر النبي ﷺ.





الفصل الرابع

أنا ابن الذبيحين

قدس العرب الكعبة ونبي الله إبراهيم عليه السلام وأخذوا من حنيفيته، لكنهم بعد ذلك اعتنقوا الوثنية وعبادة الأصنام وأشهرها: هبل، واللات، والعزى، ومناة، وقدسوا هذه الأصنام حتى أن ملك المناذرة ذبح أسيره ابن ملك الغساسنة قرباناً لصنم العزى! في ذلك المحيط نذر عبد المطلب عليه السلام إذا رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً لله تعالى. وعندما تم له عشرة أولاد ألهمه الله أن يقترع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله والد النبي ﷺ، فعزم أن يذبحه فأمره الله تعالى أن يفديه بقرбан من الإبل، فاقترع فجاءت القرعة على مئة من الإبل. فكانت قصته كجده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: أنا ابن الذبيحين، يقصد إسماعيل وعبد الله.

وفي الخصال/ ٥٥، والعيون (١٨٩/٢)، عن علي بن فضال قال: « سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي ﷺ: أنا ابن الذبيحين؟ قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ، ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح، يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول ويبيع في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أنثى، وإنما قال الله جل وعز له كن فكان، ليفدي به إسماعيل، فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة. فهذا أحد الذبيحين.

وأما الآخر، فإن عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة، ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلما بلغوا عشرة قال: قد وفى الله لي فلا فينَّ لله عز وجل، فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله ﷺ، وكان أحب ولده إليه، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك. قال: فكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة؟ قالت: أعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل، وأعط ربك حتى يرضى.

فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً، وضرب السهام فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة، فقال عبد المطلب: لا، حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات، فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجله، فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض، وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب. وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة، ولا يمنع أحد منها وكانت مائة. وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجزاها الله عز وجل في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء، وسن الدية في القتل مائة من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وسمى زمزم لما حفرها سقاية الحاج.

وأضاف الصدوق رحمته الله: «ولولا أن عبد المطلب كان حُجَّةً وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيهٌ بعزم إبراهيم عليه السلام على ذبح ابنه إسماعيل، لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان، في قوله ﷺ: أنا ابن الذبيحين. والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل عليه السلام هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في صلبهما. فببركة النبي والأئمة عليهم السلام رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم». وفي الخصال ٣١٢، من وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي إن عبد المطلب سنٌّ في الجاهلية خمس سنن أجزاها الله له في الإسلام، حرم نساء الآباء على الأبناء فأنزل الله عز وجل: وَلَا تَنْكِحُوا

مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.

ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به فأنزل الله عز وجل: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**. الآية. ولما حفر زمزم سماها سقاية الحاج فأنزل الله: **أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِرْكَمًا آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**. الآية.

وسن في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام. ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام.

يا علي إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم.

وفي الفقيه (٣٦٨/٤) من وصية النبي ﷺ المطولة لعلي عليه السلام: «يا علي أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام».

وتدل الرواية التالية (الفقيه: ٨٩/٣) عن الإمام الباقر عليه السلام على أن القرعة مشروعة في الأديان، وأن الله تعالى نهى عبد المطلب عن ذبح ولده وأمره بالقرعة، وقد يكون ذلك بعد كلام عاتكة. قال عليه السلام: «أول من سوهم عليه مريم بنت عمران، وهو قول الله عز وجل: **وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَثِيهُمُ يَكْفُلُ مَرْيَمَ**. والسهم ستة، ثم استهموا في يونس عليه السلام لما ركب مع القوم فوقعت السفينة في اللجة، فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه.

ثم كان عند عبد المطلب تسعة بنين فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه، فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله ﷺ في صلبه، فجاء بعشر من الإبل فساهاهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله، فزاد عشرًا فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشرًا، فلما أن خرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي، فنحرها». ومعناه أن الله تعالى نهاه عن ذبحه وأمره أن يفديه بما استقرت عليه القرعة. ونلاحظ أن النبي ﷺ ضحى في حجة الوداع بمئة ناقة، وهي عدد فداء جده لأبيه عليه السلام، وأشرك فيها علياً عليه السلام لشراكته في

وراثه عبدالمطلب.

وقد صحح علماء السنة حديث: أنا ابن الذبيحين، فقد رواه الحاكم (٥٥٤/٢) وصححه الذهبي، والسرخسي (١٤١/٨) وبدائع الصنائع (٨٥/٥) وتخريج الأحاديث: (١٧٧/٣) وفيض القدير (٧٦٢/٣) وكشف الخفاء (١٩٩/١).

وفي أمالي الطوسي/٤٥٧: « والصحيح أنه (الذبيح) إسماعيل لمكان الخبر، ولإجماع علماء أهل البيت عليه السلام على أنه إسماعيل ».

وفي أضواء على المسيحية للدكتور شلبي/٦٦: « يقول برنابا: فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك البكر واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. والبكر هو إسماعيل، وقد ولد إسحاق عليه السلام بعده بسبع سنين ».

واستدل علماءنا على أن الذبيح إسماعيل بقوله تعالى في سورة الصافات: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

فقد نصت على أن البشارة بإسحاق كانت بعد البشارة بإسماعيل عليه السلام.

وجاء في التوراة أن الذبيح ابنه البكر، وهو إسماعيل وليس إسحاق عليه السلام.

معنى افتخار النبي صلوات الله عليه وآله بأنه ابن الذبيحين

وهو يدل على صحة منام إبراهيم ونذر عبدالمطلب عليه السلام. كما يدل على المقام العظيم للذبيحين، وأن الله تعالى فداهما بكبش أنزله لإبراهيم عليه السلام، وبالقرعة التي رست ثلاث مرات على الإبل لعبدالمطلب عليه السلام. كما يدل على العلاقة الوثيقة للنبي صلوات الله عليه وآله بجديه عبدالمطلب وإبراهيم عليه السلام وأنه امتداد لهما في النسب والرسالة، وأن وجوده الشريف كما نصت رواياتنا مازال ينتقل من الأصباب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة حتى ولد من أبويه.



الفصل الخامس

أنا أفصح من نطق بالضاد! العربية ليست بأب ولا أم

نقل النبي ﷺ مفهوم العروبة من النسب إلى اللغة، قال الإمام الباقر عليه السلام: «صعد رسول الله ﷺ المنبر يوم فتح مكة فقال: أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بأبائها، ألا إنكم من آدم وآدم من طين، ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه، إن العربية ليست بأب والد، ولكنها لسان ناطق فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه». (الكافي: ٨ / ٢٤٦).

وفي كفاية الطالب للسيوطي (١٤٥/٢): (يا أيها الناس إن الرب رب واحد، وإن الأب أب واحد، وإن الدين دين واحد، وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم، وإنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي).

أقول: المشهور أن النبي ﷺ قال: أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أنني من قريش واسترضعت في بني سعد. لكن قال العلماء لا أصل له بهذا اللفظ! (كشف الخفاء: ٢٠٠ / ٨) وفي فيض القدير (٥٠ / ٣): (أنا ابن عبد المطلب أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر، فأني يأتيني اللحن)!

وقد صححه من علمائنا الشهيد الثاني بلفظ: أنا أفصح العرب، بيد أنني من قريش ونشأت في بني سعد، وارتضعت من بني زهرة. وكانت هذه القبائل أفصح العرب، فافتخر ﷺ بالرضاع والنشأة فيها كما افتخر بالنسب. (شرح اللمعة: ١٦٥ / ٥، والمسالك: ٣٧٦ / ١، والمجموع: ٢٢٧ / ١٨).

فرضاع النبي ﷺ الأول من أمه آمنة بنت وهب الزهرية عليه السلام هو المؤثر في شخصيته. ورضاعه الثاني من حليلة مكمل له! وقوله ﷺ: ارتضعت في بني زهرة، معناه أنه رضع ستين

أو نحوهما، ثم أكمل رضاعه في بني سعد.

وقد كثرت أكاذيبهم وتناقضت روايتهم في كيفية أخذ حليلة له!

ومن مقولاتهم الكاذبة أن ثوية مولاة أبي هب أو امرأته أرضعته ﷺ! (البخاري: ٦/١٢٥)

يريدون بذلك تخفيف العذاب عن صاحبهم أبي هب لأنه حليفهم في عداوة النبي ﷺ!

كما كذبوا في قولهم إن النبي ﷺ كان يتيماً لا مال له فزهدت فيه المرضعات، مع أنه حفيد عبد المطلب زعيم العرب على الإطلاق!

كما كذبوا في قولهم إن الله أرسل ملكين فشقا صدره ﷺ وغسلا قلبه من الرجس، وكأنه كان فيه رجس! وقد صححه الذهبي في تاريخه (٤٩/١)، وقال: إن جبريل شرح صدره مرتين، في صغره ووقت الإسراء به.

والأمر المؤكد أن عبد المطلب رضي الله عنه سلمه إلى الحارث السعدي زوج حليلة، فأخذه إلى منازلهم في بادية الطائف.

قال ابن شاذان في الفضائل/٢٨، في حديث رضاعه ﷺ: (ثم إن عبد المطلب دفعه إليها وأخذ أربعة آلاف درهم وقال لها: تعالي يا حليلة نمضي إلى بيت الله الحرام حتى أسلمه إليك فيه، فحمله على ساعده ودخل وطاف بالنبي سبعاً وهو على ساعده ملفوف بخرق السندس، ثم إنه دفعه إليها ومعه أربعة آلاف درهم بيض، وأربعون ثوباً من خواص كسوته، ووهب لها أربع جوار رومية، وحلل سندس. ثم إن عبد الله بن الحارث أتى بالناقعة فركبتها حليلة وأخذت رسول الله ﷺ وشيعه عبد المطلب إلى خارج مكة).

٣ - مناقب ابن شهر آشوب (٣٢١/١): (قالت حليلة: فعرفنا البركة والزيادة في معاشنا ورياشنا حتى أثرينا وكثرت مواشينا وأموالنا. ولم يحدث في ثيابه ولم تبدر عورته، ولم يحتاج في اليوم إلا مرة، وكان مسروراً مختوناً).

وفي الدر المنظم/٥٩: (روي عن حليلة السعدية أنها قالت: كانت في بني سعد شجرة يابسة ما حملت قط، فنزلنا يوماً عندها ورسول الله ﷺ في حجري، فما قمت حتى اخضرت وأثمرت بركة منه. وما أعلم أي جلست موضعاً قط إلا كان له أثر إما نبات وإما خصب. ولقد دخلت على امرأة من بني سعد يقال لها أم مسكين وكانت سيئة الحال فحملته فأدخلته منزله فإذا هي

قد خصبت وحسنت حالها، فكانت تحج في كل يوم فتقبل رأسه).
 أقول: توفيت حليلة رحمها الله قبل هجرته ﷺ فبكى لها، كما وقعت ابتها الشبياء في الأسر
 في حرب حنين وكانت تحضنه ﷺ، فأطلق الأسرى كرامة لها.

علاقة الفصاحة بقريش وبني زهرة وبني سعد؟

أنا أفصح من نطق بالضاد: معناها أن الفصاحة قيمة إنسانية يتفاخر بها. وأن منبت الفصاحة
 وراثي من الأسرة، واكتسابي من التعلم في الصغر.
 ومعناها: دعوا الناس يتعلمون الفصاحة، ويتفاخروا بها، لأنها ترفع مستوى الثقافة والمدنية
 في المجتمع، وتسهم في ترقية اللغة.
 ومن المعروف أن قريشاً كانت أفصح العرب لأن القبائل المختلفة تلتقي في مكة في
 موسمي الحج والعمرة فتتفاعل لغاتها، وتعتدل ألفاظها وجملها.
 وبني زهرة من ذروة قريش وقبائلها الفصيحة، وبني سعد قرب الطائف اشتهروا بفصاحتهم
 من بين قبائل البادية.
 فالنبي ﷺ من بني هاشم وارتضع في بني زهرة ونشأ في بني سعد، فمن حقه أن يكون
 أفصح العرب، مضافاً إلى أن الله تعالى أدبه وعلمه.
 وأخيراً، كلما اهتم المسلم بالفصاحة، كلما صار أقرب إلى فهم كتاب ربه.
 وسيأتي فصل في بلاغة النبي ﷺ، وهو يعني فصاحته أيضاً.





الفصل السادس

كثرة مكذوباتهم في رضاع النبي ﷺ!

الرواية الرسمية لرضاع النبي ﷺ

قالت روايتهم الرسمية عن رضاع النبي ﷺ: إن والدته لم يكن عندها حليب، فأرضعته ثويبة أمة سوداء لأبي لهب، وجاءت حليلة السعدية مع تسع نساء من بني سعد من منازلهن قرب الطائف، ليأخذن أولاد شخصيات قريش ويرضعنهم فيكرمهن آباؤهم، وعرفوا أن أهل النبي ﷺ يبحثون له عن مرضعة لكنهن زهدن فيه لأنه يتيم ليس له أب ليكرم مرضعته، فأخذت المرضعات أطفالاً وبقيت حليلة ولم تجد غيره فأخذته غير راغبة فيه! ولم يذكروا إسم واحدة من المرضعات التسع، ولا إسم طفل قرشي أخذه!

وقالت روايتهم: لقد وجدوا عدداً من المكيات لكن الطفل محمداً ﷺ لم يقبل ثدي أي واحدة منهن، حتى جاءت حليلة فقبل ثديها!

ثم قالوا إنهم وجدوا عدة نساء، قبل الطفل ثديهن!

وروت الرواية الرسمية مجموعة كرامات للنبي الرضيع ﷺ ظهرت في نفسه ومحيطه، وظهرت على حليلة السعدية وقومها، وأكثرها صحيح، ومنها سقيم مثل عملية شق صدره وغسل قلبه بماء الثلج.

وفي مقابل الرواية الرسمية رووا ما يوافقنا ويكذب روايتهم ويثبت أنه رضع من أمه ﷺ، لكنهم أعرضوا عنها وتمسكوا برواية الحكومة ونشروها!

استرضعت في بني زهرة ونشأت في بني سعد

قلنا في السيرة النبوية عند أهل البيت ﷺ: الصحيح أن أمه ﷺ أَرْضَعَتْهُ مدة قد تزيد على السنة، ثم أعطاه جده لزوج حليلة لينشأ في باديتهم قرب الطائف فقد صحح الشهيد الثاني قُلَيْبٌ وغيره افتخار النبي ﷺ برضاعه الأول من أمه ثم بنشأته في بني سعد. قال في شرح اللمعة (١٦٥/٥) والمسالك (٣٧٦/١): «قال النبي ﷺ: أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد، وارتضعت من بني زهرة. وكانت هذه القبائل أفصح العرب، فافتخر ﷺ بالرضاع كما افتخر بالنسب».

فرضاعه الأول من أمه آمنة بنت وهب الزهرية ﷺ هو المؤثر في شخصيته، ورضاعه الثاني من حليلة رحمها الله مكمل له! وقوله ﷺ: ارتضعت من بني زهرة، لا يتحقق إلا بأن يكون رضع من حليب سنة أو أكثر.

وكما لاحظت فقد نسب الشهيد الثاني قُلَيْبٌ الحديث إلى النبي ﷺ بنحو الجزم أي حكم بأن النبي ﷺ قاله.

ويؤيده أن مخالفينا رووا مثله لكنهم أعرضوا عنه وأخذوا بالرواية الرسمية! قال النووي في المجموع (٢٢٧/١٨): (لأن الولد قد يأخذ الشبه بالرضاع في الأخلاق، ويميل طبعه إلى من ارتضع بلبنه، ولهذا روي أن النبي ﷺ قال: أنا أفصح العرب ولا فخر، بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد وارتضعت في بني زهرة).

وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (١٣/٤): (روي عن النبي ﷺ: أنا سيد ولد آدم، بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد، واسترضعت في بني زهرة).

وقال الشيرازي المتوفى ٤٧٦هـ في المذهب في فقه الإمام الشافعي (١٤٥/٣): (روي أن النبي ﷺ قال: أنا أفصح العرب ولا فخر، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد، وارتضعت في بني زهرة). فتصحيح أحد كبار فقهاءنا لحديث رضاعه من أمه، ورواية ثلاثة وأكثر من علمائهم لهذا الحديث، كافٍ لتقديمه على حديث استرضعت في بني سعد، والصحيح أن أصله: نشأت في بني سعد، فيكون رضاعه من حليلة مكملًا وبعد رضاعه من أمه ﷺ.

من الإشكالات القاصمة على الرواية الرسمية

١. أن علماء الجرح والتعديل ردوا الحديث المشهور: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد. ورواية بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد. (الفايق: ٩/١ و ١٢٦) وقالوا لا أصل له! (كشف الخفاء: ٢٠٠/١)!

ومع ذلك صححه رواة السلطة! فهل رأيت حديثاً صحيحاً لا أصل له!

٢. اضطربت الرواية الرسمية في حال آمنة أم النبي ﷺ فقالوا مرة إنها كانت قليلة اللبن، وأشاروا إلى أن النبي ﷺ أبى أن يلتقم ثديها.

وفي المقابل صح قوله ﷺ: ارتضعت في بني زهرة، أي من أمه ﷺ، فدل على أن لقريش ورواتها غرضاً أن يثبتوا كفر أمه وأنه امتنع عن الرضاع منها!

٣. غيبوا دور عبد المطلب في إعطاء النبي ﷺ حليلة وزوجها وثقته بهما، وقد كان حريضاً على النبي ﷺ من ولادته حتى مع وجود أبويه.

وأفلتت منهم رواية تقول إن حليلة جاءت إلى جده عبد المطلب ﷺ، فأعجبه إسمها واسم عشيرتها، وأعطاه إياها.

٤. من مكذوباتهم المفصوحة أن حليلة زهدت بالطفل لأنه يتيم. مع أن أباه كان موجوداً بعد ولادته بشهرين، وفي رواية إلى سنتين من عمره الشريف. ولو سلمنا أنه كان متوفى فالرضيع ابن عبد المطلب سيد قريش وسيد العرب وكل امرأة تتمنى أن تكون له مرضعة، لمكانة عبد المطلب وغناه وكرمه!

والأمر المؤكد أن عبد المطلب ﷺ سلمه إلى الحارث السعدي زوج حليلة، فأخذه إلى منازلهم في بادية الطائف، وربما أرضعته حليلة مدة من الزمن، وكانت تأتي به إلى جده فيكرمهم.

٥. ومن مكذوباتهم أن ثوية مولاة أبي لهب أرضعته! ويظهر أن غرضهم تخفيف العذاب عن أبي لهب (البخاري: ١٢٥/٦) لأنه حليف أعداء النبي ﷺ الذين حكموا دولته بعده!

ففي سنن البيهقي (١٦٢/٧): (قال عروة: ثوية مولاة لأبي لهب كان أبولهب أعتقها فأرضعت النبي فلما مات أبولهب أريه بعض أهله في النوم بشر خيبة فقال له: ما ذا لقيت؟ فقال

أبو لهب: لم ألق بعدكم رخاء غير أني سقيت في هذه مني بعناقتي ثوبية. وأشار إلى النقيرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع! رواه البخاري في الصحيح. وأخرجه مسلم من وجه آخر عن الزهري).

وقال النووي في المجموع (٢٢٨/١٨): (ثبت أن النبي ﷺ رضع من ثوبية مولاة أبي لهب، أرضعته أياماً وأرضعت معه أباسلمة عبدالله بن عبد الأشد المخزومي بلبن ابنها مسروح، وأرضعت معها حمزة بن عبد المطلب).

وفي إعانة الطالبين (٤١٤/٣): (وقد جوزي أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب إعتاقه ثوبية لما بشرته بولادته ﷺ وأنه يخرج له من بين إصبعيه ماء يشربه كما أخبر بذلك العباس في منام رأى فيه أباه! ورحم الله القائل، وهو حافظ الشام محمد بن ناصر، حيث قال:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه وتبت يده في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً يخفف عنه للسرور بأحمداً
فما الظن بالعبد الذي كان عمره بأحمد مسروراً ومات موحداً!

أقول: لو استطاعوا لجعلوا أباهب في الجنة وأولوا سورة تبت يدا أبي لهب، أو حذفوها من القرآن، لأن أباهب حليفهم! ولجعلوا أم جميل العوراء زوجة أبي لهب وحالة الخطب من الحور العين، لأنها أخت أبي سفيان!

أما أبو طالب عليه السلام فلا يشفع له تربيته للنبي ﷺ وحمايته له وتعريضه نفسه وأولاده وعشيرته لتهديد قريش وسيوفهم! فهذا هو الدين القرشي مقابل دين النبي ﷺ وقرآنه وأسرته!

وقد جعلوا مكافأة أبي طالب سخرية نسبوها إلى النبي ﷺ فزعموا أن العباس قال له: «ما أغنيت عن عمك! فوالله كان يحوطك ويغضب لك! قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»!

وقد رواه بخاري (٢٤٧/٤) وكرره في مواضع، وفسر ضحضاح النار (٢٠٣/٧) بأنه: يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه! وقالوا: إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح في النار، فإذا أتوه تلقاهم عقارب كأنهن البغال الدهم، وأفاع كأنهن البخاتي فضربنهم! (الدر المنثور: ١٢٧/٤).

لقد عجزوا عن قتل النبي ﷺ! وعجزوا عن إجلاء بني هاشم من مكة، أو تسكيت النبي ﷺ ودفن دعوته! فانتقموا منه بأخذ سلطانه وعزل عترته!
وانتقموا من أبي طالب فجعلوه كافراً في قعر جهنم، فهذا يثلج قلب قريش! وزعموا أن النبي ﷺ شفع له شفاعة عكسية! مع أن المسلم يشفع للكافر الذي سقاه شربة ماء فيدخله الجنة وقد استحق النار! (ابن ماجه: ٤٩٦/٢).

راجع: ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين ﷺ (١/١٧٤).





الفصل السابع

لماذا لم يقاتل النبي ﷺ قريشاً في مكة؟

عندما بعث النبي ﷺ كان بنو هاشم أربعين مقاتلاً شجاعاً، تهاجم قريش، وكانت قريش قبائل غير متفقة الرأي، وعدد شجعانها لا يصل الى مئة.

وكان باستطاعة أبي طالب ﷺ أن يغلبهم في أول معركة ويخضعهم، ويقيم دولة النبي ﷺ في مكة، فلماذا لم يرض النبي ﷺ بذلك، وصبر حتى تحالف مع الأنصار، وخاض معهم حروباً عديدة، ومنها حروب صعبة؟! إنه السبب الإلهي والخطأ الربانية؟

مما يدل على أن الغلبة كانت لبني هاشم

روت السيرة مواقف لأبي طالب في حماية النبي ﷺ تحدى فيها قريشاً وأذها!
منها: ما رواه الكافي (٤٩/١)، عن الإمام الصادق ﷺ قال: « بينا النبي ﷺ في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد، فألقى المشركون عليه سلى ناقة فملؤوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عم كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وماذا يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلى! (الكرش) ثم توجه إلى القوم والنبي معه، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه، ثم قال لحمزة: أمر السلى على سبأهم (شواربهم) ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم! ثم التفت أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا! »

وروت المصادر هذه القصة بصيغ مشابهة كالسيد فخار بن معد في كتابه الحجة على الذاهب الى

كفر أبي طالب/٣٤٦، عن الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «مر رسول الله ﷺ بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمونها الظهيرة ويذبحونها على النصب فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيماً أبي طالب فلا يسلم علينا! فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبدالله بن الزبعرى السهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فأنهى به إلى النبي ﷺ وهو ساجد فملاً به ثيابه ومظاهره، فانصرف النبي ﷺ حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يا بن أخ؟ فقص عليه القصة، فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح فنادى في قومه: يا آل عبد المطلب، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف، فأقبلوا إليه من كل مكان مُكَبِّين قال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون. قال: خذوا سلاحكم فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا فقال لهم: ورب هذه البنية لا يقوم من منكم أحد إلا جللته بالسيف! ثم أتى إلى صفاء كانت بالأبطح فضر بها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفهار (أحجار) ثم قال: يا محمد سألتني من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبي ﷺ:

أنت النبي محمد	قَرَمُ	أَغْرُ	مسود
لمسودين أكارم	طابوا	وطاب المولد	
نعم الأرومة أصلها	عمرو	الخضم الأوحـد	
هشم الربيكة في الجفان	وعيش	مكة أنكـد	
فجرت بذلك سنة	فيها	الخبيزة تشـد	
ولنا السقاية للحجيج	بها	يمـاث العنجد	
والمأزمان وما حوت	عرفاتها	والمسجد	
أنى تضام ولم أمت	وأنا	الشجاع العربـد	
وبطاح مكة لا يرى	فيها	نجيع أسود	
وبنو أبيك كأنهم	أسد	العرين توقـد	
ولقد عهدتك صادقاً	في القول	لا تتزید	
ما زلت تنطق بالصواب	وأنت	طفل أـمرد	

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي ﷺ إلى عبدالله بن الزبعرى السهمي الشاعر،

فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها، ثم أمر بالفرت والدم فأمر على رؤس الملاء كلهم! ثم قال: يا ابن أخي أَرْضِيت؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نُسبه إلى آدم، ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً.

يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني!

وفي رواية (الكافي: ٤٤٩/١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثم قال لحمزة: أَمَرَ السَّلي على سبأهم (شواربهم) ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم! ثم التفت أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا!»

ورواه في شرح النهج (٧٧/١٤) وثمرات الأوراق بهامش المستطرف (٣/٢).

والربيكة: طعام من تمر وأقط وسمن. والعنجد: الزبيب).

ولأبي طالب موقف آخر يشبه هذا الموقف لما افتقد النبي ﷺ ليلة أسري به، وخاف أن تكون قريش قتلته، فقرر إن كانوا قتلوه أن يقتل كل رؤساء قريش كلهم، وأحضر بني هاشم الأربعين وأعطى كل واحد منهم شفرة، وقالوا ليجلس كل واحد منكم جنب رجل في دار الندوة فإذا جئتمكم بدون محمد فليقتل كل منكم من إلى جنبه من البطون!

فميزان القوة كان في مكة لبني هاشم على قريش، ولكن النبي ﷺ لم يؤمر بقتال.

طلب المنافقون من النبي ﷺ أن يقاتل قريشاً في مكة

وقد رفض طلبهم وقال: لم أؤمر بقتال. والذين طلبوا: سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهما. (ابن حجر في أسباب النزول).

وقد يكون منهم أبوبكر وعمر وغيرهم من أبناء القبائل الصغيرة الضعيفة، الذين يأملون أن ينتصر بنو هاشم فيكون لهم موقع أفضل في مكة.

ونزل في ذلك قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ. قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا.

ومعناه أنهم كرهوا الحرب في بدر وقال الله تعالى عنهم: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ

فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُِونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وقد أدخل رواية قريش المقداد فيهم وكذبوا عليه لأنه لم يقل مقولتهم في طريق بدر: رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ. بل قال للنبي ﷺ (البخاري: ١٨٧/٥): «يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، ولكن إمض ونحن معك! فكانه سُرِّي عن رسول الله ».

قال الطبري (٢٣٣/٥): «نزلت في قوم من أصحاب رسول الله كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد. فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم!»!

وفي أسباب النزول لابن حجر (٩١٨/٢): «نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وقدامة بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال، فلما هاجر إلى المدينة وأذن بالقتال كره بعضهم ذلك ».

وروى الحاكم (٦٦/٢) تفسيرها بابن عوف وأصحابه، وصححه على شرط البخاري، وكذا النسائي (٣/٦) والبيهقي (١١/٩) وغيرهم.

وهذا يكذب ادعاء قريش عدم وجود منافقين في مكة، لتحصرهم بأهل المدينة.

سبب عدم القتال في مكة حفظ حرمة مكة

قال العلامة في تذكرة الفقهاء (١٠١/١): (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار).

فمكة لها حسابها الخاص عند الله تعالى.

ولذا قال الحسين عليه السلام لما قال له عبدالله بن الزبير: كن حمامة من حمام هذا المسجد: (شرح الأخبار: ١٤٥/٣): (والله لئن أقتل خارجاً منه بشبر أحب إلي من أن أقتل فيه، ولئن أقتل خارجاً منه بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منه بشبر).

لهذا لم يأذن الله تعالى لنبيه ﷺ بأن يقاتل قريشاً في مكة، حتى لو كان النصر عليهم مضموناً له، وأذن له بمكة ساعة من نهار لتطهيرها من الأصنام.

وسبب عدم القتال في مكة أن حقانية النبوة قد تخفى

فلو قاتل قريشاً وانتصر عليها وأقام دولة الإسلام، لاشتغلت أبواق إعلام قريش واليهود، بأنه ليس نبياً بل خارج على قريش، يريد تأسيس ملك لبني عبدالمطلب! ولأنكروا أنه أقام عليهم الحجة بنبوته فكفروا، وأرادوا قتله.

على أن النبي ﷺ كان متعبداً بأمر ربه عز وجل، ولذلك قال: لم أؤمر بقتال.

ما هي الخطة الربانية للنبي ﷺ؟

الخطة أن يجد النبي ﷺ أنصاراً فيذهب اليهم، وقد عرض نفسه في موسم الحج على عشرين أو ثلاثين قبيلة، وكان يعرض عليهم الإسلام ويقرأ لهم بعض آياته، ويقول لهم: إن الله بعثني رسولاً وإن قريشاً كذبتني ومنعتني أن أبلغ رسالة ربي، فخذوني معكم إلى قبيلتكم واحموني لكي أبلغ رسالة ربي. وكانوا يخافون إن هموه من قريش، ويقولون له: إجعل لنا الأمر بعدك إذا انتصرت على قريش والعرب، فيقول لهم: الأمر لله وليس بيدي، وقد أمرني أن أشرط عليكم أن لا تنازعوا الأمر أهله!

قال ابن هشام (٢/٢٨٩): (قال فراس بن عبد الله.. بن عامر بن صعصعة: والله، لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه!) فأمره الله أن يواصل دعوته حتى بعث له الأنصار!





الفصل الثامن

لولا أبو طالب لما نجحت دعوة النبي ﷺ

مواقف أبي طالب غيرت ميزان القوة

الموقف الأول: كفalte للنبي ﷺ وتزويجه، وقد شر حناه في السيرة النبوية.

الموقف الثاني: لما سمعت قريش بنبوته فغضبت وزمجت وقررت قتله! فأسلم

أبو طالب ﷺ ونهض مع النبي ﷺ وجمع بين هاشم وحماه من قريش.

ففي أمالي الصدوق/٧١٣، عن ابن عباس بسند قوي: (قال أبو طالب للنبي ﷺ: يا ابن أخي، الله أرسلك؟ قال: نعم. قال: فأرني آية. قال: أدع لي تلك الشجرة. فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه، ثم انصرفت. فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق، يا علي صل جناح ابن عمك).

ثم رآهما يصليان، فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح ابن عمك، أي صل معه.

ففي تفسير المفيد/٤٠٧ والأوائل للعسكري/١٠٩: (أن أبا طالب مر على رسول الله ﷺ وهو يصلي وعلي ﷺ إلى جانبه، فلما سلم قال: ما هذا يا ابن أخي؟ فقال له رسول الله ﷺ: شيء أمرني به ربي يقربني به إليه. فقال لابنه جعفر: يا بني: صل جناح ابن عمك، فصلى رسول الله ﷺ بعلي وجعفر جميعاً يومئذ فكانت أول صلاة جماعة في الإسلام، ثم أنشأ أبو طالب ﷺ يقول:

إن علياً وجعفرأ ثقتي عند ملم الخطوب والكر

والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي).

الموقف الثالث: لما جاء إليه أشراف قريش يشكون النبي ﷺ ويطالبون بتسليمه لهم: « فقالوا: يا أبا طالب، أن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أعلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه! فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه. ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيئك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداءٌ أنه خاذله ومسلّمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ: يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته! ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً ثم أعلن أبو طالب على الملأ كلمته المشهورة: والله ما كذب ابن أخي قط.

وفي شرح النهج (٥٦/١٤): « قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذ فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفّه أعلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل!

فقال لهم أبو طالب: والله لبئس ما تسومونني! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً!

فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً!

فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ! فاصنع ما بدا لك «.

« فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابد القوم، وبادي بعضهم بعضاً! ثم إن قريشاً تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب، وقد قام حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله).

الموقف الرابع: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ صلى العشاء الآخرة وصلى الفجر في الليلة التي أسري به فيها بمكة. وكان أبو طالب أمر علياً وجعفرأً وحزمة بالتناوب لحراسته، وكان يتفقد مكانه في الليل! ولما لم يجده خاف أن يكون القرشيون قتلوه فبعث من يبحث عنه، واستدعى شباب بني هاشم ووزع عليهم سيوفاً قصيرة أو شفا راً، وأمرهم أن يكون كل واحد منهم بجانب زعيم قرشي، فإذا أمرهم فليقتل كل منهم من بجانبه من الزعماء، وأولهم أبو جهل!) (مناقب ابن شهر آشوب: ١/١٥٦).

وفي الخرائج للراوندي (٨٥/١): « فتلقاه على باب أم هاني حين نزل من البراق فقال: يا ابن أخي، انطلق فادخل بين يدي المسجد، وسل سيفه عند الحجر وقال: يا بني هاشم أخرجوا مُداكم. فقال: لو لم أره ما بقي منكم شفر (أحد) أو عشنا، فاتقته قريش منذ يوم أن يغتالوه).

وفي الغدير (٣٥٠/٧) عن الواقدي: « فحفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جئت وليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذني فيه ولو كان هاشمياً! فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ فقال: إي ورب هذه وأومى إلى الكعبة! فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك؟ قال: هو ذلك. ومضى به ﷺ وهو يقول :

إِذْهَبْ بُنَيَّ فَمَا عَلَيْكَ غَضاضَةً إِذْهَبْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عَيُونَا
وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينَا
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلَ أَمِينَا
وَذَكَرْتَ دِيناً لَا مُحَالَةَ إِنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والإستعطاف، وهو لا يحفل بهم! وفي تاريخ اليعقوبي (٢٦/٢): «فأعظموا ذلك وجلّ في صدورهم، وعاهدوه وعاهدوه أنهم لا يؤذون رسول الله ولا يكون منهم إليه شيء يكرهه أبداً».

الموقف الخامس: لما كتبوا صحيفة المقاطعة، فحمى أبو طالب وبنو هاشم النبي ﷺ في شعب بني هاشم. قال في إعلام الوری (١٢٥/١): (وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يؤاكلوا بني هاشم ولا يكلموهم ولا يبايعوهم ولا يزوجههم ولا يتزوجوا إليهم ولا يحضروا معهم، حتى يدفعوا محمداً إليهم فيقتلونه، وأنهم يد واحدة على محمد ﷺ ليقتلوه غيلة أو صراحاً. فلما بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخل الشعب، وكانوا أربعين رجلاً فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام لئن شأكت محمداً شوكة لآتين عليكم يا بني هاشم. وحصّن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله ﷺ مضطجع ثم يقيمه ويضعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا ويوكل ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار)!

وفي سيرة ابن إسحاق (١٤٢/٢): «فأخبر الله عز وجل بذلك رسوله ﷺ فأخبر أبا طالب فقال أبو طالب: يا ابن أخي من حدثك هذا، وليس يدخل إلينا أحد ولا تخرج أنت إلى أحد، ولست في نفسي من أهل الكذب؟ فقال له رسول الله: أخبرني ربي هذا! فقال له عمه: إن ربك لحق وأنا أشهد أنك صادق. فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم ما أخبره به رسول الله ﷺ كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالوا للصحيفة بالخبث والمكر، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد والمشركون من قريش في ظل الكعبة، فلما أبصروه تباشروا به وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله فيقتلوه! فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا: قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم، وفي حياته فرقتمكم وفسادكم! فقال أبو طالب: قد جئتم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منا. هلموا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا، فجاؤوا بها ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله إليهم إذا نشروها، فلما جاؤوا بصحيفتهم قال أبو طالب: صحيفتكم بيني وبينكم، وإن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة فلم يدع الله فيها إسماً إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فإن كان

كاذباً فلکم عليّ أن أدفعه إليکم تقتلونہ، وإن کان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم الموائيق وأخذوا عليه! فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ! وكانوا هم بالغدر أولى منهم واستبشر أبو طالب وأصحابه وقالوا أينأ أولى بالسحر والقطيعة والبهتان». (فسقط في أيديهم، ونكسوا على رؤوسهم! فقال أبو طالب: علام نُحس ونُحصر وقد بان الأمر! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم عليه منا! ثم انصرفوا إلى الشعب)!! (طبقات ابن سعد: ١/٢٠٨).

وقال أبو طالب في معجزة الصحيفة (سيرة ابن إسحاق: ١٤٤/٢):

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة	متى ما يُجَبَّرْ غائبُ القوم يعجب
محال الله منها كفرهم وعقوقهم	وما نقموا من ناطق الحق معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً	ومن يختاق ما ليس بالحق يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصداً	على سخط من قومنا غير معتب
فلا تحسبونا خاذلين محمداً	لدى غربة منا ولا متقرب
ستمعنا منا يد هاشمية	مركبها في الناس خير مركب
فلا والذي تحذى له كل نضوة	طليح نجى نجله فالمحصب
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن	لنحلف كذباً بالعتيق المحجب
نفارقه حتى نُصرَّع حوله	وما نالتكذيب النبي المقرب).



أقول: صدق ابن أبي الحديد حيث قال (شرح النهج: ١٤٢/١): (فإن من قرأ علوم السير عرف، أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً).

وقال (شرح النهج: ٨٤/١٤):

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما

فلله ذا فاتحاً للهدى والله ذا للمعالي ختاماً
وما ضر محمد أبي طالب جهولٌ لغا أو بصير تعامى

نظرة في شعر أبي طالب عليه السلام

١. أول من جمع شعر أبي طالب عليه السلام أبو هفان، واسمه عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي، توفي سنة ٢٥٧ هجرية، وعرف كتابه باسم ديوان أبي طالب، وهو يتضمن ٤٢٤ بيتاً أو نحوها. وشعر أبي طالب أكثر من ذلك، فقد وجدت قصائد لا توجد في الديوان كالدالية التي مطلعها (شرح النهج (٧٧/١٤) وهي اثنا عشر بيتاً:

أنت النبي محمد قرم أغر مسود
لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها عمرو الخضم الأوحـد

٢. لعل أشهر شعر أبي طالب قصيدته اللامية التي تبلغ مئة وعشرة أبيات.

قال ابن كثير في النهاية (٧٠/٣): «قال ابن إسحاق: ولما خشي أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه». ثم أورد القصيدة برواية ابن هشام الذي أورد منها أربعاً وتسعين بيتاً، وردّ تشكيك بعضهم في نسبة بعض أبياتها إلى أبي طالب، وقال: قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها. قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعاً، وقد أوردتها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات أخرى».

أقول: يظهر أن لامية أبي طالب كانت في السنة الثانية للبعثة قبل موسم الحج، رداً على إعلام قريش الكاذب وتحريضهم فجعلها بعد محاصرة قريش لبني هاشم في الشعب، أو قبله لما عرضت

قريش عليه شاباً بدل النبي ﷺ .

ملاحظات حول شعر أبي طالب عليه السلام

أ. تقرأ شعر أبي طالب عليه السلام فتعجب ببلاغته، والمتداول منه نحو خمس مئة بيت، وقد يبلغ الألف بيت، فهو ثروة مهمة لم يعطوه حقه في تدوين السيرة وتوثيقها، مع أن المؤرخين أبدوا إعجابهم به! وقد رأيت قول إمامهم ابن كثير في لامية أبي طالب: « هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً »!

فما دامت أهم من المعلقات وأبلغ فلماذا لم يعتمدوها؟! إن مشكلتهم أنهم يريدون كسب رضا الحكومات الأموية والعباسية، فلا يذكرون شعر أبي طالب عليه السلام إلا عند الضرورة، لأنه يسجل شجاعة بني هاشم ونبلهم ودورهم في حماية النبي ﷺ ويكشف التاريخ الأسود لزعماء قريش ويطعن في نسب عدد منهم. ولذا تقرب علماء السوء الى الحكومات بدم أبي طالب وزعموا أنه مات كافراً، لينفوا أنه وارث عبد المطلب وأن النبي ﷺ وارثه!

ونفي الوراثة الربانية أمر مهم عندهم وإلا انهار أساس خلافة السقيفة!

ب. يكشف شعر أبي طالب أموراً وأحداثاً في السيرة النبوية لم يسجلها الرواة وعتموا عليها، فمنها أن قريشاً قررت إجلاء بني هاشم ونفيهم من مكة إن لم يسلموهم النبي ﷺ! وعملوا لتنفيذ ذلك فأحبطه أبو طالب:

كَذَّبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَشْرُكُ مَكَّةَ وَنَظَعْنُ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بَلَابِلِ
وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبِي غَيْرٍ بُغَضْنَا لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُسَى وَمُضَبِّحٍ فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍ بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ
وَيُؤَلِّي لَنَا بِاللَّهِ مَا إِنْ يَغُشَّنَا بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ

وأبو عمرو المنافق هو: قرظة بن عبد عمرو بن نوفل، وهذا يدل على أن حساد بني هاشم من أقربائهم كانوا مع قرار نفيهم!

ج. ومن ذلك أن أباطالب أشار في شعره إلى أعمال عدائية قامت بها قبائل أو شخصيات معينة لم يكشفها الرواة! لاحظ قوله في هذه القصيدة:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَبَكْرُهُ إِلَى بُغْضِنَا إِذْ جَزَّأَنَا لَاكِلِ
جَزَتْ رَحِمَ عَنَا أَسِيداً وَخَالِداً جَزَاءَ مَسِيٍّ لَا يُوْخِرُ عَاجِلِ
وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ تَمَالَوْا وَالْبُيُوتَا عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ
وَرَهْطٌ نُفَيْلٍ شَرٌّ مِنْ وَطْأِ الْحَصَى وَالْأَمَّ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ.. الخ.

وقوله في قصيدة أخرى:

وليد أبوه كان عبداً لجداً إلى عُدْجَةٍ زَرْقَاءَ جَاشَ بِهَا الْبَحْرُ
وتيم ومخزوم وزهرة منهم فكانوا لنا مولى إذا بغى النصر
فقد سهفت أحلامهم وعقولهم فكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

والوليد هو أبو خالد بن الوليد، أحد المستهزئين (البيهقي: ٨/٩)، وقد كشف أبوطالب أن أمه رومية عاملة سفينة، كانت أمة لهاشم!

د. وقوله في المعجزة في أبي جهل: «لما جاء إلى النبي ﷺ وهو ساجد، ويده حجر يريد أن يرميه به فلصق الحجر بكفه! فقال أبوطالب:

أَفِيقُوا بَنِي غَالِبٍ وَانْتَهُوا عَنِ الْغِيِّ مِنْ بَعْضِ ذَا الْمَنْطِقِ
وَالَا فَايَ إِذْنَ خَائِفٍ بَوَائِقُ فِي دَارِكُمْ تَلْتَقِي
تَكُونُ لَغَيْرِكُمْ عِبْرَةً وَرَبِّ الْمَغَارِبِ وَالْمَشْرِقِ
كَمَا ذَاقَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمُودَ وَعَادَ فَنَ ذَا بَقِي
غَدَاةَ أَتَاهُمْ بِهَا صَرَصَرُ وَنَاقَةَ ذِي الْعَرْشِ قَدْ تَسْتَقِي
فَحَلَّ عَلَيْهِمْ بِهَا سَخْطَةُ مِنَ اللَّهِ فِي ضَرْبَةِ الْأَزْرَقِ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَاكَ فِي أَمْرِكُمْ عَجَائِبُ فِي الْحَجَرِ الْمَلْصَقِ

بكف الذي قام من خبثه إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبتته الله في كفه على رغبة الجائر الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى لغي الغواة ولم يصدق»

(كنز الفوائد / ٧٥، وأبوطالب حامي الرسول / ٢١، وابن إسحاق: ٤ / ١٩٢).

لذلك ينبغي لكتاب السيرة والمؤرخين أن يتتبعوا الأحداث التي أروها أبوطالب، ويبحثوها، ويرفضوا ما يعارضها في السيرة الحكومية الرسمية.





الفصل التاسع

لماذا صبر النبي ﷺ ثلاث سنين حتى صدع بما يؤمر؟

كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت عليه السلام :

انتشر خبر بعثة النبي ﷺ فاستشاط زعماء قريش غضباً، واتخذوا قراراً بقتله قبل أن يسمعوها حجة! لأنه بزعمهم نقض توافق توزيع مناصب الشرف بين قبائل قريش، ودعا إلى زعامة بني هاشم! وزاد غضبهم لما أمره الله أن يدعو عشيرته الأقربين ويتخذ منهم وزيراً ووصياً، وقد روى الجميع حديث الدار في تفسير قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وأن النبي ﷺ جمع بني هاشم وكانوا أربعين رجلاً ودعاهم إلى الإسلام واختار منهم علياً عليه السلام أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة. فكان ذلك نبأ عظيماً على قريش وهو أن بني هاشم انشقوا على قريش، وادعى ابنهم النبوة، ثم اختار ابن عمه وصيه وخليفته، وكأن قبائل قريش لا وجود لها!

وأرادوا أن يتأكدوا من ذلك فأرسلوا أباسفيان باستطلاع الأمر، وروايته بسند صحيح عندهم، في مناقب آل أبي طالب (٢/٢٧٦) من تفسير القطان عن وكيع، عن سفيان عن السدي، عن عبد خير، عن علي قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد هذا الأمر بعدك، لنا أم لِمَنْ؟ قال: يا صخر الأمر بعدي لمن هو بمنزلة هارون من موسى! قال: فأنزل الله تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. منهم المصدق بولايته وخلافته ومنهم المكذب بهما!

وفي الكافي (٢٠٧/١) بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال أبو حمزة الثمالي: (قلت له: جعلت

فذاك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ؟ قال: هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه، كان أمير المؤمنين يقول: ما لله عز وجل آية هي أكبر مني، ولا لله من نبأ أعظم مني». وتفسير القمي: ٤٠١/٢، وتفسير فرات: ٥٣٣، والطرائف: ٩٤، واليقين: ٤١٠، وغيرها.

فالمرحلة الأولى من الدعوة كانت خاصة ببني هاشم وتوحيدهم لحماية النبي ومدتها ثلاث سنوات، لم يدع النبي ﷺ فيها غيرهم حتى أهلك الله الفراعنة المستهزين الخمسة وأوحى إليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، فبدأ بمرحلة الدعوة العامة.

وفي هذه السنوات الثلاث كانت آيات القرآن وسوره متواصلة وعلنية، وكانت السرية فقط على أشخاص كنتموا إسلامهم خوفاً من قريش كعمار، أو كنتموه حرصاً على نجاح الدعوة كأبي طالب وحزمة.

قال ابن إسحاق في سيرته (١٢٦/٢): «ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاء به وأن ينادي الناس بأمره وأن يدعو إلى الله تعالى، وكان ربها أخفى الشئ واستسر به، إلى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين من مبعثه».

وقال ابن هشام (١٦٩/١): «وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين. ثم قال الله تعالى له: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ».

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٤١/١): «ثم نبأه الله تعالى وهو ابن أربعين سنة، وكان أول يوم أوحى الله تعالى إليه فيه يوم الإثنين، فأسر رسول الله ﷺ أمره ثلاث سنين أو نحوها، ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه».

فالمتفق عليه عند الجميع أنه ﷺ في السنين الثلاث لم يدع غير بني هاشم، ولا جلس في المسجد في هذه المدة، فقد هدده عتاة المستهزين بأنه إن دعا الناس فسيقتلونه، ثم أئذروه إلى يوم معين ليعلن تراجعهم عن نبوته، فكفاه الله شرهم وقتل المستهزين الخمسة في يوم واحد، وأنزل عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ!

وقد ضخم رواة السلطة دار الأرقم وجعلوها مرحلة في دعوة النبي ﷺ لأجل إثبات

منقبة لعمر حيث زعموا أنه كان صاحب مكانة وقوة فتحدى قريشاً وأخرج النبي ﷺ إلى المرحلة العلنية، لكن الواقع ينفي ذلك!

وينبغي التنبيه إلى أن بعض الأحاديث السننية والشيعية حسبت سنوات السيرة في مكة عشر سنوات، فاستثنت السنوات الثلاث الأولى لأنها خاصة ببني هاشم، وحسبت بعثته من أول الرابعة حيث أهلك الله المستهزئين، وأمره أن يصدع!

زعماء قريش أسوأ من الفراعنة والجبارين!

قال الله تعالى لهم: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا. فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا. فهم فراعنة بنص القرآن.

وهم أسوأ من الفراعنة وأشدَّ عناداً للحق، ففرعون لما أدركه الغرق: قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وهم لما قامت عليهم الحجة ورأوا الحق: قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

وكان زعماء قريش سمعوا أن الأنبياء السابقين بشروا بنبي من ولد إسماعيل وسمعوا توقعات علماء اليهود والنصارى بأنه سيخرج في مكة، وسمعوا بقصة بحير الراهب وقوله إنه النبي الموعود.

لهذا أصدروا الأمر بقتل النبي ﷺ بمجرد أن قال إنه بعث نبياً، ولم يطلبوا منه الدليل، فالدليل لا يهمهم والحجة لا تعنيهم، لأن قبولهم بنبي من بني هاشم ينقض توافقهم على توزيع مناصب السيادة، ويعني رئاسة بني هاشم على بقية البطون، وهو أمر مرفوض بكل وجودهم! فكان الموقف الصحيح بزعمهم قتله، فطالبوا أهله وعشيرته بتسليمه لهم ليقتلوه! وهذا طغيان لم يصل إليه أحد من الطغاة ولا الفراعنة!

لم يكن بإمكان النبي ﷺ أن يخرج إلى المسجد ويدعو الناس إلى نبوته ودينه حتى جاءه جبرئيل عليه السلام بعد أن حصد رؤوس المستهزئين كلهم في ساعات!

ففي الخصال/٢٧٩: عن الإمام الحسين عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال ليهودي من أبحار الشام في

جواب مسأله: فأما المستهزؤون فقال الله عز وجل له: **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** فقتل الله خمستهم، قد قتل كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد! أما الوليد بن المغيرة فإنه مرّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه، فانقطع أكحله حتى أدماه فمات وهو يقول: **قتلني رب محمد!**

وأما العاص بن وائل السهمي، فإنه خرج في حاجة له إلى كداء فتدهده تحته حجر فسقط فتقطع قطعة قطعة، فمات وهو يقول: **قتلني رب محمد!** وأما الأسود بن عبد يغوث، فإنه خرج يستقبل ابنه زمعة ومعه غلام له فاستظل بشجرة تحت كداء فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخذ رأسه فنطح به الشجرة فقال لغلامه: **إمنع هذا عني!** فقال: **ما أرى أحدا يصنع بك شيئا إلا نفسك!** فقتله وهو يقول: **قتلني رب محمد!**

وأما الحارث بن الطلائع فإنه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً فرجع إلى أهله فقال: **أنا الحارث فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد.**

وأما الأسود بن المطلب فإنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه غلبة العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات، وهو يقول: **قتلني رب محمد!**

كل ذلك في ساعة واحدة، وكانوا قالوا صباح ذلك اليوم للنبي ﷺ: **يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك**، فدخل النبي منزله فأعلق عليه بابه مغتماً بقولهم، فأتاه جبرئيل عليه السلام ساعته فقال له: **يا محمد السلام يقرؤك السلام وهو يقول: فاصدع بما تؤمر،** يعني أظهر أمرك لأهل مكة وادع، **وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**. قال: **يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزين وما أوعدوني؟** قال له: **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**. قال: **يا جبرئيل كانوا عندي الساعة بين يدي؟** فقال: **قد كفيتهم! فأظهر أمره عند ذلك «!**

وخرج النبي ﷺ إلى الحجر في أول السنة الرابعة وبدأ بدعوة الناس، ولو خرج قبلها لهاجمه بعض هؤلاء المستهزين يريدون قتله!

الثلاث سنين مرحلة الدعوة الناعمة!

مع كل جبروت قريش في رد البعثة، وإصرارهم على قتل النبي ﷺ، كان يكفي

لأبي طالب عليه السلام شهر لترتيب حمايته ببني هاشم ثم ينطلق في دعوته.

لكن الأمر طال ثلاث سنوات، فما هو السبب؟

في اعتقادي أن تأخير شروعه في الدعوة كان أمراً مقصوداً لله تعالى، ليسمع الناس أولاً بنبوته، ويصل اليهم ما ينزل عليه من القرآن، ويتفاعل في نفوسهم، إلى أول السنة الرابعة حيث نزل عليه الأمر: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ.

فكان السنوات الثلاث مرحلة الدعوة الناعمة قبل البدء بالدعوة رسمياً.

ونلاحظ هذا التدرج في تعامل النبي ﷺ بأمر ربه مع المجتمع، لكي يأخذ الأمر والحدث وقته الكافي، وينضج وجوده في أنفسهم نضجاً طبيعياً.





الفصل العاشر

لماذا أخذ النبي ﷺ أبابكر معه في هجرته؟

جعلوا آية الغار سيفاً قتلوا به من خالفهم!

قال الله تعالى: **إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.**

معنى الآية: أن الله تكفل بنصر النبي ﷺ وإن لم تنصروه، فقد نصره عندما كان وحيداً فاراً من قومه ليس معه إلا شخص واحد غير مقاتل، فأنزل عليه السكينة والطمأنينة وجنوداً من ملائكته. فليس في الآية مدح للشخص الذي كان معه، بل فيها أنه خاف وسكنه النبي ﷺ.

فالآية متركزة على الحديث عن النبي ﷺ وحده غير ناظرة إلى غيره، بل يشير إفراد الضمائر فيها إلى أن أبابكر لا يشترك معه في السكينة بل بمجرد التواجد قال تعالى: **إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا،** ولم يقل أخرجهما. وقال تعالى: **فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا،** ولم يقل عليهما.

وقال المفيد (الفصول المختارة/ ٤٣): « ما حاصله: » لم ينزل الله سبحانه السكينة قط على نبيه ﷺ في موطن كان معه فيه أحد من أهل الإيوان، إلا عمهم في نزول السكينة وشملهم بها، إلا في هذا المورد فأفردوها).

وقد أكثر السنيون في مدح أبي بكر، فقالوا إنه تواعد مع النبي ﷺ على الهجرة، وإنه أعدّ راحلتين، وإن النبي ﷺ كان يتردد إلى بيته تلك الأيام. ورووا عن عائشة الكثير!

وقالوا إن أسماء بنت أبي بكر كانت تحمل لهم الطعام إلى الغار، وإنها شقت حزامها قطعتين

لتربط الزاد فسمها النبي ﷺ ذات النطاقين، مع أنها كانت هاجرت مع زوجها الزبير قبلهم إلى المدينة). (خليفة ابن خياط / ٢٠٧).

قال ابن حجر في الإصابة (١٤٨/٤): «ومناقب أبي بكر كثيرة جداً، وقد أفردتها جماعة بالتصنيف، وترجمته في تاريخ ابن عساكر قدر مجلدة، ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى: **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**. فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع، إذ لا يعترض بأنه لم يتعين لأنه كان مع النبي ﷺ في الهجرة عامر بن فهيرة وعبد الله بن أبي بكر، وعبد الله بن أريقط الدليل، لأننا نقول لم يصحبه في الغار سوى أبي بكر. وثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وهما في الغار: ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وفي فتح الباري (١٨٠/١٣): «قال ابن التين: ما انفرد به أبو بكر وهو كونه ثاني اثنين وهي أعظم فضائله التي استحق بها أن يكون الخليفة من بعد النبي لذلك قال عمر: وإنه أولى الناس بأمرهم فقوموا فبايعوه».

وفي تحفة الأحوذى (١٠٦/١٠): «أجمع المفسرون على أن المراد بصاحبه في الآية يعني قوله تعالى: **ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**. هو أبو بكر، وقد قالوا من أنكر صحبة أبي بكر كفر، لأنه أنكر النص الجلي! بخلاف صحبة غيره».

أما نحن فنقول: إنها روايات مكذوبة ملدح أبي بكر وبناته، وقد نص المحدثون السنة على كثرة المكذوبات في فضائل أبي بكر وعمر، وهذه منها.

ونقول إن النبي ﷺ وجد أبا بكر في الطريق فأخذه معه لئلا يخاف فيخبر قريشاً عن النبي ﷺ، واشترى منه جملًا للدليل، فمات الجمل قبل أن يصل إلى المدينة، فاستأجر غيره. أما النبي ﷺ فهاجر على ناقته العضباء.

وقد وردت هذه المضامين في رواياتنا، ففي الخرائج (١٤٤/١): «قال علي رضي الله عنه: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: إن قريشاً دبرت كيت وكيت في قتلي، فم على فراشي حتى أخرج أنا من مكة فقد أمرني الله تعالى بذلك. فقلت له: السمع والطاعة، فمتم على فراشه وفتح رسول الله ﷺ الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر وهو يقول: **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**. ومضى وهم لا يرونه، فرأى أبا بكر قد

خرج في الليل يتجسس عن خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم، فأخرجه معه إلى الغار».

وفي شواهد التنزيل (١٢٧/١) «أنام رسول الله ﷺ على فراشه ليلة انطلق إلى الغار، فجاء أبوبكر يطلب رسول الله فأخبره علي أنه قد انطلق فاتبعه».

لا فضيلة حقيقية لأبي بكر في الآية

قال النعمان المغربي في شرح الأخبار (٢٤٦/٢): «إن الصحبة قد تكون للبر والفاجر، وقد وصف الله تعالى في كتابه صحبة مؤمن لكافر فقال: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ».

والسؤال: لماذا قدر الله تعالى أن يكون أبابكر صاحب النبي ﷺ في الهجرة؟ ولماذا استعمل في الآية كلمات توهم فضيلته.

يجيب السنيون: بأن الله تعالى خص أبابكر بالصحبة في الهجرة، وخصه بأنه ثاني اثنين، وهذا ترشيح له للخلافة.

وأجاب علماءنا: إذا كانت الفضيلة في الأول والثاني، فإن ثاني الإثنين في الآية رسول الله ﷺ وليس فيها أول، أو أبوبكر الأول فهل يكون أفضل؟!!

وأجابوا: بأن الله تعالى لا يسأل عما يفعل، وكون شخص إلى جنب النبي ﷺ لا يدل بحال على صلاحه. وصحابة الرسل ﷺ فيهم مضلون وأعداء بنص القرآن، قال تعالى: وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا. وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

وأجابوا بأن الله تعالى له أسرار في امتحان الناس: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

ترك أبوبكر النبي ﷺ بقاءً وذهب غاضباً!

قال الطبرسي في إعلام السورى (١٥٢/١): (إن أبابكر أراد من النبي أن يدخل المدينة من قباء

فقال: لا أريم من هذا المكان حتى يوافيني أخي علي بن أبي طالب. فقال أبوبكر: ما أحسب علياً يوافي! قال: بلى ما أسرعه إن شاء الله. فلما أمسى رسول الله ﷺ فارقه أبوبكر ودخل المدينة! وفي الكافي (٣٣٨/٨) ومختصر البصائر ١٢٩ بسند صحيح «فقال له أبوبكر: إنهض بنا إلى المدينة، فإن القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علياً، فما أظنه يقدم عليك إلى شهر! فقال له رسول الله ﷺ: كلا ما أسرعه، ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل، وأحب أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين. قال: فغضب عند ذلك أبوبكر واشمأز، وداخله من ذلك حسد لعلّي ﷺ فانطلق حتى دخل المدينة، وتحلف رسول الله ﷺ بقبا ينتظر علياً ﷺ».

أقول: غطى رواية السلطة ترك أبي بكر للنبي ﷺ في قباء، فلم يصرحوا به، قال ابن هشام (٣٤٢/٢): «نزل النبي ﷺ في قباء، ونزل أبوبكر على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح».

والسنح خارج المدينة باتجاه نجد: «قال عياض: هذا حد أدناها وأبعدها ثمانية أميال».





الفصل الحادي عشر

نقاط عن والدي النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ: أنا ابن الذبيحين، أي إسماعيل وعبد الله، وقد تقدمت قصة نذر عبد المطلب عاشر أولاده، وأن الله أمره أن يفديه بالإبل ويقترع بينهما، فاقترع حتى رست القرعة على مئة من الإبل ففداه بها.

كان عبد الله أحب أولاد عبد المطلب إليه

لما جاء أبرهة بجيشه ليهدم الكعبة، خاف أهل مكة وهربوا منها، وبقي فيها عبد المطلب وقليل من الناس، فطاف عبد المطلب بالبيت وأخذ بحلقة باب الكعبة، وخاطب الله تعالى فقال

لَاهُمَّ إِن الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَا مَنَعَ رَحَالِكَ
لَا يَغْلِبُنْ صُلَيْبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ رَبِّي مَحَالِكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَعْبَتَنَا فَشَقُّ مَا بَدَا لَكَ.

(المنمق لابن حبيب/٧٦، وابن سعد: ٩٢/١):

ولما اقترب جيش أبرهة من مكة جمع عبد المطلب بنيه وأرسل الحارث ابنه الأكبر إلى أعلى جبل أبي قبيس فقال: أنظر يا بني ماذا يأتيك من قبل البحر؟ فرجع فلم ير شيئاً، فأرسل واحداً بعد آخر من ولده، فلم يأت أحد منهم عن البحر بخبر، فدعا ولده عبد الله وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذؤابه تضرب إلى عجزه فقال له: إذهب فداك أبي وأمي فاعلُ أباقيس وانظر ماذا ترى يجيء من البحر؟ فنزل مسرعاً فقال:

يا سيد النادي رأيت سحاباً من قبل البحر مقبلاً، يُسْفِلُ تارة ويرتفع أخرى!

إن قلت غيماً قلته، وإن قلت جَهماً خلته، يرتفع تارة وينحدر أخرى!

فنادى عبد المطلب: يا معشر قريش، أدخلوا منازلكم فقد أتاكم الله بالنصر من عنده، فأقبلت الطير الأبايل في منقار كل طير حجر وفي رجليه حجران، فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب أبرهة! كان يلقي الحجر في قمة رأس الرجل فيخرج من دبره! وقد قص الله تبارك وتعالى نبأهم فقال سبحانه «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...». (كنز الفوائد/٨٣ عن الإمام الصادق عليه السلام).

وكلام عبد الله ﷺ من أبلغ الكلام، فقد سمي أباه عبد المطلب سيد النادي وفي رواية سيد الوادي. وفرق بين السحاب والغيم والجهام، والأخير هو الغيم الذي لاماء فيه، يقول: رأيت سحاباً مقبلاً نحو مكة يهبط كأنه غيم مثقل بالماء، ويصعد كأنه جهام لاماء فيه، فهو بين صعود وهبوط. فعرف عبد المطلب بأنه سرب (طائرات) الأبايل الذي وعده به ربه عز وجل. وكان عمر عبد الله ﷺ يومها أكثر من عشرين سنة، لأنه كان متزوجاً وقد ولد ابنه النبي ﷺ في تلك السنة، ولا بد أن يكون معنى قول الراوي: وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذؤابه، أنه كان شاباً في مقتبل العمر. وقال اليعقوبي كان عمره لما توفي خمساً وعشرين سنة، وقد ولد النبي ﷺ في عام الفيل، وتوفي فيها والده ﷺ.

وقال ابن إسحاق (٢/١): (كان عبد الله بن عبد المطلب أبورسول الله ﷺ أصغر بني أبيه كان هو والزبير وأبوطالب لفاطمة بنت عمرو بن عابد بن عبد الله بن عمران بن مخزوم، وكان فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب إليه).

زواج عبد الله من آمنة بنت وهب عليه السلام

قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٨١/١): (أم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب ابن عبد مناف، قرشية زهرية، تزوجها عبد الله بن عبد المطلب، وهو ابن ثلاثين سنة، وقيل: بل كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، خرج به أبوه عبد المطلب إلى وهب بن عبد مناف فزوجه ابنته).

وقيل: كانت آمنة في حجر عمها وهيب بن عبد مناف بن زهرة، فأتاه عبد المطلب، فخطب

إليه ابنته هالة بنت وهيب لنفسه، وخطب على ابنه عبدالله آمنة بنت وهب، فزوجه وزوج ابنه في مجلس واحد فولدت آمنة لعبدالله رسول الله ﷺ).

وروا أن امرأة رأت النور في جبين عبدالله ﷺ، فطلبت منه أن يتزوجها فرفض.

وفي كمال الدين/١٩٦: «روي عنها أنها قالت: لما حملتُ به لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، فرأيت في نومي كأن آت أتاني فقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلما حان وقت الولادة خفَّ عليَّ ذلك حتى وضعته، وهو يتقي الأرض بيده وركبتيه، وسمعت قائلاً يقول: وضعت خير البشر فعوذيه بالواحد الصمد من شر كل باغ وحاسد. فولد رسول الله عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة مضت [بقيت] من ربيع الأول يوم الإثنين. فقالت آمنة: لما سقط إلى الأرض اتقى الأرض بيديه وركبتيه ورفع رأسه إلى السماء، وخرج مني نور أضاء ما بين السماء والأرض).

وفي الكافي (٥٤/١): «عن الإمام الصادق ﷺ قال: «لما ولد رسول الله ﷺ فُتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا، إنك تحبلين وتلدن بوصيه ووزيره».

رضع النبي ﷺ من أمه آمنة ثم أخذته حليلة

أكثر رواة الحكومة الروايات في رضاع النبي ﷺ، فضيعوا الحقيقة في مكذوباتهم! وما قالوه إن أمه لم ترضعه لأنها كانت قليلة اللبن، أو أرضعته أياماً قليلة، ثم أرضعته ثوية أمة أبي لهب أياماً، ثم جاءت حليلة!

والصحيح أن أمه ﷺ أرضعته مدة تزيد على السنة، ثم أعطاه جده لزوج حليلة لينشأ في باديتهم قرب الطائف، فقد صحح الشهيد الثاني رحمه الله وغيره افتخار النبي ﷺ برضاعه الأول من أمه، ثم بنشأته في بني سعد.

قال في شرح اللمعة (١٦٥/٥) والمسالك (٣٧٦/١) والمجموع (٢٢٧/١٨): «قال النبي ﷺ: أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد، وارتضعت من بني زهرة. وكانت هذه القبائل أفصح العرب، فافتخر ﷺ بالرضاع كما افتخر بالنسب».

فرضاعه الأول من أمه هو المؤثر في نموه، ورضاعه الثاني من حليمة مكمل له! وقوله ﷺ: ارتضعت من بني زهرة، يعني أنه رضع من حليب أمه سنة أو أكثر. أما الحديث المشهور: أنا أفصح العرب بيد أبي من قريش، واسترضعت في بني سعد (الفايق: ٩/١ و١٢٦). فشهد العلماء بأنه لا أصل له! (كشف الخفاء: ٢٠٠/١).

قال النبي ﷺ: أنا ابن العواتك

روى في الكافي (٥٠/٥)، عن الإمام الصادق في افتخار النبي ﷺ بأمه وجداته قال: «أغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها مناد: يا سوء صباحاه! فسمعها رسول الله ﷺ في الخيل، فركب فرسه في طلب العدو وكان أول أصحابه لحقه أبو قتادة على فرس له وكان تحت رسول الله ﷺ سرج دفتاه ليف ليس فيه أثر ولا بطر، فطلب العدو فلم يلقوا أحداً، وتتابعت الخيل فقال أبو قتادة: يا رسول الله إن العدو قد انصرف فإن رأيت أن نستبق؟ فقال: نعم، فاستبقوا فخرج رسول الله ﷺ سابقاً عليهم، ثم أقبل عليهم فقال: أنا ابن العواتك من قريش، إنه هو الجواد البحر، يعني فرسه».

وفسره في الحقائق (٣٥٦/٢٢) فقال: «جمع عاتكة وهي المرأة المجمرة بالطيب، وكان هذا الاسم لثلاث نسوة من أمهاته ﷺ، إحداهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف بن قصي، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال، أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ، فالأولى من العواتك عمة الثانية، والثانية عمة الثالثة، قيل: وبنو سليم كانوا يفتخرون بهذه الولادة».

توفي عبد الله والنبي ﷺ طفل ابن شهرين

قال الكليني في الكافي (٤٣٩/١): (توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين، وماتت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو ﷺ ابن أربع سنين. ومات عبد المطلب ول النبي ﷺ نحو ثمان سنين).

وفي الكافي (٣٠٢/٨) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان حيث طَلَقَتْ آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي ﷺ حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى

وضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب! فبينما هما كذلك إذا دخل عليهما أبوطالب فقال لهما: ما لكما من أي شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت فقال لها أبوطالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود». وفي رواية: إصبري سبتاً أبشرك بمثله إلا النبوة، والسبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ ثلاثون سنة. فكان أبوطالب كأبيه يعلم بنبوة النبي ﷺ). (الكافي: ١/٤٥٢، ومعاني الأخبار/ ٤٠٣).

وقد توفي عبدالله في المدينة عند أخواله، قال ابن عبدالبر في الإستيعاب (٣٣/١): (مات أبوه عبدالله بن عبدالمطلب وأمه حامل به. وقيل بل توفي أبوه بالمدينة والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً، وقبره بالمدينة في دار من دور بني عدي بن النجار، وكان خرج إلى المدينة يمتار تمراً. وقيل بل توفي أبوه وهو ابن شهرين فكفله جده عبدالمطلب).

وروى ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: بعث عبدالمطلب ابنه عبدالله يمتار له تمراً من يثرب فمات بها، وكانت وفاته وهو شاب عند أخواله بني النجار بالمدينة، ولم يكن له ولد غير رسول الله ﷺ).

فأقل الروايات في عمر عبدالله ﷺ أنه توفي والنبي ﷺ حمل في بطن أمه، وأكثرها أنه توفي وعمر النبي ﷺ سنتان وأربعة أشهر.

والمرجح رواية الشهرين التي رواها الكليني رحمه الله ويدل عليها قول عبدالمطلب لابنه أبي طالب لما أوصاه بالنبي ﷺ (الروض الأثف: ١/١٨٤):

أوصيك يا عبد منافٍ بعدي بمؤتم بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد).

وفي الحجة على الذهاب/ ٧٧: (لما توفي عبدالله والدي النبي ﷺ كفله جده عبدالمطلب ثماني سنين، ثم احتضره الموت فدعا ابنه أباطالب وقال له: يا بني تسلم ابن أخيك مني، فأنت شيخ قومك وعاقلهم، ومن أجد فيه الحجى دونهم، وهذا الغلام تحدثت به الكهان، وقد روينا في الأخبار أنه سيظهر من تهامة نبي كريم، وروي فيه علامات قد وجدتها فيه، فأكرم مثواه،

واحفظه من اليهود فإنهم أعداؤه، فلم يزل أبو طالب لقول عبد المطلب له حافظاً، ولوصيته راعياً، ومن هنا قال: وحفظت فيه وصية الأجداد).

وفي مناقب آل أبي طالب (٣٨/١): يقول أبو طالب وقد أوردها محمد بن إسحاق :

إن ابن آمنة النبي محمداً	عندي بمثل منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمة	والعيس قد قلصن بالأزواد
فارفض من عيني دمع ذارف	مثل الجمان مفرد الأفراد
راعت فيه قرابة موصولة	وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومه	بيض الوجوه مصاله الانجاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا	لاقوا على شرف من المرصاد
خبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً	عنه ورد معاشر الحساد).

رأيت آثار النبي ﷺ قبل أن يزيلها أعداؤه

رأيت في حج سنة ١٩٦٥ ميلادية شعب بني هاشم، ويسمونه الآن شعب علي، وكان واضح المعالم، وفي يسار مدخله بيت عبدالله والد النبي ﷺ وهو مكان مولده الشريف، وكانوا جعلوه مكتبة باسم: مكتبة مكة، ثم أراد مشايخهم هدمه فمنعتهم الحكومة خوفاً من ردة فعل المسلمين، فأبقوه مكاناً خالياً إلى يومنا هذا سنة، وكأنهم ينتظرون فرصة لهدمه!

ورأيت يومها بيت أبي طالب رضي الله عنه داخل الشعب على يمينك في مرتفع، وقد جعلوه مدرسة باسم: مدرسة النجاح، ثم أزالوه مع البيوت، وأزالوا أكثر الجبلين اللذين يقع الشعب بينهما. كما زرت في الجهة الغربية المقابلة لشعب أبي طالب، بيت خديجة ﷺ وكان في سوق الليل أو سوق الذهب، ويسمى مولد فاطمة الزهراء ﷺ، وكانوا جعلوه مدرسة للبنات، ثم أزالوه فيما أزالوا، بل أقاموا مكانه مرافق!

فكأن هؤلاء الوهابية الإنكليز لهم عداوة مع آثار النبي وآله الأطهار ﷺ، فهم يبادرون إلى إزالتها حتى لو كانت مساجد، أو أماكن مملوكة للناس!

لكنهم أبقوا حصن حبيبهم اليهودي كعب بن الأشرف الذي أراد اغتيال النبي ﷺ! فحافظوا عليه بسوره وساحته وبئر وغرفه العشرة، وصنفوه في الآثار، ويقع جنب حديقة بلدية المدينة المنورة وتجد صورته في الإنترنت!

رثاء أبي طالب وآمنة لعبد الله ﷺ

قال أبو طالب يرثي أخاه عبدالله والدي النبي ﷺ :

عيني ائذني بيبكاء آخر الأبد ولا تملي على قرم لنا سند
أشكو الذي بي من الوجد الشديد له وما بقلبي من الآلام والكمد
أضحى أبوه له ييكي وإخوته بكل دمع على الخدين مطرد
لو عاش كان لفهر كلها علماً إذ كان منها مكان الروح في الجسد).

(وقالت آمنة بنت وهب ترثي زوجها عبدالله بن عبدالمطلب:

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم وجاور لحداً خارجاً في الغمام
دعته المنايا دعوةً فأجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره تعاوده أصحابه في التراحم
فان يك غالته المنايا وريمها فقد كان معطاء كثير التراحم.

(المحاضرات والمحاورات للسيوطي (١/٥٧)

(وأخرج عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال: كنت بذئ المجاز مع ابن أخي يعني النبي ﷺ فأدركني العطش فشكوت إليه، فقلت: يا ابن أخي قد عطشت، وما قلت له ذلك إلا وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجزع، قال: فثنى وركه ثم نزل فقال: يا عم أعطشت؟ قلت: نعم، قال: فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: إشرَب يا عم، فشربت! (طبقات ابن سعد: ١٥٢/١)

إيمان والدي النبي ﷺ

قال الصدوق في الإعتقادات/١١٠: (اعتقادنا في آباء النبي ﷺ أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبدالله، وأن أباطالب كان مسلماً، وأمه آمنه بنت وهب كانت مسلمة ﷺ. وقال النبي ﷺ: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم. وروي أن عبدالمطلب كان حجة وأباطالب كان وصيه).

وفي الكافي(٤٤٦/١)، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نزل جبرئيل على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبدالله بن عبدالمطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية ابن فضال وفاطمة بنت أسد».

وروى الصدوق في كمال الدين/١٧٥: (عن الأصبع بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل له فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به). وتقدم من الخصال/٣١٢، من وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي إن عبدالمطلب سنن في الجاهلية خمس سنن أجزاها الله له في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء فأنزل الله عز وجل: وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ. ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به فأنزل الله عز وجل: وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ.. الآية.

ولما حفر زمزم سهاها سقاية الحاج فأنزل الله: أَجْعَلْنَاهُ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.. الآية. وسنن في القتل مائة من الإبل فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام. ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبدالمطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام.

يا علي إن عبدالمطلب كان لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام».

زيارة النبي ﷺ قبر والديه عبد الله وآمنة

كان قبر عبد الله والد النبي ﷺ مزاراً إلى الأبد، فقد بناه المسلمون من قديم وآخرهم سلاطين مصر والدولة العثمانية، وقد زرته قبل نحو خمسين سنة وكان بيتاً في سكك المدينة في السوق غربي المسجد، وكانت واجهة بابه الخارجى وعتبه أحجاراً نقشت عليها كتيبة بالعربية والتركية.

وقد أقفله مشايخ الوهابية يومها مقدمة لهدمه! أما الآن فقد أزالوه ودخل مكانه في توسعة ساحة المسجد النبوي ولم يبق له أثر!

كما أن قبر والدته آمنة ؑ كان مزاراً للأوفياء لنبيهم وأسرته، وهو في الأبواء في طريق مكة، ويعرف مكانه اليوم باسم الخريبة، في منطقة الفرع.

في مرصد الإطلاع (١٩/١): «الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. وبالأبواء قبر آمنة أم النبي».

وقد أفتى فقهاء المسلمين باستحباب زيارة قبر والديه ﷺ وشذ الوهابية فحرموا زيارتهما وعاقبوا من زارهما! ثم طغوا وأزالوا قبر والدته، فقد رأوا أن الشيعة يأخذون من ترابه للتبرك، فصبوا عليه المازوت، وفي سنة بعدها فجروا القبر بالديناميت!

فكتب الشيخ عبد الحسين البصري، في موقع الموسوعة الشيعية بتاريخ: ٢٠٠٠/٣/٢٨، موضوعاً بعنوان (ديناميت السلفية)! قال فيه:

«للتاريخ فقط، ولتبقى صفحة سوداء في وجه خوارج العصر، نؤرخ لحدث وقع أصاب كبد رسول الله ﷺ، ألا وهو تفجير قبر آمنه بنت وهب أم رسول الله ﷺ الواقع في الأبواء، في الثامن من مارس سنة ٢٠٠٠ ميلادي! ألا لعنة الله على القوم الظالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

قال اليعقوبي (١٠/٢): «توفي عبد الله بن عبد المطلب أبورسول الله على ما روي عن جعفر بن محمد بعد شهرين من مولده عند أخوال أبيه بني النجار في دار تعرف بدار النابغة، وكانت سنه يوم توفي خمساً وعشرين سنة، وتوفيت أمه آمنة بنت وهب بعد ما أتى عليه ست سنين وثلاثة

أشهر، ولها ثلاثون سنة، وكانت وفاتها بموضع يقال له الأبواء بين مكة والمدينة».

وفي معجم البلدان (٧٩/١) والطبقات (١١٦/١): «فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً. فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك: لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم وكنت مع غلمان من أخوالي نظير طائر أكان يقع عليه. ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب، وأحسن العوم في بئر بني عدي بن النجار. ثم رجعت به أمه إلى مكة فلما كانوا بالأبواء توفيت آمنة بنت وهب فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة، وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت. فلما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ».

أقول: زعم أتباع مذاهب الخلافة أن والده النبي ﷺ آمنه ﷺ في النار! وأن النبي استأذن ربه في زيارة قبرها وهو في طريقه إلى الحديبية فأذن له، فبكى وأجهش بالبكاء طويلاً وأبكى المسلمين معه، واستأذن ربه أن يستغفر لها فلم يأذن له، وأبقاها في نار جهنم!

قال الألباني في أحكام الجنائز ١٨٧: «زار النبي قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي!»

أقول: هكذا صوروا ربه عز وجل قاسياً لا يرحم عواطف نبيه الإنسانية تجاه والدته، ولا يعبأ ببكائه وحرقة عليها، ولا يسمح له أن يقول: اللهم اغفر لها! فالمهم عندهم أن يكون آباء النبي ﷺ وأمهاة في النار وإن نسبوا القسوة إلى الله! لأنهم إذا كانوا مؤمنين كان آله ﷺ ورثة إسماعيل ﷺ، والخلافة لهم لا قريش!

والحمد لله أنهم كذبوا أنفسهم بأحاديث منها: رواية ابن ماجه (١٢١٥/٢) قال: «يُصَفُّ الناس يوم القيامة صفوفاً فيمُرُّ الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟ قال: فيشفع له. ويمر الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً؟ فيشفع له! لكنهم ضيقوا الشفاعة على والدي النبي ﷺ وأجداده وعمه أبي طالب ﷺ! لأنهم بحاجة إلى

تكفير أسرته ﷺ ليرثوا سلطانه، ويبعدوا عترته!



الفصل الثاني عشر

من طفولة النبي ﷺ وشبابه

١ . عقيدتنا في النبي ﷺ ومعه آله المعصومون ﷺ أنهم مشروع رباني خاص لا يصح أن يقاس بهم أحد حتى الأنبياء ﷺ . وقد روينا ذلك وروته بعض مصادر من خالفنا، فروى الحموي في فرائد السبطين (٤٥/١) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: نحن أهل البيت لا يُقاس بنا أحد). وفردوس الأخبار: ٣٤/٥، وذخائر العقبى: ١٧، وفي ينابيع المودة: ١١٤/٢، عن ابن عباس. والصالح الشامي (٧/١١) والبغداد في القراءة: ١٦٥، وكنز العمال: ٤/١٢).

وقال أمير المؤمنين ﷺ (نهج البلاغة: ٣٠/١): (لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يساوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين. إليهم يفى الغالي وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثية. وقال ﷺ: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، وفينا معدن الرسالة).

وقال ابن الجوزي في مناقب أحمد: (سمعت أبا الحسن أحمد بن أبي القاسم بن الريان قال، سمعت عبد الله بن أحمد يقول: حدث أبي بحديث سفينة فقلت: يا أبة ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان. فقلت فعلي بن أبي طالب؟ قال: يا بني علي من أهل البيت لا يقاس بهم أحد).

وروى أبو العباس الطبري، والرياض النضرة (٢٧٥/٢) أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن: فعلي كرم الله وجهه؟ قال ابن عمر: علي من أهل البيت لا يقاس بهم، علي مع رسول الله ﷺ في درجته إن الله عز وجل يقول: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ. فاطمة مع رسول الله ﷺ في درجته وعلي مع فاطمة ﷺ).

وضرب الإمام الصادق عليه السلام مثلاً لتفضيلهم على الأنبياء عليه السلام بشهور السنة، لما قال له ابن صهيب (علل الشرائع: ١/١٧٧): (أخبرني عن أبي ذر أهو أفضل أم أنتم أهل البيت؟ فقال: يا ابن صهيب كم شهور السنة؟ فقلت: اثنا عشر شهراً فقال: وكم الحرام منها؟ قلت أربعة أشهر، قال فشهر رمضان منها؟ قلت لا قال فشهر رمضان أفضل أم الأشهر الحرام؟ فقلت بل شهر رمضان. قال فكذلك نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد. وإن أباذر كان في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكروا فضائل هذه الأمة فقال أبو ذر: أفضل هذه الأمة علي بن أبي طالب، وهو قسيم الجنة والنار، وهو صديق هذه الأمة وفاروقها، وحجة الله عليها. فما بقي من القوم أحد إلا أعرض عنه بوجهه وأنكر عليه قوله وكذبه! فذهب أبو أمامة الباهلي من بينهم إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقول أبي ذر وتكذيبهم له فقال رسول الله ﷺ: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء، يعني منكم يا أبا أمامة، من ذي لهجة أصدق من أبي ذر).

وقال المرتضى في الشافي (١٠٠/٣): (لا يجوز أن يقول هذا (أن علياً أفضل أبابكر) من قال رسول الله ﷺ فيه باتفاق: اللهم إئتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر. فجاء عليه السلام من بين الجماعة فأكل معه. ولا من يقول النبي ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام: إن الله عز وجل أطع على أهل الأرض اطلاعة فاختر منها رجلين، جعل أحدهما أباك والآخر بعلك. وقال عليه السلام فيه: علي سيد العرب، وخير أمتي، وخير من أخلف بعدي. وعلي خير البشر، من أبي فقد كفر. ولا يجوز أن يقول هذا من تظاهر الخبر عنه بقوله عليه السلام وقد جرى بينه وبين عثمان كلام فقال له: أبوبكر وعمر خير منك، فقال: أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما. ومن قال: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد. وروي عن عائشة في قصة الخوارج لما سأها مسروق فقال لها: بالله يا أمه لا يمنعك ما بينك وبين علي أن تقولي ما سمعت من رسول الله ﷺ فيه وفيهم (أي الخوارج) فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة. إلى غير ذلك من أقواله عليه السلام فيه التي لو ذكرناها أجمع، لاحتجنا إلى مثل جميع كتابنا إن لم يزد على ذلك، وكل هذه الأخبار التي ذكرناها فهي مشهورة معروفة، قد رواها الخاصة والعامة، بخلاف ما ادعاه مما يتفرد به بعض الأمة ويدفعه باقياها).

٢. وعقيدتنا أن النبي وآله كانوا أناساً من نور قبل الخلق، وقد رويناه نحن ومخالفونا:

وأشهر من رواه ابن حنبل في فضائل الصحابة (٢٦٢/٢) عن سلمان قال: «سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء علي».

وقد بتره ابن حنبل لأن نصه كما في تاريخ دمشق (٦٧/٤٢): «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله، مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شئ واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا وجزء علي».

وهذا النص مبتور أيضاً فقد قال في شرح النهج (١٧١/٩) عن فردوس الأخبار: «رواه أحمد في المسند وفي كتاب فضائل علي. وفي كتاب الفردوس: ثم انتقلتا حتى صارتا في عبد المطلب، فكان لي النبوة ولعلي الوصية».

كراماته عند ولادته وسنيه الأولى ﷺ

١. سطع منه نور، ومن أمه الليلى فأضاء مكة، وأبعد منها، وقد فصلته الروايات.
٢. وروا قصة الحاخام يوسف الذي عرف مولده من النجوم والنصوص الدينية، وجاء يسأل فأخبروه أنه ولد لعبد المطلب ولد فطلب رؤيته فأروه إياه ورأى الشامة على كتفه فأغمي عليه، وقال ذهبت النبوة من بني إسرائيل!
٣. أخذه جده إلى الكعبة ودعاه له: (قال ابن إسحاق: فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب فقالت قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه فلما جاءها أخبرته بخبره وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه فأخذه عبد المطلب فأدخله في جوف الكعبة). (شعب الإيمان للبيهقي/١٣٦).

٤. واستسقى به جده لأهل مكة: «فاعتضد ابن ابنه محمداً فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب.. فوروب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بهائها). (الدعاء للطبراني/٦٠٦). كما استسقى به أبوطالب وقال في لاميته:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثمَّالُ اليتامى عصمة للأرامل

٥. ومن كراماته عند حليلة: (قالت حليلة: ولم أرقط ما يرى للأطفال، طهارةً ونظافةً وإنما كان له وقت واحد ثم لا يعود إلى وقته من الغد، وما كان شئ أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفاً، فكنت إذا كشفته يصيح حتى أستر عليه! وكان بنو سعيد يرون البركات بمقامه معهم وسكناه بينهم حتى أنهم كانوا إذا عرض لدوابهم بؤس أتوا بها إليه ليمسها بيده، فيزول ما بها وتعود إلى أحسن حالها). (كنز الفوائد/٧٣).

٦. وكان ﷺ يتذكر زيارته لأخواله في المدينة: « لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالي نظير طائر أكان يقع عليه. ونظر إلى الدار فقال: هاهنا نزلت بي أُمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنتم العوم في بئر بني عدي بن النجار). (الطبقات (١١٦/١):

وفي الدر النظيم/٧٩: (وروي أن آمنة لما قدمت برسول الله ﷺ المدينة نزلت به في دار النابغة، لرجل من بني عدي بن النجار، فأقامت بها شهراً، فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك، فقال ﷺ: نظرت إلى رجل من اليهود يختلف وينظر إليّ ثم ينصرف عني، فلقيني يوماً خالياً فقال لي: يا غلام ما اسمك؟ قلت: أحمد. فنظر إلى ظهري فأسمعه يقول: هذا نبي هذه الأمة، ثم راح إلى أخوالي فخبّرهم الخبر، فأخبروا أُمي، فخافت علي وخرجنا من المدينة).

رد روايتهم بأن النبي ﷺ تعرى

روى مخالفونا روايات مكذوبة في أن النبي ﷺ تعرى من ملابسه وهو كبير! قال ابن حجر في فتح الباري (٤٠١/١): (ذكر ابن إسحاق في السيرة أنه ﷺ تعرى وهو صغير عند حليلة، فلكنه لا كم، فلم يعد يتعرّ. وهذا إن ثبت حمل على نفى التعري بغير ضرورة).

وفي إرشاد الساري (٣٩٢/١): (عن عمرو بن دينار الجمحي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يحدث أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة أي مع قريش للكعبة، وكان عمره إذ ذاك خمساً وثلاثين سنة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة أي تحتها؟ قال جابر: فحلّه فجعله على منكبيه،

فسقط مغشياً عليه أي لانكشاف عورته لأنه كان مجبولاً على أحسن الأخلاق من الحياء الكامل،
فلذلك غشي عليه! فما رأيي بعد ذلك عرياناً.

فإن قلت: ما الجمع بين حديث الباب وما ذكره ابن إسحاق من أنه تعرى وهو صغير عند
حليمة فلكمه لاكم، فلم يعد يتعرى بعد ذلك؟

أجيب بأنه إن ثبت حمل النفي فيه على التعري لغير ضرورة عادية والذي في حديث الباب
على الضرورة العادية أو قد اتفقوا على الاحتجاج بمرسل الصحابي إلا ما تفرد به
أبو إسحاق الإسفرايني لكن في السياق ما يستأنس لأخذ ذلك من العباس فلا يكون مرسلًا).

أقول: كل هذا مردود، ولا يصح الجواب عنه بالجمع بين الحديثين لأنه لا ضرورة هنا لنزع
إزاره. والحديث مرسل لصحابي ولم يصححه كبار العلماء!

والعجب أنهم نسبوا التعري إلى النبي ﷺ أمام الناس وعمره خمس وثلاثون سنة! وقد رووا
هم أنه لم يتعر في طفولته عند حليمة.

ويدل على كذب روايات تعري النبي ﷺ قول حليمة: وما كان شيء أبغض إليه من أن يرى
جسده مكشوفاً، فكنت إذا كشفته يصيح حتى أستر عليه!

ويدل عليه أن بني هاشم كانوا يلبسون السراويل وأن إبراهيم عليه السلام أول من تسرول وكان
يتخذ من كل لباس واحداً لكن من السراويل اثنين، كما رووا أن النبي ﷺ اشترى سراويل،
وأمر بلبس السراويل خاصة للنساء وقال: رحم الله المتسرولات من أمتي.

ويكفي لرد مقولاتهم ما ثبت عندنا أن الله تعالى قرن به ملكاً من أعظم ملائكته يسلك به
طريق المكارم، وينهاه عما لا يليق به.

٤. ورووا أنه ذهب ليسمر مع شباب مكة، فأنامه الله وعصمه من اللهو. روى الحاكم (٢٤٥/٤)

عن علي بن أبي طالب قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول ما هممت بما كان الجاهلية يهمون به إلا مرتين
من الدهر كلاهما يعصمني الله تعالى منهما. قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في
أغنام لأهلها نرعي: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان.

قال: نعم، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر،

فقلت ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة، فلهوت بذلك الغنا والصوت، حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس. ثم رجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، فقال: أفعل، فسمعت مثل ذلك فليل لي مثل ما قيل لي فلهوت بما سمعت وغلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس! قال ﷺ فوالله ما هممت بعدها أبداً بسوء مما يعمل أهل الجاهلية أكرمني الله تعالى بنبوته).

أقول: لا نقبل روايتهم هذه حتى لو لم يصدر من النبي ﷺ ما ينافي الكمال، لأن مع النبي ﷺ ملكاً يسلك به طريق المكارم، وينهاه عما لا يليق به.

وقال الماوردي في أعلام النبوة/١٤٠: (هذه أحوال عصمته قبل الرسالة، وصدّه عن دنس الجهالة، فاقتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم، ومن الأدناس أسلم، وكفى بهذه الحال أن يكون من الأصفياء الخيرة، وقد أرسله الله تعالى بعد الإستخلاص، وطهره من الأدناس، فانتفت عنه تهم الظنون، وسلم من ازدراء العيون ليكون الناس إلى إجابته أسرع، وإلى الانقياد له أطوع).





الفصل الثالث عشر

أنواع نزول الوحي على النبي ﷺ

آيات في الوحي

أنواع الوحي

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا، فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا.

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى.

أوحى الى أم موسى، والحواريين، والى قومه

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ.
وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ.
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.

والى النحل، والسموات، والأرض

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ.
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا.

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا.

وحي شياطين الإنس والجن الى بعضهم

كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا.

المعنى اللغوي للوحي

قال الخليل في العين (٣/٣٢٠): (وزكريا أوحى إلى قومه، أي: أشار إليهم. والإيحاء: الإشارة. والوحي: السرعة).

وفي الزاهر/٦٥٤: (سمي وحياً لأن الملك ستره عن جميع الخلق وخص به النبي ﷺ). ثم يكون الوحي بمعنى الإلهام).

وفي الصحاح (٦/٢٥١٩): (والوحي أيضاً: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقته إلى غيرك. والوحي: السرعة، يمد ويقصر، وتوَحَّ يا هذا، أي أسرع).

وفي المقاييس (٦/٩٣): (أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. وكل ما ألقته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان).

والنتيجة: أن الوحي إيصال معنى الى آخر بطريقة خفية، ففيه عنصر الخفاء، وعنصر السرعة، وهذا المعنى اللغوي هو المستعمل فيه في الشرع.

الوحي ستة أنواع

قال تعالى: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ.

وَحْيًا: أي يكلمه فيوحي اليه مباشرة بدون جبرئيل.

أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ: أي يكلمه الله تعالى فيخلق كلامه في شيء ويكلمه من وراء ستر.

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا: أي يكلمه برسل من الملائكة كجبرئيل وغيره ﷺ.

فالوحي بالتكليم ثلاثة أنواع: بالوحي المباشر وترافقه غشوة النبي ﷺ ويتصب عرقاً، وبالتكليم من وراء حجاب، وبالتكليم بالرسل.

ويضاف إليها ثلاثة أنواع بدون تكليم: بالرؤيا الصادقة، والنقر في السمع، وبالقذف في القلب. وهذه الأنواع الستة هي أنواع الوحي الأساسية.

وقد تفاوتت كلمات المفسرين في تعريف الوحي، والصحيح ما ذكرناه.

حالات الوحي على نبيينا ﷺ

١. قال الصدوق في الإعتقادات ٨١: (اعتقدنا في ذلك أن بين عيني إسرائيل لوحاً فإذا أراد الله تعالى أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرائيل، فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل، ويلقيه ميكائيل إلى جبرائيل، فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء عليهم السلام. وأما الغشوة التي كانت تأخذ النبي ﷺ فإنها كانت تكون عند مخاطبة الله إياه حتى يثقل ويعرق. وأما جبرئيل فإنه كان لا يدخل عليه حتى يستأذنه إكراماً له، وكان يقعد بين يديه قعدة العبد)!

٢. وقال في صفحة ٨٤: (نقول: إنه قد نزل الوحي الذي ليس بقرآن، ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعة عشر ألف آية).

٣. في التوحيد للصدوق ١١٥: (عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الغشوة التي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي؟ فقال: ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له. ثم قال: تلك النبوة يا زرارة، وأقبل يتخضع). أي جعل الإمام عليه السلام يثن خشوعاً.

وفي المحاسن (٣٣٨/٢): (عن هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرئيل يقول: هو ذا جبرئيل، وقال لي جبرئيل، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبته ويغشاه منه ما يغشاه، لثقل الوحي عليه من الله عز وجل).

وفي تفسير العياشي (٢٨٨/١) عن علي عليه السلام: (قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ بآخره، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء. لقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها، حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض، وأغمي على رسول الله ﷺ حتى وضع يده على

ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي، ثم رفع ذلك عن رسول الله ﷺ فقرأ علينا سورة المائدة، فعمل رسول الله ﷺ وعملنا).

وفي دلائل الإمامة ٩: (وفي الحديث المقبول أنه ﷺ أوحى إليه وهو على ناقته فبركت ووضعت جرائها. وروي أنه كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً).

٤. وفي بصائر الدرجات ٣٩٠: (عن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ قال: سألت عن الرسول فقال: الرسول الذي يعاين ملكاً يجيئه برسالة عن ربه فيكلمه كما يكلم أحدكم صاحبه، والنبي لا يعاين ملكاً إنما ينزل عليه الوحي ويرى في منامه. قلت: ما علمه إذا رأى في منامه أن هذا حق؟ قال: بينه الله حتى يعلم أن ذلك حق. والمحدث: يسمع الصوت ولا يرى شيئاً).

وفي بصائر الدرجات ٣٩٠، والكافي ١٧٦/١: (سمعت زرارة يسأل أبا جعفر قال: أخبرني عن الرسول والنبي والمحدث؟ فقال أبو جعفر ﷺ: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلمه فهذا الرسول).

وأما النبي فإنه يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة. وكان محمد ﷺ حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يحيؤه بها جبرئيل ويكلمه بها قبلاً. ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلمه ويحدثه من غير أن يكون رآه في اليقظة. وأما المحدث: فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه).

٥. في الكافي (٨٣/٥): (عن أبي جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس إني لم أدع شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد نبأتكم به، ألا وإن روح القدس قد نفث في روعي وأخبرني أن لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله عز وجل وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله عز وجل، فإنه لا ينال ما عند الله جل اسمه إلا بطاعته).

روح القدس المرافق للنبي والإمام عليهما السلام

١. في بصائر الدرجات/٤٧٥: (عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ قال: خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده عليه السلام).

٢. وفي صفحة/٤٧٩: (قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتى بعث الله تلك الروح، فعلمه بها العلم والفهم).

٣. وفي تفسير القمي (٢/٢٧٩): (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا. قال: وحي مشافهة، ووحى إلهام وهو الذي يقع في القلب، أو من وراء حجاب كما كلم الله نبيه ﷺ وكما كلم الله موسى عليه السلام من النار، أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء. وروح القدس: هي التي قال الصادق عليه السلام في قوله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي. قال: هو ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الأئمة عليه السلام).

٤. وفي التوحيد/١٢٩: (عن الفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لا تقدر قدرته، ولا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه علمه ولا مبلغ عظمته وليس شئ غيره، هو نور ليس فيه ظلمة، وصدق ليس فيه كذب، وعدل ليس فيه جور، وحق ليس فيه باطل، كذلك لم يزل ولا يزال أبد الأبدين، وكذلك كان إذ لم يكن أرض ولا سماء ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، ولا نجوم ولا سحب ولا مطر ولا رياح، ثم إن الله تبارك وتعالى أحب أن يخلق خلقاً يعظمون عظمته ويكبرون كبريائه ويجلون جلاله. فقال: كونا ظلين، فكانا كما قال الله تبارك وتعالى).

قال مصنف هذا الكتاب: معنى قوله هو نور، أي هو منير وهاد. ومعنى قوله: كونا ظلين، الروح المقدس والملك المقرب، والمراد به أن الله كان ولا شئ معه، فأراد أن يخلق أنبياءه وحججه وشهداءه، فخلق قبلهم الروح المقدس وهو الذي يؤيد الله عز وجل به أنبياءه وحججه وشهداءه صلوات الله عليهم، وهو الذي يجرسهم به من كيد الشيطان ووسواسه ويسددهم

ويوفقهم ويمدهم بالخواطر الصادقة. ثم خلق الروح الأمين الذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عز وجل، وقال لهما: كونا ظلين ظليلين لأنبيائي ورسلي وحججي وشهادتي، فكانا كما قال الله عز وجل ظلين ظليلين لأنبيائه ورسلي وحججه وشهادته، يعينهم بهما وينصرهم على أيديهم ويحرسهم بهما، وعلى هذا المعنى قيل للسلطان العادل إنه ظل الله في أرضه لعباده يأوي إليه المظلوم ويأمن به الخائف الوجل ويأمن به السبل، ويتصف به الضعيف من القوي، وهذا هو سلطان الله وحجته التي لا تخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة).

حالات الوحي والإلهام لأئمتنا ﷺ

١. في بصائر الدرجات/٣٣٧: (عن الحرث بن المغيرة النضري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما علم عالمكم، جملة يقذف في قلبه، وينكت في أذنه؟ قال فقال: وحي كوشي أم موسى).

٢. في الكافي (١/٢٦٤ و ٨/١٢٥): (كتب الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن سويد: وسألت عن مبلغ علمنا، وهو على ثلاثة وجوه: ماض، وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبينا محمد ﷺ).
معناه: أن الماضي فسرناه لنا النبي ﷺ والأئمة عليه السلام وفسرناه لكم، والغابر: أي الآتي مكتوب نصه. والحادث المتجدد: إلقاء في القلب، أو صوت ملاك في الأذن، وهو أفضل علمنا لأنه متجدد. وكلها ليست وحي نبوة، فلا نبي بعد نبينا محمد ﷺ.

٣. قال الصدوق في الاعتقادات/٥٠: (اعتقادنا في الأنبياء والرسول والأئمة عليهم السلام أن فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وفي الكافرين والبهائم ثلاثة أرواح: روح القوة، روح الشهوة، وروح المدرج).

٤. في الكافي (١/٢٧٢): (عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فالسابقون هم رسل الله ﷺ وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على

طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فيه اشتها طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيثار فيه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة، فيه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فيه اشتها طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون).

٥. في مختصر البصائر ٢/ : (عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل

خلق الأنبياء والأئمة عليهم السلام على خمسة أرواح روح الإيثار وروح القوة وروح الشهوة وروح الحياة وروح القدس. فروح القدس من الله تعالى وسائر هذه الأرواح يصيبها الحدثان. وروح القدس لا يلهو ولا يتغير ولا يلعب. فبروح القدس يا جابر علمنا ما دون العرش إلى ما تحت الثرى).

٦. روى الكافي (٢٨٢/٢) في جواب أمير المؤمنين لرجل: (خلق الله عز وجل الناس على

ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل وذلك قول الله عز وجل في الكتاب: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون، فأما ما ذكر من أمر السابقين فإنهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيثار، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن).





الفصل الرابع عشر

تبسم النبي ﷺ وضحكه

تفسير: وإنك لعلی خلق عظیم

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ: أي إنك على دين عظيم، وعلى أخلاق عظيمة. وعظمة الدين الإسلامي بأنه يقوم على الحق والعقل والمنطق، وبأنه يدعو إلى مكارم الإخلاق، وبأن فيه شريعة وقوانين عظيمة تحقق خير البشر.

وعظمة أخلاق النبي ﷺ: بأنه صادق، محب، هين، لين، مبشر، منبه، محذر. فقد كان لَيِّنَ العريكة، هَيِّنَ الخليفة، هَشَأَ بشاً مبتسماً، لطيفاً ظريفاً منسجماً، يحكي باللطائف ويعجب بها، ويتبسم من الظرائف ويستحسنها.

في الخصال للصدوق ٣٠: (قال رسول الله ﷺ: حسن الخلق نصف الدين). وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٥٥/٢): (قال رسول الله ﷺ من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فإني سمعت جبرائيل عليه السلام يقول: إن المكر والخديعة في النار. ثم قال ﷺ: ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً، ثم قال ﷺ: إن جبرائيل الروح الأمين نزل عليّ من عند رب العالمين فقال: يا محمد عليك بحسن الخلق، فإنه يذهب بخير الدنيا والآخرة. ألا وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً).

وفي الكافي (٩٩/٢): (قال رسول الله ﷺ: ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.. أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق).

وفي شرح النهج (٢٦١/٢): (قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أباحسن، فلقد كان هَشَأَ بشاً،

ذا فكاها، قال قيس: نعم، كان رسول الله ﷺ يمزح ويتبسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسواً في ارتغاء وتعييه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طعام أهل الشام! وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر. ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك).

وفي أمالي الصدوق/١٦٨، أن ثلاثة نفر من شياطين قريش تعاهدوا أن يقتلوا النبي ﷺ فقصدهم علي بن أبي طالب قبل أن يصلوا فقتل أحدهم وجاء باثنين أسيرين، فأمره رسول الله أن يقتل أحدهما، ثم قال له: (يا علي، أمسك، فإن هذا رسول ربي عز وجل يخبرني أنه حسن الخلق سخي في قومه. فقال المشرك وهو تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك! قال: نعم. قال: والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قط، ولا قطبت وجهي في الحرب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: هذا ممن جره حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات النعيم).

ممازحة النبي ﷺ لبعض الناس

ورد النهي عن كثرة المزاح، وهذا منسجم مع كون المؤمن جاداً عملياً.

كما ورد النهي عن العبوس، والتقطيب، وسوء الخلق.

والأمر بالبشاشة واللين، وحسن الأخلاق، والمزاح أحياناً.

ففي الكافي (٦٦٣/٢): (عن يونس الشيباني: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل. قال: فلا تفعلوا (أي لا تتركوا المزاح) فإن المداعبة من حسن الخلق، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله ﷺ يداعب الرجل يريد أن يسره).

نهى النبي ﷺ عن كثرة المزاح والضحك

جو الحياة الغربية والثقافة الغربية يربي إنسانهم على السخرية والاستهزاء بالآخرين، وكثرة الكذب والضحك، والتشكيك حتى في البدييات!

وهو على النقيض من تعاليم الإسلام، وقد نهى النبي ﷺ عن كثرة الضحك لأنها

تميت القلب، وتميت الدين كما يميث الماء الملح! (الكافي: ٢/٦٦٤).

وفي أمالي الصدوق/٣٤٤: (قال رسول الله ﷺ: كثرة المزاح تذهب بهاء الوجه وكثرة الضحك تحو الإيـمان).

وفي أمالي الطوسي/٥٢٢: (عن علي عليه السلام قال: كان ضحك النبي ﷺ التـبسم، فاجتاز ذات يوم بفتية من الأنصار وإذا هم يتحدثون ويضحكون بملء أفواههم، فقال: يا هؤلاء، من غره منكم أمله وقصر به في الخير عمله، فليطلع في القبور وليعتبر بالنشور، واذكروا الموت فإنه هادم اللذات).

في قرب الإسناد للحميري/٦٩: (أن داود قال لسليمان عليه السلام: يا بني، إياك وكثرة الضحك، فإن كثرة الضحك تترك العبد حقيراً يوم القيامة. يا بني، عليك بطول الصمت إلا من خير، فإن الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرات. يا بني، لو أن الكلام كان من فضة كان ينبغي للصمت أن يكون من ذهب).

شجع الإسلام الدعابة وأمر بالإعتدال فيها وفي الضحك

روى في الكافي (٢/٦٦٥) عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: كان يحيى بن زكريا عليه السلام يبكي ولا يضحك، وكان عيسى عليه السلام يضحك ويبكي، وكان الذي يصنع عيسى أفضل من الذي كان يصنع يحيى عليه السلام).

وقال الشهيد الثاني في منية المريد/٢٠٧: (ويتقي كثرة المزاح والضحك، فإنه يقلل الهيبة ويسقط الحرمة، ويزيل الحشمة، ويذهب العزة من القلوب، وأما القليل من المزاح فمحمود، كما كان يفعله النبي ﷺ ومن بعده من الأئمة المهديين، تأنيساً للجلساء وتأليفاً للقلوب، وقريب منه الضحك، فقد كان النبي ﷺ يضحك حتى تبدو نواجذه، ولكن لا يعلو صوته).

نعيمان المزاح في عهد النبي ﷺ

في مناقب آل أبي طالب (١/١٢٩): (قال سويبط المهاجري لنعيمان البدري: أطعمني، وكان على الزاد في سفر فقال: حتى يجيء الأصحاب، فمروا بقوم فقال لهم سويبط: تشترون مني عبداً لي؟ قالوا نعم، قال: إنه عبد له كلام وهو قائل لكم إني حر، فإن سمعتم مقالته فلا تفسدوا

علي عدي، فاشتروه بعشرة قلايص ثم جاؤوا فوضعوا في عنقه حبلاً، فقال نعيان: هذا يستهزئ بكم وإني حر، فقالوا: قد عرفنا خبرك، وانطلقوا به حتى أدركهم القوم وخلصوه! فضحك النبي ﷺ من ذلك حيناً.

وكان نعيان هذا مزاحاً فسمع مخرمة بن نوفل وقد كُفَّ بصره يقول: ألا رجل يقودني حتى أبول، فأخذ نعيان بيده فلما بلغ مؤخر المسجد قال: ههنا قبل، فبال فصيح به، فقال: من قادي؟ قيل: نعيان، قال: لله علي أن أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيان فقال: هل لك في نعيان؟ قال نعم، قال قم فقام معه فأتى به عثمان وهو يصلي فقال: دونك الرجل، فجمع يديه بالعصا ثم ضربه! فقال الناس: أمير المؤمنين فقال: من قادي؟ قالوا نعيان، قال: لا أعود إلى نعيان أبداً!

ورأي نعيان مع أعرابي عكة غسل فاشتراها منه، وجاء بها إلى بيت عائشة في يومها وقال: خذوها، فتوهم النبي ﷺ أنه أهداها له. ومر نعيان والأعرابي على الباب فلما طال قعوده قال: يا هؤلاء ردوها علي إن لم تحضروا قيمتها، فعلم رسول الله ﷺ القصة، فوزن له الثمن، فقال لنعيان: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ يحب الغسل ورأيت الأعرابي معه العكة، فضحك النبي ﷺ، ولم يظهر له نكراً.

ويظهر أن أبا هريرة تعلم المزاح مع النبي ﷺ من نعيان فقد قال في المناقب:

ونهى ﷺ أبا هريرة عن مزاح العرب فسرق نعل النبي ﷺ ورهنه بتمر وجلس بحذائه يأكل فقال ﷺ: يا أبا هريرة ما تأكل؟ فقال: نعل رسول الله.

وفي الإستيعاب لابن عبد البر (١٥٢٧/٤): (قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائيه، فقال بعض أصحاب النبي ﷺ لنعيان: لو نحرناها فأكلناها، فإننا قد قرمنا إلى اللحم، ويغرم رسول الله ﷺ ثمنها قال: فنحرها النعيان، ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح: واعقرها يا محمد! فخرج النبي ﷺ فقال: من فعل هذا؟ قالوا: النعيان، فاتبعه يسأل عنه، فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى في خندق، وجعل عليه الجريد والسعف، فأشار إليه رجل، ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله، وأشار بإصبعه حيث هو، فأخرجه رسول الله ﷺ وقد تغير وجهه بالسعف الذي سقط عليه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني. قال: فجعل رسول الله ﷺ يمسح

عن وجهه ويضحك. ثم غرّمها رسول الله ﷺ.

وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها، ثم جاء به إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا هدية لك، فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه من نعيمان جاء به إلى النبي ﷺ فقال: أعط هذا ثمن هذا، فيقول رسول الله ﷺ: أو لم تهده لي؟ فيقول: يا رسول الله، لم يكن عندي ثمنه، وأحببت أن تأكله، فيضحك النبي ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه).

فانظر إلى رحمة النبي ﷺ وحنانه، حيث أخذ يمسح رأس نعيمان ووجهه مما علق به من ورق الشجر والسعف، ولم يوبخه، بل سأله لماذا فعل ذلك؟

وفي تاريخ دمشق (١٤٧/٦٣): (كان نعيمان الأنصاري يدور في أسواق المدينة فإذا دخل السوق طرفة من رطب أو فاكهة أو غير ذلك اشتراه فأهداه للنبي ﷺ وكان فقيراً فإذا كان من آخر النهار راح إلى النبي ﷺ ومعه صاحب الحق فيقول يا نبي الله أعط هذا حق من ثمن كذا وكذا فيقول له النبي ﷺ: أو ما أهديته إلينا يا نعيمان، فيقول والذي بعثك بالحق ما معي قليل ولا كثير، ولقد رأيته فلم تطب نفسي أن أجوزه وأدعه أو يشتريه أحد فيأكله قبل رسول الله ﷺ. قال فيضحك رسول الله ﷺ ويأمر بدفع حق الرجل إليه).

وفي شرح النهج (٣٣٢/٦): (وكان نعيمان وهو من أهل بدر، أولع الناس بالمزاح عند رسول الله ﷺ وكان يكثر الضحك فقال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة وهو يضحك.. وسئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون ويمزحون؟ فقال: نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي).

أقول: النخعي هذا، هو إبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه المعروف وصاحب ابن مسعود، توفي أواخر القرن الأول (تذكرة الحفاظ للذهبي: ٧٣/١) وسؤال الناس إياه عن الصحابة: هل كانوا يضحكون ويمزحون، يدل على أن إعلام السلطنة صور الصحابة بصورة الملائكة، حتى أن الناس يسألون عنهم: هل كانوا يضحكون؟!

وفي المقابل تنقص إعلامهم من أهل البيت ﷺ ما استطاع، لكنه فشل والحمد لله!

نماذج من تبسم النبي ﷺ وضحكه

كان أكثر ضحك النبي ﷺ التبسم، وتبسمه أنواع فمنه استحسان أمر أو شيء، ومنه تعجب من فعل أو قول، ومنه استنكار لفعل أو قول.

فصل جامع في آداب النبي ﷺ وتبسمه ومزاحه

١. قال ابن شهر آشوب في كتابه القيم مناقب آل أبي طالب (١٢٦/١) ملخصاً

(فصل في آدابه ومزاحه ﷺ: أما آدابه فقد جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار: كان النبي ﷺ أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم. وأسخر الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يعطيه وجنه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه.

لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط، من يسير ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت به شيء. وكان يجلس على الأرض، وينام عليها، ويأكل عليها. وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحبب الشاة، ويعقل البعير ويحمله، ويطحن مع الخادم إذا أعيى، ويضع طهوره بالليل بيده، ولا يجلس متكئاً، وإذا جلس على الطعام جلس محقراً. وكان يحيب دعوة الحر والعبد، ولو على ذراع أو كراع، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن، ويأكلها ولا يأكل الصدقة.

وكان يلبس برداً حبرة يمنية وشملة جبة صوف، والغليظ من القطن والكتان، وأكثر ثيابه البياض، وكان له ثوب للجمعة خاصة، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً، يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن. يحب البطيخ، وكان يشيع الجنائز ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناوهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه.

وكان أكثر الناس تبسماً لم ينزل عليه قرآن ولم تجر عظة، وربما ضحك من غير قهقهة، ما

شتم أحداً بشتمة ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة، لا فظاً ولا غليظاً، ولا صحاباً في الأسواق، ولا يحزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفر ويصفح، ويبدأ من لقيه بالسلام. وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته.

وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً، قال أنس: مات نُعَيْرٌ لأبي عمير وهو ابن لأم سليم (أمه) فجعل النبي ﷺ يقول: يا أبا عمير ما فعل النغير.

وقال رجل: إحملي يا رسول الله، فقال: إنا حاملوك على ولد ناقه، فقال: ما أصنع بولد ناقه؟ قال ﷺ: وهل يلد الإبل إلا النوق.

واستدبر رجلاً من ورائه وأخذ يعضده وقال: من يشتري هذا العبد؟ يعني أنه عبد الله. وقال ﷺ لأحد: لاتنس يا ذا الأذنين.

وقال لامرأة وذكرت زوجها: أهذا الذي في عينيه بياض؟ فقالت: لا ما بعينه بياض، وحكت لزوجها فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها!

وقالت عجوز من الأنصار للنبي ﷺ: أدع لي بالجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها العجّز، فبكت المرأة فضحك النبي وقال: أما سمعت قول الله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. وقال ﷺ للعجوز الأشجعية: يا أشجعية لا تدخل العجوز الجنة، فأراها بلال باكية فوصفها للنبي ﷺ فقال: والأسود كذلك! فجلسا يبكيان فأرهما العباس فذكرهما له فقال: والشيخ كذلك، ثم دعاهم وطيب قلوبهم وقال: ينشؤهم الله كأحسن ما كانوا، وذكر أنهم يدخلون الجنة شباباً منورين، وقال: إن أهل الجنة جرد مرد مكحلون.

وقال ﷺ لرجل حين قال:

أنت نبي الله حقاً نعلمه ودينك الإسلام ديناً نعظمه

نبغي مع الإسلام شيئاً نقضه ونحن حول هذا ندندن!

يا علي إقض حاجته، فأشبعه علي عليه السلام وأعطاه ناقه وجلة تمر.

وقبل جد خالد القسري امرأة فشكت إلى النبي ﷺ فأرسل إليه فاعترف وقال: إن شاءت

أن تقتص فلتقص! فتبسم رسول الله وأصحابه فقال: أولا تعود؟ فقال: لا والله يا رسول الله، فتجاوز عنه.

ورأي ﷺ صهيياً يأكل تمرأ فقال: أأكل التمر وعينك رمدة؟ فقال: يا رسول الله إني أمضغه من هذا الجانب وتشكي عيني من هذا الجانب.

٢. مازح النبي ﷺ علياً علياً فأجابه علياً فتبسم

روي أن النبي ﷺ كان يأكل رطباً مع علياً علياً وكان يضع النوى قدام علياً علياً. فلما فرغا كان النوى كله في طرف علي فقال له رسول الله ﷺ: يا علي إنك لأكول! فقال علياً علياً: يا رسول الله! الأكول الذي يأكل التمر ونواه! فتبسم رسول الله ﷺ. (كشف الأسرار: ١٦٥/١).

وفي رواية أنه علياً علياً قال: آكل مني يا رسول الله من يأكل التمر بنواه!

٣. وتبسم ﷺ للمختضبين بالورس والحناء والوسم

في الفقيه (١٢٣/١): في قوله تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، قال ﷺ: منه الخضاب بالسواد. وإن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ وقد صفر لحيته فقال له رسول الله ﷺ: ما أحسن هذا، ثم دخل عليه بعد هذا وقد أفتى بالحناء، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: هذا أحسن من ذاك، ثم دخل عليه بعد ذلك وقد خضب بالسواد فضحك إليه فقال: هذا أحسن من ذاك وذاك).

٤. وتبسم لما حدثت فاطمة أمها علياً وهي جنين

وسمع خديجة علياً تكلم جنينها، قال لها: يا خديجة من تكلمين؟ قالت: يا رسول الله، إن الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلمني، وحدثني من ظلمة الأحشاء. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: يا خديجة، هذا أخي جبرئيل علياً يخبرني أنها ابنتي، وأنها النسمة الطاهرة المطهرة، وأن الله تعالى أمرني أن أسميها فاطمة، وسيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون). (الثاقب في المناقب لابن حمزة/ ٢٨٥).

٥. وتبسم لفاطمة عليها السلام تدور الرحي في بيتها وحدها

في الخرائج (٥٣١/٢): (أن أباذر قال: بعثني رسول الله ﷺ أدعوعلياً، فأتيت بيته فناديته فلم يجبني، والرحي تطحن وليس معها أحد، فناديته فخرج معي وأصغى إليه رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ شيئاً لم أفهمه، فقلت: عجباً من رحي في بيت علي تدور ما عندها أحد! فقال: إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً و يقيناً، وإن الله علم ضعفها فأعانها على دهرها وكفاها. أما علمت أن الله ملائكة موكلين بمعونة آل محمد ﷺ!)

وفي رواية دلائل الإمامة ١٣٩: (قال: فتبسم رسول الله ﷺ وقال: يا سلمان، إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها فتفرغت لطاعة الله عز وجل، فبعث الله ملكاً اسمه روفائيل.. الخ).

٦. وتبسم لامرأة شكت زوجها العنين

في تذكرة الفقهاء (٦٤٣/٢): (عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة الفرضي إلى النبي ﷺ وقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبُتُ طَلَقِي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب (عين) فتبسم رسول الله ﷺ فقال: تريد أن ترجعي إلى رفاعة؟!

٧. وضحك لمذنب حمل الحسنين عليهما السلام يستشفع بهما

في مناقب آل أبي طالب (١٦٨/٣) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أذن رجل ذنباً في حياة رسول الله ﷺ (ولعله سرق من بيت النبي ﷺ) فتغيب حتى وجد الحسن والحسين في طريق خال، فأخذهما فاحتملها على عاتقيه وأتى بهما النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مستجير بالله وبهما، فضحك رسول الله ﷺ حتى رده إلى فمه ثم قال للرجل: اذهب وأنت طليق، وقال للحسن والحسين: قد شفعتكما فيه أي فتیان، فأنزل الله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا).

٨. وتبسم ﷺ لتأمين المؤمن في كل حالته

في أمالي الصدوق/٥٩٠: (عن عبد الله بن مسعود قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ تبسم، فقلت: ما لك يا رسول الله تبسمت؟ قال: عجت من المؤمن وجزعه من السقم، ولو يعلم ما له في السقم من الثواب لأحب أن لا يزال سقيماً حتى يلقي ربه عز وجل!) وفي رواية/٦٤٠: (عجت للمرأة المسلم أنه ليس من قضاء يقضيه الله عز وجل له إلا كان خيراً له في عاقبة أمره).

٩. وضحك ﷺ لأعرابي آمن وطمع بناقة

في كفاية الأثر/١٧٢: (عن الحسين بن علي عليه السلام قال: دخل أعرابي على رسول الله ﷺ يريد الإسلام ومعه ضب قد اصطاده في البرية وجعله في كفه، فجعل النبي ﷺ يعرض عليه الإسلام فقال: لا أؤمن بك يا محمد أو يؤمن بك هذا الضب، ورمى الضب من كفه، فخرج الضب من المسجد يهرب! فقال النبي ﷺ: يا ضب من أنا؟ قال: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال: يا ضب من تعبد؟ قال: أعبد الذي فلق الحبة وبرأ النسمة واتخذ إبراهيم خليلاً وناجى موسى كليماً واصطفاك يا محمد. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً، فأخبرني يا رسول الله هل يكون بعدك نبي؟ قال: لا، أنا خاتم النبيين، ولكن يكون بعدي أئمة من ذريتي قوامون بالقسط كعدد نقباء بني إسرائيل أولهم علي بن أبي طالب، فهو الإمام والخليفة بعدي، وتسعة من الأئمة من صلب هذا ووضع يده على صدري، والقائم تاسعهم يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أوله! قال فأنشأ الأعرابي يقول:

ألا يا رسول الله أنك صادق فبوركت مهدياً وبوركت هادياً
شرعت لنا الدين الحنيفي بعد ما عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا
فيا خير مبعوث ويا خير مرسل إلى الإنس ثم الجن لبيك داعياً
وبوركت في الأقوام حياً وميتاً وبوركت مولوداً وبوركت ناشياً

فقال رسول الله ﷺ: يا أخا بني سليم هل لك مال؟ فقال: والذي أكرمك بالنبوة وخصك

بالرسالة إنا أربعة ألف بيت في بني سليم ما فيهم أفقر مني، فحملة النبي ﷺ على ناقه، فرجع إلى قومه فأخبرهم بذلك قالوا: فأسلم الأعرابي طمعاً في الناقة، فبقي نومه في الصفة لم يأكل شيئاً، فلما كان من الغد تقدم إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا أيها المرء الذي لا نعدمه أنت رسول الله حقاً نعلمه

ودينك الإسلام ديناً نطعمه نبغي مع الإسلام شيئاً نقضمه

فتبسم النبي ﷺ وقال: يا علي أعط الأعرابي حاجته. قال: فحملة علي عليه السلام إلى منزل فاطمة عليها السلام وأشبعه وأعطاه ناقه وجلة تمرّاً).

١٠. تبسم لعلي عليه السلام لما اشترى منه جبرئيل عليه السلام درعه

في دلائل الإمامة/٨٤، من حديث في زواج فاطمة وعلي عليه السلام: (ثم قال لعلي عليه السلام: إن الله قد أمرني أن أزوجه. فقال: يا رسول الله إني لا أملك إلا سيفي وفرسي ودرعي. فقال له النبي ﷺ: إذهب فبع الدرع، قال فخرج علي عليه السلام فنأدى على درعه، فبلغت أربعمائة درهم ودينار. قال: فاشترها دحية بن خليفة الكلبي وكان حسن الوجه، لم يكن مع رسول الله ﷺ أحسن منه وجهاً. قال: فلما أخذ علي عليه السلام الثمن وتسلم دحية الدرع عطف دحية على علي عليه السلام فقال: أسألك يا أبا الحسن أن تقبل مني هذه الدرع هدية ولا تخالفني في ذلك. قال: فحمل الدرع والدراهم، وجاء بهما إلى النبي ﷺ ونحن جلوس بين يديه فقال: يا رسول الله، إني بعت الدرع بأربعمائة درهم ودينار، وقد اشتراه دحية الكلبي، وقد أقسم علي أن أقبل الدرع هدية، وأيش تأمر، أقبلها منه أم لا؟ فتبسم النبي ﷺ وقال: ليس هو دحية، لكنه جبرئيل عليه السلام، وإن الدراهم من عند الله لتكون شرفاً وفخراً لابنتي فاطمة)!

١١. ضحك ﷺ من شجاعة أم هانئ أم هانئ أم هانئ

كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت عليه السلام (٦٣٨/٢) ملخصاً عهد رسول الله ﷺ إلى المسلمين أن لا يقتلوا بمكة إلا من قاتلهم، سوى نفر كانوا يؤذون النبي منهم: مقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن خطل وقينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وقال: أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة. فأدرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة

فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله. وقتل مقيس بن صبابه في السوق. وقتل علي بن أبي طالب إحدى القيتتين وأفلتت الأخرى، وقتل أيضاً الحويرث بن نقيذ بن كعب. وبلغه أن أم هانئ بنت أبي طالب قد آوت ناساً من بني مخزوم، منهم الحارث بن هشام ومقيس بن السائب، فقصده نحو دارها مقنعاً بالحديد فنادى: أخرجوا من آويتهم! فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه (الحبارى طائر كبير السلاح)! فخرجت إليه أم هانئ وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله، أنا أم هانئ بنت عم رسول الله ﷺ وأخت علي بن أبي طالب إنصرف عن دارى. فقال علي بن أبي طالب: أخرجوهم! فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله! فترع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد حتى التزمته فقالت: فديتك حلفت لأشكونك إلى رسول الله ﷺ! فقال لها: فاذهبي فبري قسمك فإنه بأعلى الوادي. قالت أم هانئ فجئت إلى النبي ﷺ وهو في قبة يغتسل وفاطمة بنت علي تستره، فلما سمع رسول الله ﷺ كلامي قال: مرحباً بك يا أم هانئ. قلت: بأبي وأمي ما لقيت من علي اليوم! فقال ﷺ: قد أجرت من أجرت! فقالت فاطمة بنت علي: إنها جئت يا أم هانئ تشكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله! فقلت: إحتمليني فديتك! فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله لعل سعيه، وأجرت من أجارت أم هانئ لمكانها من علي بن أبي طالب». (إعلام الوري: ١/ ٢٢٣).

وفي رواية: قالت بأبي أنت وأمي أترى ما لقيت من علي اليوم فحككت القصة فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً لقد قبضت على يدي وفيها السيف فما استطعت إن أخلصها إلا بالشدة! فضحك النبي ﷺ وقال: لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعاناً! إنا قد أجرنا من أجارت أم هانئ، وآمنا من آمنت فلا سبيل لك عليهم.

وهرب هبيرة بن أبي وهب بعل أم هانئ إلى نجران، وأقام بها حتى مات بها مشركاً، ولها من هبيرة أربعة من الذكور هاني وجعدة وعمر ويوسف وأسلمت أم هانئ وهاجرت إلى المدينة).

١٢. ضحك ﷺ استنكاراً لنذر امرأة نذراً غير شرعي!

في سيرة ابن هشام (٧٥١/٣) أن عيينة بن حصن النجدي أغار على إبل النبي ﷺ وقتل راعيها الغفاري وساق الإبل، ونجت امرأة الغفاري على ناقة منها، وقالت: (يا رسول الله، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها، قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بئسما جزيتها

أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحريها! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيها لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله). وتبسمه ﷺ هنا استنكار لنذرهما!

١٣. تبسم ﷺ من شخص أساء معه الخلق

قال القاضي عياض في الشفاء (٩٠/١): (جاء زيد بن سحنة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه فجبذ ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له، ثم قال: إنكم، يا بني عبد المطلب مُطَّل، فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي ﷺ يتبسم، فقال رسول الله ﷺ: أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي، ثم قال: لقد بقي من أجله ثلاث، وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه فكان سبب إسلامه. ذلك أنه كان يقول: ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل إلا حليماً، فاخبره بهذا فوجده كما وُصف).

١٤. وتبسم تعجباً من سوء توفيق عائشة

في السنن الكبرى للنسائي (٢٥٢/٤): (عن عائشة قالت: رجع رسول الله من جنازة وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وأرأساه! قال: بل أنا وأرأساه ثم قال: وما ضرك لو مُتَّ قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك، ثم دفنتك. قلت: لكأني بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك! فتبسم رسول الله، بدئ في مرضه الذي مات فيه).

١٥. وتبسم لامرأة كرهت زوجها ودعا لهما

في مسند أبي يعلى (٣٩٢/٣)، أن امرأة شكت زوجها، فأحضره النبي ﷺ وقال له: (جاءت تشكو منك جفاء تشكو منك أنك لا تقر بها، قال: يا رسول الله والذي أكرمك إن عهدي بها لهذه الليلة وبكت المرأة، فقالت: كذب فرق بيني وبينه، فإنه من أبغض خلق الله إليّ! فتبسم رسول الله ﷺ ثم أخذ برأسه ورأسها فجمع بينهما وقال: اللهم أدن كل واحد من صاحبه. قال جابر: فلبثنا ما شاء الله أن نلبث ثم مر رسول الله ﷺ بالسوق فإذا نحن بامرأة تحمل أدماً فلما رأت أنه طرحت الأدم وأقبلت إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما خلق الله

من بشر أحب إلي منه إلا أنت).

١٦. وتبسم ﷺ لأعرابي من بني سعد

في مصنف ابن أبي شيبة (٢١٠/٧): (عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي فقال: السلام عليك يا غلام بني عبد المطلب، فقال: وعليك، فقال: إني رجل من أحوالك من بني سعد بن بكر وأنا رسول قومي إليك ووافدهم، وأنا سائلك فمشدد مسألتي إليك مناشدك مناشدتي إياك، قال: خذ عنك يا أبا بني سعد. قال: من خلقتك وهو خالق من قبلك وهو خالق من بعدك؟ قال: الله، قال: نشدك بذلك أهو أرسلك؟ قال: نعم، قال: من خلق السماوات السبع والأرضين السبع وأجرى بينهن الرزق؟ قال: الله، قال: نشدتك بذلك أهو أرسلك؟ قال: نعم، قال: فإننا قد وجدنا في كتاب وأمرتنا رسولك أن نصلي في اليوم واللييلة خمس صلوات لمواقيتها نشدتك بذلك أهو أمرك بذلك؟ قال: نعم، قال: فإننا وجدنا في كتابك وأمرتنا رسولك أن نأخذ من حواشي أموالنا نفردوها على فقرائنا فنشدتك بذلك أهو أمرك بذلك؟ قال: نعم. ثم قال: أما الخامسة فلست بسائلك عنها ولا أرب لي فيها، قال: ثم قال: والذي بعثك بالحق لأعملن بها ومن أطاعني من قومي، ثم رجع فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: والذي نفسي بيده لئن صدق ليدخلن الجنة).

١٧. وكذبوا على النبي ﷺ بأنه وافق الحاخام على التجسيم وتبسم!

في كتاب السنة لابن أبي عاصم/٢٣٨: (عن عبد الله بن عمر قال: جاء خبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: أبلغك أن الله تعالى يضع السماوات يوم القيامة على إصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن ويقول: أنا الملك! قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ قلت لأبي الربيع: فضحك تصديقا؟ قال: نعم).

١٨. وكذبوا على النبي ﷺ أنه جَوَزَ المنكر وتبسم!

وذلك يوم سألته سهيلة بنت سهيل بن عمرو وزعيم المشركين، وزوجة أبي حذيفة بن عتبة الذي أسلم وسكن المدينة، وكان معه مولاه سالم الفارسي المعروف بسالم مولى أبي حذيفة، فكذبت على النبي ﷺ بأنها سألته كيف تعيش مع سالم وهو رجل له لحية، وبيتهم غرفة واحدة، وشكت للنبي ﷺ أن زوجها شك فيها مع سالم، فزعمت أنه ﷺ قال لها: أرضعيه ليحرم عليك فتعلمت ذلك منها عائشة! فقد قالت عائشة (المحلى: ٢١/١٠): (جاءت سهيلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم وهو حليفه، فقال رسول الله ﷺ: أرضعيه. فقالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: قد علمت أنه رجل كبير).

أقول: اشتهرت عائشة بفتوى إرضاع الكبير وبلغ عدد الذين أرضعتهم من أختها وزوجة أخيها نحو عشرة، فكانوا يدخلون عليها على أنهم محارم!

١٩. وكذبوا على النبي ﷺ أنه تبسم وضحك واستمع الغناء!

في مسند ابن راهويه (٦٦٤/٣): (سمعت عائشة تقول: كانت عندي امرأة تُسمعني (تغني لي) فدخل رسول الله على تلك الحال ثم دخل عمر فقعدت فضحك رسول الله فقال عمر: ما يضحكك يا رسول الله؟ فحدثه فقالت: والله لا أبرح حتى أسمع رسول الله، فأمرها فأسمعت).

٢٠. وكذبوا على رسول الله ﷺ من أجل عائشة!

في فقه السنة لسيد سابق (٥٠٠/٣): (أن النبي قدم عليها من غزوة تبوك أو خير، وفي سهوتها (الرف) ستر فهبث الريح فكشفتها عن بنات لعائشة لُعِبَ فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي. ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس. قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان. قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه).

أقول: رواه أبو داود والنسائي وغيرهما، ومعناه أن عائشة في حياتها مع النبي ﷺ كانت

تصنع اللعب وتلعب بهن! وإنما قلنا كذبوا لأن صناعة الألعاب التي فيها صور ذوات أرواح محرم باتفاق الفقهاء. ولأن عمر عائشة لما تزوجت النبي كان سبع عشرة سنة.

٢١. وكذبوا على النبي ﷺ بأنه فضل عائشة ومدحها لأنها شتمت ضررتها!

(قالت عائشة: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة إلى النبي ﷺ فاستأذنت والنبي ﷺ مع عائشة عنها في مرطها فأذن لها فدخلت فقالت إن أزواجك أرسلنني يسألنك العدل في بنت أبي قحافة قال: أي بنية أتحبين ما أحب؟ قالت: بلى. قال: فأجبي هذه فقامت فخرجت فحدثتهم فقلن ما أغنيت عنا شيئاً، فارجعي إليه قالت: والله لا أكلمه فيها أبداً، فأرسلن زينب زوج النبي ﷺ فاستأذنت فأذن لها فقالت له ذلك ووقعت في زينب تسبني فطفقت أنظر هل يأذن لي النبي ﷺ فلم أزل حتى عرفت أن النبي ﷺ لا يكره أن أنتصر فوقعت بزينب فلم أنشب أن أثنيتها غلبة فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أما إنها ابنة أبي بكر!) (الأدب المفرد للبخاري/١٢٣)

٢٢. وحرّفوا أن رسول الله ﷺ غضب على عمر بأنه تبسم له!

فقد اعترض عمر على النبي ﷺ بصلافة فأيده علماء السلطة وخطّوا النبي ﷺ! ففي كنز العمال (٤١٩/٢): (من مسند عمر، عن عمر قال: لما توفي عبدالله بن أبي دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعلی عدو الله عبدالله بن أبي القائل يوم كذا والقائل يوم كذا، أعددت أيامه الخبيثة، ورسول الله ﷺ يتبسم، حتى أكثرت عليه فقال: أخّر عني يا عمر، إني خیرت فاخترت قيل لي: إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ. فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له، لزدت!)

وقد عقد البخاري في صحيحه عدة أبواب (٢٠٦/٥ و ١٠٠/٧ و ٣٦) روى فيها روايات كثيرة لإثبات فضيلة اعتراض عمر على النبي ﷺ وزعم نزول الوحي موافقاً لعمر مخطئاً للنبي ﷺ! وقد ذكر البخاري، وعمر، وابنه، والفخر الرازي، تصرف عمر الخشن وغير المعقول مع النبي ﷺ حيث تصدى له، ووثب إليه، ووقف أمامه، وجذبه من ثوبه! ليمنعه من الصلاة على الجنازة، وقال له: أليس هناك الله عن هذا! وأكثر عليه الكلام! فغضب النبي ﷺ وقال: أخّر

عني يا عمر! لكنهم قالوا إن النبي ﷺ لم يغضب من عمر أبداً، بل ارتاح منه وتبسم له!

وأن موقفه كان كالمعتذر منه! وأن معنى آخر عني: آخر كلامك الآن!

قال البخاري (٢٠٦/٥): باب قوله: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ. عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه! فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً.. وسأزيده على السبعين. قال إنه منافق! قال فصلي عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ).

يريدون بذلك أن يثبتوا صواب عمر وخطأ النبي ﷺ فارتكبوا الكذب الصريح لأن آية: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا، نزلت في سورة براءة التي نزلت في السنة التاسعة بعد تبوك، وابن سلول مات في السنة الرابعة!

قال في فتح الباري (٢٥٢/٨) بدون خجل: (هذا تقرير ما صدر عن عمر مع ما عرف من شدة صلابته في الدين وكثرة بغضه للكفار والمنافقين... قال ابن المنير: وإنما قال ذلك عمر حرصاً على النبي ﷺ ومشورة إلزاماً، ولهذا احتمل منه النبي ﷺ أخذه بثوبه ومخاطبته له في مثل ذلك المقام حتى التفت إليه متبسماً، كما في حديث ابن عباس).

ثم قال ابن حجر: (قوله فتبسم رسول الله ﷺ وقال آخر عني، أي كلامك! واستشكل الداودي تبسمه في تلك الحالة. وجوابه: أنه عبّر عن طلاقة وجهه بذلك تأنيساً لعمر وتطيئاً لقلبه، كالمعتذر عن ترك قبول كلامه ومشورته)!

وقد تفوق الفخر الرازي على ابن حجر فقال تفسيره (١٥١/١٦): (واعلم أن هذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله عنه، وذلك لأن الوحي نزل على وفق قوله في آيات كثيرة، منها آية أخذ الفداء عن أسارى بدر وقد سبق شره. وثانيها: آية تحريم الخمر. وثالثها: آية تحويل القبلة. ورابعها: آية أمر النسوان بالحجاب. وخامسها: هذه الآية. فصار نزول الوحي على مطابقة قول عمر منصباً عالياً ودرجة رفيعة له في الدين. فلهذا قال عليه الصلاة والسلام في

حقه: لو لم أبعث لبعثت يا عمر نبياً!

أقول: قد اتخذوه نبياً ولم يبعث، وجعلوا نبوته ناسخة لنبوة نبينا ﷺ!

٢٣. وصدقوا في قولهم تبسم النبي ﷺ من رعب عمر في حرب الخندق

قال سليم بن قيس ٢٤٩: (قال علي عليه السلام للزبير: وإن بعض من سميت ما كان ذا بلاء ولا سابقة ولا مبارزة قرن، ولا فتح ولا نصر، غير مرة واحدة فرّ ومنح عدوه دبره، ورجع يجبن أصحابه ويجبنونه، وقد فر مراراً، فإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلم وتغير وأمر ونهى! ولقد نادى ابن عبد ود يوم الخندق باسمه، فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتى تبسم رسول الله ﷺ مما رأى به من الرعب وقال: أين حبيبي علي؟ تقدم يا حبيبي يا علي).

ناداه ابن ود: أي دعاه إلى مبارزته فارتعب ارتعاباً تبسم منه النبي ﷺ.

٢٤. وصدقوا في قولهم تبسم النبي ﷺ من قول عمر في حنين

فقد فرّ المسلمون في حنين كلهم إلا النبي ﷺ وبنو هاشم، كما قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ.

ولم ينزل السكينة على الفارين!

وقال الواقدي في المغازي (٩٠٤/٢): (قالت أم الحارث: فمر بي عمر بن الخطاب فقلت: يا عمر ما هذا فقال عمر: أمر الله!) وروي عن نسيبة أيضاً.

ودافع بنو هاشم عن النبي ﷺ وكان علي عليه السلام يقاتل وحده، يحمل على صاحب الراية في هوازن فيقتله ويأسر منهم ثم يرجع إلى النبي ﷺ حتى قتل أربعين من حملة أراياتهم فوقعت فيهم الهزيمة. قال ابن هشام (١٨٩٦/٤): « فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ »!

أقول: فمن الذي أسرهم وكثفهم قبل رجوع الفارين والكل فارّون ما عدا بني هاشم وكانوا

محيطين بالنبي ﷺ يحرسونه، وعلي ﷺ وحده يغوص غمار المعركة! يساعده: جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا. وقد زعموا أن ثمانين من الفارين أو مئة رجعوا قبل غيرهم، ونسبوا بطولات علي ﷺ أو قسماً منها إليهم! لكنهم لم يسموا أحداً إلا عبدالله بن مسعود، وهو ضعيف البنية صغير الجثة، غير مقاتل! ثم نسبوا النصر إلى دعاء النبي ﷺ وإلقائه حفنة الحصى والتراب على جيش هوازن وهو صحيح، لكنه لا يلغي دور علي ﷺ الأساسي!

وعلى قاعدة الغنيمة لمن قاتل، فعامة غنائم هوازن لعلي ﷺ. لكن عندما رجع أبو بكر وعمر من فرارهما، أخذتا يتدخلان في الغنائم كأنهما صاحباهما!

«قال أبو قتادة: يا رسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درع له قد تحصفت عنه فأعجلت عنه قال فانظر من أخذها، فقام رجل فقال: أنا أخذتها فأرضه عنها فلو أعطيتها؟ فسكت رسول الله فقال عمر: لا والله لا يفيئها الله على أسد من أسده ويعطيها! فضحك رسول الله» (كنز العمال: ٥٥٢/١٠) أي ضحك من تدخل عمر وقد عاد لتوه من الفرار!

وقد رواها البخاري (١٦/٣) وحذف منها ذكر أبي بكر وعمر ستراً عليها!

٢٥. وصدقوا في أن عمر ضحك حتى انقلب على ظهره فتبسم النبي ﷺ

بعد فتح مكة جاءت نساء قريش ليبايعن النبي ﷺ، وجاءت هند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً أن يعرفها رسول الله ﷺ!

قال الثعلبي (٢٩٧/٩) في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُسْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَظْهِنَنَّ وَلَا يَكْتُلَنَّ وَلَا دَهْنٌ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ: (وذلك يوم فتح مكة لما فرغ الرسول ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة مستنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله أن يعرفها فقال النبي ﷺ: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: ولا تسرقن. فقالت هند: إن أباسفيان رجل شحيح وإني أصيب من

ماله هنات ولا أدري أتخل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم، فأعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك، فقال: ولا يزين. فقالت هند: أوتزني الحرة! فضحك عمر حتى استلقى [على فها] وتبسم النبي ﷺ فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت هند: ربناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فقال: ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن. وهو أن تقذف ولداً على زوجها وليس منه، فقالت هند: والله إن البهتان يقبح وما تأمرنا إلا بمكارم الأخلاق. وقال: ولا يعصينك في معروف. فقالت: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء، فأقر النسوة بما أخذ عليهن). وتفسير الآلوسي (٨١/٢٨) وتاريخ دمشق (١٨٢/٧٠) وتخريج الأحاديث للزيلعي (٤٦١/٣). وفي أعيان الشيعة (٢٧٧/١): (فتبسم بعض من حضر، لما كان بينه وبينها في الجاهلية)!



حديث أن النبي ﷺ ما رؤي بعدها ضاحكاً!

وروا أنه ﷺ بعد أن نزلت عليه سورة هود ما رؤي ضاحكاً.
وروا أنه بعد أن نزلت فاستمسك بالذي أوجي إليك.. ما رؤي ضاحكاً.
وروا أنه بعد أن رأى مالكا خازن النار ما رؤي ضاحكاً.
وروا أنه بعد أن نزلت عليه سورة النصر ما رؤي ضاحكاً.
وروا أن الله تعالى أراه طرفاً من مصيئته بأمته فما رؤي ضاحكاً.
وروا أنه بعد أن رأى القردة ينزون على منبره ما رؤي ضاحكاً.
وقد تصل المناسبات المروية لحزن النبي ﷺ وامتناعه عن الضحك الى آخر عمره الشريف الى عشر مناسبات وأكثر، وهذا يدل على كذبهم لتضيق سبب حزنه الحقيقي، ولا حافظة لكذب، فزمن بعضها في مكة لما نزلت سورة هود أو الزخرف، وبعضها في المدينة، وبعضها مجهول الوقت. ومما يثبت كذبها أنه ﷺ كان في مكة والمدينة يتبسم ويضحك الى أواخر عمره الشريف، حتى رأى الشجرة الملعونة والقردة تحكم بعده وتنزو على منبره، وحتى رأهم يرفضون أن

يكتب لهم عهداً، وقالوا أنه خرف يهجر!

فقد روى الجميع أنه ﷺ رأى قردة يحكمون أمته بعده، ونزل قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا.

ثم مرض مرض الوفاة فدعا المسلمين ليكتب لهم عهده، فواجهه عمر والطلقاء بالعصيان ومنعوه أن يكتب وصيته وعهده، وقالوا إنه يهجر، وقالوا إستفهموه فليتكلم لنثبت لكم أنه يهجر، فأمره جبرئيل عليه السلام أن يطردهم فطردهم وقال لهم قوموا عني! وقد روى البخاري حديث رزية يوم الخميس في سبعة مواضع.

وفي تلك المدة لم يرَ صاحكاً بل كان مغموماً، جاءه جبرئيل وهو مريض (أما لي الصدوق/ ٣٤٨ والبيهقي وغيرهما): (فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً وتفضيلاً لك خاصة، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجددك يا محمد؟ قال النبي ﷺ: أجديني يا جبرئيل مغموماً، وأجديني يا جبرئيل مكروباً).

وطبيعي أن يكون مغموماً مكروباً وقد رأى أمته تركوه وأطاعوا زعيم الطلقاء، وصاحوا بوجهه: القول ما قاله عمر لا نريد أن تكتب لنا كتاباً حسبنا كتاب الله! أما قبل رؤيا القروذ ورزية الخميس، فكان يتبسم ويضحك، كما في سيرته ﷺ!

ومما جاء في رؤيا النبي ﷺ

قول الإمام الصادق عليه السلام كما في مقدمة الصحيفة السجادية بسند صحيح: (إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا. يعني بني أمية. فقال: يا جبرئيل أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرًا، ثم تدور رحى الاسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً، ثم لا بد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثم ملك الفراغة.

قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تملكها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر. قال: فأطلع الله عز وجل نبيه ﷺ أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة، وملكها طول هذه المدة فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، وأخبر الله نبيه بما يلقي أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم.

قال: وأنزل الله تعالى فيهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ.

ونعمة الله: محمد وأهل بيته ﷺ حبهم إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار. فأسر رسول الله ذلك إلى علي وأهل بيته ﷺ).

وفي كتاب سليم بن قيس ٣٠٨/، من رسالة علي عليه السلام لمعاوية: (ونزل فيكم قول الله عز وجل: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ، وذلك حين رأى رسول الله ﷺ اثني عشر إماماً من أئمة الضلالة على منبره يردون الناس على أدبارهم القهقري، رجالان من حين مختلفين من قريش وعشرة من بني أمية، أول العشرة صاحبك الذي تطلب بدمه وأنت وابنك وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص أولهم مروان، وقد لعنه رسول الله ﷺ وطرده وما ولد حين استمع لنساء رسول الله ﷺ ..).

وفي تاريخ الطبري (١٨٥/٨): (ومنه الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها فما رؤي ضاحكاً بعدها فأنزل الله: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ فذكروا أنه رأى نفرًا من بنى أمية ينزون على منبره. ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إياه وألحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلج فقال له: كن كما أنت، فبقي على ذلك سائر عمره)!

وروى الجميع أن مالك خازن النار لم يضحك للنبي ﷺ

في تفسير القمي (٤/٢) في حديث المعراج بسند صحيح، قال رسول الله ﷺ: (وتلقتني الملائكة حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا كان ضاحكاً مستبشراً حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه كرية المنظر ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك

ولم أر فيه من الإستبشار وما رأيت ممن ضحك من الملائكة، فقلت من هذا يا جبرئيل؟ فإني قد فرعت! فقال: يجوز أن تفرع منه، وكلنا نفرع منه، هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم، ولو ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكاً لاحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك، فسلمت عليه فرد علي السلام وبشرني بالجنة، فقلت لجبرئيل وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله مطاع ثم أمين، ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال له جبرئيل: يا مالك أر محمداً النار، فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها، فخرج منها لهب ساطع في السماء، وفارت فارتعدت حتى ظننت لتتناولني مما رأيت، فقلت له يا جبرئيل قل له فليرد عليها غطاءها فأمرها فقال لها ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه).

وتفسيره أن معراج النبي ﷺ كان مئة وعشرين مرة، ويظهر أن هذا المعراج الذي رأى فيه طرفاً من النار كان في أواخر حياته.

وتفردت رواية النعماني بأن خازن النار تبسم للنبي ﷺ

في غيبة النعماني/١٠٢، من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام لليهودي عن معراج النبي ﷺ قال: (مرّ بمالك ولم يضحك منذ خلق قط، فقال له جبرئيل: يا مالك، هذا نبي الرحمة محمد، فتبسم في وجهه ولم يتبسم لأحد غيره!) فقال رسول الله ﷺ: مره أن يكشف طبقاً من النار، فكشف طبقاً فإذا قابيل ونمرود وفرعون وهامان فقالوا: يا محمد إسأل ربك أن يردنا إلى دار الدنيا حتى نعمل صالحاً، فغضب جبرئيل عليه السلام، فقال بريشة من ريش جناحه فرد عليهم طبق النار).

أقول: هذا الحديث المنفرد أقرب عندي، وسنده يمكن تصحيحه: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، قال: حدثنا محمد بن الفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانة الأشعري من كتابه قال: حدثنا إبراهيم بن مهزم، قال: حدثنا خاقان بن سليمان الخزاز، عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني، عن أبي هارون العبدى، عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ، وعن أبي الطفيل قال: (...).

وهذه نماذج من روايتهم المزعومة في سبب حزنه ﷺ الى آخر عمره!

فقد رووا أن النبي ﷺ لم يضحك بعد آية: فَاسْتَقَمُّ كَمَا أُمِرْتُ

ففى الدر المنثور (٣٢٠/٣): (وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أصحابه: قد أسرع إليك الشيب قال شيبني هود وأخواتها. وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: شيبني هود وأخواتها، وما فعل بالأمم قبلي! وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وأبو الشيخ عن أبي عمران الجوني قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيبني هود وأخواتها وذكر يوم القيامة وقصص الأمم. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي على السري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله روى عنك أنك قلت شيبني هود؟ قال: نعم. فقلت: ما الذي شيبك منه قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله: فَاسْتَقَمُّ كَمَا أُمِرْتُ). وفي الدر المنثور (٣٥١/٣): (أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: فَاسْتَقَمُّ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ، قال: شمروا شمروا فما رأي ضاحكاً). وسبل الهدى (٥٨/٧)، وفتح القدير (٥٣٢/٢).

وروا أن النبي ﷺ لم يضحك بعد آية: فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ

في الدر المنثور (١٨/٦): (أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن قتادة في قوله: فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ. أَوْ نُرِيَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ. قال أنس: رأى ما يصيب أمته بعده فما رأي ضاحكاً منبسطاً حتى قبض). وتفسير ابن كثير (٢٢٩/٧) وتفسير البغوي (١٤٠/٤) وتفسير السمرقندي (٣٤٦/٣)، وعامة التفاسير. نعم قد يكون لذلك علاقة بمصيبته بأمته فقد صح أنه ﷺ أرى مصيبته بأمته وانحرافها بعده، فحزن ولم يضحك، وهو يؤيد ما اخترناه.

وسياتي في الفصل السبعين تفسير قوله ﷺ ثلاثة أيام: يا جبرئيل أجدني مغموماً مكروباً!



الفصل الخامس عشر

متى غضب النبي ﷺ

١. غضب لقول اليهود إن الله استراح!

في أسباب النزول للواحي/٢٦٦، والحاكم (٥٤٣/٢): (عن ابن عباس أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألت عن خلق السماوات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق السماوات يوم الأربعاء والخميس، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال ثم استوى على العرش، قالوا: قد أصبت لو تممت ثم استراح! فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فنزلت: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ).

وفي تفسير الطبري (٤٤٧/٣٠): (أتى رهط من اليهود النبي فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضباً لربه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، وقال: إخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه. قال يقول الله: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

فلما تلى عليهم النبي قالوا: صف لنا ربك، كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه، فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول وساورهم غضباً (زاد عليهم) فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل مقالته وأتاه بجواب ما سألوه عنه: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

٢. غضب على خالد لما أهان عمار بن ياسر

روى الحاكم (٢٩١/٣) عن الأشتر قال: (ابتدأنا خالد بن الوليد من غير أن أسأله قال: ما أتى عليّ يوم قط كان أعظم عليّ من شأن عمار، لما كان يوم بعثني رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه وأمرني عليهم وكان في القوم عمار فأصبنا قوماً فيهم أهل بيت من المسلمين فكلمني فيهم عمار وناس من المسلمين قالوا خل سبيلهم، قلت: لا والله لا أفعل حتى يراهم رسول الله فيرى فيهم رأيي، فغضب عليّ عمار فلما قدمت استأذنت على رسول الله ﷺ فهو يستخبرني وأنا أحدثه، فاستأذن عمار فأذن له فدخل عمار فقال: يا رسول الله ألم تر خالداً فعل كذا وفعل كذا، فقلت: يا رسول الله أما والله لولا مجلسك ما سبني ابن سمية! فقال رسول الله ﷺ يا عمار أخرج فخرج عمار وهو يبكي ويقول: ما نصرني رسول الله ﷺ على خالد! فقال لي رسول الله: ألا أحببت الرجل، قلت: ما منعني أن أحبته ألا محقرة له، فغضب رسول الله فقال إنه من يبغض عماراً يبغضه الله، ومن يسب عماراً يسبه الله، ومن يحقر عماراً يحقره الله! فخرجت من عند رسول الله ﷺ فلم أزل أطلب إلى عمار حتى استغفر لي).

٣. غضب لما قال المنافقون عنه إنه نخلة نبتت في مزبلة!

وكان ذلك في السنة الأخيرة من حياته الشريفة، حيث تكاثر الطلقاء في المدينة وبلغوا بضعة آلاف، وأخذوا يطعنون في أسرة النبي ﷺ ويقولون إن محمداً نخلة نبتت في كناسة! ونشطوا في العمل لعزل أهل بيته ﷺ والسيطرة على الدولة بمجرد وفاته ﷺ! فقد روى أتباع السلطة نَتَفًا من الحديث، ولم يسموا الذي قال ذلك! كما حذفوا مديح النبي لبني هاشم وعلي ﷺ!

ومن ذلك ما رواه أحمد (١٦٦/٤) ورجاله رجال الصحيح، قال: «أتى ناس من الأنصار النبي فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت في كباء (مزبلة) فقال رسول الله: أيها الناس من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله. قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. ألا إن الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً وأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً».

ورواه الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي، وفيه: «ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب». (الدر المنثور: ١٩٩/٥).

وروى في مجمع الزوائد (٢١٥/٨) نحوه عن ابن عمر قال: (إنا لنعوذ بفناء رسول الله ﷺ) إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هذه ابنة محمد! فقال رجل من القوم: إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التنن، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي فجاء النبي ﷺ يعرف في وجهه الغضب ثم قام على القوم فقال: ما بال أقوال تبلغني عن أقوام... الخ.

وفيه: عن ابن عباس أن صفية عمة النبي ﷺ شكت له فقالت: (استقبلني عمر بن الخطاب فقال إن قرابتك من رسول الله لن تغني عنك من الله شيئاً! قال فغضب النبي ﷺ وقال: يا بلال هجر بالصلاة! فهجر بلال بالصلاة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، فإنها موصولة في الدنيا والآخرة.. قال: فلما سمعت الأنصار بذلك قالت قوموا فخذوا السلاح فإن رسول الله ﷺ قد أغضب! قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبي لا ترى منهم إلا الحدق حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم في مثل الحرجة، حتى تضايقت بهم أبواب المساجد والسكك، ثم قاموا بين يدي رسول الله فقالوا: يا رسول الله لا تأمرنا بأحد إلا أبرنا عترته! فلما رأى نفر من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله ﷺ فاعتذروا وتنصلوا).

وفي مسند أحمد (٢٠٧/١) أن العباس شكى إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها! قال فغضب النبي غضباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله). وفيه: فغضب رسول الله ودرَّ عِرْقٌ بين عينيه). (الترمذي (٣١٧/٥) وصححه. والنسائي في فضائل الصحابة ٢٢، والحاكم (٣/٣٣٣)، وابن شعبة (٥١٨/٧) والطبراني الكبير (٢٠/٢٨٥) وغيرهم كثير.

وفي الدر المنثور (٣٣٥/٢): (عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمراً وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين آبائي؟ قال في النار! فقام آخر فقال من أبي؟ فقال: أبوك حذافة. فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن

إماماً، إنا يا رسول الله حديث عهد بجاهلية وشرك، والله أعلم من آباؤنا! فسكن غضبه).
وقد أخفى الرواة الكثير والخطير من هذه الحادثة! فقد أحضر النبي ﷺ الأنصار بالأسلحة،
وحصر قريشاً في المسجد، وخطب خطبة طويلة وبيّن مكانة عترته ﷺ وأسرتهم عند الله تعالى!
وكان معه جبرئيل ﷺ وطعن في أنساب قريش وتحدى صاحب المقولة أن يسأله من أبوه،
وأصرّ عليهم فخاف عمر!

وروته مصادرنا بتفصيل كرواية النيشابوري في الفضائل/١٣٤: (عن علي ﷺ قال: مررت
بفلان يوماً فقال لي: ما مثل محمد في أهل بيته إلا كمثّل نخلة نبتت في كناسة! قال: فأتيت
رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فغضب غضباً شديداً، فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر
ففزعت الأنصار ولبسوا السلاح لما رأوا من غضبه، ثم قال: ما بال أقوام يعيرون أهل بيتي!
وقد سمعوني أقول في فضلهم ما أقول وخصصتهم بما خصهم الله تعالى به، وفضل علياً عليهم
بالكرامة، وسبقه إلى الإسلام وبلائه، وأنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي!
ثم إنهم يزعمون أن مثلي في أهل بيتي كمثّل نخلة نبتت في كناسة! ألا إن الله سبحانه وتعالى
خلق خلقه وفرقهم فرقتين، وجعلني في خيرها شعباً وخيرها قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني
في خيرها بيتاً، حتى حصلت في أهل بيتي وعشيرتي وبني أبي، أنا وأخي علي بن أبي طالب. أنا
خير النبيين والمرسلين، وعلي خير الوصيين، وأهل بيتي خير بيوت أهل النبيين، وفاطمة ابنتي
سيدة نساء أهل الجنة أجمعين.

أيها الناس: أترجون شفاعتي لكم وأعجز عن أهل بيتي.
أيها الناس: لو أخذت بحلقة باب الجنة ثم تجلّي لي الله عز وجل، فسجدت بين يديه، ثم أذن
لي في الشفاعة، لم أؤثر على أهل بيتي أحداً.
أيها الناس: عظموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي، وأكرمواهم وفضلوهم لا يحل لأحد أن
يقوم لأحد غير أهل بيتي، فانسبونني من أنا!

قال فقام الأنصار وقد أخذوا بأيديهم السلاح، وقالوا: نعوذ بالله من غضب الله وغضب
رسوله، أخبرنا يا رسول الله من أذاك في أهل بيتك حتى نضرب عنقه! قال: سلوني، والله لا
يسألني رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبيه! فقام إليه رجل فقال: من أنا يا رسول الله؟ فقال:

أبوك فلان [لا] الذي تدعى إليه! قال فارتد الرجل عن الإسلام.

ثم قال ﷺ والغضب ظاهر في وجهه: ما يمنع هذا الرجل الذي يعيب على أهل بيتي وأهلي وأخي ووزيري وخليفتي من بعدي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، أن يقوم ويسألني عن أبيه، وأين هو في جنة أم في نار!

قال فعند ذلك خشي فلان على نفسه أن يذكره رسول الله ﷺ ويفضحه بين الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنا عفى الله عنك، أقلنا أقالك الله، أسترنا سترك الله، إصفرح عنا جعلنا الله فداك. فاستحيا النبي ﷺ وسكت، فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو. ثم نزل!

٤. غضب لما تجسس أبوبكر وعمر عن شأنه الشخصي!

في الكافي (٥٦٥/٥) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إن أبابكر وعمر أتيا أم سلمة فقالا لها: يا أم سلمة إنك قد كنت عند رجل قبل رسول الله ﷺ فكيف رسول الله من ذاك في الخلوة؟ فقالت: ما هو إلا كسائر الرجال! ثم خرجا عنها وأقبل النبي ﷺ فقامت إليه مبادرة فرقا أن ينزل أمر من السماء فأخبرته الخبر، فغضب رسول الله حتى تبرد وجهه والتوى عرق الغضب بين عينيه، وخرج وهو يجر رداؤه حتى صعد المنبر وبادرت الأنصار بالسلاح وأمروا بخيلهم أن تحضر، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال أقوام يتبعون عيبي ويسألون عن غيبي! والله إنني لأكرمكم حسبا وأطهركم مولداً وأنصحكم الله في الغيب، ولا يسألني أحد منكم عن أبيه إلا أخبرته. فقام إليه رجل فقال: من أبي؟ فقال: فلان الراعي! فقام إليه آخر فقال: من أبي؟ فقال: غلامكم الأسود! وقام إليه الثالث فقال: من أبي؟ فقال: الذي تنسب إليه!

فقالت الأنصار: يا رسول الله أعف عنا عفا الله عنك، فإن الله بعثك رحمة فاعف عنا عفا الله عنك! وكان النبي ﷺ إذا كلم استحيا وعرق وغطى طرفه عن الناس حياء حين كلموه فنزل.

فلما كان في السحر هبط عليه جبرئيل عليه السلام بصحفة من الجنة فيها هريسة فقال: يا محمد هذه عملها لك الحور العين فكلها أنت وعلي وذريتكما، فإنه لا يصلح أن يأكلها غيركم. فجلس رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام فأكلوا فأعطي رسول الله في المباضة من

تلك الأكلة قوة أربعين رجلاً، فكان إذا شاء غشي نساءه كلهن في ليلة واحدة».

٥. غضب من حفلة خمر أقامها الصحابة قبيل وفاته!

من عجائب رواة السلطة أنهم رَووا أن أبابكر وعمر شربا الخمر وغنيا بشعر ينوح على قتلى المشركين في بدر، فجاء النبي ﷺ غاضباً وبيده سعة أو مكنسة يريد أن يضربهم بها، والحديث صحيح عندهم!

فقد رواه تمام الرازي، في كتابه الفوائد (٢/٢٢٨) وفي طبعة (٤٨١/٣) بسند صحيح عن أبي القموص قال: شرب أبوبكر الخمر قبل أن تحرم فأخذت فيه، فأنشأ يقول:

تَحَيَّيْ بِالسَّلامَةِ أُمَّ بَكْرٍ وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبِح يا بكر أني رأيت الموت نَقَبَ عن هشام
فودَّ بنوالمغيرة أن فدوه بألف من رجال أو سوام
فكائن بالطوي طوي بدر من القينات والخيل الكرام
فكائن بالطوي طوي بدر من الشيزى تُكلل بالسنام

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام معه جريدة يجز إزاره حتى دخل عليه، فلما نظر إليه قال: أعوذ من سخط الله ومن سخط رسوله والله لا يلج لي رأساً أبداً!

فذهب عن رسول الله ما كان فيه وخرج ونزل عليه: فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّهِنُونَ! فقال عمر: انتهينا والله». ورواها ابن هشام (٥٤٩/٢)، وفيها إنكار الآخرة قال:

يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداءٍ وهام!

ورواه ابن حجر في الإصابة (٣٩٧/٧) وفيه: «شرب أبوبكر الخمر فأنشأ يقول: فذكر الأبيات.. فبلغ ذلك رسول الله فقام يجز إزاره حتى دخل فتلقيه عمر وكان مع أبي بكر، فلما نظر إلى وجهه محمراً، قال: نعوذ بالله من غضب رسول الله، والله لا يلج لنا رأساً أبداً، فكان أول من حرمها على نفسه! واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال: شرب أبوبكر الخمر قبل أن تحرم، ورثي قتلى بدر من المشركين»!

وذكر ابن حجر في فتح الباري (٣١/١٠) أن تلك الجلسة كانت حفلة خمر في بيت أبي طلحة، وكانوا عشرة صحابة أو أكثر، وكان ساقبهم أنس بن مالك!

ثم قال: «عن أنس: كنت أسقي أبا عبيدة وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء، ونفراً من الصحابة عند أبي طلحة. ووقع عند عبد الرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس، أن القوم كانوا أحد عشر رجلاً، وقد حصل من الطرق التي أوردتها تسمية سبعة منهم، وأهمهم في رواية سليمان التيمي عن أنس... ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان عن أنس، أن أبا بكر وعمر كانا فيهم! وهو منكر، مع نظافة سنده، وما أظنه إلا غلطاً!» يقصد ابن حجر أن حديث شرب أبي بكر وعمر للخمر صحيح السند، لكن معناه مستنكر! لكن إذا صح سند الحديث فلا قيمة لاستغراب معناه!

وكانت القصة عند نزول سورة المائدة، أي قبل وفاة النبي ﷺ بشهر أو شهرين! لأن آية: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ، من سورة المائدة وهي آخر ما نزل من القرآن! كما نلاحظ أن القصة اشتهرت فاهتمت عائشة بنفي نظم أبيها للأبيات، وقالت إن أم بكر كانت زوجة سابقة لأبيها! وقد فصلنا الموضوع في السيرة النبوية (٩٠/١).

٦. غضب لما جاءه عمر بجزء من التوراة مترجم ليتبناه!

كان عمر معجباً بثقافة اليهود، حتى في حياة النبي ﷺ! وكان يدرُسُ عندهم في المدينة! وقد عَرَّبوا له بعض التوراة واتى بها، فغضب رسول الله ﷺ وزجره! وسماه وجماعته المتهوكين. ثم جاء بها إلى النبي ﷺ مرات، فمرة قال: كتبها لي أخ من بني زريق، وفي بعضها من بني قريظة، وفي بعضها انتسختها، وفي بعضها نسخها لي رجل في خير أي يهودي!

قال في مجمع الزوائد (١٧٣/١): (انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله: ما هذا الذي في يدك يا عمر؟ قال قلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا! فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نوذي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار أغضب نبيكم السلاح السلاح! فجاءوا حتى أحرقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس: إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء

نقية فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون! قال عمر فقمتم فقلت رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً ثم نزل رسول الله ﷺ).

وفي رواية: قال عبد الله يعني ابن ثابت فقلت: ألا ترى ما بوجه رسول الله! قال فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. قال فسرّي عن رسول الله ﷺ قال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم. أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين).

وفي رواية: (الدرالمثور: ١٤٨/٥): (أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها)! وقد استوفينا بحث الموضوع في كتاب تدوين القرآن/١٥.

٧. غضب لما تكلم ابن شاس وابن وقاص على علي عليه السلام!

في مجمع الزوائد (١٢٩/٩): (عن أبي رافع قال بعث رسول الله ﷺ علياً أميراً على اليمن وخرج معه رجل من أسلم يقال له عمرو بن شاس فرجع وهو يذم علياً ويشكوه، فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال: إخسأ يا عمرو! هل رأيت من علي جوراً في حكمه، أو أثرة في قسمه؟ قال: اللهم لا! قال: فعلام تقول الذي بلغني قال: بغضه لا أملك. قال فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال: من أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله تعالى.

وعن سعد بن أبي وقاص قال كنت جالساً في المسجد أنا ورجلين معي فنلنا من علي فأقبل رسول الله ﷺ غضبان يعرف في وجهه الغضب فتعذت بالله من غضبه فقال: مالكم ومالي! من آذى علياً فقد آذاني).

٨. غضب لما جاءه بريدة برسالة من خالد يشكو علياً عليه السلام

من فعاليات قریش بعد فتح مكة، حملتهم في الطعن بعلي عليه السلام والإفتراء عليه، ففي مصادرهم أكثر من عشرين مفردة في ذلك! منها افتراؤهم عليه بأنه خطب بنت أبي جهل فغضب النبي ﷺ وهدد بأن يطلق منه ابنته!

وقد اتفقت مصادرهم على روايتها! وأخذ فقهاؤهم يفسرون غضب النبي المزعوم وكيف خالف القرآن ومنع صهره أن يتزوج على ابنته! وقد فندَّ روايتهم آية الله السيد الميلاني وأثبت كذبها، في رسالته: حديث خطبة علي بنت أبي جهل! وقال عن أصل الكذبة: (أخرج البخاري هذا الحديث في غير موضع من كتابه... أن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام فسمعتُ رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: إن فاطمة مني وأنا أخوف أن تفتن في دينها. والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله أبداً. سمعت رسول الله يقول وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا أذن، ثم لا أذن، ثم لا أذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم! فإنها هي بضعة مني يربيني ما أراها ويؤذيني ما آذاها.

إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل! فقام رسول الله فسمعتته حين تشهد يقول: أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها! والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد! فترك علي الخطبة). (فتح الباري: ٦/ ١٦١، و: ٧ / ٦٨، و: ٩/ ٢٦٨).

ومن مفردات افتراءهم: حديث بريدة الأسلمي، وصححوه أيضاً، وبحثناه في العقائد الإسلامية (٩٣/٤)، والانتصار (٩٧/٧) وهو حجة بالغة على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال بريدة كما في مسند أحمد (٣٥٦/٥): (بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس، وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده، فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتلنا فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى عليٌّ امرأة من السبي لنفسه قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به فقال رسول الله: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي). وفي الطبري (٣٨٩/٢): (فأقام عليه خالد

سنة أشهر لا يحبونه إلى شيء، فبعث النبي علي بن أبي طالب).

وفي مسند أحمد (٣٥١/٥): (قال فأمسك النبي يدي والكتاب وقال: أتبغض علياً؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة! قال: فما كان أحد من الناس بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي). وتاريخ دمشق (١٩٦/٤٢) وأسد الغابة (١٧٦/١) ومجمع الزوائد (١٢٧/٩) وسنن النسائي (١٣٦/٥) وخصائصه ١٠٢، وفيهما: قال ابن بريدة: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي في هذا الحديث إلا أبو بريدة).

وفي تاريخ دمشق (١٩١/٤٢): (فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله ﷺ فأخذ الكتاب فأمسكه بشماله، وكنت رجلاً إذا تكلمت طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت رأسي وتكلمت فوقعت في علي حتى فرغت، ثم رفعت رأسي فرأيت رسول الله قد غضب غضباً لم أره غضب مثله قط إلا يوم قريظة والنضير! فنظر إلي فقال: يا بريدة إن علياً وليكم بعدي! فأحب علياً فإنه لا يفعل إلا ما يؤمر! قال فقمتم وما أحد من الناس أحب إلي منه! وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة فقال: كتمك عبد الله بن بريدة بعض الحديث أن رسول الله ﷺ قال له: أنا فقت بعدي يا بريدة؟!).

وفي مجمع الزوائد (١٢٨/٩): (ودخلت المسجد ورسول الله ﷺ في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خيراً، فتح الله على المسلمين. فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبي فقالوا فأخبر النبي فإنه يسقط من عين النبي! ورسول الله يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام يتقصون علياً! من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني! إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي وخلق من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم، ذرية بعضهما من بعض والله سميع عليم. يا بريدة أما علمت أن لعل أكثر من الجارية التي أخذ وأنه وليكم بعدي! فقلت: يا رسول الله بالصحة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً! قال فما فارقه حتى بايعته على الإسلام).

أقول: كذبوا أنفسهم في زعمهم أن علياً عليه السلام خطب بنت أبي جهل! فقد رووا هنا أن علياً عليه السلام تزوج بجارية في اليمن ولم يغضب النبي ﷺ ولا فاطمة عليها السلام!

وقد فاق عليهم البخاري فترك كل هذه الأحاديث وروى بدلها (١١٠/٥): (بعث النبي علياً إلى خالد ليقبض الخمس وكنت أبغض علياً، وقد اغتسل فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي ذكرت ذلك له فقال: يا بريدة أتبغض علياً؟ قلت: نعم، قال: لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك).

يقول البخاري إن خالداً البطل جاهد وفتح وغنم، فأرسل النبي ﷺ علياً ليقبض منه الخمس وفيه أموال وجوار، فرأينا علياً اغتسل، أي أخذ جارية منها قبل قسمتها! وهذا تحريف مفضوح، وبغض لعلي عليه السلام شديد!

٩. غضب من تطويل إمام الجماعة لصلاته

في مسند الطيالسي ٨٥/ (قال رجل: يا رسول الله إني أصلي خلف فلان وإنه يطيل الصلاة حتى ربما تأخرت. قال: فغضب رسول الله ﷺ غضباً ما رأيته غضبه في موعظة قط! ثم قال: إن منكم منفرين فمن أم الناس فليخفف بهم الصلاة، فإن فيهم الضعيف والكبير وذو الحاجة).

١٠. غضب من زوجته زينب بنت جحش لإهانتها صفية

في مسند أحمد (٢٦١/٦): (فقال رسول الله ﷺ لزينب: إن بعير صفية قد اعتل فلو أنك أعطيتها بعيراً؟ قالت: أنا أعطى تلك اليهودية)!

وفي رواية: قال لزينب بنت جحش: يا زينب أفقري (أعيري) أحتك صفية جملاً، وكانت من أكثرهن ظهراً (إبلاً) فقالت أنا أفقر يهوديتك! فغضب النبي حين سمع ذلك منها، فهجرها فلم يكلمها حتى قدم مكة وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة والمحرم وصفر، فلم يأتها ولم يقسم لها).

١١. وغضب لما طالبه سهيل بن عمرو بإرجاع من جاءه مسلماً

اعتبر زعماء قريش أن أباسفيان خانهم في فتح مكة فوافق على استسلام قريش بدون شروط، وقالوا إن أباسفيان من بني عبد مناف، وإنه مال إلى محمد المنافي، وها هو محمد ينصب حاكماً أموياً على مكة! لذلك قامت قريش بعزل أبي سفيان ونصبت بدله زعيماً قوياً برأيها هو سهيل

بن عمرو، ونشطت في دعمه والإلتفاف حوله!

وقد كتبنا في آيات الغدير ١٣٨ والسيرة النبوية عند أهل البيت ﷺ (٦٤٥/٢) أن سهيلاً أخذ يتصرف بعد فتح مكة وكأن معاهدة الحديبية ما زالت، وكأن النبي ﷺ لم يفتح مكة وينصب عليها حاكماً! فقد كتب إلى النبي ﷺ مطالباً بأناس جاؤوا إليه ليتفقهوا في الدين، ثم ذهب إلى المدينة مطالباً بهم، ونزل عند عمر، فذهب وأبو بكر معه إلى النبي ﷺ وأيدا مطلبه! يقول للنبي ﷺ نحن اليوم حلفاؤك، فقد تصالحنا، وهؤلاء أولادنا وعبيدنا هربوا منا وجاؤوك، ولم يأتوك ليتفقهوا في الدين كما زعموا، ثم إن كانت هذه حجتهم فنحن نفقههم في الدين، فأرجعهم إلينا! ومعناه أن قريشاً تتصرف كأنها وجود سياسي مستقل في مقابل النبي ﷺ!

فاعجب لأبي بكر وعمر أنهما أيدا مطلب سهيل! فقال أبو بكر: «صدقوا يا رسول الله! وقال عمر مثل قوله: صدقوا يا رسول الله ردهم إليهم!» (مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٤ و ٥ / ١٨٦، وصححه).

وجاء الموقف النبوي غاضباً حاسماً، وأعلن أنهم لا يسلمون إلا بقوة السيف! ففي رواية الحاكم (١٢٥/٢): «فقال: ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا». فسيف علي عليه السلام هو دواؤهم! وقد حكم النبي ﷺ بكفرهم، وإن كان مجرد طلبهم يثبت كفرهم، لأنهم اعتبروا أنفسهم دولة أو جهة مقابل النبي ﷺ!

ولم يرد إليهم أولادهم وعبيدهم المملوكين، ومعناه أنه اعتبرهم من أموال الكفار التي أحلها الله له! ولو كان الطلقاء مسلمين وملكيتهم محترمة لم يعتق عبيدهم، فهو القائل: لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه!

فعد أكمل النبي ﷺ تهديده بأن أمر علياً عليه السلام أن يعلن الحرب عليهم إن هم أعلنوا ارتدادهم بعد وفاة النبي ﷺ! فقد روى في مجمع الزوائد (١٣٤/٩): «عن ابن عباس: أن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يقول: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم! والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى. والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت! لا والله، إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به مني!».

١٢. غضب من اعتراضهم على تأميره أسامة

قال ابن الجوزي في كشف المشكل (٥٦٠/٢): (فانتدب معه وجوه المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمر وسعد وسعيد وأبو عبيدة، فتكلم حينئذ أقوام فقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين. فغضب رسول الله غضباً شديداً، وكان قد ابتدأ به مرضه، فخرج معصوب الرأس فصعد المنبر وقال: إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنوه في إمره أبيه. وأيم الله، إن كان لخليقاً للإمرة أي ممن يصلح لها، يعني زيدا وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا من أحب الناس إلي بعده).

وقال في عمدة القاري (٧٦/١٨): (قال ابن هشام: وإنما طعنوا في أسامة لأنه ابن مولى وكان صغير السن، وقيل: إنما قال ذلك المنافقون)!

وقد بحثناه في السيرة وأثبتنا أن النبي ﷺ أمرهم بالحركة، وأنهم تباطؤوا وتخلفوا وأن النبي ﷺ لعن من تخلف عن جيش أسامة!

١٣. غضب من اعتراض حرقوص بن زهير

كان حرقوص يرى أنه أفضل من النبي ﷺ! فقد جاء حتى وقف على النبي وأصحابه فلم يسلم عليهم! فقال له النبي ﷺ: أنشدتك بالله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل مني أو أخير مني! قال: اللهم نعم! ثم دخل يصلي! (مسند أبي يعلى: ٩٠/١).

فقد جاء إلى مسجد النبي ليصلي لله الصلاة التي نزلت على هذا النبي ﷺ لكنه يرى أنه أفضل منه، ولعله يقول: إعدل يا رب! فلما إذا بعثت محمداً نبياً، وأنا أفضل منه! وقد اشتهر بقوله للنبي ﷺ في غزوة حنين وهو يقسم الغنائم: إعدل، أراك ما عدلت!

قال البخاري (١٧٩/٤): (فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل! فقال عمر: يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى

به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعتة!

وفي رواية: فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ثم قال: والله لا تجدون بعدي أحداً أعدل عليكم مني قالها ثلاثاً! ونقل في شرح النهج (٢٦٧/٢) عن مسند أحمد: (عن مسروق قال قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ، فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهران، بين لخافيق (شقوق في الأرض) وطرفاء، قالت: إبغني على ذلك بينة فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك. قال فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: إنهم شر الخلق والخلقة، يقتلهم خير الخلق والخلقة، وأقربهم عند الله وسيلة).

أقول: لا وجود لهذا الحديث اليوم في مسند أحمد فقد حذفوه!

١٤. غضب من كلام المنافقين لعلي عليه السلام

قال ابن أبي عاصم في السنة ٥٨٦: (لما سار رسول الله ﷺ من المدينة إلى تبوك خلف علي بن أبي طالب فأتاه بالجرف يحمل سلاحه فقال يا رسول الله أتخلفني بعدك ولم أتخلف عنك قط؟ قال: فولي مدبراً فاغرو رقت عيناه وقال يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقلاً لي، فغضب رسول الله ﷺ يومئذ حتى روي في وجهه فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

١٥. غضب من فرارهم في خيبر

روى النسائي (١٠٨/٥): «دعا أبا بكر فعقد له لواءً ثم بعثه فساد بالناس فانهزم، حتى إذا بلغ رجع! فدعا عمر فعقد له لواءً فساد ثم رجع منهزماً بالناس! فقال رسول الله: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله له ليس بفرار».

وفي أمالي المفيد ٥٦، عن سعد قال: (غضب رسول الله ﷺ وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كزار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه».

وفي كتاب سليم ٤٠٩: (غضب رسول الله ﷺ وقال: ما بال أقوام يلغون المشركين ثم يفرون! لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بجبان ولا فرار ولا يرجع

حتى يفتح الله على يديه خيراً).

وفي متشابه القرآن لابن شهر آشوب (٦٨/٢): (انهزم الأول والثاني بالاتفاق فغضب النبي ﷺ وقال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ﷺ).

١٦. غضب من كلام عائشة في حق خديجة

في شرح الأخبار (٢١/٣): (عن رسول الله ﷺ، أنه ذكر يوماً خديجة، فترحم عليها، وذكر محاسن أفعالها، فغارت عائشة لذلك. قالت: ليت شعري، ما يذكرك من عجوز حمراء الشدين قد أبدلك الله عز وجل بها من هو خير منها! فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً وقال: لا والله ما بدلت خيراً منها. لقد آمنت بي قبل أن تؤمن، وصدقتني قبل أن تصدقن، ورزقت مني من الولد وقد حرمتن). في الخصال ٤٠٥: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: دخل رسول الله ﷺ منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة رضي الله عنها تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا ما هي إلا كبعضنا! فسمعت مقالها فاطمة فلما رأت رسول الله ﷺ بكت فقال لها: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرت أُمِّي فتتقصتها فبكت فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: مه يا حميرا فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود والودود، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني.. وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً).

في مسند أحمد (١٥٤/٦): (عن عائشة قالت ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فأطنب في الثناء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين. قالت فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي). ورواه البخاري وحذف منه غضب رسول الله ﷺ!

وفي السيرة الحلبية (٤٠١/٣): « ما تذكر من عجوز حمراء الشدين قد أبدلك الله خيراً منها! فغضب رسول الله ﷺ وقال: والله ما أبدلني الله خيراً منها! »

وفي سيرة ابن إسحاق (٢٢٨/٥): « قالت: لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة! فقام رسول الله ﷺ مغضباً فلبث ما شاء الله، ثم رجع فإذا أم رومان فقالت: يا رسول الله ما لك ولعائشة إنها حدثت، وأنت أحق من تجاوز عنها فأخذ بشدق عائشة وقال: ألسنت القائلة كأنها ليس

على الأرض امرأة إلا خديجة! والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك، ورزقت مني الولد وحرمتموه!»!

١٧. غضب من اتهام عائشة لمارية القبطية ﷺ

روى المفيد في: خبر مارية/ ١٦ بسند صحيح عن الإمام الباقر ﷺ: (إن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: إن مارية يأتيها ابن عم لها، فلطختها بالفاحشة، فغضب رسول الله ﷺ وقال: إن كنت صادقة فأعلميني إذا دخل، فرصدته فلما دخل عليها أعلمت رسول الله ﷺ، فدعا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وقال له: خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاضرب عنقه. فأخذ علي السيف ثم قال: يا رسول الله، إذا بعثتني في الأمر أكون كالسكة المحماة تقع في الوبر أو أثبتت، فقال: تثبت، فانطلق ومعه السيف، فانتهى إلى الباب وهو مغلق، فالصق عينه بباب البيت، فلما رأى القبطي عيناً في الباب فزع وخرج من الباب الآخر فصعد نخلة وتسور علي ﷺ على الحائط فقال له: إنزل. فقال: يا علي إتق الله ما هاهنا بأس، إني محبوب وكشف عن عورته فإذا هو محبوب وأتى به إلى النبي ﷺ فقال له: ما شأنك يا جريح؟ فقال: إن القبط يحبون حشمتهم ومن يدخل على أهاليهم، والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطي، فبعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأونسها. فتهلل وجه رسول الله ﷺ وقال: الحمد لله الذي لم يزل يعافينا أهل البيت من سوء ما يلطخونا، فأنزل الله عز وجل الآية: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

وعائشة ليست غافلة ولا ساذجة. وهناك موارد أخرى غضب فيها لأجل خديجة.

١٨. غضب من أصحاب مؤامرة عقبة تبوك

اعترفت مصادر الجميع بحصول هذه المؤامرة، وتُعرف بليلة العقبة ويُعرف منفذوها بأصحاب العقبة! لكنهم اتفقوا على إخفاء أسماء (أبطالها)!

روى مسلم في صحيحه (٨/ ١٢٣) عن أبي الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك! قال: كنا نُخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد!

وروى المفسرون مؤامرة العقبة في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأْمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ. قال البيضاوي (١٥٨/٣): «وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا، من الفتك بالرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذ تسنم العقبة بالليل! فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقة السلاح فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله، فهربوا».

وفي الخصال/٤٩٩، عن حذيفة، أنهم أربعة عشر وعددهم وقال: وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا.

فقد غضب النبي ﷺ عليهم غضباً شديداً، ولعنهم، وسماهم أعداء الله!

١٩. وغضب من أصحاب مؤامرة عقبة هرشي

قال البكري (١٣٥٠/٤): (على ملتقى طريق الشام والمدينة، في أرض مستوية، هضبة ململمة لا تنبت شيئاً، وهي من الجحفة، يرى منها البحر، سهلة المصعد صعبة المنحدر، والطريق من جنبتيها). وكانت هذه المؤامرة شبيهةً إلى حد كبير بمؤامرة اغتياله ﷺ في عقبة تبوك. وتقدم حديثها في فصل الصحيفتين.

قال القمي في تفسيره (١٧٤/١): «فقال أصحابه الذين ارتدوا بعده: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال، وقال هاهنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له! فاجتمعوا أربعة عشر نفرًا وتآمروا على قتل رسول الله ﷺ وقعدوا في العقبة وهي عقبة هرشي بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها، لينفروا ناقة رسول الله ﷺ فلما جن الليل تقدم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل عليه السلام: يا محمد إن فلاناً وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك، فنظر رسول الله ﷺ فقال: من هذا خلفي؟ ثم دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم، فلما سمعوا نداء رسول الله ﷺ فروا ودخلوا في غمار الناس... فقال ﷺ: يا حذيفة هؤلاء المنافقون في الدنيا والآخرة، فقلت: ألا

تبعث إليهم يا رسول الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم؟ فقال: إن الله أمرني أن أعرض عنهم، فأكره أن تقول الناس إنه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا، فقاتل بهم حتى إذا ظهر على عدوه أقبل عليهم فقتلهم! ولكن دعهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد، وسيمهلهم قليلاً ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ!

٢٠. وغضب لسلمان لما أزاحه أعرابي من مكانه

في الإختصاص ٢٢١: (سألت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن سلمان الفارسي وقلت: ما تقول فيه؟ فقال: ما أقول في رجل خلق من طينتنا، وروحه مقرونة بروحنا، خصه الله تبارك وتعالى من العلوم بأولها وآخرها، وظاهرها وباطنها وسرها وعلانياتها. ولقد حضرت رسول الله ﷺ وسلمان بين يديه فدخل أعرابي فنحاه عن مكانه وجلس فيه فغضب رسول الله ﷺ حتى درالعرق بين عينيه واحمرت عيناه، ثم قال: يا أعرابي أنتحى رجلاً يحبه الله تبارك وتعالى في السماء، ويحبه رسوله في الأرض! يا أعرابي أنتحى رجلاً ما حضرنى جبرئيل إلا أمرني عن ربي عز وجل أن أقرئه السلام! يا أعرابي إن سلمان مني، من جفاه فقد جفاني ومن آذاه فقد آذاني، ومن باعده فقد باعدني، ومن قربه فقد قربني.

يا أعرابي لا تغلظن في سلمان فإن الله تبارك وتعالى قد أمرني أن أطلععه على علم المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب. قال: فقال الأعرابي: يا رسول الله ما ظننت أن يبلغ من فعل سلمان ما ذكرت أليس كان مجوسياً ثم أسلم؟ فقال النبي ﷺ: يا أعرابي أخاطبك عن ربي وتقاولني! إن سلمان ما كان مجوسياً لكنه كان مظهراً للشرك مضمراً للإيمان.

يا أعرابي أما سمعت الله عز وجل يقول: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

أما سمعت الله عز وجل يقول: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.

يا أعرابي خذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، ولا تجحد فتكون من المعذبين وسلم لرسول الله قوله تكن من الأمنين).

٢١. وغضب من رجل قاسٍ سلبت منه الرحمة

في المناقب (١٥٥/٢): (كان رسول الله ﷺ يقبل الحسن والحسين عليهما السلام فقال عيينة بن حصن وفي رواية الأقرع بن حابس: إن لي عشرة ما قبلت واحداً منهم قط! فقال ﷺ: من لا يرحم لا يرحم، وفي رواية: فغضب رسول الله حتى التمع لونه وقال للرجل: إن كان قد نزع الرحمة من قبلك فما أصنع بك، من لم يرحم صغيرنا ولم يعزز كبيرنا فليس منا).

٢٢. وغضب من يمانى جادله جدلاً سيئاً

في الكافي (٣٩/٤): (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رسول الله ﷺ وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدهم استقصاء في محاجة النبي فغضب النبي ﷺ حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: ربك يقرئك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام! فسكن عن النبي ﷺ الغضب ورفع رأسه وقال له: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخي تطعم الطعام لشردت بك، وجعلتك حديثاً لمن خلفك. فقال له الرجل: وإن ربك ليحب السخاء؟ فقال: نعم فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله والذي بعثك بالحق لا رددت من مالي أحداً).

٢٣. وغضب على رجل يتكلم بدون علم

(عن علي عليه السلام: أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فشكا إليه ما يلقي من الحمى، فقال له رسول الله ﷺ: إن الحمى طهور من رب غفور، قال الرجل: بل الحمى تفور بالشيخ الكبير حتى تحله القبور، فغضب رسول الله ﷺ وقال: ليكن ذلك بك! فمات من علته تلك). (دعائم الإسلام: ١/٢١٧).

٢٤. وغضب على رجل سرق طفلاً فباعه

في دعائم الإسلام (٦٠/٢): (إن سيياً قدم عليه من البحرين فصفوا بين يديه فنظر إلى امرأة منهم تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: كان لي ولد بيع في بني عبس، قال رسول الله ﷺ: ومن باعه،

قالت: أبو أسيد الأنصاري، فغضب رسول الله ﷺ وقال: لتركبن فلتجيئن به كما بعته فركب أبو أسيد فجاء به).

٢٥. وغضب من عيينة بن حصن

في الكافي (٧٠/٨): (عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج رسول الله ﷺ لعرض الخيل فمر بقبر أبي أحيحة (من زعماء بني أمية) فقال أبوبكر: لعن الله صاحب هذا القبر فوالله إن كان ليصد عن سبيل الله ويكذب رسول الله ﷺ فقال: خالد ابنه: بل لعن الله أباقحافة فوالله ما كان يقرى الضيف، ولا يقاتل العدو، فلعن الله أهونهما على العشيرة فقداً.

فألفى رسول الله ﷺ خطام راحلته على غاربها ثم قال: إذا أنتم تناولتم المشركين فعموا ولا تخصوا فيغضب ولده، ثم وقف فعرضت عليه الخيل، فمر به فرس فقال عيينة بن حصن: إن من أمر هذا الفرس كيت وكيت، فقال رسول الله ﷺ: ذرنا فأنا أعلم بالخيل منك، فقال عيينة: وأنا أعلم بالرجال منك، فغضب رسول الله ﷺ حتى ظهر الدم في وجهه فقال له: فأأي الرجال أفضل؟ فقال: عيينة بن حصن: رجال يكونون بنجد يضعون سيوفهم على عواتقهم ورماحهم على كواثب خيلهم، ثم يضربون بها قدماً قدماً! فقال رسول الله ﷺ: كذبت بل رجال أهل اليمن أفضل، الإيـان يمان والحكمة يمانية، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من أهل اليمن، الجفا والقسوة في الفدادين، أصحاب الوبر ربيعة ومضر، من حيث يطع قرن الشيطان. ومذحج أكثر قبيل يدخلون الجنة، وحضر موت خير من عامر بن صعصعة، ثم قال: لعن الله الملوك الأربعة جهداً ومخوساً ومشرحاً وأبصعة وأختهم العمردة.. لعن الله رعلاً وذكوان وعضلاً ولحيان والمجذمين من أسد وغطفان، وأباسفيان بن حرب، وشهبلاً ذالأسنان).

أقول: عيينة بن حصن رئيس بني فزارة من نجد، عنده نحو ثمان مائة مقاتل، وكان يتاجر بهم مع اليهود في خير، ومع طليحة المتنبي، ومع مسيلمة، ثم يكون هو ومقاتلوه أول الهاربين.

٢٦. وغضب النبي ﷺ على من كذب علياً عليه السلام

روى الصدوق في الأمالي/١٩٤: (عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه جاء إليه رجل، فقال له: يا أبا الحسن، إنك تُدعى أمير المؤمنين فمن أمرك عليهم؟ قال عليه السلام: الله جل جلاله أمرني عليهم.

فجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصدق علي فيما يقول إن الله أمره على خلقه؟ فغضب النبي ﷺ وقال: إن علياً أمير المؤمنين بولاية من الله عز وجل، عقدها له فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته. إن علياً خليفة الله، وحجة الله، وإنه لإمام المسلمين، طاعته مقرونة بطاعة الله، ومعصيته مقرونة بمعصية الله، فمن جهله فقد جهلني، ومن عرفه فقد عرفني، ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوتي، ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي، ومن دفع فضله فقد تنقصني، ومن قاتله فقد قاتلني، ومن سبه فقد سبني، لأنه مني خلق من طينتي، وهو زوج فاطمة ابنتي، وأبو ولدي الحسن والحسين. ثم قال ﷺ أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأوليائنا أولياء الله).

٢٧. وغضب على الذين منعه أن يكتب وصيته

قال سليم بن قيس الهلالي في كتابه ٢١١/هـ: (قال علي عليه السلام: يا طلحة، ألسنت قد شهدت رسول الله ﷺ حين دعا بالكف ل يكتب فيها ما لا تضل الأمة ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: (إنه يهجر) فغضب رسول الله ﷺ ثم تركها؟

قال: بلى قد شهدت ذاك. قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني رسول الله ﷺ بالذي أراد أن يكتب فيها وأن يشهد عليها العامة. فأخبره جبرائيل عليه السلام أن الله عز وجل قد علم من الأمة الإختلاف والفرقة، ثم دعا بصحيفة فأملى علي ما أراد أن يكتب في الكتف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان وأبذر والمقداد، وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة. فسماني أولهم ثم ابني هذا وأدنى بيده إلى الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد ابني هذا يعني الحسين. كذلك كان يا أبذر وأنت يا مقداد؟ فقاموا وقالوا: نشهد بذلك على رسول الله ﷺ. فقال طلحة: والله لقد سمعت من رسول الله ﷺ يقول لأبي ذر: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ولا أبر عند الله، وأنا أشهد أنها لم يشهدا إلا على حق، ولأنت أصدق وآثر عندي منهما.

ثم أقبل على طلحة فقال: إتق الله يا طلحة وأنت يا زبير وأنت يا سعد وأنت يا بن عوف، اتقوا الله وآثروا رضاه واختاروا ما عنده، ولا تخافوا في الله لومة لائم).

غضب مكذوب نسبوه الى رسول الله ﷺ

زعموا أنه غضب لشكاية المدي علي خالد بن الوليد

لأنه أخذ منه غنيمته، فقال (مسند احمد: ٢/٦): (هل أنتم تاركي أمرائي! إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل اشترى إبلاً وغنماً فدعاها، ثم تخير سقيها فأوردها حوضاً فشرعت فيه فشربت صفوة الماء وتركت كدره، فصفو أمرهم لكم وكدره عليهم). وقد بينا حقيقة الأمر في السيرة النبوية - غزوة مؤتة.

وزعموا أن رجلاً شكى أبا بكر فغضب النبي ﷺ

هل أنتم تاركين لي صاحبي! إني قلت إني رسول الله فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت). ومعناه تحريم انتقاد الأمراء وانتقاد أبي بكر، وهذا لم يقله أحد!

وزعموا أن النبي ﷺ خالف القرآن في تفضيل الرسل ﷺ!

قال البخاري (١٣٣/٤)، ومسلم: (١٠١/٧): (فغضب النبي ﷺ حتى روي في وجهه ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي. ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى). فقد كذبوا هذه الكذبة ليتقربوا الى اليهود فيقولوا إن نبينا ﷺ ليس أفضل من موسى ولا يونس ﷺ.

لكن هذا ينافي إجماع المسلمين بأنه أفضل الأنبياء ﷺ، وينافي قوله تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ).

زعموا أنه ﷺ سئل عن الصوم فغضب!

روى مسلم (١٦٧/٣): (أنه ﷺ سئل عن صومه، قال: فغضب رسول الله فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وببيعتنا بيعه).

فلا معنى لغضبه من السؤال عن صومه، بل كان ذلك لما طعنوا في أسرته فقالوا إن مثل محمد كنخلة نبتت في كبا، فجمع القرشيين تحت أسلحة الأنصار ومدح أسرته وقال لهم: ليقم الذي طعن في أسرتي وليسألني عن أبيه! وكان جبرئيل معه فقام عمر وسأله عن شيء آخر وعن الصيام المستحب فاستمر في غضبه! وقد فصلنا ذلك في السيرة النبوية وفي ألف سؤال وإشكال.





الفصل السادس عشر

كيف يبلغ النبي ﷺ إلى الجن؟

نبينا ﷺ مرسل إلى الإنس والجن

قال ابن عبد البر في التمهيد (١١٧/١١): (ولا يختلفون أن محمداً ﷺ رسول إلى الإنس والجن نذير وبشير. هذا مما فضل به على الأنبياء ﷺ أنه بعث إلى الخلق كافة الجن والإنس، وغيره لم يرسل إلا بلسان قومه. ودليل ذلك ما نطق به القرآن من دعائهم إلى الإيمان بقوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ).

بلغ النبي ﷺ الجن فكلمهم وهم في مكانهم وكانوا يأتونه

في مسائل علي بن جعفر ٣٣١: (عبد الله بن بكير الدجاني قال: قال لي الصادق جعفر بن محمد ﷺ: أخبرني عن رسول الله ﷺ كان عاماً للناس بشيراً أليس قد قال الله في محكم كتابه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ، لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والأرض من الجن والإنس، هل بلغ رسالته إليهم كلهم؟ قلت: لا أدري. قال: يا ابن بكير إن رسول الله ﷺ لم يخرج من المدينة فكيف بلغ أهل الشرق والغرب! قلت: لا أدري. قال: إن الله تعالى أمر جبرئيل فاقطلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لمحمد ﷺ فكانت بين يديه مثل راحته في كفه، ينظر إلى أهل الشرق والغرب، ويخاطب كل قوم بألسنتهم، ويدعوهم إلى الله وإلى نبوته، فما بقيت قرية ولا مدينة إلا ودعاهم النبي ﷺ بنفسه).

وروى الجميع أن الله تعالى صرف إلى النبي ﷺ جماعة من الجن مرات، وأمره أن يتلو عليهم القرآن فاستوعبوا وآمنوا، وذهبوا إلى قومهم أنبياء.

قال ابن هشام (٢٨٧/٢): «ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يؤس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين

ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه ﷺ قال الله عز وجل: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ.

ونخلة: موضع بين الطائف ومكة على مسير ليلة من مكة. (معجم البلدان ٥/٢٧٨).

وفي تفسير القمي (٢/٢٩٩): (قوله: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَنْ لَا يَجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

فهذا كله حكاية عن الجن. وكان سبب نزول هذه الآيات أن رسول الله خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه يزيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجبه أحد ولم يجد من يقبله، ثم رجع إلى مكة فلما بلغ موضعاً يقال له وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمر به نفر من الجن فلما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ استمعوا له، فلما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض أنصتوا يعني اسكتوا، فلما قضى أي فرغ رسول الله ﷺ من القراءة ولوا إلى قومهم منذرين: قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى.. فَأَجَابُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمُوا وَآمَنُوا وعلمهم رسول الله شرائع الإسلام، فأنزل الله على نبيه: قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا. الآيات.. فحكى الله قولهم، وولى عليهم رسول الله ﷺ منهم، وكانوا يعودون إلى رسول الله في كل وقت، فأمر رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلمهم ويفقههم، فمنهم مؤمنون ومنهم كفرون وناصبون ويهود ونصارى ومجوس وهم ولد الجن).

وروى في المحاسن (٢/٣٧٩)، عن عمر بن يزيد قال: (ضللنا سنة من السنين ونحن في طريق مكة فأقمنا ثلاثة أيام نطلب الطريق فلم نجده، فلما أن كان في اليوم الثالث وقد نفذ ما كان معنا من الماء، عمدنا إلى ما كان معنا من ثياب الإحرام ومن الخنوط، فتحنطنا وتكفنا بإزار إحرامنا، فقام رجل من أصحابنا فنادى: يا صالح يا أبا الحسن فأجابه مجيب من بعد! فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا من النفر الذي قال الله عز وجل في كتابه: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ

يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ. ولم يبق منهم غيري، فأنا مرشد الضال إلى الطريق! قال: فلم نزل نتبع الصوت حتى خرجنا إلى الطريق».

وفي الإحتجاج (٣٣٠/١) من حديث اليهودي مع أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد سخرت لنبينا محمد ﷺ الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه من الجنة تسعة من أشرفهم، وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ، وهم التسعة، فأقبل إليه الجن والنبي ﷺ يبطن النخل فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً. ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً». والمنقب: ١/ ٤٤ و ١٩١، والمحاسن: ٢/ ٣٨٠، والحاكم: ٢/ ٤٥٦، و ٥١٨، والزوائد: ٧/ ١٠٦. والبحار: ١٠/ ٤٤، و: ١٨/ ٧٦ و ٩٠، و: ٦٠/ ٥٥، وفيه: «ولم يبعث الله نبياً إلى الإنس والجن قبله ﷺ». وإنما سمياً ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما».

خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ. وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ.

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ.

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.

وفي الخصال: ١٥٣: قال الإمام الصادق عليه السلام: (الجن على ثلاثة أجزاء: فجزة مع الملائكة وجزة يطيرون في الهواء، وجزة كلاب وحيات. والإنس على ثلاثة أجزاء، فجزة تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله. وجزة عليهم الحساب والعذاب. وجزة وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين)!

وفي علل الشرائع (٥٩٣/٢): (وسأله عن اسم أبي الجن فقال: شومان، وهو الذي خلق من مارج من نار. وسأله: هل بعث الله نبياً إلى الجن؟ فقال: نعم بعث إليهم نبياً يقال له يوسف فدعاهم إلى الله فقتلوه. وسأله عن إسم إبليس ما كان في السماء، فقال: كان إسمه الحارث).

أقول: هذه التفاصيل في قابلة للمناقشة، لكن أصل الموضوع قطعي.

لاسلطان للجن على الإنس

في الأصول الستة عشر/٩: (سألت أبا عبد الله عليه السلام: الجن يخطفون الإنسان؟ فقال عليه السلام: ما لهم إلى ذلك سبيل).

وفي تحف العقول/١٢: (يا علي إذا رأيت حية في طريق فاقتلها، فإني قد اشترطت على الجن ألا يظهرُوا في صورة الحيات).

وفي جواهر الكلام (٤٨/٢): (وخبر ليث المرادي عن الصادق عليه السلام سألته عن استنجاء الرجل بالعظم أو البعر أو العود؟ فقال: أما العظم والروث فطعام الجن، وذلك مما اشترطوا على رسول الله ﷺ لا يصلح بشيء من ذلك).

وفي بصائر الدرجات/١١٦: (عن سعد الإسكاف قال: أتيت باب أبي جعفر الباقر عليه السلام مع أصحاب لنا لندخل عليه فإذا ثمانية نفر كأنهم من أب وأم عليهم ثياب زراي وأقبية طاق طاق وعمائم صفر، دخلوا فما احتبسوا حتى خرجوا، قال لي: يا أبا سعد رأيتهم؟ قلت: نعم جعلت فداك. قال: أولئك إخوانكم من الجن أتونا يستفتوننا في حلالهم وحرامهم، كما تأتوننا وتستفتوننا في حلالكم وحرامكم).

وفي الكافي (٣٩٥/١): (عن حكيمة بنت موسى قالت: رأيت الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الخطب وهو يناجي ولست أرى أحداً فقلت: يا سيدي لمن تناجي؟ فقال: هذا عامر الزهرائي أتاني يسألني ويشكو إلي! فقلت: يا سيدي أحب أن أسمع كلامه فقال لي: إنك إن سمعت به حُمِمت سنة! فقلت: يا سيدي أحب أن أسمع، فقال لي: إسمعي فاستمعت فسمعت شبه الصفيير! وركبتني الحمى، فحُممت سنة).

وفي الصحيح في كامل الزيارات/٤٧٠: (عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت (للصادق عليه السلام): جعلت فداك إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين الحائر ليستشفون به هل في ذلك شيء مما يقولون من الشفاء؟ قال: فخذ منها، فإنها شفاء من كل سقم وجنة مما تخاف، ولا يعدها شيء من الأشياء التي يستشفى بها إلا الدعاء، وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها، فأما من أيقن أنها له شفاء إذا يعالج بها كفته بإذن الله من غيرها مما يعالج به، ويفسدها الشياطين والجن

من أهل الكفر منهم يتمسحون بها وما تمر بشيء إلا شمها، وأما الشياطين وكفار الجن فإنهم يحسدون بني آدم عليها فيتمسحون بها ليذهب عامة طيبها، ولا يخرج الطين من الحائر إلا وقد استعد له ما لا يحصى منهم، وانه لفي يد صاحبها وهم يتمسحون بها، ولا يقدرّون مع الملائكة أن يدخلوا الحائر، ولو كان من التربة شيء يسلم ما عولج به أحد إلا براً من ساعته. فإذا أخذتها فاكتمها وأكثر عليها من ذكر الله تعالى).

وفي الكافي (٥٤٧/٦): (عن أبي سلمة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الحمام طير من طيور الأنبياء عليه السلام التي كانوا يمسكون في بيوتهم وليس من بيت فيه حمام إلا لم تصب أهل ذلك البيت آفة من الجن. إن سفهاء الجن يعشون في البيت فيعشون بالحمام ويدعون الناس).

جنة الجن في الآخرة بين الجنة والنار

وفي تفسير القمي (٢٩٩/٢): وسئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن أيدخلون الجنة؟ فقال لا، ولكن لله حظائر بين الجنة والنار، يكون فيها مؤمنوا الجن، وفساق الشيعة «.

وقال الشريف المرتضى في رسائله (٣٥/٤): (إذا حصل أهل الجنة في الجنة ما حكم الملائكة، هل يكونوا في جنة بني آدم أو غيرها، وهل يراهم البشر، وهم يأكلون ويشربون مثل البشر أو تسبيح وتقديس، وهل يسقط عنهم التكليف. وكذلك الجن.

الجواب وبالله التوفيق: إنه يجوز أن يكونوا في الجنة مع بني آدم، ويجوز أن يكونوا في جنة سواها فإن الجنان كثيرة: جنة الخلد، وجنة عدن، وجنة المأوى، وغير ذلك مما لم يذكره الله تعالى. وأما رؤية البشر لهم فلا تصلح إلا على أحد الوجهين: إما أن يقوي الله تعالى رؤية البشر، أو كيف الملائكة. وأما الأكل والشرب فمجاز والله تعالى ينبتهم بما فيه لذتهم، فإن جعل لذتهم في الأكل والشرب جاز، وإن جعلها في غيره جاز. وأما التكليف فإنه يسقط عنهم لأنه لا يصح أن يكونوا مكلفين ومثابين في حالة واحدة. والكلام في الجن يجري هذا المجرى).

وفي مختصر بصائر الدرجات ١٨٥: (وتظهر الملائكة والجن (مع المهدي عليه السلام) وتخالط الناس ويسيرون معه. ولينزلن أرض الهجرة وينزلون ما بين الكوفة والنجف، ويكون حينئذ عدة أصحابه ستة وأربعون ألفاً من الملائكة، ومثلها من الجن، ثم ينصره الله ويفتح على يديه).



الفصل السابع عشر

اشترى النبي ﷺ في المدينة مكان مسجده وبيوته

اشترى النبي ﷺ مكان مسجده ومنزله!

في إعلام الوري للطبرسي (١٥٤/١): « وكان خروج رسول الله ﷺ من قبا يوم الجمعة، فوافى بني سالم عند زوال الشمس، فتعرضت له بنو سالم فقالوا: يا رسول الله هلم إلى الجدة والجلد والحلفة والمنعة، فبركت ناقتة عند مسجدهم وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم رسول الله ﷺ فنزل في مسجدهم وصلى بهم الظهر وخطبهم، وكان أول مسجدة صلى فيه بالجمعة، وصلى إلى بيت المقدس وكان الذين صلوا معه في ذلك الوقت مائة رجل.

ثم ركب رسول الله ﷺ ناقتة وأرعى زمامها فانتهى إلى عبدالله بن أبي، فوقف عليه وهو يُقَدِّر أنه يعرض عليه النزول عنده، فقال له عبدالله بن أبي بعد أن ثارت الغبرة وأخذ كمة ووضعها على أنفه: يا هذا إذهب إلى الذين غروك وخدعوك وأتوا بك فانزل عليهم، ولا تغشانا في ديارنا! فسلط الله على دور بني الحبلى الذر (النمل الصغير) فخرق دورهم، فصاروا نزالاً على غيرهم، وكان جد عبدالله بن أبي يقال له ابن الحبلى، فقام سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء، فإننا كنا اجتمعنا على أن نملكه علينا وهو يرى الآن أنك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه، فأنزل عليّ يا رسول الله فإنه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئر مني، ونحن أهل الجلد والعز، فلا تجزنا يا رسول الله.

فأرعى زمام ناقتة ومرت تحبُّ به، حتى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم ولم يكن مسجداً، إنما كان مربداً لتييمين من الخزرج يقال لهما سهل وسهيل، وكانا في حجر أسعد بن

اشترى النبي ﷺ في المدينة مكان مسجده وبيوته ١٣٣

زرارة، فبركت الناقة على باب أبي أيوب خالد بن زيد، فنزل عنها رسول الله ﷺ فلما نزل اجتمع عليه الناس وسألوه أن ينزل عليهم، فوثبت أم أبي أيوب إلى الرحل فحلتها وأدخلته منزلها، فلما أكثروا عليه قال رسول الله ﷺ: أين الرحل؟ فقالوا: أم أبي أيوب قد أدخلته بيتها. فقال ﷺ: المرء مع رحله. وأخذ أسعد بن زرارة بزمام الناقة فحوها إلى منزله).

وفي نور الأبصار للشبلنجي/٤٤: (وبنى ﷺ في ذلك المربد حجرتي زوجته سودة وعائشة؟) وأما بقية حجر زوجته فبناها بعد عند الحاجة إليها. ومكث ﷺ في بيت أبي أيوب سبعة أشهر إلى أن تم المسجد والحجرتان. وفي شرح المقاصد قال: وفي الصحيح في ذكر بناء المسجد: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فجعل ينفذ التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن. وكان النبي ﷺ ينقل معهم الصخر ويقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصرا لأنصار والمهاجرة).

قال الصادق عليه السلام (الكافي: ٢٩٦/٣): (كان المسجد ثلاثة آلاف وستمائة ذراع تكسيرا).

أقول: اشترى النبي ﷺ مكان المسجد وبيوته مما بقي معه من أموال خديجة، وبنى المسجد وبنى منزله شرقي المسجد وله باب مفتوح على المسجد هو باب الحجرة النبوية وهي غرفة كبيرة، وعن يمينها مرافق وغرفة للخادم، وعن يسارها غرفة فاطمة عليها السلام، وخلف البيت ساحة تفتح على السكة. وبنى جنوبي بيته غرفتين لأزواجه، وكانت سودة وأم سلمة وليس عائشة، ثم كان إذا تزوج أضاف غرفة بعدها.

صادروا مسجد النبي ﷺ ومنزله بحجج واهية

من أوضح عدوان قريش على النبي وأهل بيته ﷺ أنهم منعوا ابنة النبي فاطمة عليها السلام أن ترث النبي ﷺ، ثم ادعت عائشة أن النبي ﷺ ملكها غرفتها وسيطرت على البيت والقبر وادعت أنها الوارثة له، وصدقها علماء السلطة واستدلوا على ملكيتها بأنك تقول بيت عائشة، فقيل لهم: إذا قلت بيت خالتك فهل هي المالكة للبيت! مع أن إضافة المكان والشيء إلى الإنسان تصح بأدنى سبب، فيصح قولك بيته لأنه يسكنه وليس يملكه.

ولذلك نعتقد أن بيوت النبي ﷺ ملك له ترثها ابنته ثم أهل بيته ﷺ، وأن السلطة صادرها ودفنت فيها رؤساءها بدون إذن الورثة، ومنعت ابنه الحسن ﷺ أن يدفن فيها ظلماً.

وقد فصلنا ذلك في رسالة: مصادرة قبر النبي ﷺ.



عدد نفوس المدينة وعدد المسلمين عند الهجرة!

ينبغي أن نصحح تصورنا عن أعداد الناس والأقوام في التاريخ، وسبب خطئنا في التقدير أننا نشاهد في عصرنا انفجاراً سكانياً في العالم، فنقيس الماضي على الحاضر، وهذا لا يصح!

وسبب آخر: أنا سمعنا ونحن صغار، والصور في ذهن الصغير مضخمة!

والطريقة الصحيحة لتقدير العدد: أن ننظر إلى أعداد الجيوش، فعندما نرى أن غاية ما استطاعت قريش أن تجند من مكة ألفين أو ثلاثة، فلو فرضنا أنه يخرج من كل عشرة جندي، فسكان مكة يومها عشرون ألفاً. ولو فرضنا من كل خمسة فلا يزيد عدد سكان مكة عن أربعين ألفاً.

ومثال آخر: ذكر ابن حجر أن عدد الذين أرسلهم النبي ﷺ من قريش مع أسامة ليبعدهم عن المدينة سبع مئة مقاتل! قال في فتح الباري (١١٥/٨): (وقال ابن إسحاق: بدأ برسول الله ﷺ وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: أغز في سبيل الله، وسر إلى موضع مقتل أبيك، فقد وليتك هذا الجيش، فذكر القصة وفيها: لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبوبكر وعمر، وعند الواقدي أيضاً أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف، فيهم سبع مئة من قريش).

فإذا كان المأمورون بالذهاب في جيش أسامة سبع مئة قرشي، فعدد القرشيين في المدينة نحو خمسة آلاف، وكان المهاجرون القرشيون أقل من ثلاثين نفرًا، فيكون الباقون من الطلقاء جاؤوا بعد فتح مكة، فشكّلوا ثلث أهل المدينة أو نصفهم.

كما أمر النبي ﷺ بعد المسلمين فقال: (أكتبوا إلي من تلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمس مئة رجل فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمس مئة). (البخاري ٤: ٨٧ ومسند أحمد: ٥/٣٨٤).

ومثال آخر: نشط اليهود وقريش لتحشيد الأحزاب لحرب النبي ﷺ فبلغ جيشهم عشرة

آلاف، وقيل ستاً وعشرين ألفاً.

ثم حشد النبي ﷺ المسلمين وقريشاً والقبائل في غزوة تبوك، فبلغ جيشه ثلاثين ألفاً. وعليه فلا يزيد سكان الجزيرة يومها عن سبع مئة ألف نسمة.

كما أن معاوية استطاع أن يجمع من الشام والأردن وفلسطين سبعين ألف مقاتل، فيكون عدد سكانها كلها نحو مليون ونصف.

ويكون أهل العراق أكثر منهم فقد يزيدون على المليونين.





الفصل الثامن عشر

شريط من سيرة فاطمة الزهراء

١. كانت تحدث أمها وهي حمل في بطنها

في مكارم الأخلاق للراوندي / ١١٩: (لما تزوج رسول الله ﷺ بخديجة هجرتها نسوة مكة فاستوحشت، وكانت تكتنم حزنها من رسول الله ﷺ فدخل يوماً وسمع خديجة تحدث فقال: من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني تحدثني وتؤنسني، قال: هذا جبرئيل يبشركي أنها أنثى وأنها النسلة الطاهرة، وأن الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقطاع وحيه).

وفي علل الشرائع (١٨١/١): «محمد عمارة قال: سألت أبا عبد الله عن فاطمة عليها السلام لم سميت الزهراء؟ فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض».

٢. زوجها النبي ﷺ من علي عليه السلام بأمر ربه

وكان عرس فاطمة عليها السلام أعظم عرس في تاريخ الأنبياء عليهم السلام، وقد وصفت الأحاديث عمل النبي ﷺ في مراسم الخطبة، ثم في عقد الزواج، ثم في تهيئة المنزل وتأثيثه، ثم في وليمة الزفاف ومراسمه، فكان عمله شبيهاً بعمله في تبليغ الرسالة! وقد روت فيه مصادر السنة والشيعنة نحو خمسين حديثاً.

فعن ابن مسعود وأنس قال: «كنت قاعداً عند النبي ﷺ فغشيته الوحي فلما سُري عنه قال:

أتدري يا أنس ما جاء به جبريل من عند صاحب العرش؟ قلت: بأبي وأمي! وما جاء به جبريل من عند صاحب العرش؟ قال: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي». (كبير الطبراني: ١٠/١٥٦).

وفي تاريخ بغداد (٤/٤٣٢): «طلع النبي ﷺ ووجهه مشرق كالبدر فسأل ابن عوف عن ذلك فقال: بشارة أتتني من ربي لأخي وابن عمي وابنتي، الله زوج علياً بفاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعاً بعدد محبي أهل بيتي وأنشأ من تحتها ملائكة من نور، ودفع إلى كل ملك صكاً برأه من النار، فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي.

وفي رواية: وقال: أبشر يا علي فإن الله قد كفاني ما كان هميني من تزويجك، أتاني جبريل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها فتناولتهما وأخذتهما فشمتتهما، فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ قال: إن الله أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها، وأمر ريحها فهبّت بأنواع العطر والطيب، وأمر حور عينها بالقراءة فيها طه ويس وطواسين وحم وعسق، ثم نادى مناد من تحت العرش: ألا إن اليوم يوم وليمة علي، ألا إني أشهدكم أني زوجت فاطمة من علي رضاً مني ببعضهما لبعض. ثم بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فقطرت من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها، وقامت الملائكة فثرن من سنبلها وقرنفلها وهذا مما نثرت الملائكة».

وفي مناقب ابن مردويه ١٩٨/١: (وكان النبي ﷺ أمر نساءه أن يزينها ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة، فاستدعين من فاطمة ؓ طيباً فأتت بقارورة، فسألت عنها فقالت: كان دحية الكلبي يدخل على رسول فيقول لي: يا فاطمة هاقي الوسادة فاطرحها لعمك، فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل! وأتت بباء ورد فسألت أم سلمة عنه فقالت: هذا عرق رسول الله كنت أخذه عند قيلولة النبي عندي».

وروى ابن ماجه ١/٦١٥: «قالت عائشة: ما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة».

وقسّم علي ؓ عمل البيت بين والدته وبين الزهراء ؓ: «فقال علي لأمه فاطمة بنت أسد: إكفي بنت رسول الله الخدمة خارجاً، سقاية الماء والحاجة وتكفيك العمل في البيت: العجن والطحن». (الإمتاع: ٥/٣٥١).

٣. عاشت مع أمها ﷺ معاناة محاصرة قريش في الشعب

فتحملت معها بضعة سنوات من المحاصرة، فأرسل الله جبرئيل ﷺ ليقرئها السلام ويسليها عن فقدان بيتها، ويشرها بأن الله تعالى بني لها بيتاً في الجنة. وكان النبي ﷺ يذكرها ويمدحها، فكانت عائشة تحسدها وتغار منها: «قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة!» (صحيح بخاري: ١٩٥/٨).

٤. تسأل النبي ﷺ عن أمها ﷺ لما توفيت

في تاريخ اليعقوبي (٣٥/٢) والفتحية (١٣٩/١) وأمالى الطوسي (١٧٥): «لما توفيت خديجة جعلت فاطمة تتعلق برسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: أين أمي، أين أمي؟ فنزل عليه جبريل ﷺ فقال قل لفاطمة: إن الله تعالى بني لأمك بيتاً في الجنة لا نصب فيه ولا صخب. فقالت فاطمة ﷺ: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام).

٥. دعت على فراغة قريش فاعتبره النبي ﷺ إذناً بالدعاء عليهم!

كانت معه وهو يصلي في مكة، فوجه القرشيون سفهاءهم وألقوا عليه كرش ناقة وهو ساجد، فألقته عنه فاطمة وبكت ودعت عليهم.. وكان دعاءها كان مؤشراً ربانياً ينتظره النبي ليدعو عليهم، ولعلها أول مرة بدأ الدعاء عليهم!

قال البخاري (٧١/٤): (بيننا رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش المشركين، إذ جاءه عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة ﷺ فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع ذلك، فقال النبي ﷺ: اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك أباجهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأممية بن خلف أو أبي بن خلف، فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر، غير أممية أو أبي، فإنه كان رجلاً ضخماً فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر).

أقول: كفى بذلك فضيلة فالنبي ﷺ لم يدع على قومه حتى دعت ابنته فاطمة ﷺ فكان دعاؤها رسالة إليه من ربه، وإجازة له بالدعاء عليهم!

وفي مسند فاطمة عليها السلام للسيوطي/١١٨: (قال عبدالله: بينما رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش وثم سلا بغير، فقالوا: من يأخذ سلا هذا الجزور أو البعير فيقذفه على ظهره. فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك. قال عبدالله: فما رأيت رسول الله ﷺ دعا عليهم إلا يومئذ، فقال: اللهم عليك الملاء من قريش. كما تقدم).

٦. أخبرت أباها بمؤامرة قريش ليلة الهجرة!

من عجيب ما ذكره في سيرة النبي ﷺ أن فاطمة هي التي أخبرته بتآمر زعماء قريش عليه ليقتلوه! ففي مجمع الزوائد (٢٢٨/٨): (عن ابن عباس قال إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومئات الثالثة الأخرى وأساف ونائلة، لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت هذا الملاء من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فيقتلوك، فما منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك! قال يا بنية أدلي وضوءاً، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا هذا هو، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقيم إليه رجل منهم، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فقال: شأنت الوجوه، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً).

فمن أين جاءت هذه المعلومة السرية الخطيرة؟ لا بد أنها كانت ملهمة!

٧. هاجرت الى أبيها ونزلت معه في بيت أبي أيوب

في أمالي الطوسي/٤٧١: «ثم سار عليٌّ ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوّم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ فظل ليلته تلك هو والفواطم أمه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الزبير، طوراً يصلون، وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى ﷺ بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل، لا يفتر عن

ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهم ممن صحبه، حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بها كان من شأنهم قبل قدومهم، بقوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. الذَّكَرُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأُنْثَى الْفَوَاطِمُ الْمُتَقَدِّمُ ذَكَرَهُنَّ، وَهْنُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الزَّيْبِرِ. بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ يَقُولُ عَلِيٌّ مِنْ فَاطِمَةَ أَوْ قَالَ: الْفَوَاطِمُ، وَهْنُ مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَتَلَا ﷺ: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، وَقَالَ: يَا عَلِي، أَنْتَ أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَوَّلُهُمْ هَجْرَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَآخِرُهُمْ عَهْدًا بِرَسُولِهِ، لَا يَحِبُّكَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلَّا مَوْءِنٌ قَدْ ائْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيْمَانِ، وَلَا يَبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ كَافِرٌ».

٨. بنى لها غرفة في بيته وأكلها إلى أم سلمة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «تزوج رسول الله ﷺ سودة أول دخوله المدينة فنقل فاطمة عليها السلام إليها، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله ﷺ وفوض أمر ابنته إليّ، فكننت أدها وأودبها وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها». (دلائل الإمامة / ٨١).

٩. خاطت لعللي قميصاً للحرب

في مناقب آل أبي طالب (٤١/٢): (وكان لعللي قميص من غزل فاطمة عليها السلام يتقي به نفسه في الحروب).

١٠. لما أصيب النبي ﷺ انقضت إلى أحد كالصقرا!

فعندما هرب المسلمون من المعركة وتركوا نبيهم ﷺ لسيوف قريش وهجمات المستميتة لقتله، ولم يبق معه إلا علي بن أبي طالب. انقضت فاطمة الزهراء عليها السلام كالصقرا المجروح إلى ساحة المعركة في أحد لتكون إلى جنبه تضمد جراحه! فكان الصحابة معنيين في هروبهم من المعركة وفاطمة وعلي وحدهما إلى جنب النبي ﷺ!

ففي البخاري (٢٢٩/٣) والبيهقي (٤٠٢/٢)، عن سهل قال: (هشمت البيضة على رأس رسول الله ﷺ، وكسرت ربايعته وجرح وجهه قال أبو حازم: وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل عنه الدم، وعلي يأتيها بالماء في مجنة، فلما أصاب الجرح الماء كثر دمه فلم يرقأ الدم حتى أخذت قطعة حصير وأحرقتة حتى صار رماداً ثم جعلته على الجرح فرقأ الدم).

١١. خَيْرَهَا اللَّهُ فِي أَنْ يعطيها الحسنين عليهما السلام!

قال الصادق عليه السلام (كامل الزيارات/١٢٣، والكافي: ٤٦٤/١): (إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام، ويبشرك بمولود يولد من فاطمة عليها السلام تقتله أمتك من بعدك؟ (أي فما رأيك؟) فقال: يا جبرئيل ربي السلام ومنه السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي. قال: فعرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء ثم هبط فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي).

فعرج جبرئيل إلى السماء ثم هبط فقال له: يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام ويبشرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية. فقال: قد رضيت.

ثم أرسل إلى فاطمة عليها السلام إن الله يبشرك بمولود يولد منك تقتله أمتي من بعدي، فأرسلت إليه أن لا حاجة لي في مولود يولد مني تقتله أمتك من بعدك، فأرسل إليها إن الله جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه: (أني قد رضيت).

١٢. نزل عليها اللوح فيها أسماء الأئمة عليهم السلام

وقد رواه الكليني أعلى الله مقامه في الكافي (٥٢٨/١) والصدوق أعلى الله مقامه في كمال الدين، وكبار المحدثين والفقهاء، وهو أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ بلوح زبرجد تحفة فاطمة عليها السلام تهنئة لها بولادة الإمام الحسين عليه السلام، مكتوب فيه أسماء الأئمة من أولادهاء عليهم السلام.

فروى الصدوق في كمال الدين (٣١١): (عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على مولاتي فاطمة عليها السلام وقدامها لوح يكاد ضوءه يغشي الأبصار فيه اثنا عشر اسماً ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه، وثلاثة أسماء في آخره، وثلاثة أسماء في طرفه، فعددتها فإذا هي اثنا عشر اسماً فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء الأوصياء أولهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي، آخرهم القائم. قال جابر، فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً في ثلاثة مواضع، وعلياً وعلياً وعلياً في أربعة مواضع).

وروى شاذان بن جبرئيل في الروضة (٦٢)، والجواهر السنية (٢٠٥)، وغيرها: (قال أبو جعفر الباقر عليه السلام لجابر: لي إليك حاجة متى يخف عليك أن أخلو بك، فأسألك عنها؟ قال جابر: أي الأوقات أحببت يا مولاي، فخلا به أبو جعفر عليه السلام. وقال له: يا جابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام، وما أخبرتك به في اللوح مكتوباً. فقال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله ﷺ أهنؤها بولادة الحسين فرأيت في يدها لوحاً أخضر، ظننت أنه زمردة مكتوب بالنور الأبيض. فقلت: بأبي أنت وأمي يا بنت رسول الله، ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا أهده الله إليّ رسول الله ﷺ فيه إسم أبي، واسم بعلي، وأسماء ولدي، وذكر الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي يبشرني به قال: فقلت لها: أريني يا بنت رسول الله، قال فأعطتني، فقرأته ونسخته.

فقال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر، هل لك أن تعرضه علي؟ فقال نعم يا بن رسول الله فأنت أولى به مني. قال أبو جعفر: فمشينا إلى منزل جابر فمضى جابر إلى منزله وأتى بصحيفة من كاغذ فقال له: أنظر في صحيفتك حتى أقرأها عليك، فكان في الصحيفة مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله العزيز الحكيم إلى محمد نبيه وسفيره، نزل

به الروح الأمين من عند رب العالمين. عَظَّمَ يا محمد أمري واشكر نعمائي، إنني أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي عذبتة عذاباً أليماً، فإياي فاعبد وعلّي فتوكل، إني لم أبعث نبياً قط فأكملت أيامه إلا جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء وجعلت لك علياً وصياً، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن وحيي بعد أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وأعطيته مواريث الأنبياء فهو سيد الشهداء، وجعلت كلمتي الباقية في عقبه أخرج منه تسعة أبرار هداة أطهار، منهم سيد العابدين وزين أوليائي، ثم ابنه محمد شبيه جده المحمود الباقر لعلمي، هلك المرتابون في جعفر الراد عليه كالراد علي، حق القول مني أن أهيح بعده فتنة عمياء، من جحد ولياً من أوليائي فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي، ويل للجاحدين فضل موسى عبدي وحيبي، وعليّ ابنه وليي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة، يقتله عفريت مريد، حق القول مني لأقرن عينه بمحمد ابنه موضع سري ومعدن علمي، وأختم بالسعادة لابنه علي الشاهد على خلقي، أخرج منه خازن علمي الحسن الداعي إلى سبيلي، وأكمل ذلك بابنه زكي العالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب، يُذَلُّ أوليائي في غيبته، وتتهادى رؤوسهم إلى الترك والديلم، وتصبغ الأرض بدمائهم ويكونون خائفين، أولئك أوليائي حقاً بهم أكشف الزلازل والبلاء. **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).**

١٣. فاطمة عليها السلام ربّت المجتمع النسائي المسلم

في تفسير الإمام العسكري عليه السلام ٣٤١: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها فاطمة عن ذلك، ثم ثنت فأجابت، ثم ثلث فأجابت إلى أن عشت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام: هاتي وسلي عما بدا لك، رأييت من أكثرَي يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار أيثقل عليه؟ فقالت: لا. فقلت: اكرتيت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل علي. سمعت أبي رسول الله ﷺ يقول: إن علماء شيعةنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، وجدهم في إرشاد عباد الله.. الحديث.

وقال عليه السلام: فضل كافل يتيم آل محمد، المنقطع عن مواليه الناشب في تيه الجهل يخرج منه من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه على كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السهي .

١٤. كات تخدم أباهما عليهما السلام وترعاه فسماهما: أم أبيها

قال في مناقب آل أبي طالب (٣/١٣٣ و٣٥٧): (وكنها: أم الحسن، وأم الحسين، وأم المحسن، وأم الأئمة، وأم أبيها). ورواه الطبراني في الكبير (٣٩٧/٢٢) والإستيعاب (١٨٩٩/٤) ومناقب ابن المغازلي (٢٦٨).

١٥. بكت الزهراء عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه

بكت لفراقه وقالت له: أخشى على نفسي وولدي الضيعة من بعدك! فهي ترى أن قريشاً ناشطة في عملها ضد عترة النبي وبني هاشم، وأن موجة قرشية قادمة هي أشد وأعتى من موجتهم في حصار الشعب، ولا من والد يرد عنها، ولا بنو هاشم! قالت قريش لانجمع لبني هاشم بين النبوة والخلافة، واثمرت لمنعهم من الخلافة! وكأنهم بدل الله عز وجل يعطون النبوة والخلافة!

كانت فاطمة عليها السلام تعد نفسها لضطهاد قريش، لكنها تبث شجونها وتسكب عبرتها أمام أبيها الحنون، فدخلت عليه وهي تتأجج حزناً وألماً، وشكت له بأن الأفاعي فاغرة أفواهاها تنتظر أن يغمض عينيه، فتهاجمها وأسرتها!

روى في كمال الدين/٢٦٢: (عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي يقول: كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضته التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك، فاغورقت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض أطلاعةً فاخترني من خلقه فجعلني نبياً، ثم أطلع إلى الأرض اطلاعة ثانية فاختر منها زوجك وأوحى إلي أن أزوجك إياه وأتخذة ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك

خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي.

ثم أطلع إلى الأرض اطلاعةً ثالثةً فاخترتك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم. أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي أقدمهم سلماً، وأعظمهم حليماً، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بها قال لها رسول الله ﷺ، ثم قال: يا بنية إن لبعلك مناقب: إيمانه بالله ورسوله قبل كل أحد، فلم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتي، وعلمه بكتاب الله عز وجل وسنتي، وليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي غير علي، وإن الله عز وجل علمني علماً لا يعلمه غيري وعلم ملائكته ورسله علماً، فكلما علمه ملائكته ورسله فأنا أعلمه، وأمرني الله أن أعلمه إياه ففعلت، فليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي وفهمي وحكمتي غيره. وإنك بابنيه زوجته، وابناه سبطاي حسن وحسين وهما سبطا أمتي، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فإن الله جل وعز آتاه الحكمة وفصل الخطاب وبابه.

إننا أهل بيت أعطانا الله عز وجل ست خصال لم يعطها أحداً من الأولين كان قبلكم، ولم يعطها أحداً من الآخرين غيرنا، نبينا سيد الأنبياء والمرسلين، وهو أبوك، ووصينا سيد الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبيك. وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة مع الملائكة، وابناك حسن وحسين سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة، ومنا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. قالت وأي هؤلاء الذين سميتهم أفضل؟ قال: علي بعدي أفضل أمتي، وحمزة وجعفر أفضل أهل بيتي بعد علي، وبعذك وبعديني وسبطي حسن وحسين، وبعدا الأوصياء من ولد ابني هذا وأشار إلى الحسين، منهم المهدي.

ثم نظر رسول الله ﷺ إليها وإلى بعلها وإلى ابنيها فقال: يا سلمان أشهد الله أني سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم، أما إنهم معي في الجنة.

ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: يا أخي أنت ستبقى بعدي وستلقى من قريش شدة من تظاهروا بهم

عليك وظلمهم لك، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكف يدك ولا تلق بها إلى التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك، فإنك بمنزلة هارون ومن تبعه، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه.

يا علي إن الله تبارك وتعالى قد قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من هذه الأمة ولا ينازع في شئ من أمره، ولا يحدد المفضول لذي الفضل فضله. ولو شاء لعجل النعمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. فقال علي: الحمد لله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه).

في أمالي الطوسي/١٨٨: (عن ابن العباس قال: لما حضرت رسول الله الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي وما يصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي).

١٦. نعي فاطمة لأبيها ﷺ

قال المحقق الحلي في المعتمد (٣٤٤/١): (يجوز النياحة على الميت بتعداد فضائله من غير تخط إلى كذب ولا تظلم ولا تسخط. وذهب كثير من أصحاب الحديث من الجمهور إلى تحريمه واحتجوا بما روت أم عطية قالت: أخذ علينا النبي عند البيعة ألا ننوح، ولأنه يشبه التظلم والاستعانة والتسخط بقضاء الله. وروي أن فاطمة ؓ كانت تنوح على النبي ﷺ وأخذت قبضة من تراب قبر النبي ﷺ وضعتها على عينيها وقالت:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صبت علي مصائب لو انها صبت على الأيام عُدن لياليا).

(مسند أحمد: ٤٨٩/٢).

وروى البخاري (١٤٤/٥): (عن أنس قال لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة ؓ: واكرب أباه! فقال لها: ليس على أبليك كرب بعد اليوم! فلما مات قالت: يا أبتاه.. أجاب رباً

دعاه. يا أبتاه.. من جنة الفردوس مأواه.. يا أبتاه.. إلى جبريل نعهاه.. فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام:
يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب!.

وقد روت المصادر هذا الحديث وأحاديث أخرى تهز قلب كل مسلم، عن بكاء الصديقة الزهراء عليها السلام، ونعيها البليغ الحنون لأبيها عليه السلام لكنها لم ترو المصادر السننية إلا قليلاً عن مهاجمة السلطة القرشية لدار فاطمة، وجمعهم الخطب وإضرارهم النار في بابها. ولا عن الأحكام العسكرية التي أعلنتها حكومة بطون قريش ومنعت بموجبها فاطمة عليها السلام أن تقيم مجلس النوح والعزاء عند قبر أبيها عليه السلام، بل منعت أي تجمع عند القبر والإقتراب منه، بحجة تحريم البكاء على الميت! وكذباً على النبي عليه السلام أنه نهى أن يتخذ قبره عيداً، أي مجتمعاً للزائرين! فقد خافوا من تأثير مجالس الزهراء عليها السلام على الرأي العام، وخافوا أن يعلن بنو هاشم استجارهم بالقبر وقيموا عنده حتى يلبي طلبهم كما هي عادة العرب في الإستجارة بقبور عظمائهم حتى يلبي طلبهم!

١٧. جولتها على الأنصار مع علي عليه السلام

كان إعلان غدير خم عملاً ربانياً، بمنطق التبليغ والأعمال الرسولية، وكانت الأعمال المقابلة له أعمالاً قويةً بمنطق السياسة وفرض الأمر الواقع!
وقد نفذت قريش خطتها يوم وفاة النبي عليه السلام وشفقت على يد أبي بكر، وجاؤوا في اليوم التالي إلى أهل البيت عليهم السلام يطلبون منهم البيعة وإلا أحرقوا عليهم دارهم! فرفض علي عليه السلام وأجابهم جواباً شديداً اتهمهم فيه بخيانة الرسول عليه السلام! وفي اليوم التالي هاجموا بيت علي وفاطمة عليهما السلام وجمعوا الخطب على باب الدار وأضرموها فيه النار مهددين بإحراق البيت عليهم إن لم يبايعوا.

في تلك الأيام قرر علي وفاطمة عليهما السلام أن يستنهضا الأنصار ويطالباهم بالوفاء ببيعتهم التي شرط النبي عليه السلام عليهم فيها أن يحموه وأهل بيته وذريته مما يمحون منه أنفسهم وذرايرهم، فبايعوه على ذلك! وكانت فاطمة عليها السلام مريضة من إسقاط حملها في الهجوم على بيتها فحملها علي عليه السلام على دابة، ومعها الحسن والحسين، في أعظم جأفة عرفها التاريخ، وداروا على بيوت

رؤساء الأنصار في ليلتين، وكلما هم فكان قول أكثرهم: يا بنت رسول الله لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعلي أحداً! فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذراً! (الخصال: ١/١٧٣).

فمنطق الزهراء عليها السلام منطق أبيها ﷺ، وقد أقام أبوها الحجة كاملة غير منقوصة في جميع الأمور، ومنها حق عترته الطاهرين عليه السلام.

١٨. خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي

روى في الكافي (٥٤٣/١)، عن الكاظم عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه ﷺ فذكر وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه وآت ذا القربى حقه، فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل ربه فأوحى الله إليه أن ادفع فذك إلى فاطمة، فدعاها رسول الله فقال لها: يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فذك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله ﷺ فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأتته فسألته أن يردها عليها فقال لها: إئتني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمر المؤمنين وأم أيمن فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرض فخرجت والكتاب معها فلقبها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرنيه فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب؟ فضعي الحبال في رقابنا!» أقول: من الواضح أن كلامه سخرية بالآية: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ.

وروى الذهبي في تاريخه (٢٤/٣)، عن ابن عباس قال: «كان عمر عرض علينا أن يعطينا من الفئ ما يرى أنه لنا من الحق! فرغبنا عن ذلك وقلنا: لنا ما سمي الله من حق ذي القربى وهو خمس الخمس، فقال عمر: ليس لكم ما تدعون أنه لكم حق، إنما جعل الله الخمس لأصناف سماهم، فأسعدهم فيه حظاً أشدهم فاقة وأكثرهم عيلاً، قال: فكان عمر يعطي من قبل منا من الخمس والفئ نحو ما يرى أنه لنا، فأخذ ذلك منا ناس وتركه ناس».

فلما قرر أبو بكر وعمر حرمان أهل البيت من ميراث النبي ﷺ، وصادر المنح التي منحها لهم حال حياته وحقهم في ممتلكات النبي ﷺ، وحرهم الخمس الوارد في آية محكمة:

(لا تلت الزهراء خمارها على رأسها، واشتملت بجلباها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيوها ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم قالت: وذكر خطبتها في المسجد النبوي! وهي طويلة وقد أجابها أبو بكر وأجابته، وجاء فيها: « يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن تراث أباك ولا أرث أبي! أفعل عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول الله تبارك وتعالى: وورث سليمان داود، وقال الله عز وجل في ما قص من خبر يحيى بن زكريا: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ. وقال عز وجل: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وقال: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ. وقال: إِنْ تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ لِلْأَوَّلَادَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ. وزعمتم أن لا حظوة ولا إرث لي من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها نبيه، أم لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي ﷺ أفحكم الجاهلية تبغون!

ثم قالت لأبي بكر: فدونها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد، وعند الساعة يخسر المبطلون «.

قال في شرح النهج (٢٥٢/١٦): (فما رأينا يوماً أكثر باكية أو باكية من ذلك اليوم).

ولهذه الخطبة مصادر عديدة نكتفي بها ذكرنا منها.

قال الجوهري في السقيفة/١٠٤: (فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر وقال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة، أين كانت هذه الأمان في عهد رسول الله، ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيد ذنبه مُربُّ لكل فتنة، هو الذي يقول كُرُّوها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفه ويستنصرون بالنساء، كأمر طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبُحْتُ، إني ساكت ما تُركت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأويتم ونصرتم ألا إني لست بأسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل!).

١٩. زيارة أبي بكر وعمر لفاطمة

كان علي رضي الله عنه يصلي في المسجد الصلوات الخمس فكلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ إلى أن ثقلت، فسألا عنها وقالوا: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت، فإن رأيت أن تأذن لنا فنعتذر إليها من ذنبنا؟ قال رضي الله عنه: ذاك إليكما. فقاما فجلسا بالباب، ودخل علي رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها فقال لها: أيتها الحرة، فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلما عليك، فما ترين؟ قالت: البيت بيتك والحرة زوجتك، فافعل ما تشاء. فقال: شدي قناعك، فشدت قناعها وحولت وجهها إلى الحائط. فدخلوا وسلموا وقالوا: ارضي عنا رضي الله عنك. فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنا وتخرجي سخيمنتك. فقالت: فإن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه فإني لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما. قالوا: سلي عما بدا لك. قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله ﷺ يقول: فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني؟ قالوا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم إني قد آذيتني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك. لا والله لا أَرْضِي عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما.

قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعا شديداً. فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟! (كتاب سليم/٣٩١، وفي رواية علل الشرائع/١/١٨٧) وقال: ليت أُمِّي لم تلدني! فقال عمر أنت شيخ قد خرفت تجزع لغضب امرأة!

٢٠. الهجوم على بيتها وإسقاط جنينها ومرضها

روى المفيد في أماليه/٤٩: «عن مروان بن عثمان قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل علي رضي الله عنه والمقداد بيت فاطمة رضي الله عنها وأبوا أن يخرجوا، فقال عمر بن الخطاب: أضرموا عليهم البيت نارا! فخرج الزبير ومعه سيفه فقال أبو بكر: عليكم بالكلب فقصدوا نحوه، فزلت قدمه وسقط إلى الأرض ووقع السيف من يده، فقال أبو بكر: إضربوا به الحجر فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر. وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس فقال: ما شأنك يا أبا الحسن؟ فقال: أرادوا أن يحرقوا علي بيتي، وأبو بكر على المنبر يبايع له ولا يدفع

عن ذلك ولا ينكره! فقال له ثابت: ولا تفارق كفي يدك حتى أقتل دونك، فانطلقا جميعاً حتى عادا إلى المدينة، وإذا فاطمة عليها السلام واقفة على بابها وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول: لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم! تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا! وصنعتم بنا ما صنعتم، ولم تروا لنا حقاً».

٢١. أوصت بأن لا يصلوا على جنازتها ولا قبرها!

قال السيد المرتضى (الشافعي: ١١٤/٤): (وردت الروايات المستفيضة الظاهرة: أنها أوصت بأن تدفن ليلاً حتى لا يصلي الرجلان عليها وصرحت بذلك وعهدت فيه عهداً، بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها، فلما خرجا قالت لأمر المؤمنين عليهم السلام: هل صنعت ما أردت؟ قال: نعم (تقصدت بهما) قالت: فهل أنت صانع ما أمرك به؟ قال: نعم. قالت: فإني أنشدك الله ألا يصليا على جنازتي ولا يقوما على قبري! وروي أنه عليه السلام عمى على قبرها ورش أربعين قبراً في البقيع، ولم يرش قبرها حتى لا يهتدى إليه.

قال الواقدي: أوصت علياً أن لا يصلي عليها أبوبكر وعمر). (المناقب: ٣/٣٦٣).

وفي رواياتنا: أنها استحلقت أمير المؤمنين عليه السلام بحق الله وحرمة رسوله ﷺ وبحقها أن لا يشهدا جنازتها. وعن عائشة وغيرها: فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر وصلى عليها علي عليه السلام.

وفي البحار عن الصادق عليه السلام: أوصت فاطمة أن لا يصلي عليها أبوبكر وعمر فلما توفيت أتاه العباس فقال: ما تريد أن تصنع؟ قال: أخرجها ليلاً.

هذه الرواية أو ما بمضمونها وردت في عدة كتب من الفريقين وفي بعضها إيصاؤها أمير المؤمنين عليه السلام بأن لا يؤذن بموتها أبابكر وعمر... إنها سألاً أمير المؤمنين عليه السلام أن يخبرهما حتى يحضر الصلاة عليها ثم بعد دفنها عاتبا أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك حتى أرادوا نبش قبرها! ولكن منعهم أمير المؤمنين عليه السلام منعاً شديداً). (العلل/ ١٨٩، والإختصاص/ ١٨٥ وكتاب سليم: ٢٥٥).

٢٢. الأحكام العرفية في مسجد النبي ﷺ عند قبره!

قال السرخسي في المبسوط (٢٠٦/١): (رأى عمر رجلاً يصلي بالليل إلى قبر فناده: القبر القبر، فظن الرجل أنه يقول القمر، فجعل ينظر إلى السماء، فما زال به حتى بينه).

وقد غفل واضعوا حديث لا تتخذوا قبوري أن اليهود لم يتخذوا قبور أنبيائهم مساجد! كما غفلوا عن الآية التي ترد زعمهم! لأن همهم منع مجالس فاطمة ؓ! فإلى يومنا هذا لم يستطع أحد منهم أن يثبت أن اليهود والنصارى اتخذوا قبراً للنبي من أنبيائهم مسجداً! ولم يقرؤا أن الله مدح المؤمنين بأنهم اتخذوا مسجداً على قبور أهل الكهف فقال تعالى: وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ مَسْجِدًا).

٢٣. إخراجهم لمنع مجلس فاطمة ؓ

رغم كل هذه الإجراءات، بقي مجلس فاطمة ؓ مصدر قلق للحكومة الجديدة، فأعلنوا حديث النهي عن أصل البكاء على الميت، لأن الله يعذبه ببكاء أهله عليه! قال البخاري (٨٥/٢): (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وكان عمر يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحشي بالتراب)! لكن فاطمة ؓ لم تخضع لحديث عمر وتشده! فنقلت مجلسها إلى البقيع وكان فيه أراكة كبيرة وكان صدر المجلس تحتها، فقطعوها!





الفصل التاسع عشر

لماذا أجاز الله للنبي ﷺ أن يتزوج ما شاء؟

أحل الله للنبي ﷺ أن يتزوج ما شاء

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَمْحَلْنَاكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْنَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.

تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا.

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا.

في هداية الأمة للحر العاملي (١٣٦/٧): (سئل الصادق عليه السلام عن المرأة تهب نفسها للرجل ينكحها بغير مهر فقال: إنما كان هذا للنبي ﷺ فأما لغيره فلا يصلح هذا حتى يعوضها شيئاً يُقدم إليها قبل أن يدخل بها قل أو أكثر، ولو ثوب أو درهم).

وفي جواهر الكلام (١١٩ / ٢٩): (في الكافي مسنداً عن أبي بصير وغيره في تسمية نساء النبي ﷺ ونسبهن وصفتهن: عائشة، وحفصة، وأم حبيب بنت أبي سفيان بن حرب، وزينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث، وصفية بنت حي بن أخطب، وأم سلمة بنت أبي أمية، وجويرية بنت الحارث. وكانت عائشة من تيم، وحفصة من عدي،

وأُم سلمة من بني مخزوم، وسودة من بني أسد بن عبد العزى، وزينب بنت جحش من بني أسد، وعددها في بني أمية، وأم حبيب بنت أبي سفيان من بني أمية، وميمونة بنت الحارث من بني هلال، وصفية بنت حي بن أخطب من بني إسرائيل. ومات ﷺ عن تسع نسوة، وكان له سواهن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وخديجة بنت خويلد أم ولده، وزينب بنت أبي الجون التي خُدعت، والكندية. وفي المسالك: جميع من تزوج ﷺ بهن خمس عشرة: وجمع بين إحدى عشرة، ودخل بثلاث عشرة، وفارق امرأتين في حياته إحداهما الكلبية التي رأى بكشها بياضاً فقال: إلحقي بأهلك، والأخرى التي تعوذت منه بخديجة عائشة وحفصة، حسداً لها.

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام: سألته عن قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَلَلْنَاكَ أَزْوَاجَكَ، قلت: كم أحل له من النساء؟ قال: ما شاء من شيء. قلت: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ؟ فقال: لرسول الله ﷺ أن ينكح ما شاء من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وأزواجه التي هاجرن معه، وأحل له أن ينكح من غيرهن المؤمنة بغير مهر وهي الهبة ولا تحل الهبة إلا لرسول الله ﷺ، فأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح إلا بمهر، وذلك معنى قوله تعالى: وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. قلت: أرايت قوله تعالى: تُزْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ؟ فقال: من أوى فقد نكح، ومن أرجى فلم ينكح.

قلت: قوله تعالى: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ؟ قال: إنما عنى به النساء اللاتي حرم عليه في هذه الآية حرمت عليكم أمهاتكم إلى آخرها، ولو كان الأمر كما يقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له، إن أحدكم يستبدل كلما أَرَادَهُ، ولكن ليس الأمر كما يقولون: إن الله عز وجل أحل لنبيه ما أَرَادَ من النساء، إلا ما حرم عليه في هذه الآية التي في سورة النساء).

لم يتزوج على خديجة عليها السلام وزواجه بعدها

وهذا يدلنا على أنه ﷺ لم يعدد زواجه إلا بعد أن أسس دولة وأقام تحالفات وخاض حروباً. فكان يحتاج إلى علاقات متنوعة ومصاهرة القبائل والأشخاص. وعقيدتنا في النبي ﷺ أنه لا يعمل إلا أن يؤمر، فكل عمله وزواجه بأمر ربه لخدمة رسالته، وليس لنفسه وهواه كما يتصور البعض.

قد يأمر الله نبيه أن يتزوج بامرأة كافرة!

فهو العليم بالأسرار، والحكيم في الأفعال، فقد أمر نوحاً ﷺ فتزوج بكافرة وولدت ابناً كافراً مثلها. وأمر لوطاً ﷺ فتزوج بكافرة، أما بنات لوط المؤمنات فيظهر أنهن من أم ثانية.

قال الله تعالى: **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ اللَّالِحِينَ.**

لذلك لا يمكن أن نستدل على إيمان زوجة النبي ﷺ بأنها زوجته، بل لا بد من نص نبوي يدل على أنها مؤمنة أو منافقة.

تحريم الزواج بأزواج النبي ﷺ بعده

قال الله تعالى: **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا.** ومعنى الحصانة الشرعية هن أنه على الأمة احترامهن إلا أن يخرجن عن خط الإسلام، كما فعلت عائشة.

روى في إرشاد القلوب/ ٣٣٧، عن حذيفة بن اليمان قال: «أمر النبي ﷺ خادمةً لأم سلمة فقال: إجمعي لي هؤلاء يعني نساءه، فجمعتهن له في منزل أم سلمة، فقال هن: إسمعن ما أقول لكن وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب فقال هن: هذا أخي ووصيي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي، فأطعنه فيما يأمركن به ولا تعصينه فتهلكن لمعصيته.

ثم قال: يا علي أوصيك بهن فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك، وأنفق عليهن من مالك وأمرهن بأمرك وانهن عما يريبك، وخل سبيلهن إن عصينك.

فقال علي: يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي. فقال ﷺ: إرفق بهن ما كان الرفق أمثل، فمن عصاك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها. قال: كل نساء النبي ﷺ قد صمتن فما يقلن شيئاً، فتكلمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بشيء فنخالفه إلى ما سواه! فقال لها: بلى قد خالفت أمري أشد خلاف! وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي خلفتك فيه، متبرجة قد حف بك فئات من الناس فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك، ولتنبحنك في طريقك كلاب الحوآب، ألا أن ذلك

كائن! ثم قال: قمن فانصرفن إلى منازلكن). ومعنى فطلقها: أي فارفع عنها الحصانة، وانزع عنها صفة أم المؤمنين. ولم يطلق علي ؓ عائشة رغم أنها خرجت عليه وحاربتة، نعم هدها بطلاقها من رسول الله ﷺ لما أرادت أن تبقى في البصرة، وتجمع حربه مرة ثانية فقبلت السفر! وقد ورد عندنا أن الحسين ؓ طلقها لما فعلت بجنازة الإمام الحسن ؓ ما فعلت.

المكائد والعراك بين أزواج النبي ﷺ!

تقول عائشة كنا حزبين!

عن عائشة (البخاري: ١٣٢٢/٣): إن نساء رسول الله كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء النبي ﷺ.

يا رسول الله أدرك نساءك يقتتلن!

في دلائل الإعجاز للجرجاني وأحاديث عائشة للعسكري (٦٣/١): «سمعت أم المؤمنين عائشة سودة تنشد: عديّ وتيمّ تبتغي من تحالف! فقالت عائشة لحفصة: ما تعرض إلّا بي وبك! يا حفصة فإذا رأيته أخذت برأسها فأعينني فقامت فأخذت برأسها، وجاءت حفصة فأعانته، وجاءت أم سلمة فأعانت سودة، فأتي النبي ﷺ فأخبر وقيل له: أدرك نساءك يقتتلن. فقال: ويحك مالكن؟ فقالت عائشة: يا رسول الله ألا تسمعها تقول: عدي وتيم تبتغي من تحالف. فقال: ويحك ليس عديكن ولا تيمكن، إنما هو عدي تيم وتيم تيم!»
يعني أن الشاعر يقصد فرعين من بني تيم، لتسكينهن.

تكسيرهن الأواني أمام النبي ﷺ!

روى النسائي في المجتبى (٤١٧/١)، أن أم سلمة أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله، فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر (حجر) ففلقت به الصحفة، فأرسل النبي صحفة عائشة إلى أم سلمة!
في مسند أحمد (٦: ١١١): قالت عائشة: صنعت له طعاماً وصنعت له حفصة طعاماً فقلت

لجاريته إذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطمحي الطعام. قالت فجاءت بالطعام فألقته الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وانتشر الطعام. قالت فجمعه رسول الله وقال اقتصي ظرفاً مكان ظرفك).

وفي مسند أحمد (٢٧٧/٦) عن عائشة قالت: (بعثت صفية إلى رسول الله بطعام قد صنعت له وهو عندي، فلما رأيت الجارية أخذتني رعدة حتى استقلني إفكل (رعدة) فضربت القصعة فرميت بها! قالت فنظر إلى رسول الله فعرفت الغضب في وجهه فقلت أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم! قالت قال: أولى. قلت: وما كفارته يا رسول الله قال طعام قطعها وإناء كإنائها). في فتح الباري (٩٠/٥): (عن عائشة قالت كان رسول الله مع أصحابه فصنعت له طعاماً، وصنعت له حفصة طعاماً فسبقتني، فقلت للجارية إنطلقني فأكفني قصعتها فأكفأتها فانكسرت وانتشر الطعام فجمعه على النطع، فأكلوا، ثم بعث بقصعتي إلى حفصة فقال خذوا ظرفاً مكان ظرفكم).

تعالى يا حفصة نفسد لها زينتها!

(عن رزينة قالت: رأت سودة عائشة وعندها حفصة فجاءت وعليها درع وخمار صبرة، وقد نقطت نقطتين من زعفران واحداً من الجانب الآخر من الجانب، فقالت حفصة لعائشة: يا أم المؤمنين يدخل عليك رسول الله الآن وهذه متزينة ونحن قشفتان فأدركتهم الغيرة فقالت حفصة لعائشة: خرج الدجال وكانت امرأة طويلة فدخلت خباء كان لوقودهم قالت واستضحكنا فدخل رسول الله فإذا سودة تنتفض فقال: مالك؟ فقالت: يا رسول الله خرج الدجال؟ فقال: لا، وهو خارج؟ فأخذ بيدها وأخرجها وجعل ينفض بكم قميصه عن وجهها وعن خمارها أثر الدخان ونسج العنكبوت «). (الآحاد والمثاني للضحاك: ٢٠٨/٦).

كان عائشة وحفصة تؤذيان صفية بنت حي

في الترمذي (٣٨٥/٣): (أخرج الترمذي عن أنس وعن صفية قالت: بلغني عن حفصة وعائشة أنهم قالوا: نحن أكرم على رسول الله من صفية. نحن أزواجه وبنات عمه. فدخل علي رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: ألا قلت: فكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى).

وفي الطبقات (١٢٧/٧): (استببت عائشة وصفية، فقال رسول الله ﷺ لصفية: ألا قلت: أبي هارون وعمي موسى. وذلك أن عائشة فخرت عليها).

وفي فيض القدير (٥٢٥/٥): (أن عائشة قالت حسبك من صفية إنها كذا وكذا تعني قصيرة فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة ننتها وقبحها، كذا قرره النووي وقال: هذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئاً من الأحاديث بلغ في ذمها هذا المبلغ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى).

عائشة وحفصة تخدعان عروس النبي ﷺ

وكذبتا على أسماء بنت النعمان وخدعتاهما لما زُفت عروساً للنبي ﷺ: فقالت لها: إن النبي ﷺ ليعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له أعوذ بالله منك وغرضها أن يطلقها النبي ﷺ وكانت أجمل أهل زمانها.

(قالت عائشة: فلما جعل رسول الله ﷺ يتزوج العزائب قلت: قد وضع يده في العزائب، وهن يوشكن أن يصرفن وجهه عنا، وكان قد خطبها حين وفدت كندة عليه إلى أبيها، فلما رآها نساء النبي ﷺ حسدنها، فقالت لها عائشة: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه إذا دخل عليك، فلما دخل وألقى السرمد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك فقال: أومن عائذ الله، إلحقي بأهلك. فطلقها الرسول بسبب هذه المقالة). (الطبقات: ٨ / ١٤٥. والإصابة: ٤ / ٢٣٣).

وفي الكافي (٤٢١/٥): (عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة من بني عامر بن صعصعة يقال لها سنى، وكانت من أجمل أهل زمانها، فلما نظرت إليها عائشة وحفصة قالتا: لتغلبنا هذه على رسول الله ﷺ بجماها فقالتا لها: لا يرى منك رسول الله ﷺ حرصاً فلما دخلت على رسول الله ﷺ تناوها بيده فقالت: أعوذ بالله فانقبضت يدر رسول الله ﷺ عنها فطلقها وألحقها بأهلها).

وروى في الطبقات (٣٧/٤) عن أبي أسيد الساعدي، وكان بدرياً قال: (تزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة أو عائشة لحفصة: إخضبيها أنت، وأنا أمشطها ففعلن، ثم قالت إحداهما: إن النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك! فلما دخلت وأرختي السرمد يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك! قتل بكمه على وجهه واستر به وقال: عدت معاذاً ثلاث مرات!

قال أبو أسيد: ثم خرج علي فقال: يا أبا أسيد! ألحقها بأهلها ومتعها برازقتين يعني كرباستين فكانت تقول: أدعوني الشقية).

أذین ماریة وتفرغن لها واتهمنها!

في الإصابة (٣١١/٨): (من طريق عمرة عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة فأعجب بها رسول الله وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا فكان عامة الليل والنهار عندها حتى فزعنا لها فجزعت فحولها إلى العالية، وكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشد علينا. وقال البلاذري كانت أم مارية رومية، وكانت مارية بيضاء جعدة جميلة).

وفي البلاذري (٤٥٠/١): (قالوا: وأتي رسول الله يوماً بإبراهيم وهو عند عائشة فقال: أنظري إلى شبهه فقالت: ما أرى شبيهاً! فقال: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟ فقالت: من قصرت عليه اللقاح وسقي ألبان الضأن سمن وابيض، وكانت عائشة تقول: ما غرت على امرأة غيرتي على مارية وذلك لأنها كانت جميلة جعدة الشعر، وكان رسول الله معجباً بها ورزق منها الولد وحرمانه).

وفي حلية الأولياء (١٧٧/٣): (عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: كثر القول على مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ في قبطي ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها. فقال رسول الله ﷺ لي: خذ هذا السيف فانطلق إليه فإن وجدته عندها فاقتله. فقلت: يا رسول الله أكون في أمرك إذ أرسلتني كالسكة المحماة لا يشينني شيء حتى أمضي لما أرسلتني به، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها، فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه عرف أنني أريده فأتى نخلة فرقى فيها ثم رمى بنفسه على قفاه وشعر برجليه، فإذا هو أجب أمسح ما له ما للرجال قليل ولا كثير! فأغمدت سيفي ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: الحمد لله الذي صرف عنا أهل البيت «).

أقول: في مارية نزلت آية البراءة، فجعلتها عائشة فيها لأنهم اتهموها في غزوة المريسيع قبل ثلاث سنوات! قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وعائشة ليست غافلة ولا ساذجة.

وكان عندهن تفنن في الخباثة والشماتة ببعضهن!

قتل معاوية أخاها محمد بن أبي بكر في مصر وأحرق جثته، فكانت عائشة تلعن معاوية وعمر والعاص كلما عثرت! وزاد من غيظها أن ضربتها أم حبيبة أخت معاوية أرسلت إليها كبشاً شوته حتى تفحم وقالت: (هكذا قد شويينا أخاك! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت!) (الغارات: ٢/ ٧٥٧، وحياة الحيوان: ٤٠٤/١) ثم استرضى معاوية عائشة بالمال، فسكت!

وكن يقتلن جواريهن باسم الحد الشرعي!

قال النووي في المجموع (٣٩/ ٢٠): «وأخرج مالك عن عائشة أنها قطعت يد عبد لها. وأخرج أيضاً أن حفصة قتلت جارية لها سحرها».

وفي تذكرة الحفاظ (٢٩/١): (أن عائشة قتلت جانا فأريت في النوم: والله لقد قتلتك مسلماً فقالت: لو كان مسلماً ما دخل على أزواج النبي؟ فقيل: وهل دخل إلا عليك ثيابك؟ فأصبحت فزعة فأمرت باثني عشر ألفاً فجعلتها في سبيل الله عز وجل).

فقد قتلت عائشة هذا الرجل، وقتلت امرأة زعمت أنها كتبت لها سحراً، أما حفصة فقتلت امرأتين زعمت أنها كتبتا لها سحراً! (المحلى: ٣٩٥/١١).

أقول: من تأمل شخصيات نساء النبي ﷺ والجواريجي المزعج الذي كان يعيشه في المدينة، يعرف أن زواجه لم تكن لأجل نفسه، بل طاعة لربه لأجل رسالته.





الفصل العشرون

علاقة النبي ﷺ باليهود

سكن اليهود الحجاز بعد المسيح ينتظرون النبي الموعود

شاء الله عز وجل أن يكون اليهود قرب النبي ﷺ وأن يقيم الحجة عليهم.
ففي الكافي (٣١٠/٨) عن إسحاق بن عمار قال: (سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْخِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ؟ قال: كانوا قوماً فيما بين محمد وعيسى صلى الله عليه وسلم، وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي ﷺ ويقولون: ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم وليفعلن بكم وليفعلن، فلما خرج رسول الله ﷺ كفروا به).
وقد سكن اليهود في وادي القرى قرب تيماء، وفي خيبر، وحول المدينة.
وأهمهم عشيرتان من أبناء هارون: بنو النضير، وبنو قريظة.

وقال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره (١٦٨/١): (وأما قوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْالُونَ لَللَّسُّحِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرِفُوا شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَقُولُونَ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. فإنه كان سبب نزولها أنه كان في المدينة بطنان من اليهود من بني هارون، وهم النضير وقريظة، وكانت قريظة سبع مائة

والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتل وكان القاتل من بني النضير قالوا لبني قريظة لا نرضى أن يكون قتل منا بقتيل منكم، فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتتلوا حتى رضيت قريظة وكتبوا بينهم كتاباً على أنه أي رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يجنيه ويحمم، والتجنية أن يقعد على جمل ويولى وجهه إلى ذنب الجمل ويلطخ بالحماة ويدفع نصف الدية، وأما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من بني النضير أن يدفع إليه دية كاملة ويقتل به.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ودخلت الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير فبعثوا إليهم بنو النضير إبعثوا إلينا فدية المقتول وبالقاتل حتى نقتله، فقالت قريظة ليس هذا حكم التوراة وإنما هو شئ غلبتمونا عليه، فإما الدية وإما القتل وإلا فهذا محمد بيننا وبينكم فهلوموا لتحاكم إليه، فمشت بنو النضير إلى عبد الله بن أبي وقالوا سل محمداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين بني قريظة في القتل، فقال عبد الله بن أبي إبعثوا معي رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون وإلا فلا ترضوا به، فبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن هؤلاء القوم قريظة والنضير قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً تراضوا به، والآن في قدومك يريدون نقضه، وقد رضوا بحكمك فيهم فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم فإن بني النضير لهم القوة والسلاح والكرام، ونحن نخاف الغوائل والدوائر، فاعتم لذلك رسول الله ﷺ فلم يجبه بشئ، فنزل عليه جبرئيل بهذه الآيات: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا، يعني اليهود. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُحْزُونِ الْكَلِمَةِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ. يعني عبد الله بن أبي وبني النضير: يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيَتْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا. يعني عبد الله بن أبي حيث قال لبني النضير: إن لم يحكم لكم بما تريدون فلا تقبلوا. وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ.. (الآية).

أما بنو قينقاع فكانوا صاغة ولهم سوق على بعد نحو عشرين كيلو متراً عن المدينة. وقد كتب النبي ﷺ عهداً مع اليهود للتعايش كل بطن على حدة، وأول من نقض العهد بنو

قينقاع فسار إليهم النبي ﷺ بعد عشرين يوماً من وقعة بدر فتحصنوا فحاصرهم خمسة عشر يوماً حتى نزلوا على حكمه فأوثقهم كتافاً، وهبهم لحليفهم المنافق عبدالله بن سلول، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة، فخرجوا إلى أذرعات الشام، وكانوا ست مئة مقاتل.

وأما بنو النضير، فتآمروا على قتل النبي ﷺ ونزلت فيهم سورة الحشر، فبعث إليهم أن أخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها، فأرسل إليهم عبدالله بن أبي أن لا يخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يموتون دونكم، وينصركم بنو قريظة وحلفاؤكم غطفان، فبعث رئيسهم حيي بن أخطب إلى النبي ﷺ إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك! فكبر رسول الله ﷺ وكبر أصحابه! وأمر علياً رضي الله عنه بالمسير إليهم فحاصرهم وقتل نخبة من فرسانهم، ولم ينصرهم عبدالله بن أبي ولا بنو قريظة ولا حلفاؤهم من غطفان!

وبعد حصارهم قالوا للنبي ﷺ: نخرج من بلادك فأعطنا أموالنا، فقال: لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل، فخرجوا إلى وادي القرى والشام.

وأما بنو قريظة، فبقوا على صلحهم مع النبي ﷺ حتى ذهب زعمائهم ومعهم من غيرهم إلى مكة وتحالفوا مع أبي سفيان لغزو المدينة في حرب الأحزاب، ثم جالوا على قبائل العرب يحثونهم على حرب النبي ﷺ ووعدوهم بتمر خيبر. وعندما حاصر الأحزاب المدينة نقض بنو قريظة عهدهم مع النبي وطلبوا من الأحزاب رهائن حتى لا يتركوهم وحدهم مقابل النبي ﷺ إن انسحبوا فلم يعطوهم. ولما انهزم الأحزاب سار إليهم النبي ﷺ فحاصرهم حتى نزلوا على حكم حليفهم سعد بن معاذ، فحكم بقتل من حرض منهم على حرب النبي ﷺ، وكانوا نحو ثلاث مئة فقتلهم النبي ﷺ.

وأما يهود خيبر فكانوا أكبر قوة لليهود، وشاركوا في مؤامرات اليهود على النبي ﷺ فقصدهم في السنة السابعة للهجرة، وأخضعهم وانتصر عليهم.

الحاخام يوسف عرف مولد النبي ﷺ

في كمال الدين ١٩٦: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما بلغ عبدالله بن عبدالمطلب زوجه عبدالمطلب آمنة بنت وهب الزهري، فلما تزوج بها حملت برسول الله ﷺ فروي عنها أنها قالت:

لما حملت به لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، فرأيت في نومي كان آت أتاني فقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلما حان وقت الولادة خف عليّ ذلك حتى وضعت، وهو يتقي الأرض بيده وركبته، وسمعت قائلاً يقول: وضعت خير البشر فعوذ به بالواحد الصمد من شر كل باغ وحاسد. فولد رسول الله ﷺ عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة مضت (بقيت) من ربيع الأول يوم الإثنين فقالت آمنة: لما سقط إلى الأرض اتقى الأرض بيديه وركبته ورفع رأسه إلى السماء، وخرج مني نور أضاء ما بين السماء والأرض ورميت الشياطين بالنجوم وحجبا عن السماء، ورأت قريش الشهب والنجوم تسير في السماء ففزعوا لذلك، وقالوا: هذا قيام الساعة، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة فأخبروه بذلك، وكان شيخاً كبيراً مجرباً، فقال: انظروا إلى هذه النجوم التي تهتدوا بها في البر والبحر، فإن كانت قد زالت فهو قيام الساعة وإن كانت هذه ثابتة فهو لأمر قد حدث.

وأبصرت الشياطين ذلك فاجتمعوا إلى إبليس فأخبروه أنهم قد منعوا من السماء ورموا بالشهب، فقال: اطلبوا فإن أمراً قد حدث، فجالوا في الدنيا ورجعوا وقالوا: لم نر شيئاً، فقال: أنا لهذا، فخرق ما بين المشرق والمغرب فلما انتهى إلى الحرم وجد الحرم محفوفاً بالملائكة، فلما أراد أن يدخل صاح به جبرئيل عليه السلام فقال: إخسأ يا ملعون، فجاء من قبل حراء فصار مثل الصرد قال: يا جبرئيل ما هذا؟ قال: هذا نبي قد ولد وهو خير الأنبياء، قال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته؟ قال: بلى، قال: قد رضيت.

قال: وكان بمكة يهودي يقال له: يوسف فلما رأى النجوم يقذف بها وتتحرك قال: هذا نبي قد ولد في هذه الليلة وهو الذي نجده في كتبنا أنه إذا ولد وهو آخر الأنبياء رجعت الشياطين وحجبا عن السماء، فلما أصبح جاء إلى نادي قريش فقال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا. قال: أخطأكم والتوراة ولد إذاً بفلسطين وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، فتفرق القوم فلما رجعوا إلى منازلهم أخبر كل رجل منهم أهله بما قال اليهودي فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن في هذه الليلة، فأخبروا بذلك يوسف اليهودي فقال لهم: قبل أن أسألكم أو بعده؟ قالوا: قبل ذلك، قال: فاعرضوه عليّ، فمشوا إلى باب آمنة فقالوا: أخرجي ابنك ينظر إليه هذا اليهودي، فأخرجته في قماطه فنظر في عينيه، وكشف عن كتفيه فرأى شامة

سوداء بين كتفيه وعليها شعرات، فلما نظر إليه وقع على الأرض مغشياً عليه فتعجبت منه قريش وضحكوا منه. فقال: أتضحكون يا معشر قريش، هذا نبي السيف ليبيرونكم! وقد ذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد، وتفرق الناس وهم يتحدثون بخبر اليهودي، ونشأ رسول الله ﷺ في اليوم كما ينشأ غيره في الجمعة، وينشأ في الجمعة كما ينشأ غيره في الشهر).

لا تشبهوا باليهود والنصارى والمجوس!

نهج البلاغة (٥/٤): (سئل عائشة عن قول الرسول ﷺ: غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود؟ فقال: إنها قال ﷺ ذلك والدين قُلْ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه، فامرؤ وما اختار).

وفي الكافي (٥٣١/٦): (قال الصادق ﷺ: أكنسوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود).

مسند أبي يعلى (١٢٢/٢): (أن النبي ﷺ قال: إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا بيوتكم، ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكناف في دورها).
الفايق للزمخشري (٣٤٠/٢): (إن الله تعالى نظيف يحب النظافة فنظفوا عذراتكم ولا تشبهوا باليهود، تجمع الأكباء في دورها).

أي تجمع اليهود الزبالة في منازلها ولا تخرجها. ومن المعروف عن اليهود قذارة بيوتهم حتى أن رائحتها ورائحة حيهم، تعرف من مسافة!

من لا يحضره الفقيه (١٣٠/١): (قال رسول الله ﷺ: حفوا الشوارب واعفوا اللحى، ولا تشبهوا باليهود).

معاني الأخبار ٢٩١: (قال رسول الله ﷺ: حفوا الشوارب وأعفوا اللحى ولا تشبهوا بالمجوس).

دعائم الإسلام (١٢٤/١): (عن رسول الله ﷺ قال: ليأخذ أحدكم من شعر صدغيه ومن عارضي لحيته، ورجلوا اللحى واحلقوا شعر القفا واحفوا الشوارب واعفوا السبال، وقلموا الأظفار، ولا تشبهوا بأهل الكتاب، ولا يطيلن أحدكم شارب، ولا عانته ولا شعر جناحيه، فإن الشيطان يتخذها مجاثم يستتر بها، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً. وعن علي ﷺ قال: خذوا من شعر الصدغين ومن عارضي اللحية وما جاوز العنفة من

مقدمها. وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: أحفوا الشوارب فإن أمية لا تحفى شواربها. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: من قلم أظافيره يوم الجمعة أخرج الله تبارك وتعالى من أنامله داء وأدخل فيها شفاء. وقال: يا معشر الرجال قصوا أظافيركم، وقال للنساء: طولن أظافيركن، فإنه أزين لكن.

وعنه عليه السلام أنه قال: من اتخذ شعراً، فليحسن إليه، وقال لأبي قتادة: يا أبا قتادة رجّل جُمْتُكَ وأكرمها وأحسن إليها. وعنه عليه السلام أنه قال: الشعر الحسن من كسوة الله عز وجل فأكرموه. وعنه عليه السلام قال: من عرف فضل شبيهه فوفره آمنه الله عز وجل من فزع يوم القيمة.

مفاتيح الجنان ١٠١٧: (روي عن النبي ﷺ قال: إن المجوس جزوا لحاهم ووفروا شواربهم، وإنا نحن نجز الشوارب ونعفي اللحي.

ولما بلغت دعوة النبي ﷺ الملوك، كتب كسرى إلى عامل اليمن باذان أن يبعث النبي ﷺ إليه فبعث كاتبه بانويه ورجلاً آخر يقال له خرخسك إليه وكانا قد دخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال ويلكما من أمركما بهذا، قالا: أمرنا بهذا ربنا يعينان كسرى. فقال رسول الله ﷺ: لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي).

وفي مكارم الأخلاق (٦٧/١): (قال عليه السلام: من لم يأخذ شاربه فليس منا. وقال: أحفوا الشوارب واعفوا اللحي، ولا تتشبهوا باليهود.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما زاد من اللحية عن القبضة ففي النار).



نماذج من وفود اليهود وأسئلتهم للنبي ﷺ

١. في مناقب آل أبي طالب (٤٧/١): (الزجاج في المعاني، والثعلبي في الكشف، والزنجشري في الفائق، والواحدي في أسباب نزول القرآن، والثمالي في تفسيره واللفظ له، أنه قال عثمان لابن سلام: نزل على محمد: الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْبَرُ مِنْكُمْ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، فكيف هذه؟ قال: يعرف نبي الله بالنعته الذي نعته الله إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان وأيم الله لأننا بمحمد أشد معرفة مني بابني لأنني عرفته بما نعته الله في كتابنا، وأما ابني فإني لا أدري ما أحدثت أمه.

ابن عباس قال: كانت اليهود يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه فلما بعثه الله تعالى من العرب دون بني إسرائيل كفروا به، فقال لهم بشر بن معرور ومعاذ بن جبل: إتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك، وتذكرون أنه مبعوث، فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير: ما جاءنا بشئ نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فنزل: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا. وكانت اليهود إذا أصابتهن شدة من الكفار يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة، فلما قرب وقت خروجه قالوا: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

وهو المروي عن الصادق وكان الأخبار من اليهود يعرفونه فحرفوا صفة النبي ﷺ في التوراة من المباح إلى المقابح، فلما قالت عامة اليهود: كان محمداً هو المبعوث في آخر الزمان، قالت الأخبار: كلا وحاشا وهذه صفته في التوراة.

وأسلم عبد الله بن سلام وقال: يا رسول الله سل اليهود عني فإنهم يقولون هو أعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم إن التوراة دالة على نبوتك وإن صفاتك فيها واضحة، فلما سألمهم قالوا كذلك فحينئذ أظهر ابن سلام إيمانه فكذبوه فنزل: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

الكلبي: قال كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا وفتحاص ابن عازورا: يا محمد إن الله عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن زعمت أن الله بعثك إلينا فجئنا به نصدقك فنزلت: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

٢. في بصائر الدرجات/٥٢١: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: أتى يهودي يقال له سُبْحَت رسول الله ﷺ فقال: يا محمد جئتك أسألك عن ربك فإن أجبتني عما أسألك عنه وإلا رجعت. قال: سل عما شئت. قال: أين ربك؟ قال هو في كل مكان وليس في شئ من المكان محدود. قال: فكيف هو؟ قال: أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق لله ولا يوصف بخلقه؟! قال: فمن يعلم أنك نبي قال فما بقي حوله حجر ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربي مبين: يا سبحت إنه

رسول الله ﷺ! فقال سبحت: بالله ما رأيت كاليوم أبين. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ!

٣. في أمالي الصدوق/٤٨١: (عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان غلام من اليهود يأتي النبي ﷺ كثيراً حتى استحبته، وربما أرسله في حاجة، وربما كتب له الكتاب إلى قوم. فافتقده أياماً فسأل عنه فقال له قائل: تركته في آخر يوم من أيام الدنيا. فأتاه النبي ﷺ في ناس من أصحابه، وكان عليه بركة لا يكاد يكلم أحداً إلا أجابه، فقال: يا فلان ففتح عينيه وقال: لبيك يا أبا القاسم، قال: إشهد أن لا إله إلا الله، وأنا رسول الله، فنظر الغلام إلى أبيه، فلم يقل له شيئاً، ثم ناداه رسول الله ﷺ الثانية، وقال له مثل قوله الأول، فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً، ثم ناداه رسول الله ﷺ الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه، فقال أبوه: إن شئت فقل وإن شئت فلا. فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله، ومات مكانه فقال رسول الله ﷺ لأبيه: أخرج عنا، ثم قال ﷺ لأصحابه: غسلوه وكفنوه، وأتوني به أصلي عليه، ثم خرج وهو يقول: الحمد لله الذي أنجى بي اليوم نسمة من النار).

٤. علل الشرائع (١٢٧/١): (قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم فيما سأله فقال لأي شيء سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟ فقال النبي ﷺ: أما محمد فإني محمود في الأرض وأما أحمد فإني محمود في السماء، وأما أبو القاسم فإني عز وجل يقسم يوم القيامة قسمة النار فمن كفر بي من الأولين والآخرين ففي النار، ويقسم قسمة الجنة فمن آمن بي وأقر بنبوتي ففي الجنة، وأما الداعي فإني أدعو الناس إلى دين ربي عز وجل، وأما النذير فإني أنذر بالنار من عصائي، وأما البشير فإني أبشر بالجنة من أطاعني).

٥. أمالي الصدوق/٢٨٧: (سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: أتى يهودي النبي ﷺ فقام بين يديه يحمد النظر إليه، فقال: يا يهودي، ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا، وخلق له البحر، وأظله بالغمام؟

فقال له النبي ﷺ: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه ولكني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، لما غفرت لي فغفرها الله له، وإن نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما

أنجيتني من الغرق، فنجاه الله منه، وإن إبراهيم عليه السلام: لما ألقى في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً. وإن موسى عليه السلام: لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أمنتني منها، فقال الله جل جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلى.

يا يهودي: إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي، ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة. يا يهودي، ومن ذريتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدمه وصلى خلفه).

٦. علل الشرائع (٣٧٨/٢): (عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له: لأي شيء فرض الله عز وجل الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض على الأمم السالفة أكثر من ذلك؟ فقال النبي ﷺ: إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله تعالى عليهم، وكذلك كان على آدم ففرض الله ذلك على أمتي ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

قال اليهودي، صدقت يا محمد فما جزاء من صامها؟ فقال النبي ﷺ: ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلا أوجب الله سبع خصال أولها يذوب الحرام من جسده، والثانية يقرب من رحمة الله، والثالثة يكون قد كفر خطيئة أبيه آدم عليه السلام، والرابعة يهون الله عليه سكرات الموت، والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة، والسادسة يعطيه الله براءة من النار، والسابعة يطعمه الله من طيبات الجنة، قال صدقت يا محمد).

٧. في تفسير القمي (٣١/٢): (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان سبب نزولها يعني سورة الكهف أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران، النضر بن الحارث بن كعدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي، ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله ﷺ، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثم سلوه عن مسألة واحدة فإن ادعى علمها فهو كاذب قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا وكم بقوا في نومهم حتى

انتبهوا، وكم كان عددهم، وأي شئ كان معهم من غيرهم وما كان قصتهم؟ واسألوهم عن موسى حين أمره الله أن يتبع العالم ويتعلم منه، من هو، وكيف تبعه، وما كان قصته معه؟ واسألوهم عن طائف طاف من مغرب الشمس ومطلعها حتى بلغ سد يأجوج ومأجوج، من هو وكيف كان قصته؟

ثم أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث مسائل وقالوا لهم: إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدقوه.

قالوا: فما المسألة الرابعة؟ قال: سلوه متى تقوم الساعة، فإن ادعى علمها فهو كاذب، فإن قيام الساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى.

فرجعوا إلى مكة واجتمعوا إلى أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يزعم أن خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل فإن أجابنا عنها علمنا أنه صادق، وإن لم يجيبنا علمنا أنه كاذب! فقال أبو طالب: سلوه عما بدا لكم، فسألوهم عن الثلاث مسائل، فقال رسول الله ﷺ: غداً أخبركم ولم يستثن، فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتى اغتم النبي ﷺ وشك أصحابه الذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤوا وآذوا. وحزن أبو طالب، فلما كان بعد أربعين يوماً نزل عليه بسورة الكهف، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل لقد أبطأت؟ فقال: إنا لا نقدر أن ننزل إلا بإذن الله فأنزل: **أَمْ حَسِبْتَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**. ثم قص قصتهم فقال: **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**. فقال الصادق عليه السلام: إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبار عات، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يعبه قتله، وكان هؤلاء قومًا مؤمنين يعبدون الله عز وجل، ووكل الملك بباب المدينة وكلاء ولم يدع أحداً يخرج حتى يسجد للأصنام، فخرج هؤلاء بحيلة الصيد، وذلك أنهم مروا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبههم وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم!

فقال الصادق عليه السلام: فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة، حمار بلعم بن باعوراء، وذئب يوسف، وكلب أصحاب الكهف.

فخرج أصحاب الكهف من المدينة بحيلة الصيد هرباً من دين ذلك الملك، فلما أمسوا دخلوا

ذلك الكهف والكلب معهم، فألقى الله عليهم النعاس كما قال الله تعالى: فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، فناموا حتى أهلك الله ذلك الملك وأهل مملكته وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون ثم انتبهوا فقال بعضهم لبعض: كم نمنا ها هنا؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا لواحد منهم خذ هذا الورق وادخل المدينة متنكراً لا يعرفوك، فاشتر لنا طعاماً فإنهم إن علموا بنا وعرفونا يقتلونا، أو يردونا في دينهم، فجاء ذلك الرجل فرأى مدينة بخلاف الذي عهدا ورأي قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم، فقالوا له: من أنت ومن أين جئت؟ فأخبرهم فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلعون فيه فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم، وقال بعضهم: خمسة وسادسهم كلبهم وقال بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وحجبهم الله عز وجل بحجاب من الرعب، فلم يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم فإنه لما دخل إليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل، وأنهم آية للناس، فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا. ثم قال الملك: ينبغي أن نبني ها هنا مسجداً ونزوره، فإن هؤلاء قوم مؤمنون فلهم في كل سنة نقلتان، ينامون ستة أشهر على جنوبهم اليمنى وستة أشهر على جنوبهم اليسرى، والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف، وذلك قوله: وَكُتِبَتْ لَهُمْ بِأَسْطِ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ... الخ.).

وفي الكافي (٤٨/٧) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ في الكتاب: وَلَا تَقُولْ لِمَنْ يُشِيْئُ إِلَيَّ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا أَفْعَلَهُ فَتَسْبِقْ مَشِيئَةَ اللَّهِ فِي أَنْ لَا أَفْعَلَهُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَفْعَلَهُ، قال: فلذلك قال الله عز وجل: وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ، أي استثن مشيئة الله في فعلك).

٨. في أمالي الصدوق ١٨٦: (إن رهطاً من اليهود أسلموا، منهم عبدالله بن سلام وأسد وثلعة وابن يامين وابن صوريا، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله، إن موسى عليه السلام أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيك يا رسول الله، ومن ولينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. ثم قال رسول الله ﷺ: قوموا فقاموا فأتوا المسجد، فإذا سائل خارج، فقال: يا سائل، أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم،

هذا الخاتم. قال: من أعطاك؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي. قال: على أي حال أعطاك؟ قال: كان راعياً. فكبر النبي ﷺ وكبر أهل المسجد، فقال النبي ﷺ: علي بن أبي طالب وليكم بعدي، قالوا: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبعلي بن أبي طالب ولياً. فأنزل الله عز وجل: وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ.

فروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راع، لينزل في ما نزل في علي بن أبي طالب، فما نزل!

٩. معاني الأخبار/٢٤: (عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا سحر مبین تقوله، فقال الله: أَلَمْ. ذَلِكَ الْكِتَابُ أَيَّ مُحَمَّدٍ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ هُوَ الْحُرُوفُ الْمَقْطُوعَةُ الَّتِي مِنْهَا أَلِفٌ، لَامٌ، مِيمٌ، وَهُوَ بَلْغَتُكُمْ وَحُرُوفُ هِجَائِكُمْ، فَأَتُوا بِمِثْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِسَائِرِ شَهَادَتِكُمْ، ثُمَّ بَيْنَ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ: أَلَمْ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي افْتَتَحَ. أَلَمْ هُوَ ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي أَخْبَرْتَ بِهِ مُوسَى، فَمِنْ بَعْدِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَأَخْبَرُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ سَأَنْزِلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ كِتَاباً عَزِيزاً: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. لَا رَيْبَ فِيهِ: لَا شَكَّ فِيهِ لظهوره عندهم كما أخبرهم به أنبياءهم أن محمداً ينزل عليه كتاب لا يمحوه الباطل، يقرؤه هو وأُمته على سائر أحوالهم.

هُدًى: بيان من الضلالة. لِلْمُتَّقِينَ: الَّذِينَ يَتَّقُونَ الْمَوْبِقَاتِ وَيَتَّقُونَ تَسْلِيطَ السُّفْهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى إِذَا عَلِمُوا مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ عَمِلُوا بِمَا يَوْجِبُ لَهُمْ رِضَا رَبِّهِمْ).

١٠. من لا يحضره الفقيه (٢٧٤/١): (صلى رسول الله ﷺ إلى البيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة بمكة وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثم عيرته اليهود فقالوا له: إنك تابع لقبلتنا فاغتم لذلك غماً شديداً، فلما كان في بعض الليل خرج ﷺ وسلم يقلب وجهه في آفاق السماء، فلما أصبح صلى الغداة، فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل عليه السلام فقال له: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَحَوْلَ مِنْ خَلْفِهِ وَجُوهَهُمْ حَتَّى قَامَ الرِّجَالُ مَقَامَ النِّسَاءِ وَالنِّسَاءُ مَقَامَ الرِّجَالِ فَكَانَ أَوَّلَ صَلَاتِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَآخِرَهَا إِلَى الْكَعْبَةِ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ

مسجداً بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو الكعبة، فكانت أول صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين فقال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ. يعني صلاتكم إلى بيت المقدس).

١١. كفاية الأثر ٥٧/ (عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخل جندب ابن جنادة اليهودي

من خيبر على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله. فقال رسول الله ﷺ: أما ما ليس لله فليس لله شريك، وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود عزيز ابن الله، والله لا يعلم له ولداً. فقال جندب: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً.

ثم قال: يا رسول الله إني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال لي: يا جندب أسلم علي يد محمد واستمسك بالأوصياء من بعده، فقد أسلمت فرزقني الله ذلك، فأخبرني بالأوصياء بعدك لا تمسك بهم.

فقال يا جندب: أوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل. فقال: يا رسول الله إنهم كانوا اثني عشر، هكذا وجدنا في التوراة. قال: نعم الأئمة بعدي اثنا عشر. فقال: يا رسول الله كلهم في زمن واحد؟ قال: لا، ولكنهم خلف بعد خلف، فإنك لا تدرك منهم إلا ثلاثة.

قال: فسمهم لي يا رسول الله. قال: نعم إنك تدرك سيد الأوصياء ووارث الأنبياء وأب الأئمة علي بن أبي طالب بعدي، ثم ابنه الحسن ثم الحسين، فاستمسك بهم من بعدي ولا يغرنك جهل الجاهلين، فإذا كانت وقت ولادة ابنه علي بن الحسين سيد العابدين يقضي الله عليك، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن تشربه.

فقال: يا رسول الله هكذا وجدت في التوراة البانقطة، شبراً وشبيراً فلم أعرف أساميهم، فكم بعد الحسين من الأوصياء وما أساميهم؟ فقال: تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم، فإذا انقضت مدة الحسين قام بالأمر بعده ابنه علي ويلقب بزين العابدين، فإذا انقضت مدة علي قام بالأمر بعده محمد ابنه يدعى بالباقر، فإذا انقضت مدة محمد قام بالأمر بعده ابنه موسى يدعى بالكاظم، ثم إذا انتهت بالصادق، فإذا انقضت مدة جعفر قام بالأمر بعده ابنه موسى يدعى بالكاظم، ثم إذا انتهت

مدة موسى قام بالأمر بعده ابنه علي يدعى بالرضا، فإذا انقضت مدة علي قام بالأمر بعده محمد ابنه يدعي بالزكي، فإذا انقضت مدة محمد قام بالأمر بعده علي ابنه يدعى بالنقي، فإذا انقضت مدة علي قام بالأمر بعده الحسن ابنه يدعى بالأمين، ثم يغيب عنهم إمامهم. قال: يا رسول الله هو الحسن يغيب عنهم. قال: لا ولكن ابنه الحجة. قال: يا رسول الله فما اسمه؟ قال: لا يسمي حتى يظهره الله.

قال جندب: يا رسول الله قد وجدنا ذكرهم في التوراة وقد بشرنا موسى بن عمران بك وبالأوصياء بعدك من ذريتك، ثم تلا رسول الله ﷺ: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا.

فقال جندب: يا رسول الله فما خوفهم؟ قال: يا جندب في زمن كل واحد منهم سلطان يعتريه ويؤذيه، فإذا عجل الله خروج قائمنا يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم قال ﷺ: طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمتقين على محبتهم، أولئك وصفهم الله في كتابه وقال: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وقال: أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

قال ابن الأسفغ: ثم عاش جندب بن جنادة إلى أيام الحسين عليه السلام، ثم خرج إلى الطائف، فحدثني نعيم أبي قيس قال: دخلت عليه بالطائف وهو عليل، ثم إنه دعا بشربة من لبن فشربه وقال: هكذا عهد إلي رسول الله ﷺ أنه يكون آخر زادي من الدنيا شربة من لبن، ثم مات ﷺ ودفن بالطائف في الموضع المعروف بالكوراء).

١٢. كفاية الأثر ١١٧: (عن ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له نعثل

فقال: يا محمد إني أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أنت أحببني عنها أسلمت على يدك. قال: سل يا أبا عمار. فقال: يا محمد صف لي ربك. فقال ﷺ: إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تتأله، والخطرات أن تحده، والأبصار الإحاطة به، جل عما يصفه الواصفون، نأى في قربه وقرب في نأيه، كيف الكيفية فلا يقال له كيف، وأين الأين فلا يقال له أين، هو منقطع الكيفية فيه والأينونية، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا أحد. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن قولك إنه واحد لا شبيه له، أليس الله واحد والإنسان واحد، فوجدانيته أشبهت وحدانية الإنسان؟

فقال ﷺ: الله واحد وأحدي المعنى، والإنسان واحد ثنوي المعنى، جسم وعرض وبدن وروح، وإنما التشبيه في المعاني لا غير.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن وصيك من هو، فما من نبي إلا وله وصي وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع ابن نون.

فقال: نعم، إن وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب ﷺ، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة من صلب الحسين، أئمة أبرار.

قال: يا محمد فسمهم لي؟ قال: نعم إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى فابنه محمد، فإذا مضى فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فبعده ابنه الحجة بن الحسن بن علي ﷺ. فهذه اثنا عشر إماماً على عدد نقباء بني إسرائيل.

قال: فأين مكانهم في الجنة؟ قال: معي في درجتي. قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدمة، وفيما عهد إلينا موسى ﷺ: إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده، يخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط. فقال: يا أبا عمار أتعرف الأسباط؟ قال: نعم يا رسول الله إنهم كانوا اثني عشر. قال: فإن فيهم لاوي بن أرحيا. قال: أعرفه يا رسول الله، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل سنين ثم عاد فأظهر شريعته بعد دراستها وقاتل مع فريطيا الملك حتى قتله.

قال ﷺ: كائن في أمتي ما كان من بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله له بالخروج فيظهر الإسلام ويجدد الدين.

ثم قال ﷺ: طوبى لمن أحبهم وطوبى لمن تمسك بهم، والويل لمبغضهم! فانتفض نعل وقام من بين يدي رسول الله ﷺ وأنشأ يقول:

صلى العلي ذوالعلي عليك يا خير البشر
أنت النبي المصطفى والهاشمي المفتخر
بك اهتدينا رشدنا وفيك نرجو ما أمر
ومعشر سميتهم أئمة اثنا عشر
حباهم رب العلي ثم صفاهم من كدر
قد فاز من والاهم وخاب من عفى الأثر
آخهم يشفي الظما وهو الإمام المنتظر
عترتك الأخيار لي والتابعون ما أمر
من كان عنكم معرضاً فسوف يصلى بسقراً.

١٣. الهداية الكبرى/٤٤: (عن جابر بن عبد الله بن عمر بن حزام الأنصاري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى بني قريظة، وأقمنا إلى أن فتح الله على رسول الله وعلينا، فانطلقنا راجعين وكان في طريقنا رجل من اليهود، فلما قربنا من كنيسته تلقانا والتوراة على صدره منشورة مزينة، فلقي رسول الله فرحب به وقربه، وقال له: يا أبا اليهود، ما لك قد سعت إلينا بالتوراة العظيمة القدر في كتب الله المنزلة؟ فقال له اليهودي: جعلتها وسيلتي إليك يا رسول الله لتنزل وتأكل من طعامي.

فقال النبي ﷺ لقد توصلت بعظيم، وأنا مجيبك يا أبا اليهود ثم نزل ونزلنا فإذا بطعام اليهودي قد حضر وحضر معه من تولى إصلاحه من المسلمين، وقال اليهودي: يا أيها النبي أنا ما صنعت طعامك بيدي، بل قوم من أهل دينك لأننا عرفنا أنك تكره طعامنا أهل الملل قبلك، فجلس النبي ﷺ وكان على الطعام خروف مشوي، فغسل النبي يديه وغسلنا أيدينا، ومددنا إلى الطعام، ودعا بالبركة وضرب بيده إلى الخروف، فثغا الخروف واضطرب، فرفع رسول الله يده عنه ورفعنا أيدينا عنه فقال رسول الله: يا أبا اليهود عرفنا توسلك وعرفنا التوراة حقاً، وضيعت ما حفظناه فيك أغواك الشيطان حتى رأيت هذا الخروف، وسمعت منك ما قد

عرفته من نفسي. قال اليهودي: فان كنت رسول الله حقاً فاسأل الله أن ينطق هذا الخروف كما أحياء لك فيخبرك بقصتنا. فقال النبي ﷺ: اللهم إني أسألك بقدرتك التي ذل لها ملكك إلا ما أنطقت هذا الخروف بهذه القصعة، فقال الخروف في وسط القصعة أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك محمد رسول الله، وأن الذي كان سمني لك عدوك فلان وفلان صاراً إلى هذا اليهودي فدفعاً إليه عشرين ديناراً وعهدوا له ولقومه من اليهود أن لا يؤذوا، وأن لا يسخروا ولا يعسروا، ولا يكرهوا على شيء يريدونه، وأنه دس السم في الطعام وتلقاك به وقال له: إلقه في التوراة فإنه يعظمها، وأسأله أن ينزل بك، وهاك هذا الخروف وهذه العشرين ديناراً، فاتخذ بها خبز البر وفاخر أطعمة الأعاجم طيخاً ومشوياً، ودس هذا السم بهذا الخروف ففعل ذلك!

قال جابر بن عبد الله: والله لقد ظننا أن فلاناً وفلاناً لعنهما الله قد ماتا، لأنها طأطأ وجوههما قال النبي ﷺ: إرفعا رؤوسكما لا رفع الله لكما صرعة، ولا أفاكما عثرة، ولا غفر لكما ذنباً ولا جريرة، وأخذ بحقي منكما إلى كم هذه الجراءة على الله ورسوله؟ فآظها اختلاط عقل ودهشة حتى حملا رحليهما. وضرب النبي ﷺ بيده إلى الخروف وقال له: إرجع ياذن الله مشوياً كما كنت فرجع الخروف كما كان، فقال النبي ﷺ وقد ضرب بيده إلى لحمه: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء ولا غائلة، وأكل، ثم قال كلوا يرحمكم الله. فقال اليهودي: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنتك محمد عبده ورسوله حقاً حقاً، وإله موسى وهارون وما أنزل في التوراة لقد قص عليك الخروف القصعة، ما نقص حرفاً ولا زاد حرفاً! وأسلم اليهودي وغزا ست غزوات، واستشهد في ذات السلاسل (ﷺ).

١٤. مسند أحمد (٢٧٨/١): (قال ابن عباس: حضرت عصابة من اليهود إلى نبي الله يوماً فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي. قال: سلوني عما شئتم ولكن إجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيهِ لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام. قالوا: فذلك لك. قال: فسلوني عما شئتم. قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل كيف يكون الذكر منه، وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ قال: فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني؟ قال فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال:

فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر الله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟

قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله. قالوا: اللهم نعم. قال اللهم اشهد عليهم.

فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قبله؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد. قالوا: وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك؟ قال: فإن وليي جبريل عليه السلام ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك سواء من الملائكة لتابعناك وصدقناك، قال فما يمنعكم من أن تصدقوه قالوا إنه عدونا. قال: فعند ذلك قال الله عز وجل: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ. وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ. أَوَلَمَّْا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ... فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ.

١٥. تخريج الأحاديث (١٧٩/١): (روي أن رسول الله ﷺ دخل مدراسهم يعني اليهود فدعاهم

فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ قال: على ملة إبراهيم. قالوا إن إبراهيم كان يهودياً. قال لهم: إن بيننا وبينكم التوراة فهلتموا إليها فأبياً، فنزلت: أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

١٦. أسباب النزول للواحدي/٧٧: (قال زيد بن أسلم: مر شاس بن قيس اليهودي وكان

شيخاً قد غبر في الجاهلية عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، فمر على

نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال: قد اجتمع ملاً بني قيلة بهذه البلاد، لا والله مالنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: إعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم بعث وما كان فيه وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان بعث يوم اقتتل فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواب رجلاً من الحيين أوس بن قيطي أحد بني حارثة من الأوس، وجابر بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا وقال أحدهما لصاحبه إن شئت رددتها جذعاً وغضب الفريقان جميعاً وقالوا: ارجعوا السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة وهي حرة، فخرجوا إليها فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، الله الله فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزله الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِبُّوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، يعني شاساً وأصحابه، يَرُدُّوكُم بِغَدِيبِنَا كَمَا كَفَرْتُمْ.

قال جابر بن عبد الله: ما كان طالع أكره إلينا من رسول الله فإوماً إلينا بيده فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا، فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ فما رأيت يوماً أقبح ولا أوحش أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم).

١٧. تفسير الإمام العسكري عليه السلام ١٦٣، عن أبيه الهادي عليه السلام قال: (وأمّا الشجرتان اللتان تلاصقتا، فإن رسول الله ﷺ كان ذات يوم في طريق له بين مكة والمدينة، وفي عسكره منافقون من المدينة وكافرون من مكة، ومنافقون منها وكانوا يتحدثون فيما بينهم بمحمد ﷺ وأصحابه الخيرين فقال بعضهم لبعض: يأكل كما نأكل وينفض كرشه من الغائط والبول كما ننفض، ويدعي أنه رسول الله! فقال بعض مردة المنافقين: هذه صحراء ملساء،

لأتعمدن النظر إلى إسته إذا قعد لحاجته حتى أنظر هل الذي يخرج منه كما يخرج منا أم لا؟ فقال آخر: لكنك إن ذهبت تنظر منعه حياؤه من أن يقعد، فإنه أشد حياء من الجارية، العذراء الممتنعة المحرمة. قال: فعرف الله عز وجل ذلك نبيه محمد ﷺ فقال لزيد بن ثابت: إذهب إلى تينك الشجرتين المتباعدين يؤمي إلى شجرتين بعيدتين قد أوغلنا في المفازة، وبعدنا عن الطريق قدر ميل فقف بينهما وناد: أن رسول الله ﷺ يأمر كما أن تلتصقا وتنضما، ليقضي رسول الله ﷺ خلفكما حاجته، ففعل ذلك زيد، فقال: فوالذي بعث محمد ﷺ بالحق نبياً إن الشجرتين انقلعتا بأصولهما من مواضعهما، وسعت كل واحدة منهما إلى الأخرى، سعي المتحايين كل واحد منهما إلى الآخر والتقيا بعد طول غيبة وشدة اشتياق، ثم تلاصقتا وانضمتا انضمام متحايين في فراش في صميم الشتاء. فقعد رسول الله ﷺ خلفهما، فقال أولئك المنافقون: قد استتر عنا. فقال بعضهم لبعض: فدوروا خلفه لتنظر إليه. فذهبوا يدورون خلفه، فدارت الشجرتان كلما داروا، فمنعتاهم من النظر إلى عورته. فقالوا: تعالوا نتحلق حوله لتراه طائفة منا. فلما ذهبوا يتحلقون تحلقت الشجرتان، فأحاطتا به كالأبوبة حتى فرغ وتوضاً! وخرج من هناك وعاد إلى العسكر وقال لزيد بن ثابت: عد إلى الشجرتين وقل لهما: إن رسول الله ﷺ يأمر كما أن تعودا إلى أماكنكما، فقال لهما، فسعت كل واحدة منهما إلى موضعها والذي بعثه بالحق نبياً سعي الهارب الناجي بنفسه من راکض شاهر سيفه خلفه، حتى عادت كل شجرة إلى موضعها. فقال المنافقون: قد امتنع محمد من أن يبدي لنا عورته، وأن ينظر إلى إسته فتعالوا ننظر إلى ما خرج منه لنعلم أنه ونحن سيان، فجاءوا إلى الموضع فلم يروا شيئاً البتة، لا عيناً ولا أثراً.

قال: وعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك فنودوا من السماء: أوعجبتكم لسعي الشجرتين إحداهما إلى الأخرى، إن سعي الملائكة بكرامات الله عز وجل إلى محمد أشد من سعي هاتين الشجرتين إحداهما إلى الأخرى، وإن تنكب نفحات النار يوم القيامة عن محبي محمد وعلي والمتبرئين من أعدائه أشد من تنكب هاتين الشجرتين إحداهما عن الأخرى).

١٨. تفسير الإمام العسكري عليه السلام ٤٠٦: (قال جابر بن عبد الله الأنصاري: ولقد حدثنا

رسول الله ﷺ وحضره عبد الله ابن سوريا غلام أعور يهودي تزعم اليهود أنه أعلم يهودي

بكتاب الله وعلوم أنبيائه فسأل رسول الله ﷺ عن مسائل كثيرة يعنته فيها، فأجابه عنها رسول الله ﷺ بما لم يجد إلى إنكار شيء منه سبيلاً فقال له: يا محمد من يأتيك بهذه الأخبار عن الله؟ قال: جبرئيل. قال: لو كان غيره يأتيك بها لآمنت بك، ولكن جبرئيل عدونا من بين الملائكة، فلو كان ميكائيل أو غيره سوى جبرئيل يأتيك بها لآمنت بك. فقال رسول الله ﷺ: ولم اتخذتم جبرئيل عدواً؟ قال: لأنه ينزل بالبلاء والشدة على بني إسرائيل. ودفع دانيال عن قتل بخت نصر حتى قوي أمره، وأهلك بني إسرائيل. وكذلك كل بأس وشدة لا ينزلها إلا جبرئيل، وميكائيل يأتيها بالرحمة. فقال رسول الله ﷺ: ويحك أجهلت أمر الله تعالى! وما ذنب جبرئيل إن أطاع الله فيما يريد بهكم؟ أرايتم ملك الموت؟ أهو عدوكم وقد وكله الله بقبض أرواح الخلق الذي أنتم منه؟ أرايتم الآباء والأمهات إذا جروا الأولاد الأدوية الكريهة لمصالحهم، أيجب أن يتخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك؟ لا، ولكنكم بالله جاهلون، وعن حكمته غافلون، أشهد أن جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان، وله مطيعان، وأنه لا يعادي أحدهما إلا مكن عادي الآخر، وأن من زعم أنه يجب أحدهما ويبغض الآخر فقد كذب. وكذلك محمد رسول الله وعلي أخوان، كما أن جبرئيل وميكائيل أخوان، فمن أحبهما فهو من أولياء الله، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله، ومن أبغض أحدهما وزعم أنه يجب الآخر فقد كذب، وهما منه بريئان، وكذلك من أبغض واحدا مني ومن علي، ثم زعم أنه يجب الآخر فقد كذب، وكلاهما منه بريئان، والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه براء).

١٩. تفسير الإمام العسكري عليه السلام ٥١٩/ : (وكان المسلمون تضيق صدورهم مما يوسوس به إليهم اليهود والمنافقون من الشبه في الدين. فقال لهم رسول الله: **أَوْ لَا أَعْلَمُكُمْ مَا يَزِيلُ ضَيْقَ صُدُورِكُمْ إِذَا وَسَّوَسَ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ إِلَيْكُمْ؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ما أمر به رسول الله من كان معه في الشعب الذي كان أُلجأت إليه قريش، فضاقت صدورهم واتسخت ثيابهم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: انفخوا على ثيابكم، وامسحوها بأيديكم وهي على أبدانكم، وأنتم تصلون على محمد وآله الطيبين، فإنها تنقي وتطهر وتبيض وتحسن وتزيل عنكم ضيق صدوركم. ففعلوا ذلك فصارت ثيابهم كما قال رسول الله ﷺ. فقالوا: عجباً يا رسول الله بصلاتنا عليك وعلى آلك كيف طهرت ثيابنا! فقال رسول الله ﷺ: إن تطهير الصلاة على

محمد وآله لقلوبكم من الغل والضيق والدغل ولأبدانكم من الآثام، أشد من تطهيرها لثيابكم. وإن غسلها للذنوب من صحائفكم، أحسن من غسلها للدن عن ثيابكم. وإن تنويرها لكتب حسناتكم بمضاعفة ما فيها، أحسن من تنويرها لثيابكم).

٢٠. قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا. أُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا.

في تفسير مجمع البيان (١٠٤/٣): (نزلت في رجال من اليهود، أتوا بأطفالهم إلى النبي فقالوا: هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا. فقالوا: والله ما نحن إلا كهيتهم، ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل، وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار، فكذبهم الله، وقيل: نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام).

كيف حَزَبَ اليهود الأحزاب؟

في تفسير القمي (١٧٦/٢): (إن رسول الله ﷺ حين أجلى بني النضير وهم بطن من اليهود من المدينة وكان رئيسهم حي بن أخطب، وهم يهود من بني هارون عليه السلام فلما أجلاهم من المدينة صاروا إلى خير خرج حي بن أخطب إلى قريش بمكة وقال لهم إن محمداً قد وتركم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا وأجلى بني عمنا بني قينقاع، فسيروا في الأرض واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير إليهم، فإنه قد بقي من قومي يثرب سبع مائة مقاتل وهم بنو قريظة وبينهم وبين محمد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد عليه السلام ويكونون معنا عليهم، فتأتونه أنتم من فوق وهم من أسفل. وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمى بئر المطلب، فلم يزل يسير معهم حي بن أخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة والأقرع بن حابس في قومه، وعباس بن مرداس في بني سليم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستشار أصحابه وكانوا سبع مائة رجل، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة، قال: فما نصنع؟ قال: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً فيمكنك منهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه فإننا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب

من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: أشار سلمان بصواب، فأمر رسول الله ﷺ بحفره من ناحية أحد إلى راتح، وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قومًا من المهاجرين والأنصار يحفرونه، فأمر فحملت المساحي والمعاول وبدأ رسول الله وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله ﷺ وعيي وقال: لا عيش إلا عيش الآخرة. اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين، فلما نظر الناس إلى رسول الله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر وقعد رسول الله ﷺ في مسجد الفتح فبينما المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه، فبعثوا جابر بن عبد الله الأنصاري إلى رسول الله ﷺ يعلمه بذلك، قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله مستلق على قفاه وردأه تحت رأسه، وقد شد على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله إنه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه، فقام مسرعاً حتى جاءه ثم دعا بقاء في إناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه ثم شرب ومج من ذلك الماء في فيه ثم صبه على الحجر، ثم أخذ معولاً فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة نظرنا فيها إلى قصور المداين، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة أخرى نظرنا فيها إلى قصور اليمن! فقال رسول الله ﷺ: أما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق، ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل. قال جابر: فعلمت أن رسول الله مقوي أي جائع، لما رأيت على بطنه الحجر فقلت: يا رسول الله هل لك في الغذاء؟ قال: ما عندك يا جابر؟ فقلت: عناق وصاع من شعير فقال: تقدم وأصلح ما عندك، قال: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها وأمرتها أن تحبز وتطبخ وتشوي، فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد فرغنا فأحضر مع من أحببت، فقام رسول الله ﷺ إلى شفير الخندق ثم قال: معاشر المهاجرين والأنصار أجيئوا جابراً... ثم ذكر شعبهم جميعاً من طعام جابر وهم نحو الألف، وبقي منه).

غدر بني قريظة بالمسلمين

في تفسير القمي (١٨٦/٢): (فلما طال على أصحاب رسول الله ﷺ الأمر واشتد عليهم الحصار (في حرب الخندق) وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً

وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا نافق إلا القليل! وقد كان رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن العرب تتحزب ويحيئون من فوق وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وأنه ليصيبهم جهد شديد ولكن تكون العاقبة لي عليهم.

فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا فإنها في أطراف المدينة وهي عورة ونخاف اليهود أن يغيروا عليها، وقال قوم هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله، وكان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم فإن تحرك أحد من قريش نابذهم وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال الليل كله قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه. ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف يأتيه من يعرفه فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة، فلما رأى رسول الله ﷺ من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح وهو الجبل الذي عليه مسجد الفتح اليوم، فدعا الله وناجاه فيما وعده وكان مما دعاه أن قال: يا صريخ المكروبين ويا محجب المضطرين ويا كاشف الكرب العظيم أنت مولاي وولي وولي آبائي الأولين اكشف عنا غمنا وهمنا وكربنا واكشف عنا شر هؤلاء القوم بقوت وحولك وقدرتك).

فاستجاب الله له، وقتل علي عليه السلام فارسهم ابن ود، وسلط عليهم الريح، فانهزموا.

وقالت اليهود يد الله مغلولة!

قال الله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

وفي التوحيد/١٦٨: (عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قوله الله عز وجل: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ: لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكذيباً لقولهم:

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ. ألم تسمع الله عز وجل يقول:

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ).

وفي الكافي (٣/٣٤١): (إن فضل الدعاء بعد الفريضة على الدعاء بعد النافلة كفضل الفريضة على النافلة، ثم قال: أدعه ولا تقل قد فرغ من الأمر فإن الدعاء هو العبادة). وفي رواية عنهم ﷺ: فرغ من الأمر ولم يفرغ.

وفي الإعتقادات/٤٠: (إن اليهود قالوا إن الله قد فرغ من الأمر. قلنا: بل هو تعالى كل يوم هو في شأن، لا يشغله شأن عن شأن، يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويفعل ما يشاء. وقلنا: يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإنه لا يمحوا إلا ما كان ولا يثبت إلا ما لم يكن. وهذا ليس بداء كما قالت اليهود وأتباعهم فنسبتنا اليهود في ذلك إلى القول بالبداء، وتابعهم على ذلك من خالفنا من أهل الأهواء المختلفة. وقال الصادق عليه السلام: ما بعث الله نبياً قط حتى يأخذ عليه الإقرار بالعبودية، وخلع الأنداد، وأن الله تعالى يؤخر ما يشاء ويقدم ما يشاء.

وقال الصادق عليه السلام: من زعم أن الله بدا له في شئ اليوم لم يعلمه أمس فابروا منه. وقال عليه السلام: من زعم أن الله بدا له في شئ بداء ندامة، فهو عندنا كافر بالله العظيم. وأما قول الصادق عليه السلام: ما بدا لله في شئ كما بدا له في ابني إسماعيل، فإنه يقول: ما ظهر لله سبحانه أمر في شئ كما ظهر له في ابني إسماعيل إذ اخترمه قبلي، ليعلم أنه ليس بإمام بعدي).

نموذج من عناد اليهود وردهم للحق!

في تفسير القمي (١٩١/٢) يصف أسرى بني قريظة الذين حركوا ضد النبي ﷺ: (وساقوا الأسارى إلى المدينة وأمر رسول الله ﷺ بأخذود فحفرت بالبقيع فلما أمسى أمر بإخراج رجل رجل فكان يضرب عنقه.

فقال حي بن أخطب لكعب بن أسيد: ما ترى ما يصنع محمد ﷺ بهم؟ فقال له: ما يسؤك! أما ترى الداعي لا يقلع والذي يذهب لا يرجع، فعليكم بالصبر والثبات على دينكم، فأخرج كعب بن أسيد مجموعة يديه إلى عنقه وكان جميلاً وسيماً فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له: يا كعب أما نفعتك وصية ابن الحواس الخبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام فقال: تركت الخمر والخنزير وجئت إلى البؤس والتمور، لنبي يبعث مخرجه بمكة ومهاجرته في هذه البحيرة يجترى

بالكسيرات والتميرات، ويركب الحمار العربي، في عينيه حمرة، بين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر؟

فقال: قد كان ذلك يا محمد! ولولا أن اليهود يعيرونني أني جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك ولكنني على دين اليهود عليه أحيأ وعليه أموت!

فقال رسول الله ﷺ: قدموه فاضربوا عنقه، فضربت.

ثم قدم حي بن أخطب فقال له رسول الله ﷺ: يا فاسق كيف رأيت صنع الله بك؟ فقال والله يا محمد ما ألوم نفسي في عداوتك ولقد قلقت كل مقلقل وجهدت كل جهد ولكن من يخذل الله يخذل! ثم قال حين قدم للقتل:

لعمرك ما لآم ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذل

فقدم وضرب عنقه. فقتلهم رسول الله في البردين بالغداة والعشي في ثلاثة أيام وكان يقول: أسقوهم العذب وأطعموهم الطيب وأحسنوا إلى أسارهم، حتى قتلهم كلهم، وأنزل الله على رسوله: وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَيْهِمْ أَيَّامَ الْحَرْبِ فِي لُحُوبِهِمْ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا.

من تأثير اليهود على بعض الصحابة

في تفسير القمي (٣٥٧/٢): (قال علي بن إبراهيم عليه السلام في قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. قال: نزلت في فلان لأنه مر به رسول الله ﷺ وهو جالس عند رجل من اليهود ويكتب خبر رسول الله ﷺ فأنزل الله جل ثناؤه أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ! فجاء إلى النبي فقال له النبي ﷺ رأيتك تكتب عن اليهود وقد نهى الله عن ذلك! فقال يا رسول الله كتبت عنه ما في التوراة من صفتك وأقبل يقرأ ذلك على رسول الله ﷺ وهو غضبان، فقال له رجل من الأنصار ويلك أما ترى غضب النبي عليك؟ فقال أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، إني إنما كتبت ذلك لما وجدت فيه من خبرك، فقال له رسول الله ﷺ يا فلان! لو أن موسى بن عمران فيهم قائماً ثم أتته رغبة عما جئت به لكنت كافراً بما جئت به.

وهو قوله: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً، حجاباً بينهم وبين الكفار وأيمانهم إقرار باللسان وخوفاً

من السيف ورفع الجزية وقوله: **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ**. قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الذين غصبوا آل محمد حقهم فيعرض عليهم أعمالهم فيحلفون له أنهم لم يعملوا منها شيئاً كما حلفوا لرسول الله ﷺ في الدنيا حين حلفوا أن لا يردوا الولاية في بني هاشم، وحين هموا بقتل رسول الله ﷺ في العقبة، فلما أطلع الله نبيه وأخبره حلفوا له أنهم لم يقولوا ذلك ولم يهيموا به حتى أنزل الله على رسوله: **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**.

وفي الخصال/٣٥٣: (قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه، فذاك في الدرك الأول من النار!

ومن العلماء من إذا وعظ أنف وإذا وعظ عَنف، فذاك في الدرك الثاني من النار!
ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين موضعاً، فذاك في الدرك الثالث من النار!

ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابة والسلطين، فإن رُد عليه شيء من قوله أو قُصِر في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع من النار!
ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزربه ويكثر به حديثه فذاك في الدرك الخامس من النار!

ومن العلماء من يصنع نفسه للفتيا ويقول: سلوني، ولعله لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحب المتكلفين، فذاك في الدرك السادس من النار!
ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً، فذاك في الدرك السابع من النار).

سمى النبي ﷺ عمرو جماعته (المتهوكين)

جَوَزَ الوهابيون أن يتوسل المسلم إلى الله تعالى بأي شخص حتى بالكافر، فالشرط الوحيد عندهم أن يكون حياً لا ميتاً، حتى لو كان كافراً! وقد رووا أن عائشة مرضت، فدعت يهودية لترقيها، وهو توسل باليهودي!

وروى مالك في الموطأ (٩٤٣/٢): (عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقبها! فقال أبو بكر: إرقبها بكتاب الله). يقصد بالتوراة، لأن اليهودية لا تقر بالقرآن!

أما في مذهبنا فالتوسل والإستشفاع بالله تعالى وأسماؤه الحسنى، وبالنبي وآله المعصومين ﷺ. ولم أجد في سيرة أئمتنا ﷺ ولا في سلوك أصحابهم وشيعتهم ذكراً للتوسل بأحد غير المعصومين، وإن وجد فهو تبعٌ للتوسل بهم، وفي موارد خاصة.

كما ورد في الأدعية التوسل بالملائكة المقربين والأنبياء السابقين ﷺ وكتب الله المنزلة وعباده الصالحين والأعمال الصالحة. (مصباح المتعبد / ٣٥٨ و ٣٠٢).

أما عمر فكان معجباً بثقافة اليهود حتى في حياة النبي ﷺ وكان يدرسُ عندهم في المدينة! وقد عرَّبوا له التوراة وجاء بها إلى النبي ﷺ ليعترف بها، فغضب وزجره، فأعاد ذلك مرات! وله في ذلك قصص مع النبي ﷺ.

ففي أسباب النزول للسيوطي (٢١/١) (كان يأتي اليهود فيسمع منهم التوراة).

وقال في الدر المنثور (١٤٨/٥): (وأخرج ابن الضريس عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها! فقال ﷺ: يا ابن الخطاب أمتهم كون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً!) وهذا يدل على أن عمر كان معه آخرون من أصحاب النبي ﷺ! وقد بلغ إعجابهم بأحاديث اليهود أنهم طلبوا من النبي أن يميز لهم كتابتها رسمياً! ولعلمهم كانوا كتبوها بالفعل لكنهم أرادوا من النبي أن يمضي عملهم ويعطيه الشرعية!

وبدل طلبهم هذا على أن التدوين في مفهوم العرب كان يعني القبول والإعجاب، وأن كل ما يأخذ بقلب الإنسان لبلاغته أو صدقه، فهو يستحق الكتابة والتدوين، لكي يحفظ ويستفاد منه. لكن عمر وأبا بكر لم يعطيا هذا الإحترام لسنة النبي ﷺ فمنعا تدوينها والتحديث بها!

فاعجب لهذا التناقض!

وروى أحمد في مسنده (٤٦٩/٣): (عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة إلا أعرضها عليك! قال فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله: فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. قال فسري عن النبي ﷺ ثم قال: والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم).

وفي الدر المنثور (٣/٤): (وأخرج أبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ونصر المقدسي في الحجة، والضياء في المختارة، عن خالد بن عرفطة قال: كنت جالساً عند عمر إذ أتاه رجل من عبد القيس فقال له عمر أنت فلان العبدي فقال (عمر): انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا في يدك يا عمر؟ فقلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا! فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه!

ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار: أغضب نبيكم، السلاح! فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الذين آمنوا إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تنهوكوا، ولا يغرنكم المتهوكون)!

وهذا يدل على أن عمر وجماعته كانوا متهوكين بالفعل، لأن النبي ﷺ نهى المسلمين عن التهوك، وعن الإغترار بالمتهوكين!

وفي سنن أبي داود (٤٠٣/٢): (عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب، قال بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له عمر: وهل تجديني في الكتاب؟ قال: نعم، قال: كيف تجديني؟ قال: أجذك قرناً، فرفع عليه الدرة فقال: قرْنُ مَهْ؟ فقال: قرن حديد أمينٌ شديد، قال: كيف تجد الذي يجيء من بعدي؟ فقال: أجده خليفة صالحاً غير أنه يؤثر قرابته، قال عمر: يرحم الله عثمان، ثلاثاً.

فقال: كيف تجد الذي بعده؟ قال: أجده صداً حديد، فوضع عمر يده على رأسه فقال: يا دفراه يا دفراه (الدفراثن) فقال: يا أمير المؤمنين، إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق)!

وهذا يدل على أن عمر قرر نقل الخلافة إلى عثمان، وأن الشورى كانت شكلية، ولذا جعل حق النقض فيها لعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان!

ويدل على أن عمر كان يؤمن بثقافة الأسقف النصراني! ويؤمن بأنه يعلم أحداث المستقبل،
ولذا سأله عن مستقبل الدولة والأمة الإسلامية، وقيلَ منه، رغم أنه هددته بالضرب بالدرّة!
وكان عمر يحترم حاخامات اليهود ويقربهم، ويقيم لهم مجالس التدريس أمرهم في
مسجد النبي ﷺ ليحدثوا المسلمين بأحاديث أهل الكتاب، في حين يعاقب على التحديث
عن النبي ﷺ! فاعجب لخليفة المسلمين!





الفصل الحادي والعشرون

طعام النبي ﷺ وشرابه

كان قليل الأكل وعامة طعامه خبز الشعير

في نهج البلاغة (٥٨/٢): (فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى. وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص لأثره. قضم الدنيا قضمًا، ولم يعرها طرفًا. أهضم أهل الدنيا كشحًا، وأخصهم من الدنيا بطنًا. عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئًا فأبغضه، وحقر شيئًا فحقره، وصغر شيئًا فصغره.

ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله ﷺ، وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله، لكفى به شقاقًا لله ومحادةً عن أمر الله.

ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة لإحدى أزواجه غيبه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها!

فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها ريشاً ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر. وكذا من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده.

ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدل على مساوي الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته.

فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال أهانه فقد كذب والعظيم، وإن

قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه. فتأسى متأس بنبيه، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً ﷺ علماً للساعة، ومبشراً بالجنة ومنذراً بالعقوبة. خرج من الدنيا خميصاً وورد الآخرة سليماً).

وفي الكافي (١٦٨/٨): (قال عمرو بن سعيد بن هلال قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق عليه السلام): إني لا أكاد ألقاك إلا في السنين فأوصني بشئ آخذ به، قال: أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع معه. وإياك أن تطمح نفسك إلى من فوقك، وكفى بما قال الله عز وجل لرسوله ﷺ: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ. وقال الله عز وجل لرسوله: لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ).

فإن خفت شيئاً من ذلك فاذكر عيش رسول الله ﷺ فإنما كان قوته الشعير وحلواه التمر، ووقوده السعف، إذا وجده، وإذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله ﷺ، فإن الخلق لم يصابوا بمثله قط). وفي رواية مكارم الأخلاق/١٥٤: (وحلواه التمر، وإدامه الزيت).

وفي الشرائع المحمدية للترمذي/٨٥: (سئل سهل بن سعد: أكل رسول الله النقي، يعني الحواربي (خبز البر) فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ أكل النقي حتى لقي الله عز وجل، فقيل له: هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: ما كانت لنا مناخل، قيل: كيف كنتم تصنعون بالشعير؟ قال: كنا ننفخه فيطير منه ما طار ثم نعجنه).

(عن يوسف بن سلام قال: رأيت النبي ﷺ أخذ كسرة من خبز الشعير، فوضع عليها تمر، وقال: هذا إدام هذه، وأكل). (الشمائل/١٠٣).

وفي الكافي (٣٦٢/٦): (عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: أكل النبي ﷺ البطيخ بالسكر، وأكل البطيخ بالرطب). لأن بطيخ المدينة قليل الحلاء.

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاءاً! في مسند زيد/٤٦١: (قال علي عليه السلام كنا مع النبي ﷺ في حفر الخندق إذ جاءت فاطمة عليها السلام ومعها كسيرة من خبز فدفعتها إلى النبي ﷺ فقال: ما هذه الكسيرة قالت قرص شعير خبزته للحسن والحسين جئتكم منه بهذه الكسيرة، فقال ﷺ: يا فاطمة أما إنه أول طعام دخل في في أبيك منذ ثلاثة أيام!)

ومن وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام (وسائل: ٤٣٢/٢٤): (يا علي اثنتا عشرة خصلة ينبغي للرجل المسلم أن يتعلمها على المائدة، أربع منها: فريضة وأربع منها سنة، وأربع منها أدب. فأما الفريضة فالمعرفة بما يأكل والتسمية والشكر والرضا. وأما السنة فالجلوس على الرجل اليسرى والأكل بثلاث أصابع، وأن يأكل مما يليه، ومص الأصابع. وأما الأدب فتصغير اللقمة والمضغ الشديد، وقلة النظر في وجوه الناس، وغسل اليدين).

وفي سنن النبي ﷺ للطبائبي ١٦٠ ملخصاً: (في الكافي قال الصادق عليه السلام: ما كان شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من أن يظل جائعاً، خائفاً في الله.

وقال علي عليه السلام لليهودي: محمد ﷺ أزهد الأنبياء، كان له ثلاث عشرة نسوة سوى من يطيف به من الإماء ما رفعت له مائدة قطّ وعليها طعام، وما أكل خبز بر قطّ، ولا شبع من خبز شعير قطّ ثلاث ليال متواليات.

كان إذا قعد على المائدة قعد قعدة العبد، وكان يتكي على فخذه الأيسر.

كان يجلس على الأرض، ويعقل الشاة، ويحيب دعوة المملوك على خبز شعير.

وعن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يلحق أصابعه إذا أكل.

كان النبي ﷺ يأكل الأصناف من الطعام. وكان يأكل ما أحل الله له مع أهله وخدمه، إلا أن ينزل بهم ضيف فيأكل مع ضيفه.

كان أول من يضع يده وآخر من يرفعها ليأكل القوم. كان إذا أفطر عند قوم قال: أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الأخيار.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: عشاء النبيين بعد العتمة فلا تدعوه، فإن ترك العشاء خراب البدن. ما قدّم إلى رسول الله ﷺ طعام فيه تمر إلا بدء بالتمر.

كان رسول الله ﷺ يحمد الله بين كل لقمتين.

كان رسول الله ﷺ إذا أكل لبناً مضمض فاه، وقال: إن له دسماً.

كان إذا شرب بدأ فسمى ويمص الماء مصاً ولا يعبه عباً، ويقول: الكباد من العب. (مرض الكبد).

كان يتنفس في الإناء ثلاثة أنفاس، يسمى عند كل، ويشكر الله في آخرهن.

فإذا أراد أن يتنفس أبعدا الإناء عن فيه حتى يتنفس.
 وكان إذا أكل اللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا، ثم مسح بفضل الماء على وجهه.
 كان يأكل الأصناف من الطعام. وكان يأكل القثاء بالرطب، وكان أحبها إليه البطيخ والعنب،
 وكان يأكل البطيخ بالخربز، وربما أكل بالسكر.
 عن أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: كلوا الزيت، وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة.
 وقال: نعم الإدام الخل).

وقد يأكل اللحم وغيره

(نحر رسول الله ﷺ منها ستاً وستين، ونحر علي عليه السلام أربعاً وثلاثين بدنة، وأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم، ثم يطرح في برمة ثم تطبخ، فأكل رسول الله ﷺ منها وعلي عليه السلام، وحسباً من مرقها). (مناهج الأخبار (٣/٤٥٧).
 (أهدت أم حفيد خالة ابن عباس إلى النبي ﷺ أقطاً وسمناً وضباً، فأكل النبي من الأقط والسمن، وترك الضب تقذراً). (البخاري: ١١/٣).
 (دعا النبي ﷺ ببرمة عظيمة فجعل فيها من ذلك الدقيق والسمن والعسل ثم أنضجه فأكل النبي ﷺ وأكلوا ثم قال لهم: كلوا فإن هذا يشبه خبيص أهل فارس). (الحاكم: ٤/١١٠).
 (قال أبو عبيد: طبخت للنبي قدراً، وقد كان يعجبه الذراع فناولته الذراع، ثم قال: ناولني الذراع، فناولته، ثم قال: ناولني الذراع). (الشمائل: ٩٦).
 (قال رسول الله ﷺ: سيد طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم ثم الأرز. وسيد شراب الدنيا والآخرة الماء، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر). (العيون: ٢/٣٨).

ويأكل الفاكهة إن وجدت

في الكافي (١/٢٦٣): (عن الصادق عليه السلام: إن جبرئيل أتى رسول الله ﷺ برمانتين فأكل رسول الله ﷺ إحداهما وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفاً وأطعم علياً عليه السلام نصفاً ثم قال له رسول الله ﷺ: يا أخي هل تدري ما هاتان الرمانتان؟ قال: لا، قال: أما الأولى فالنبوة ليس لك

فيها نصيب، وأما الأخرى فالعلم أنت شريكى فيه. فقلت أصلحك الله كيف كان يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلم الله محمدًا ﷺ علماً إلا وأمره أن يعلمه علياً ﷺ.

وفي روضة الواعظين/١٥٩: (قالت أم سلمة: كان النبي ﷺ عندي، وأتاه جبرئيل ﷺ فكان في البيت يتحدثان إذ ذق الباب الحسن بن علي ﷺ فخرجت أفتح له الباب، فإذا الحسين ﷺ معه فدخلا، فلما أبصرا جدهما شبها جبرئيل ﷺ بدحية الكلبي، فجعلوا يحفان به ويدوران حوله، فقال جبرئيل ﷺ يا رسول الله أما ترى الصبيين ما يفعلان؟ فقال: يشبهانك بدحية الكلبي فإنه كثيراً ما يتعاهدهما ويتحفهما إذا جاءنا، فجعل جبرئيل ﷺ يومي بيده كالمتناول شيئاً فإذا بيده تفاحة وسفرجلة ورمانة فناول الحسن، ثم أومى بيده مثل ذلك فناول الحسين ففرحا وتهللت وجوههما، وسعيا إلى جدهما صلوات الله عليهما، فأخذ التفاحة والرمانة والسفرجلة فشمها، ثم ردها إلى كل واحد منهما كهيئتهما، ثم قال لهما: صيرا إلى أمكما بما معكما، وبدؤكما بأبيكما أعجب إلي، فصارا كما أمرهما رسول الله ﷺ فلم يأكل منها شيء حتى صار إليهما، فإذا التفاح وغيره على حاله، فقال: يا أبا الحسن ما لك لم تأكل ولم تطعم زوجتك وابنيك، وحدثه الحديث فأكل النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وأطعمنا أم سلمة، فلم يزل الرمان والسفرجل والتفاح كلما أكل منه عادا إلى ما كان حتى قبض رسول الله ﷺ قال الحسين: فلم يلحقه التغير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلما توفيت ﷺ فقدنا الرمان، وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي فلما استشهد أمير المؤمنين ﷺ فقد السفرجل وبقي التفاح على هيئته عند الحسن حتى مات في سمه، ثم بقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء فكنت أشمها إذا عطشت فتكسر لهب عطشى، فلما اشتد علي العطش عضضتها وأيقنت بالفناء. قال علي بن الحسين ﷺ: سمعته يقول ذلك قبل مقتله بساعة، فلما قضى نحبه وجد ريحها من مصرعه، فالتمست فلم ير لها أثر فبقي ريحها بعد الحسين ﷺ. ولقد زرت قبره فوجدت ريحها تفوح من قبره فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليتمسك ذلك في أوقات السحر، فإنه يجده إذا كان مخلصاً).

وكان يتواضع في جلسته للأكل

(ما أكل رسول الله على مائدة قط، ولا أكل خبز رقاق قط، ولا اصطبغ في سكرجة قط، قال فقيل: يا أبا حمزة فعلى أي شيء كانوا يأكلون؟ قال: على السُّفَر). (البيهقي: ٤٧/٧).

(عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ما أكل رسول الله ﷺ متكئاً منذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبضه تواضعاً لله عز وجل. وما رأى ركبتيه جلسه في مجلس قط ولا صافح رسول الله ﷺ رجل قط فنزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده، ولا كافأ رسول الله ﷺ بسبيته قط، قال الله تعالى له: **إِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ**، ففعل. وما منع سائلاً قط، إن كان عنده أعطى وإلا قال: يأتي الله به، ولا أعطى على الله عز وجل شيئاً قط إلا أجازاه الله، إن كان ليعطي الجنة فيجيز الله عز وجل له ذلك). (الكافي: ١٦٤/٨).

(وأكل النبي ﷺ يوماً رطباً كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره، فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل في كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ، وانصرفت الشاة).
(منانقب آل أبي طالب: ١/ ١٠٤)

وفي كثير من حالات الجوع كان الله ينزل الله له الطعام

في أمالي الصدوق ٥٨١: (عن ابن عباس قال: كنا جلوساً في محفل من أصحاب رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ فينا، فرأينا رسول الله ﷺ قد أشار بطرفه إلى السماء فنظرنا فرأينا سحابة قد أقبلت فقال لها: أقبلي، فأقبلت، ثم قال لها: أقبلي، فأقبلت، ثم قال لها: أقبلي، فأقبلت، فرأينا رسول الله ﷺ وقد قام قائماً على قدميه، فأدخل يديه في السحاب حتى استبان لنا بياض إبطي رسول الله ﷺ فاستخرج من ذلك السحاب جامه بيضاء مملوءة رطباً فأكل النبي ﷺ من الجام، وسبح الجام في كف رسول الله ﷺ، فناوله علي بن أبي طالب عليه السلام فأكل علي عليه السلام من الجام، فسبح الجام في كف علي عليه السلام. فقال رجل: يا رسول الله، أكلت من الجام، وناولته علي بن أبي طالب! فأنتق الله عز وجل الجام وهو يقول: لا إله إلا الله، خالق الظلمات والنور، أعلموا معاشر الناس أني هدية الصادق إلى نبيه الناطق، ولا يأكل مني إلا نبي أو وصي نبي).

وفي الخرائج (٤٨١): (روى عن أم سلمة أن فاطمة عليها السلام جاءت إلى النبي ﷺ حاملة حسناً وحسيناً وفُخاراً فيه حريرة فقال: أدعي ابن عمك. فأجلس أحدهما على فخذه اليمنى، والآخر على فخذه اليسرى، وعلياً وفاطمة أحدهما بين يديه والآخر خلفه، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ثلاث مرات. وأنا عند عتبة الباب فقلت: وأنا

منهم؟ فقال: أنت إلى خير. وما في البيت أحد غير هؤلاء وجبرئيل عليه السلام ثم أغدف عليهم كساءً خبيراً فجللهم به وهو معهم، ثم أتاه جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب فأكل النبي ﷺ ففسح، ثم أكل الحسن والحسين عليهما السلام فتناولوا، ففسح العنب والرمان في أيديهما، ودخل علي فتناول منه ففسح أيضاً ثم دخل رجل من أصحابه وأراد أن يتناول. فقال جبرئيل: إنما يأكل من هذا نبي أو ولد نبي أو وصي نبي).

وفي الثاقب في المناقب/٢٩٦، وتفسير الثعلبي (٥٧/٣) وتفسير ابن كثير (٣/٣٦٨): (عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ص أقام أياماً لم يُطعم طعاماً، حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه، فلم يصب في بيت أحد منهم شيئاً، فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال: يا بنية هل عندك شيء أكل فيني جائع؟ فقالت: لا والله بأبي أنت وأمي، فلما خرج رسول الله ﷺ من عندها، بعثت إليها جارية لها برغيفين وبضعة لحم، فأخذته منها ووضعت في جفنة وغطت عليه وقالت: لأوثرن بها رسول الله على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة من طعام، فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدهما رسول الله ﷺ فرجع إليها، فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك، قال: فهل مي به، فأتي به فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليه هبتت وعرفت أنها من بركة الله، فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه، فقال ﷺ: من أين لك هذا يا بنية؟ قالت: هو من عند الله إن الله يزرق من يشاء بغير حساب، فحمد رسول الله ﷺ وقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت يرزقها الله رزقاً حسناً فسئلت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فبعث رسول الله ﷺ إلى علي، ثم أكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته جميعاً حتى شبعوا. قالت فاطمة: وبقيت الجفنة كما هي فأوسعت منها على جميع جيراني فجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً).

ويقبل الدعوة من كل مسلم

(مجمع الزوائد: ٢٧/٥). (عن عبد الله بن بشر قال: بعثني أبي إلى رسول الله ﷺ أدعوه إلى طعام فجاء معي فلما دنوت من المنزل أسرع فأعلمت أبوي فخرجا فتلقي رسول الله ﷺ ورحبا ووضعاه له قطيفة كانت عندنا زيرية فقعد عليها، ثم قال أبي لأمي: هات طعامك. فجاءت

بقصعة فيها دقيق قد عصدته بماء وملح، فوضعت بين يدي رسول الله ﷺ فقال: خذوا باسم الله من جوانبها وذروا ذروتها، فإن البركة فيها، فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه وفضل منها فضلة ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم اغفر لهم، وارحمهم، وبارك عليهم، ووسع عليهم في أرزاقهم). (عن أنس أن النبي ص استأذن على سعد بن عباد فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال سعد وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي حتى سلم ثلاثاً ورد عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعه فرجع النبي فاتبعه سعد فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما سلمت تسليمة إلا وهي بأذني ولقد رددت عليك ولم أسمعك أحببت أن استكثر من سلامك ومن البركة ثم أدخله البيت فقرب إليه زيتاً فأكل النبي ﷺ فلما فرغ قال: أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون). (مجمع الزوائد: ٣٤/٩).

(عن جابر قال كان رجل من الأنصار يقال له أبو شعيب وكان له غلام لحام فقال له: إجعل لنا طعاماً لعلني أدعو رسول الله ﷺ سادس ستة فدعاهم فاتبعهم رجل فقال له رسول الله ﷺ: إن هذا قد اتبعنا أفتأذن له؟ قال: نعم). (مسند أحمد: ٣٥٣/٣).

(قال أنس: إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه. قال أنس: فذهب مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير، ومرقاً فيه دبء وقديد. قال أنس: فرأيت النبي يتتبع الدبء حوالى القصعة، فلم أزل أحب الدبء من يومئذ). (الشمائل المحمدية: ٩٦).

ويذكر الله عند البدء بالأكل وبعده

(عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنه ﷺ كان: يقول في آخر كل يوم يمضي من عند الإفطار: الحمد لله الذي أعاننا فصمنا، ورزقنا فأفطرننا. اللهم تقبله منا، وأعنا عليه، وسلمنا فيه، وتسلمه منا في سر منك وعافية. الحمد لله الذي قضى عنا يوماً من شهر رمضان حتى يتم إن شاء الله. وكان إذا أفطر قال: اللهم لك صمنا، وعلى رزقك أفطرننا، فتقبله منا، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وبقي الأجر).

قال: وكان ﷺ إذا أكل عند قوم قال: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار).

كان يأكل بثلاث أصابع ويلق أصابعه ويغسل يديه

(عن سلمان قال: قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده، فذكرت ذلك للنبي ﷺ وأخبرته بما قرأت في التوراة، فقال رسول الله ﷺ: بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده).
(الشمال/١٠٤).

(كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من طعامه لقع أصابعه في فيه فمصها. وقال الصادق عليه السلام: إني لألق أصابعي حتى أرى أن خادمي يقول: ما أشره مولاي). (جواهر الكلام: ٤٥٠/٣٦).
(عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين. وعن أبي أمامة قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفعت المائدة من بين يديه يقول: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا. (الشمال/١٠٥)
(وقال رسول الله ﷺ: من أطمعه الله طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه).
(الشمال/١١٤).

ونهى عن أشياء في الطعام والشراب

ففي أمالي الصدوق/٥٠٩: (عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: نهى رسول الله ﷺ عن الأكل على الجنابة وقال: إنه يورث الفقر. ونهى أن يأكل الإنسان بشماله وأن يأكل وهو متكئ. ولا يشربن أحدكم الماء من عند عروة الإناء فإنه مجتمع الوسخ. وقال لا يبيتن أحدكم ويده غمرة (دسمة وسخة) فإن فعل فأصابه لم الشيطان فلا يلوم من إلا نفسه.
ونهى عن الشرب في آنية الذهب والفضة. ونهى أن ينفخ في طعام أو شراب وأن يأكل وذو عينين ينظر إليه ولا يواسيه، فيبتلى بداء لا دواء له).

وفي الشمال/١١٧: (وكان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به رسول الله ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا في ثمارنا وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا وفي مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونيبك، وإني عبدك ونيبك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه. قال: ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر).

وقالوا الطعام يبطل الوضوء وهو غير صحيح

(أكل رسول الله ﷺ كتفاً في بيت ميمونة بنت الحارث فصلى ولم يتوضأ)

(المعجم الكبير: ١٦٥/١).

كذبوا على النبي ﷺ بأنه كان يشرب النبيذ

(سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في النبيذ فإن أبا مريم يشربه ويزعم أنك أمرت بشربه، فقال: معاذ الله عز وجل أن أكون أمر بشرب مسكر! والله إنه لشئ ما اتقيت فيه سلطاناً ولا غيره، قال رسول الله ﷺ: كل مسكر حرام، فما أسكر كثيره فقليله حرام).

(الكافي: ٤١٠/٦).

(عن خضر الصيرفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من شرب النبيذ على أنه حلال خلد في النار، ومن شربه على أنه حرام عذب في النار). (الكافي: ٣٩٨/٦).



وفي نهج البلاغة (٤٩/٢): « قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة وهل سألت رسول الله ﷺ عنها؟ فقال عليه السلام: لما أنزل الله سبحانه قوله: أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: يا علي إن أمتي سيفتنون من بعدي! فقلت يا رسول الله: أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذا؟ فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشري والشكر! فقال: يا علي إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية. والربا بالبيع! قلت يا رسول الله: بأي المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة. »



وقد أورد السيد السبزواري في المذهب (١٨٩/٢٣): (عددًا من آداب الأكل والشرب، منها: قال رسول الله ﷺ إذا وضعت المائدة حفها أربعة آلاف ملك، فإذا قال العبد: بسم الله قالت الملائكة: بارك الله عليكم في طعامكم ثم يقولون للشيطان: أخرج يا فاسق لا سلطان لك عليهم. فإذا فرغوا فقالوا الحمد لله قالت الملائكة: قوم أنعم الله عليهم فأدوا شكر ربهم، وإذا لم يسموا قالت الملائكة للشيطان: أدن يا فاسق فكل معهم، فإذا رفعت المائدة ولم يذكروا اسم الله عليها قالت الملائكة: قوم أنعم الله عليهم، فنسوا ربهم)

قال النبي ﷺ: « ما من رجل يجمع عياله ويضع مائدته فيسمون في أول طعامهم، ويحمدون في آخره، فترفع المائدة حتى يغفر لهم ».

وفي وصيته ﷺ لعليّ عليه السلام في آداب المائدة: الخلال بعد الطعام وأن لا يكون بعود الريحان وقضب الرمان والخوص والقصب.

وعنه عليه السلام: رحم الله المتخللين، قيل: يا رسول الله وما المتخللون؟ قال: المتخللون من الطعام فإنه إذا بقي في الفم تغير فأذى الملك رجه.

وعن علي عليه السلام: نهى رسول الله ﷺ عن التخلل بالرمان والآس والقصب وقال: إنهن يحركن عرق الأكلة.

وقال رسول الله ﷺ: الذي يسقط من المائدة مهوور حور العين.

ونهى ﷺ أن ينفخ في طعام أو شراب، أو ينفخ في موضع السجود.

وعن الصادق عليه السلام « إذا أكل أحدكم أو شرب فليأكل أو يشرب بيمينه تأسيساً بالنبي ﷺ كان إذا أكل مع القوم طعاماً كان أول من يضع يده وآخر من يرفعها ليأكل القوم ».

وعن الصادق عليه السلام أن النبي ﷺ كان يجلس جلسة العبد ويضع يده على الأرض ويأكل بثلاث أصابع، ليس كما يفعل الجبارون يأكلون بأصبعين.

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أكرموا الخبز، قيل: يا رسول الله وما إكرامه؟ قال: إذا وضع لا ينتظر به غيره.

و عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم أن تشمو الخبز كما يشمه السباع فإن الخبز مبارك أرسل الله له السماء مدراراً وله أنبت الله المرعى، وبه صليتم وبه صمتم، وبه حججتم بيت ربكم.

و عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: سيد شراب الجنة الماء).



وقال الشيخ محمد جواد مغنية في فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام (٣٩٦/٤):

(في كتب الفقه والحديث روايات كثيرة عن أهل البيت عليه السلام في آداب المائدة، وبيان النافع والضار من الأطعمة والأشربة، وقد جمعها الحر العاملي في المجلد الثالث من كتاب وسائل الشيعة باب الأطعمة والأشربة، وتبلغ المئات، ولو أخرجت في كتاب مستقل لجاءت في مجلد ضخمة، وفيما يلي بعض ما تضمنته تلك الروايات:

يستحب غسل اليدين قبل الطعام وبعده، مع غسل الفم، وأن يفتح الأكل بالملح ويختم به، وأن لا يأكل الفاكهة إلا بعد غسلها.

وقال الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: الطعام إذا جمع ثلاث خصال فقد تم: إذا كان من حلال، وكثرت الأيدي عليه، وسمى في أوله، وحمد الله في آخره.

ويكره أكل الطعام حاراً، فعن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ قدم إليه طعام حار، فقال: نَحْوُهُ حتى يبرد، إن الله لم يطعمنا النار.

ونهى أن ينفخ في طعام أو شراب. وقال الصادق عليه السلام: لم يكن رسول الله ﷺ يأكل طعاماً، أو يشرب شرباً إلا قال: اللهم بارك لنا فيه، وأبدلنا خيراً منه إلا اللبن فإنه كان يقول: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه. وعن النبي ﷺ: عليكم بالفواكه في إقبالها، فإنها مصحة للأبدان).





الفصل الثاني والعشرون

يسلط الله رسله على من يشاء

الأرض ومن فيها ملك لله تعالى

قال الله تعالى: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ.

فالأرض ومن فيها ملك لله تعالى، فهو خالقها ومالكها، وله أن يتصرف فيها كما شاء، فيهبها لمن شاء، يهب الأراضي والثروات، بل يهب الناس والمخلوقات، ولا يحق لأحد أن يعترض على تصرفه. فالحديث الذي يقول إن الله وهب الأرض وما عليها للإمام عليه السلام منسجم مع الأصل القانوني والفقهية، ولو قال أسكنت فيها بني آدم بشرط الإسلام لكان للمسلمين الحق أن يسكنوا فيها، أما الكفار فيجب أن يعطوا أجرة أو جزية بدل سكنهم، وذلك منسجم مع الأصل القانوني والفقهية.

وقال تعالى: وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. أي كل أرض أو بلد تدخل في الإسلام بدون قتال فهي فيئ للنبي صلوات الله عليه وهي ملك له خاصة دون المؤمنين.

ملكية المعصوم أكبر من بقية الملكيات

في الإسلام أربعة أنواع من الملكية: الملكية الشخصية، وملكية الدولة، وملكية المسلمين، وملكية الإمام. وقد جعل الله ملكية الإمام أكبر الملكيات فهي تشمل أكثر الثروات الطبيعية والأراضي المشاع وغيرها. وذلك لكي يوازن الإمام بين الملكيات، فجعل يده مبسطة ليعطي

من ملكيته ما يسد الحاجة ويحفظ حاجة المجتمع وتوازن اقتصاد البلد.

الأرض كلها للإمام عليه السلام

قال الإمام الباقر عليه السلام (الكافي ٤٠٧/١): (وجدنا في كتاب علي عليه السلام إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض ونحن المتقون والأرض كلها لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها، فإن تركها أو أخرجها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها فهو أحق بها من الذي تركها، يؤدي خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها، حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف، فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها، كما حواها رسول الله ﷺ ومنعها. إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم).

وفي الكافي (٤٠٨/١): (قال: رأيت مسمعا بالمدينة، وقد كان حمل إلى أبي عبد الله عليه السلام تلك السنة مالا فرده أبو عبد الله، فقلت له: لم رد عليك أبو عبد الله المال الذي حملته إليه؟ قال: إني قلت له حين حملت إليه المال: إني كنت وليت البحرين الغوص فأصبت أربع مائة ألف درهم وقد جئتكم بخمسها بثمانين ألف درهم وكرهت أن أحبسها عنك، وأن أعرض لها، وهي حقك الذي جعله الله تبارك وتعالى في أموالنا، فقال: أو ما لنا من الأرض وما أخرج الله منها إلا الخمس يا أباسيار؟ إن الأرض كلها لنا، فما أخرج الله منها من شيء فهو لنا، فقلت له: وأنا أحمل إليك المال كله؟ فقال: يا أباسيار قد طيناه لك وأحللناك منه فضم إليك مالك، وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا فيجيبهم طسق ما كان في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم. وأما ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا، فيأخذ الأرض من أيديهم ويخرجهم صغرة. قال عمر بن يزيد: فقال لي أبوسيار: ما أرى أحداً من أصحاب الضياع، ولا ممن يلي الأعمال يأكل حلالاً غيري، إلا من طيبوا له ذلك).

القانون الطبيعي وأصل الملكية عندهم في طريق مسدود

قال الحقوقيون إن القانون الطبيعي يستوجب ملكية الإنسان لما يحتاج إليه في معيشته، من مسكن وزراعة ومأكل ومدفن. وقد ناقشتهم في مستند هذه الملكية، لأنهم ما داموا يقرون

بملكية الله تعالى فلا بد أن يستند الإستحقاق الى تملك المالك عز وجل . وقد أقر بذلك الدكتور عبدالحى حجازي رئيس كلية الحقوق بجامعة الكويت .
فالحقوقي عندما يبحث استحقاق الملكية، لا يجوز أن يغمض عينيه عن خالق الأرض والإنسان ومالكهما عز وجل .
وهذا يتميز الفقه الإسلامي عن القانون بأنه لا ينطلق في أصوله وتفريعاته من فراغ، أو من فرضية خيالية ، بل من تملك المالك الشرعي عز وجل .

حروب النبي ﷺ منها دفاعية ومنها هجومية

بعض الناس يتخيل أن هجوم النبي ﷺ على أعدائه لا يناسب نبوته، فيقول إن حروبه كانت كلها دفاعية، وإنه لم يكن يبدأ بهجوم أبداً .
وبعضهم يريدون الدفاع عن النبي ﷺ أمام الغربيين الذين يقولون إن محمداً جاء بالقتل وسفك الدماء، فيدبونهم: كلا، بل هو مدافع .
وقد كتبنا في السيرة النبوية عند أهل البيت عليه السلام ما خلاصته:

قال أمير المؤمنين عليه السلام يصف حالة الأنصار في أول الهجرة (أمالى الطوسي/١٧٤): « فلما آووا رسول الله ﷺ وأصحابه ونصره والله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجدوا للدين وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبال، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامه، وأهل مكة واليامة، وأهل الحزن وأهل السهل، قناة الدين والصبر، تحت حماس الجلال » .
وهذا جو يستوجب الإستنفار الدائم للدفاع . فحروبهم مع قريش وغيرها كانت دفاعاً أو وقاية من اعتداء متوقع .

وقد تبنى هذا التحليل الكتّاب المسلمون المعاصرون رداً على الغربيين الذين اتهموا الإسلام بأنه دين دموي انتشر بالقوة .

وقد أجاب بعضهم بإجابات ضعيفة، فادعوا أن جميع حروب النبي ﷺ دفاعية، لكن آيات فريضة الجهاد صريحة في تشريع القتال للدفاع والهجوم، وكذا ما دونه الفقهاء في أبواب الجهاد،

الكافي: ٥ / ١٣، ومبسوط الطوسي: ٢ / ٢، والجواهر: ٢١ / ٣، والمجموع: ١٩ / ٢٦٥، والمغني: ١٠ / ٣٦٤.

والأصل الحقوقي في هذه المسائل أن المالك المطلق للأرض والكون هو الله تعالى، فهو الخالق المالك عز وجل. وبما أنه عادل حكيم، لم يعط حق دعوة الناس إليه إلا للمعصومين من أنبيائه وأوصيائه ﷺ. ولهذا سلط رسوله على الناس: وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وحصر المأذون لهم بالدعوة والقتال بالمعصومين الذين اختارهم. (تهذيب الأحكام: ١٣١ / ٦).

روى في الكافي (٣٤١/٨) بسند صحيح عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «إنه لما ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة ومات أبو طالب بعد موتها، حزن رسول الله حزناً شديداً، وخاف على نفسه من كفار قريش فأوحى الله إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة، فليس لك بمكة ناصر، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.»

وقال ابن هشام (٣٢٠/٢): «أذن الله عز وجل لرسوله في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب قول الله تبارك وتعالى: أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ».

وقال الصادق عليه السلام (الكافي ٧/٥): «إن الله عز وجل بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال! فالخير كله في السيف وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيف مقاليد الجنة والنار.»

حروب النبي ﷺ مشروعة لاسترداد حريته في الدعوة

فكان من حقه ﷺ أن يقاتلهم لينتزع منهم حريته في التبليغ، وقد استند إلى ذلك في معركة بدر فقال لبني هاشم: «قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفؤا نور الله». (المناقب: ١ / ١٦٢).

وفي نقض العثمانية (٢٨٣/١): (فقال النبي ﷺ لأهله الأذنين: قوموا يا بني هاشم فانصروا حقكم الذي آتاكم الله، على باطل هؤلاء).

وحق النبي ﷺ وبني هاشم أن يبلغ نبيهم رسالة ربه بحرية، وأن يقاتل ليسترد حريته. كما

أن من حقه أن يتخذ كل الإجراءات اللازمة لحماية نفسه. وحقه أن يفند افتراءهم وبهتانهم عليه وعلى رسالته.

ولأنه أفضل الأنبياء ﷺ ورسالته خاتمة الرسالات كانت أول قضية ترفع يوم القيامة ظلم قريش له، وصدها عن سبيل الله الذي يدعو اليه، ومنعها الخير والهداية أن تصل الى شعوب العالم وأجياله. فمحكمة القيامة تبدأ بالقضايا الكبرى التي أثرت على أمن الشعوب وهدايتهم، شبيهاً بقضايا أمن الدولة، وتنظر فيها قبل القضايا الفردية.

وأول القضايا الكبرى ظلم قريش للنبي ﷺ وعلي ﷺ وبني هاشم. وهذا معنى ما رواه البخاري ورويناه من أن علياً ﷺ أول شاكٍ يوم القيامة، أي نيابة عن النبي ﷺ وأصالة عن نفسه! فهو صاحب قضية لها أولوية في محكمة العدل الكبرى على قضايا الأمم، لأنها الأعظم على الإطلاق!

قال البخاري في صحيحه (٦/٥): (عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة)!

وقال الحاكم (٣٨٧/٢): (قال عليٌّ: وأنا أول من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة. لقد صح الحديث بهذه الروايات عن علي، كما صح عن أبي ذر الغفاري).

وهذه حقيقة قارعة، فعلي ﷺ الشاكي يجثو على ركبتيه بين يدي الله عز وجل ويقدم شكواه على قريش بالأصالة عنه والوكالة عن النبي ﷺ!

وقد كان ﷺ يعلن شكواه من قريش، ومما قاله ﷺ (نهج البلاغة: ٨٢/١): (مالي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين. وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم. والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شُرْبَكَ المحضَ صابحاً وأكلك بالزُّبْدِ المقشرة البُجْراً
ونحن وهبناك لعلاء ولم تكن علياً وحُطْنَا حولك الجرد والسمرا).

وقال ﷺ (الخصال: ٣٦٦): (وأما الثانية يا أبا اليهود فإن قريشاً لم تزل تحيّل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي ﷺ حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار دار الندوة، وإبليس الملعون

حاضر في صورة أعور ثقيف، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً ليطن حتى اجتمعت آراؤها على أن يتدب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتي النبي ﷺ وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيا فهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضي دمه هدرًا، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فأنبأه بذلك وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار، فأخبرني رسول الله ﷺ بالخبر، وأمرني أن أضطجع في مضجعه، وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه، فمضى ﷺ لوجهه واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجال قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي ﷺ، فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه، ناهضتهم بسيقي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس).

وقال عليه السلام (نهج البلاغة: ٢١/٣): (فدع عنك قريشاً وتركا ضهم في الضلال، وتجواهم في الشقاق، وجماهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي، فجرت قريشاً عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي).

وقال عليه السلام (نهج البلاغة: ٢٧/٢): (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لاتصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم).

منها: أثروا عاجلاً وأخروا آجلاً، وتركوا صافياً وشربوا آجناً. أين العقول المستصبة بمصاييح الهدى، والأبصار اللامحة إلى منار التقوى. أين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله. إزدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام، ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم وأقبلوا إلى النار بأعمالهم. دعاهم ربهم فنفروا وولوا، ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا).

وقال عليه السلام (نهج البلاغة: ٢٠٢/٢): (اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا

مساعد إلا أهل بيتي فضنت بهم عن المنية فأغضيت على القذى، وجرعت ريتي على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمرٍ من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار)!

في الخصال ٤٦٢: (قال رسول الله ﷺ: يا علي إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك، وعصوني فيك. فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر، ألا وإنهم سيغدرون بك لا محالة، فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإن الأمة ستغدر بك بعدي، كذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربي تبارك وتعالى).

وقال له النبي قبل وفاته (البصائر/١٤١): (لست أخاف عليك أن تضل بعد الهدى، ولكن أخاف عليك فساق قريش وعاديتهم! حسبن الله ونعم الوكيل).

وفي شرح النهج (٣٢٦/٢٠): (أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي إلى أن الأمة ستغدر بك من بعدي).

ورواه الحاكم (١٤٣/١٤٠/٣) بلفظ: (قال لي رسول الله ﷺ: إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا يعني لحيته من رأسه).

وقال الهيثمي (١٣٨/٩): (رواه البزار وفيه علي بن قادم وقد وثق وضعف).

أقول: ما تقدم يكفي لنعرف أن شكاية علي عليه السلام يوم يجثو أمام ربه عز وجل إنما هي من قريش، وأن محاولة البخاري ورواة السلطة أن يجعلوها شكاية على من قتلهم في بدر محاولة ركيكة بل سخيفة، فبعد قتله إياهم لم يبق ما يشتكيه منهم!





الفصل الثالث والعشرون

محااولات قريش واليهود اغتيال النبي ﷺ

غضبت قريش وقررت قتل النبي ﷺ لمجرد بعثته!

كانت قريش تنتظر أن يظهر نبي من بني عبد المطلب، فقد شاع ذلك من الأحبار والرهبان، وبمجرد أن عرفت أن محمداً قال إنه بعث نبياً، اتخذت قراراً بقتله، لأنه يحل بتوافق قبائل قريش على مناصب السيادة، وبنو هاشم سهمهم السقاية والرفادة ويريد محمد أن يترأسوا على قريش، وهذا لا يكون!

كتب أمير المؤمنين عليه السلام في جوابه لمعاوية (منقب الخوارزمي/ ٢٥١): «أما بعد، فإن أخوا خولان أتاني منك بكتاب تذكر فيه محمداً عليه السلام، والحمد لله الذي صدق له الوعد، ومكن له في البلاد وأظهره على أهل عداوته والشنآن من قومه الذين ألبوا عليه العرب، وهم قومه الأدنى فالأدنى إلا قليلاً ممن عصمه الله.

كنا أهل البيت أول من آمن وصدق بما أرسل به، فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل وأمسكوا منا المائدة، وقطعوا عنا الميرة، ومنعونا الماء العذب، وأحلونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، وكتبوا بينهم كتاباً أن لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يبائعونا ولا يناكحونا ولا نأمن فيهم، حتى ندفع إليهم نبياً عليه السلام فيقتلوه ويمثلوا به! فعزم الله على منعه والذب عن حوزته، فمؤمنا يرجو الثواب، وكافرنا يحامي عن الأصل، وأنا أول أهل بيتي إسلاماً معه، ومن أسلم بعدنا أهل البيت من قريش فحليف ممنوع، وذو عشيرة تحامي عنه.»

أقول: إن الخطر الشديد على حياة النبي عليه السلام كان في ثلاث فترات، أولاها السنوات الثلاث الأولى

من أول البعثة إلى هلاك المستهزئين، والثانية فترة حصار الشعب التي استمرت أكثر من ثلاث سنوات، والثالثة بعد وفاة أبي طالب إلى هجرته، وكانت نحو سنة.

وفي تفسير القمي (٣٧٩/١): (فخرج رسول الله ﷺ أول السنة الرابعة) فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش يا معشر العرب: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكوا بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنة. فاستهزؤوا به وقالوا: جُنَّ محمد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سفه أحلامنا وسب آهتنا وأفسد شباننا وفرق جماعتنا، فإن كان يحمله على ذلك العُدْم جمعنا له مالاً فيكون أكثر قريش مالاً، ونزوجه أي امرأة شاء من قريش، فقال له أبو طالب: يا ابن أخي إن قومك قد أتوني يسألوني أن أسألك أن تكف عنهم، فقال يا عم لا أستطيع أن أخالف أمر ربي. فكف عنه أبو طالب. ثم اجتمعوا إلى أبي طالب فقالوا: أنت سيد من ساداتنا فادفع إلينا محمداً لنقتله وتملك علينا، فقال أبو طالب قصيدته الطويلة يقول فيها:

ولما رأيت القوم لا وُدَّ عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائلِ
كذبتم وبيت الله نُجْزي محمداً ولما نطاعنُ دونه ونناضلِ
ونُسلمه حتى نُصَرِّعَ حوله ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

فلما اجتمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا الصحيفة القاطعة، جمع أبو طالب بني هاشم وحلف لهم بالبيت والركن والمقام والمشاعر في الكعبة لئن شأكت محمداً شوكة لآتين عليكم يا بني هاشم! فأدخله الشعب وكان يجرسه بالليل والنهار، قائماً على رأسه بالسيف، (أربع سنين).

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه المواجهة مع الرسول ﷺ ١٧٥: «وعانوا الحرمان والجوع، فأكلوا نبات الأرض، وأخذ الأطفال يُمصُّون الرمال من العطش، وكانت بطون قريش تشاهد كل هذا وتتلذذ به، دون أي إحساس بالحرج! ولكن الهاشميين لم يركعوا ولم يستسلموا، ولم يستجيبوا لبطون قريش في طلبها تسليم النبي ﷺ.

لقد تحملوا ما لم تتحملة قبيلة على وجه الأرض في سبيل محمد ﷺ وفي سبيل دينه ولولا صبرهم وثباتهم لقتلت البطون رسول الله كما قتل غيره من الأنبياء وأجهضت دعوته في مهدها، ولكن الله أراد أن يظهر دينه، وأن يتحمل البطن الهاشمي أعباء مرحلة التأسيس الحاسمة.

ثم أوحى الله تعالى لنبيه ﷺ أنه أرسل حشرة أكلت صحيفة الحصار ولم تبق من كتابتها إلا اسم الله، وما إن انتهى جبريل من إلقاء تلك البشارة العظيمة حتى نهض رسول الله ﷺ فأخبر عمه بتفاصيل خبر السماء، وعلى إثر ذلك توجه النبي وأبو طالب والهاشميون جميعاً إلى مكة. أقبلت قريش تريد الوقوف على حقيقة الأمر، وهي تظن بأب طالب قد جاء ليعلن استسلامه واستسلام بني هاشم، ولكن أب طالب طلب من زعماء الشرك أن يحضروا صحيفة الحصار، فلما فعلوا ذلك قال لهم: أليست هذه صحيفتكم على العهد الذي تركوها فيه؟ فقالت زعامة البطون: نعم. فقال أب طالب: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟ فقالوا: اللهم لا. فقال لهم: لقد أعلمني محمد عن ربه أن الله قد بعث الأرضة فأكلت كل ما فيها إلا ذكر الله، أفرأيتم إن كان صادقاً ما تصنعون؟ فقالت زعامة البطون: نكف ونمسك. فقال أب طالب: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه! فقالوا: قد أنصفت وأجملت. وفُضَّت الصحيفة فإذا كل ما فيها قد محي إلا مواقع اسم الله عز وجل، وبهت زعامة الشرك وأسلم على أثر هذه المعجزة عدد من الناس، وأعلن أب طالب أنه على الدين الحق، واهتزرت شرعية الحصار والمقاطعة.

إن للهاشميين فضلاً على كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين، فلولا موقفهم الحاسم المشرف بقيادة أبي طالب، لتمكنت بطون قريش من قتل محمد ﷺ ولما قامت للإسلام قائمة!

ومن المهازل أن تقوم السلطات التي سيطرت على مقاليد أمور المسلمين فيما بعد، بتصوير أبي طالب مشركاً وتكرر كفاحه وجهاد أبنائه، وتفرض مسبتهم على المناير، ولا تقبل شهادة من يواليهم، وتلقي في أذهان العامة والغوغاء أن الهاشميين ماتوا بموت محمد، وأنهم لم يخلقوا للقيادة، وإنما خلقوا ليكونوا أتباعاً لخلفاء بطون قريش، وأن الخلافة حق خالص للبطون مثلاً كانت النبوة حقاً خالصاً للهاشميين، وأن هذه القسمة هي القسمة العادلة، وكأن البطون هي المخولة بتوزيع فضل الله تعالى «.

أراد اليهود أن يغتالوه فنهاهم الراهب بحيرا

(قال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: ابني، قال: ما هو ابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حبلى به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريباً، قال: صدقت، إرجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبيغينه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة، فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل، فصدقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفيراً بعد ذلك خوفاً عليه). (الطبقات: ١٥٤/١ وتاريخ دمشق: ١٢/٣).

وحاول بنو النضير أن يغتالوا النبي ﷺ

في تفسير القمي (٣٥٩/٢): (وكان سبب ذلك من بني النضير في نقض عهدهم أنه أتاهم رسول الله ﷺ يستسلفهم دية رجلين قتلها رجل من أصحابه غيلة يعني يستقرض، وكان قصد كعب بن الأشرف، فلما دخل على كعب قال: مرحباً يا أبا القاسم وأهلاً! وقام كأنه يصنع له الطعام وحدث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ ويتبع أصحابه، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وقال لمحمد بن مسلمة الأنصاري: إذهب إلى بني النضير فأخبرهم أن الله عز وجل قد أخبرني بما همتم به من الغدر، فإما أن تخرجوا من بلدنا وإما أن تأذنوا بحرب، فقالوا نخرج من بلادك فبعث إليهم عبد الله بن أبي ألا تخرجوا وتقيموا وتناذبوا محمداً الحرب فلإني أنصركم أنا وقومي وحلفائي، فلإن خرجتم خرجت معكم وإن قاتلتهم قاتلت معكم، فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيئوا للقتال وبعثوا إلى رسول الله ﷺ إنا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع!)

وفي تفسير التبيان (٤٢٥/٩): (قال محمد بن إسحاق: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر، اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري، وكان بين

بني النضير وبني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم النبي يستعينهم في الدية قالوا: نعم يا أبا القاسم! نعينك على ما أحببت. ثم خلا بعضهم ببعض فقال: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه، ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد. فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا، فخرج راجعاً إلى المدينة فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر.

وأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الأشرف. فخرج ومعه سلكان بن سلامة، وثلاثة من بني الحرث. وخرج النبي ﷺ على أثرهم، وجلس في موضع ينتظر وجوهمهم. فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره، وأجلس قومه عند جدار وناداه: يا كعب! فانتبه وقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن مسلمة أخوك، جئتك أستقرض منك دراهم، فإن محمداً يسألنا الصدقة، وليس معنا الدراهم. فقال: لا أقرضك إلا بالرهن. قال: معي رهن إنزل فخذ. وكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروساً، فقالت: لا أدعك تنزل، لأنني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت، فلم يلتفت إليها. فخرج فعانقه محمد بن مسلمة، وهما يتحادثان، حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء، ثم أخذ رأسه، ودعا بقومه وصاح كعب، فسمعت امرأته، فصاحت وسمع نجر النضير صوتها، فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً ورجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ. فلما أسفر الصبح، أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل كعب، وفرحوا. وأمر بحرهم والسير إليهم. فسار بالناس حتى نزل بهم، فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل وتحريق فيها فنادوا يا محمد! قد كنت تنهى عن الفحشاء، فما بالك تقطع النخل وتحرقها! فأنزل الله: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ. وهي البويرة).

وقال ابن عبدربه في الدرر/١٦٦: وخرج إليهم وذلك في ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة، فتحصنوا منه في الحصون فحاصروهم ست ليال فآلقوا بأيديهم وسألوا رسول الله ﷺ أن يكف عن دمائهم ويجليهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فاحتملوا كذلك إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام، وكان ممن سار منهم إلى خيبر أكابرهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فدانت لهم خيبر، وقسم رسول الله ﷺ أموال

بني النضير بين المهاجرين خاصة إلا أنه أعطى منها أبادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف وكانا فقيرين. ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش، وأبوسعد بن وهب أسلم فأحرزا أموالهما وذكر أن يامين بن عمير جعل جعلاً لمن قتل ابن عمه عمرو بن جحاش لما هم به في رسول الله ﷺ نزلت سورة الحشر في بني النضير قال الله عز وجل: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ. فكان إجلاء بني النضير أول الحشر في الدنيا إلى الشام، ولذلك قيل الشام أرض الحشر).

وحاول بنو قريظة أن يغتالوا النبي ﷺ

في الأنوار للبكري/٢٨٧: (أن سعد بن قطيمير وكان من أحبار اليهود وكهانهم وكان قد اطلع على صفات النبي ﷺ قال فلما نظر إليه عرفه وقال: لا شك هذا الذي يفسد أحلامنا ويبتل أدياننا ويرمل نسواننا، وإنني أريد بأن أحتال على قتله ثم دنا من النبي وقال يا سيدي بكم هذا الحمل الأديم فقال له النبي بخمس مائة درهم لا ينقص منها شيء قال اليهودي اشتريت لكن بشرط أنك تسير معي إلى منزلي وتأكل من طعامي حتى تحصل لي بك البركة لأنكم سكان بيت الله الحرام فأجابه النبي ﷺ إلى ذلك فأخذ اليهودي ذلك الحمل الأديم وسار به إلى منزله والنبي معه قال فلما قرب اليهودي من منزله سبق إلى زوجته وقال لها يا هذه أريد منك أن تساعدني على قتل هذا الغلام المكّي الذي يعطل أدياننا ويقتل رجالنا ويخرب ديارنا قالت وكيف أصنع به؟ قال خذي فردة هذه الرحي واقعدي في أعلى الدار مما يلي الباب فإذا قبض منا ثمن حمل الأديم فألقي عليه فردة الرحي فعسى أن نقتله ونستريح منه قال فأخذت زوجته فردة الرحي وصعدت إلى أعلى السطح فلما خرج النبي ﷺ همّت أن تلقي عليه الرحي فأمسك الله على يديها وكأن لا طمأ لطمها وأوقع الله في قلبها الرعب والرجفة وغشي على بصرها من نور محمد ﷺ، وكان لها ولدان نائمان بفناء الدار فسقطت الرحي عليهما فقتلتها وخرج النبي ﷺ سالماً قال فلما نظر اليهودي إلى ما جرى على أولاده لطم على وجهه ونادى بأعلى صوته يا بني قريظة فأجابوه من كل جانب ومكان وقالوا ما دهاك؟ قال إعلموا أنه قد دخل اليوم في بلادكم الذي يعطل أديانكم ويخرب

دياركم وقد دخل منزلي وأكل طعامي وقتل أولادي!

وحاول قوم من اليهود أن يغتالوا النبي ﷺ

وفي الوجيز لابن عطية الأندلسي (١٦٧/٢): (وحكى الطبري أن الآية نزلت بسبب قوم من اليهود صنعوا للنبي ﷺ وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام. فأشعره الله تعالى بذلك. ثم أدخل الطبري تحت هذه الترجمة عن ابن عباس خلاف ما ترجم به من أن قوماً من اليهود صنعوا للنبي ﷺ وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام. قال القاضي أبو محمد: فيشبه أن ابن عباس إنما وصف قصة بني النضير المتقدمة).

استنفرت قريش وبنو هاشم للقتال فتراجعت قريش!

في أنساب الأشراف (٣١/٢)، وابن هشام (١٧٢/١): (قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أباطالب قد أبى خذلان رسول الله وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعسارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني: يا أباطالب، هذا عسارة بن الوليد، أنه فتى في قريش وأجمله، فخذ فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسوموني! أعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً! قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ابن قصي: والله يا أباطالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فقال أبوطالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك. فحقب الأمر وحميت الحرب وتنابد القوم، وبأدى بعضهم بعضاً فقال أبوطالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي، ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم:

ألا ليت حظي من حياطتكم بكر	ألا قل لعمرى والوليد ومطعم
يرش على الساقين من بوله قطر	من الخور حباب كثير رغاؤه

تخلف خلف الورد ليس بلاحق	إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخويننا من أيينا وأمنا	إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تجرحا	كما جرحتم من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً	هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما	فقد أصبحا منهم أكفهما صفر
هما أشركا في المجد من لا أباً له	من الناس إلا أن يرس له ذكر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم	وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة	ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم	وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما. (بل ثلاثة كما يأتي).

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله ﷻ رسوله ﷺ منهم بعمه أبي طالب، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷻ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله. فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جدتهم معه وحديثهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله ﷻ فيهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم، وليحذبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر	فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً	هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها	علينا فلم تظفروا طاشت حلومها

وكنا قديماً لا نقر ظلامه إذا ما ثنوا صعرالحدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء، وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

وفي رواية الواقدي: كَلَّم وجوه قريش، وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي بن خلف، وأبوجهل،
والعاص بن وائل، ومطعم وطعيمة ابنا عدي، ومنبه ونبه ابنا الحجاج، والأخنس بن
شريق الثقفي أباطالب في أن يدفع إليهم رسول الله ص ويدفعوا إليه عمارة بن الوليد المخزومي،
فأبى ذلك وقال: أقتلون ابن أخي وأغذوا لكم ابنكم، إن هذا لعجب! فقالوا: ما لنا خير من
أن نغتال محمداً! (أي لا بد لنا من قتله).

فلما كان المساء فقد أبوطالب رسول الله ﷺ فخاف أن يكونوا قد اغتالوه فجمع فتيناً من
بني عبد مناف وبني زهرة وغيرهم وأمر كل فتى منهم أن يأخذ معه حديدة ويتبعه، ومضى
فرأى رسول الله ﷺ فقال له: أين كنت يا ابن أخي أكنت في خير؟ قال: نعم والحمد لله. فلما
أصبح أبوطالب دار على أندية قريش والفتيان معه وقال: بلغني كذا وكذا، والله لو خدشتموه
خدشاً ما أبقيت منكم أحداً إلا أن أقتل قبل ذلك! فاعتذروا إليه وقالوا: أنت سيدنا وأفضلنا
في أنفسنا).

وقال الأميني في الغدير (٣٦١/٧): « حذف ابن هشام منها ثلاثة أبيات:

وما ذاك إلا سؤدد خصنا به إله العباد واصطفانا له الفخر
رجال تمالوا حاسدين وبغضة لأهل العلى فبينهم أبدا وتر
وليد أبوه كان عبداً لجدنا إلى عذجة زرقاء جاش بها البحر
يريد به الوليد بن المغيرة ».

ورواه ابن سعد (٢٠١/١) بفروقات، وفيه: (ذكر ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره ﷺ ..
قال أبوطالب والله. ما هذا بالنصف تسوموني سوم العرير الذليل. فلما أصبح أبوطالب غدا
على النبي ﷺ فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبون فقال

يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فأخبرهم الخبر وقال للفتيان أكشفوا عما في أيديكم فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبوجهل).

واصلت قريش مطالبتها أباطالب بتسليمها النبي ﷺ

في إعلام الوري (١٢٥/١): (وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يواكلوا بني هاشم ولا يكلموهم ولا يبايعوهم ولا يزوجهم ولا يتزوجوا إليهم ولا يحضروا معهم، حتى يدفعوا محمداً إليهم فيقتلونه، وأنهم يد واحدة على محمد ﷺ ليقتلوه غيلة أو صراحاً. فلما بلغ ذلك أباطالب جمع بني هاشم ودخل الشعب، وكانوا أربعين رجلاً فحلف لهم أبوطالب بالكعبة والحرم والركن والمقام لئن شاكت محمداً شوكة لأتين عليكم يا بني هاشم. وحصن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله ﷺ مضطجع ثم يقيمه ويضعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا ويوكل ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار! وأصابهم الجهد، وكان من دخل من العرب مكة لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله.

وكان أبوجهل، والعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة، فمن رأوه معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذروه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله. وكانت خديجة لها مال كثير فأنفقته على رسول الله ﷺ).

وفي قصص الأنبياء للراوندي/٣٢٦: (وبقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم، ولا يشتررون ولا يبيعون إلا في الموسم، وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة: موسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة، فكان إذا اجتمعت المواسم يخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثم لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم الثاني، وأصابهم الجهد وجاعوا، وبعثت قريش إلى أبي طالب: إُدفع إلينا محمداً نقتله ونملكك علينا!)

الذين تعاقدوا على قتل النبي ﷺ

في أنساب الأشراف (٣٢٠/١): (وكان عبدالله بن شهاب الزهري جد محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب (وهو يهودي) وعتبة بن أبي وقاص (أخو سعد بن أبي وقاص) وابن قميئة الأدرمي، من بني تيم بن غالب، فكان تيم أدرم ناقص الذقن، وأبي بن خلف الجمحي، وعبدالله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ. فأما ابن شهاب فأصاب جبهته، وأما عتبة بن أبي وقاص فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته السفلى، وأما ابن قميئة الأدرمي فكلم وجنتيه وغيب حلق المغفر فيها، وعلاه بالسيف فلم يقطع. وسقط رسول الله ﷺ فجحشت ركبته. وأما أبي بن خلف فشده عليه بحربة فأعانه الله عليه فقتله، وكان لما شده عليه بالحربة يقول: لأقتلنك بها يا محمد. فقال رسول الله ﷺ بل أنا قاتلك إن شاء الله. فيقال إنه انتزعها من يده، فطعنه بها. فكان أبي يقول: قتلني محمد! فقيل إنه إنما خدشك فقال: أنا أعلم بالأمر، فسقط ومات في الطريق. وأما عبدالله بن حميد فأقبل يريد رسول الله ﷺ فشده عليه أبودجانة فضر به وقال: خذها وأنا ابن خرشة، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارض عن ابن خرشة، فإني عنه راض).

وفي سيرة ابن هشام (٦١٠/٣): (قال ابن إسحاق: وكان أبي بن خلف، يلقي رسول الله ﷺ بمكة، فيقول يا محمد إن عندي العوذ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك فوالله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون به إلى مكة).

محاولات أبي سفيان وأبي لهب وأبي جهل اغتيال النبي ﷺ

جعل أبو سفيان لأعرابي جعلاً على أن يغتال النبي ﷺ فجاء إلى المدينة، فأراد أن يغتاله فأخذه أسيد بن حضير فجذبه، فبدا خنجره وعلم غدرة وصدق النبي في بيان القصة، وأخبره بجعل أبي سفيان له فحبس عند أسيد، ثم دعا به فمن عليه وأطلقه فآمن وأسلم). (النهاية: ٦٩/٤).

(أبوذر: كان النبي ﷺ في سجوده فرفع أبوهب حجراً يلقيه عليه فثبتت يده في الهواه فتضرع إلى النبي وعقد الإيمان لوعوفي لا يؤذيه فلما برأ قال: لأنت ساحر حاذق، فنزل: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ. وكان أبو جهل يطلب غرته فوجده يوماً في سجوده فرفع صخرة عظيمة يدفعها عليه، فأمسكت من يده (لصقت) وصار عبرة للناس، فتضرع إلى النبي ﷺ فدعا له بفرج فزال). (المناقب: ٦٨/١).
الطبقات (٩٤/٢): (وذلك أن أباسفيان بن حرب قال لنفر من قريش: ألا أحد يغتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق، فأتاه رجل من الأعراب فقال: قد وجدت أجمع الرجال قلباً وأشدّه بطشاً وأسرع شداً فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعني خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم أخذ في عير وأسبق القوم عدواً فإني هاد بالطريق خريت. قال: أنت صاحبنا فأعطاه بغيراً ونفقة وقال إطو أمرك فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً وصبح ظهر الحرة صبح سادسة، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل إلى رسول الله وهو في مسجد بني عبد الأشهل فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا ليريد غدراً فذهب ليحجني على رسول الله فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا الخنجر فسقط في يديه وقال: دمي دمي، فأخذ أسيد بلبته فدعه، فقال رسول الله ﷺ: أصدقني ما أنت؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم. فأخبره بأمره وما جعل له أبوسفيان، فخلى عنه رسول الله ﷺ فأسلم.

النبي ﷺ يرد بالمثل

وبعث رسول الله عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب وقال: إن أصبتهما منه غرة فاقتلاه، فدخل مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً فراه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، فأخبر قريشاً بمكانه فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية وقالوا: لم يأت عمرو لخير! فحشد له أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله وقتل آخر من بني الدليل سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمين

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره ورسول الله يضحك).

محاولة صفوان بن أمية اغتيال النبي ﷺ

في تفسير التبيان (٤٦٣/٣): (بعثت قريش رجلاً ليفتك بالنبي ﷺ فأطلع الله نبيه على أمره ومنعه الله منه، لأنه دخل على النبي ﷺ وسيفه مسلول فقال له: أرنيه فأعطاه إياه، فلما حصل في يده قال: ما الذي يمنعني من قتلك؟ فقال النبي ﷺ الله يمنعك فرمى بالسيف وأسلم. واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن أمية ليغتاله بعد بدر فأعلمه الله ذلك. وكان ذلك سبب إسلام عمرو بن وهب.

محاولة شيبه بن عثمان العبدي اغتيال النبي ﷺ

في تاريخ دمشق (٢٥١/٢٣) كان شيبه خرج مع النبي ﷺ إلى حنين وهو مشرك وكان يريد أن يغتال رسول الله فرأى من رسول الله ﷺ غرة يوم حنين فأقبل يريد فرآه رسول الله فقال: يا شيبه هلم لك فقدف الله في قلبه الرعب ودنا من رسول الله، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره ثم قال إخساً عنك الشيطان وأخذه إفكل وفرع وقذف الله تعالى في قلبه الإيمان وقاتل مع رسول الله ﷺ وكان ممن صبر معه وكان من خيار المسلمين!

أقول: مع ردتنا لهذه الرواية التي تريد إثبات فضيلة هذا الطليق، فهي تدل على جو قريش وإصرارها على قتل النبي ﷺ حتى وهي معه في حنين ضد هوازن. كانوا يرون أن مشاركتهم في حرب حنين لا يتنافى مع العمل لاغتيال محمد! بشرط أن يكون سرياً أو فردياً ممن له ثأر عنده فيكون عليه ويأخذون سلطانه!

ولذا شاركوا معه في الحرب فذهبوا معه إلى حنين حيث جمعت قبائل هوازن وغطفان النجدية جموعها لحرب النبي ﷺ وكان جيشه عشرة آلاف مقاتل، وجعل القرشيين قواتهم في مقدمته وما أن واجههم كمين من هوازن برشقة سهام حتى انهزموا فارّين! فسببوا الهزيمة في صفوف المسلمين جميعاً! وثبت النبي ﷺ ومعه بنو هاشم فقط كالعادة، وقاتلوا بقوة وردوا كمين هوازن وهجومهم، وكتب الله لهم النصر. ثم رجع المسلمون الفارون.

واستغلت قريش الهزيمة فقامت بمحاولات لقتل النبي ﷺ! مما يشير إلى أن الهزيمة كانت مدبرة مع قبائل هوازن! وقد روى علماء السلطة ومنهم ابن كثير المتعصب لقريش محاولة النضير

بن الحارث قائد قوات قريش المشاركة في حنين، وجعلها مدحاً له!

قال في سيرته (٦٩١/٣): (كان النضير بن الحارث بن كلدة من أجمل الناس، فكان يقول: الحمد لله الذي من علينا بالإسلام، ومنَّ علينا بمحمد ولم نمت على ما مات عليه الآباء وقتل عليه الأخوة وبنو العم. ثم ذكر عداوته للنبي وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهم على دينهم بعد! قال: ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه فلم يمكننا ذلك! فلما صار بالجعرانة فوالله إني لعلّ ما أنا عليه إن شعرتُ إلا برسول الله ﷺ فقال: أنضير؟ قلت: لبيك. قال: هل لك إلى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه؟ قال: فأقبلت إليه سريعاً فقال: قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع! قلت: قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقال رسول الله: اللهم زده ثباتاً! قال النضير: فوالذي بعثه بالحق لكأن قلبي حجر ثباتاً في الدين وتبصرة بالحق. فقال رسول الله: الحمد لله الذي هداه).

كما روى ابن هشام (٤٦٤)، اعترف قائد قرشي آخر، قال: (قال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار: قلتُ اليوم أدركُ ثأري من محمد، وكان أبوه قُتل يوم أحد، اليوم أقتل محمداً! قال: فأدركت رسول الله لأقتله فأقبل شئ حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع مني). فهذا إقرارٌ من زعيمين قرشيين يفترض أنهما أسلما في مكة، قد حاولا قتل النبي ﷺ فلم يستطيعا، ثم ادعيا أنه آمنا بالله تعالى!

وقد نصت مصادر السيرة على أن زعماء قريش لم يملكوا أنفسهم عندما انهزم المسلمون في حنين أول الأمر فأظهروا فرحهم وكفرهم!

قال ابن هشام (٤٦٤): (فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزام لمعه في كنانته (أي يحمل إصنامهم) وصرخ جبلة بن الحنبل: ألا بطل السحر اليوم!).

أقول: جبلة هذا أخ صفوان بن أمية المخزومي الذي أرسل شخصاً ليقول النبي ﷺ ثأراً بأبيه الذي قتل في بدر.

قال ابن هشام (٤٨٥/٢): (جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير، في الحجر، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ومن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر... فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا ديني عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة: ابني أسير في أيديهم، قال: فاغتنمها صفوان وقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاکتم عني شأنك، قال: أفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه فشحنه له وسمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة...).

وكشف الله لرسوله ﷺ عميراً وأفشل محاولته وزعموا أن عمر كشفه! ولم يكتف صفوان بمحاولته تلك بل قتل بأبيه مسلماً صبراً في مكة، هو زيد بن الدثنة (ابن هشام: ٦٦٩/٣) وعندما فتح النبي ﷺ مكة هرب صفوان).

حاول عامر بن الطفيل اغتيال النبي ﷺ

في تفسير الثعلبي (٢٧٦/٥): (قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل وهو مشرك. فقال: دعه فإن يرد الله به خيراً يهده، فأقبل حتى قام عليه فقال: يا محمد مالي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين، قال: تجعل لي الأمر بعدك. قال: ليس ذلك إليّ إنما ذاك إلى الله يجعله حيث يشاء. قال: فاجعلني على الوبر وأنت على المدر، قال الرجل: فماذا يجعل لي؟ قال: أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها. قال: أوليس ذلك لي اليوم؟ قال: لا. قال: قم معي أكلمك، فقام رسول الله ﷺ وكان يوصي إلى أربد بن ربيعة إذا رأيته أكلمه فذر من ورائه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ فدار أربد بن ربيعة خلف النبي ص ليضربه فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على قتله، وعامر يومئذ إليه فالتفت رسول الله ص فرأى أربد وما منع بسيفه! فقال: اللهم أكفنيهما بما شئت، فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صاح صائف. وولى عامر هارباً، وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأها عليك خيلاً جرذاً وفتياناً مرداً. فقال رسول الله ﷺ: يمنعك الله من ذلك وأبناء

قيلة يعني الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم إليه سلاحه وقد تغير لونه، وهو يقول: واللات لئن أصرح محمد إلي وصاحبه عني ملك الموت لأنفذنها برححي، فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكاً فلطمه بجناحه فأذراه في التارب، وخرجت على ركبته غدة في الوقت كغدة البعير فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية! ثم مات على ظهر فرسه، فجعل يركض في الصحراء ويقول: أبرز يا ملك الموت! فأجاب الله تعالى دعاء رسوله ﷺ وقتل عامراً بالطاعون وأربد بالصاعقة، فرثى لبيد بن ربيعة أخاه أربد بجملة من المراثي فمنها هذه:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
يتآكلون مغالة وملاذة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب
يا أربد الخير الكريم جدوده أفردتني أمشي بقرن أعضب).

محاولة دعثور بن الحارث اغتيال النبي ﷺ

روى الكليني في الكافي (١٢٧/٨): عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه، فرآه رجل من المشركين، والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً، فجاء وشد على رسول الله ﷺ بالسيف ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي وربك، فنسفه جبرئيل عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله ﷺ وأخذ السيف، وجلس على صدره وقال: من ينجيك مني يا غورث؟ فقال: جودك وكرمك يا محمد! فتركه، فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني وأكرم).

وفي المناقب (٦٣/١): (الثمالي في تفسير قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ: أن القاصد إلى النبي كان دعثور بن الحارث، فدفع جبرئيل في صدره فوق السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه فقال: ما يمنعك مني؟ فقال: لا أحد وأنا أعهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أعين عليك عدواً، فأطلقه. فسئل بعد انصرافه عن حاله؟ قال: نظرت إلى رجل طويل أبيض دفع في صدري فعرفت أنه ملك. ويقال: إنه أسلم وجعل يدعو قومه إلى الاسلام).

محاولة النضر بن الحارث العبدري اغتيال النبي ﷺ

في المناقب (٦٨/١): «الواقدي: خرج النبي ﷺ للحاجة في وسط النهار بعيداً فبلغ إلى أسفل ثنية الحجون فاتبعه النضر بن الحارث يرجو أن يغتاله، فلما دنا منه عاد راجعاً فلقى أبو جهل فقال: من أين جئت؟ قلت طمعت أن أغتال محمداً فلما قربت منه فإذا أسود تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها. فقال أبو جهل: هذا بعض سحره!»

وكان أحد الذين انتدبتهم قبائل قريش لقتل النبي ﷺ ليلة هجرته، ففي المنتظم (٩/٣)، عن الواقدي: (الذين كانوا ينتظرون رسول الله تلك الليلة: أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمّية بن خلف، وابن العيطلة، وزمعة بن الأسود، وطعيمة بن عدي، وأبو لهب، وأبي بن خلف، ونبه وأبي ابنا الحجاج).

وفي المناقب (٦٩/١): «وتمكن نضر بن الحرث بن كلدة لقتل النبي ﷺ فلما سل سيفه رؤي خائفاً مستجيراً فقيل له: يا نضر هذا خير لك مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه».

وفي المناقب (٥٨/١): «وكان أبو جهل، والعاص بن وائل، والنضر بن الحرث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات فمن رأوا معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً ويحذرونه من النهب) أي أن يبيحوا نهبه لأنه باع بني هاشم».

وفي الحيوان (٤٨٢/٧): «النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار من قريش، كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها، صاحب لواء المشركين ببدر وهو ابن خالة النبي ﷺ».

في قرب الإسناد (٣٢٠): «(من ذلك: أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعلقمة بن أبي معيط يثرب إلى اليهود، وقالوا لهما: إذا قدمتما عليهما فسألوهم عنه، وهما قد سألوهم عنه فقالوا: صفوا لنا صفته، فوصفوه. وقالوا: من تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا. فصاح حبر منهم فقال: هذا النبي الذي نجد نعتة في التوراة، ونجد قومه أشد الناس عداوة له».

في أنساب الأشراف (١٤٢-١٣٩/١): «كان النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار يكنى أبافند، وكان أشد قريش مبادأة للنبي ﷺ بالتكذيب والأذى. وكان صاحب أحاديث ونظر في كتب الفرس ومخالطة النصارى واليهود. وكان لما سمع بذكر النبي ﷺ وحضور

وقت مبعثه، يقول: والله لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من إحدى الأمم. فنزلت فيه: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ. وكان يحدث ثم يقول: أينما أحسن حديثاً أنا أم محمد؟ ويقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. فنزلت فيه: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

ونزلت فيه: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. ونزلت فيه: وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ.

ونزلت فيه: سَأَلِ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ..

ونزلت فيه: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. ونزلت فيه: أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ.

وكان النضر قدم الحيرة، فتعلم ضرب البربط وغنى غناء أهل الحيرة وعلم ذلك قوماً من أهل مكة، وكان غناؤهم قبل ذلك النصب. واشترى قيتين فنزلت فيه: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. ولقي النبي ﷺ فقال: أنت الذي تزعم أنك ستوقع بقريش عن قريب وأن الله قد أوحى إليك بذلك؟ فقال: نعم، وأنت منهم. فنزلت: وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ. وسأل النبي: متى تنقضي الدنيا؟ فنزلت فيه: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا.

وكان يقول: إنما يعينه على ما يأتي به في كتابه هذا جبر غلام الأسود بن المطلب، وعداس غلام شيبه بن ربيعة، فأنزل الله عز وجل: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ.

وأنزل الله عز وجل فيه: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا. وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً.

قالوا: فلما كان يوم بدر أسر المقداد بن عمرو والنضر بن الحارث، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر علياً بضرب عنقه فقال المقداد: أسيري يا رسول الله! فقال رسول الله: إنه كان يقول في كتاب الله وفي رسوله ما يقول. اللهم أغن المقداد من فضلك).

وكان في قريش ملحدون، سماهم في المنمق/٣٨٨، زنادقة قريش، وقال إنهم تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة، وهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، وصخر بن حرب، وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف، وأبو عزة، والنضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج السهميان).

وفي حاشية رد المحتار (٧٤٦/٦): (كان يتجر فيأتي الحيرة ويشترى أخبار العجم ويحدث بها قريشاً ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بأحاديث رستم وأخبار الأكاسرة، فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن).

وفي شرح النهج (٢٨٢/٦): «وروى الواقدي أيضاً وغيره من أهل الحديث أن عمرو بن العاص هجا رسول الله ﷺ هجاء كثيراً، وكان يعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون برسول الله إذا مر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء! فقال رسول الله ﷺ وهو يصلي بالحجر: اللهم إن عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر، فالعنه بعدد ما هجاني.

وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، عهدوا إلى سلى جمل فرفعوه بينهم، ووضعوه على رأس رسول الله وهو ساجد بفناء الكعبة فسأل عليه، فصبر ولم يرفع رأسه، وبكى في سجوده ودعا عليهم، فجاءت ابنته فاطمة رضي الله عنها وهي باكية فاحتضنت ذلك السلى فرفعته عنه فألقته، وقامت على رأسه تبكي، فرفع رأسه رضي الله عنه وقال: اللهم عليك بقريش، قالها ثلاثاً، ثم قال رافعاً صوته: إني مظلوم فانتصر، قالها ثلاثاً، ثم قام فدخل منزله، وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين».

أقول: كثفت قريش محاولاتها لقتل النبي ﷺ بعد وفاة عمه وحاميه، فكانت تتجسس عليه وتضع الخطط لقتله، وكان جبرئيل يخبره، وأمره ذات مرة أن يفر مع علي رضي الله عنه ويختبئ في جبل الحجون، لأن بيته رضي الله عنه ويوت بني هاشم كانت قرب المسجد. ولم يذكر لنا رواية السلطة أين كان عمر في تلك الفترة، وأين غابت بطولاته التي زعموها! لكن أبطال السلطة كالمح يذوبون عند الشدة!

وفي الكافي (٤٤٩/١)، عن الصادق عليه السلام قال: (لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخرج من مكة فليس لك فيها ناصر، وشارت قريش بالنبي ﷺ فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه).

ورث جابر بن النضر أباه في الكفر والعناد!

فقد ورث جابر عداوة أبيه لرسول الله ﷺ والإسلام، وكان يكرر كلام أبيه حتى قوله: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء!

قال ابن سلام الهروي في تفسيره غريب القرآن (نفحات الأزهار: ٢٩١/٧): « لما بَلَغَ رسول الله بغدير خم ما بَلَغَ، وشاع ذلك في البلاد، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شئى منك أم من الله؟! »

فقال رسول الله ﷺ: والذي لا إله إلا هو إن هذا إلا من الله. فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. وقد أشكل ابن تيمية بأن سورة المعارج مكية، لكن في الرواية أن جبرئيل قال: اقرأ يا محمد، أي هذا مصداق للعذاب الواقع:

(فهبط جبرئيل وهو يقول: اقرأ يا محمد: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ). (البحار: ٣٣/١٦٥)

أخطر الساعات على حياة النبي ﷺ

- لما أرادوا قتله بعد إعلانه نبوته.
- لما أنذره المستهزون الخمسة الى يوم معين ليسحب نبوته.
- لما احتدمت بين قريش وبني هاشم، وألجؤوهم الى الشعب.
- في الثلاث سنوات ونصف في الشعب.
- لما توفي أبوطالب عليه السلام.
- لما أراد الهجرة واتخذت قريش قراراً بالهجوم عليه وقتله.
- لما كان في المدينة وكانت قريش تعمل لاغتياله.
- في معركة أحد لما انهزم المسلمون وأحاط به المشركون.



الفصل الرابع والعشرون

صحيفتا قريش الملعونتان!

مؤتمر زعماء قريش لإجبار بني هاشم على تسليم النبي ﷺ

بعد هلاك المستهزين الخمسة، صدع النبي ﷺ بما يؤمر، فأخذ الإسلام ينتشر في الشباب والعبيد ولم يستطع فراعنة قريش إيقافه.

عندها تنادت قريش إلى مؤتمر في منى، للاتفاق على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة، حتى يُسَلِّمُوهم محمدًا ﷺ فيقتلوه!

واجتمعت بطون قريش ومعهم حليفاتهم قبيلة كنانة في محصب منى، ووقعوا معاهدة عرفت بصحيفة المقاطعة، وقعتها أربعون شيخاً، وفي رواية اليعقوبي ثمانون شيخاً، على نفى بني هاشم من مكة، ومقاطعتهم مقاطعة كاملة!

وهذه هي الصحيفة الملعونة الأولى، والثانية كتبها قريش في أيام حجة الوداع وتعاهدوا إن مات محمد ﷺ أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً! وسيأتي نصها.

نسخة صحيفة المقاطعة

ذكر المؤرخون كاتب الصحيفة، فقال البلاذري (٢٦٨/١): (وكان الذي خطَّ الصحيفة، فيما ذكر الكلبي، بغض بن عامر، فُشِّلَتْ يده يوم خطها. وقال غيره: اسمه منصور بن عكرمة). والآخر قول الطبري (٧٩/٢).

وفي الإشتقاق لابن دريد (٢٠٠/١): (وفي السيرة أن كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، ويقال النضر بن الحارث). وهو قول الطبري.

وفي تاريخ الخميس (٢٩٧/١): وكتبوا صحيفة بخط منصور بن عكرمة، وقيل بغيض بن عامر فشلت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة).

ولم أجد النص الكامل لصحيفة المقاطعة، فجمعت بعض ما ذكره منها.

من ذلك ما رواه المقرئ: (وأجمع رأيهم ألا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا رسول الله للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً موثيق: أن لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً، ولا تأخذهم بهم رافة، حتى يسلموه للقتل!) (النزاع والتخاصم/٦٧).

(وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يواكلوا بني هاشم، ولا يكلموهم، ولا يبايعوهم، ولا يزوجهم، ولا يتزوجوا إليهم، ولا يحضروا معهم، حتى يدفعوا محمداً إليهم فيقتلونه، وأنهم يد واحدة على محمد ليقتلوه، غيلة أو صراحاً). (إعلام الوري:١/١٢٥).

(أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، حتى يسلموا رسول الله للقتل). (تاريخ الخميس:١/٢٩٧).

(أجمعوا على ألا يبايعوهم، ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرفق، وقطعوا عنهم الأسواق، ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم، ولا يناكحوهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل). (الدرر لابن عبد البر/٥٤).

أبوطالب يدعو على ظالمي بني هاشم ويدخل الشعب

قال ابن إسحاق (١٣٩/٢): (فلما سمعت قريش بذلك ورأوا منه الجلد وأيسوا منه، فأبدوا لبني عبد المطلب الجفا، وانطلق بهم أبوطالب فقاموا بين أستار الكعبة فدعوا الله على ظلم قومهم لهم وقطيعتهم أرحامهم، واجتماعهم على محاربتهم، وتناولهم بسفك دمائهم، فقال أبوطالب:

اللهم إن أبى قومنا إلا النصر علينا فعجل نصرنا، وحُلْ بينهم وبين قتل ابن أخي. ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه فقال أبوطالب: ندعو برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم. والله لتنتهين عن الذي تريدون، أو لينزلن الله بكم في قطيعتنا بعض الذي تكرهون! فأجابوه: إنكم يا بني عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم، إلا على قتل هذا الصابي السفهية! ثم عمد أبوطالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه، ومن اتبعهم من

بين مؤمن دخل لنصرة الله ونصرة رسوله، ومن بين مشرك يحمي، فدخلوا شعبهم وهو شعب أبي طالب في ناحية من مكة .»

أرخ أبو طالب حصار الشعب بقصائد ومقطوعات

وقد أرخ أبو طالب رضي الله عنه محاصرة قريش لبني هاشم، بأكثر من عشر قصائد ومقطوعات، شرح فيها إصرارهم على قتل النبي ﷺ وموقفه الحاسم في مقاومتهم، وفيها مدح النبي ﷺ وفيها إعلان أبي طالب إسلامه ومعجزة أكل الأرضة للصحيفة.

وهذا بعضها من سيرة ابن إسحاق (١٤١/٢):

طواني وأخوى النجم لم يتقحم	ألا من لهم آخر الليل معتم
وسائر أخرى ساهر لم ينوم	طواني وقد نامت عيون كثيرة
بسوء ومن لا يتقي الظلم يُظلم	لأحلام أقوام قد أرادوا محمداً
على قلل من رأبهم غير محكم	سعوا سفهاً واقتادهم سوء رأبهم
وإن حشدوا في كل نفر وموسم	رجاء أمور لم ينالوا نظامها
ولم تختضب سمر العوالي من الدم	يرجؤون أن نسخي بقتل محمد
ضراب وطعن بالوشيح المقوم	يرجون منا خطة دون نيلها
جماجم تلقى بالخطيم وزمزم	كذبتهم وبيت الله لا تقتلونهم
خليلاً وتغشى محرماً بعد محرم	وتقطع أرحام وتنسى حليلة
يذبون عن أحسابهم كل مجرم	وينهض قوم في الدروع إليكم

وقال في معجزة الصحيفة:

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة	متى ما يُخَبَّرُ غائبُ القوم يعجب
محي الله منها كفرهم وعقوقهم	وما نقموا من ناطق الحق معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً	ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

وأَمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً
فلا تحسبونا خاذلين محمداً
ستمعه منا يد هاشمية
فلا والذي تحذى له كل نضوة
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن
نفارقه حتى نصرع حوله
ألا هل أتى بحريتنا صنْع ربنا
ألم يأتهم أن الصحيفة أفسدت
وكانت أحق رقعة بأثيمة
فمن يك ذا عِرٍّ بمكة مثله
نشأنا بها والناس فيها أقله

وقال معلناً إسلامه:

ألا أبلغا عني على ذات نأيها
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
وأن عليه في العباد محبة
وأن الذي أضفيم في كتابكم
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
ولسنا ورب البيت نسلم أهدأ
أليس أبونا هاشمٌ شد أزره

لؤياً وخُصّاً من لؤيّ بني كعب
نبياً كموسى خُطّ في أول الكتب
ولا خير فيمن خصه الله بالحبِّ
لكم كائنٌ نحساً كراغية السقب
ويصبح من لم يحن ذنباً كذي الذنب
أيا صرنا بعد المودة والقرب
أمرٌ على من ذاقه حلب الحرب
على الحال من عض الزمان ولا كرب
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نغل الحرب حتى قتلنا ولا نشتكى مما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ ذووا النهى إذا طار أرواح الكماة من الرعب

وراعية السقب: يقصد ناقة صالح عليه السلام، وأن قريشاً كثمود. راجع: سيرة ابن إسحاق: ٢ / ١٣٨، وابن هشام: ١ / ٢٣٤ و ٢٥٣، والطبقات: ١ / ٢١٠، وأنساب الأشراف: ٣١،

النبي ﷺ يخلص مكان مؤتمر المقاطعة

لما دخل مكة فاتحاً أراد النبي ﷺ أن يُعرِّفَ المسلمين تاريخ الإسلام، وتكاليف الوحي، ليفهموا قيمته، ويعرفوا معدن الإسلام، ومعدن الكفر!

وبعث بذلك رسالة إلى من بقي من الفراعنة زعماء مؤثر المقاطعة وكانوا يسمعون، بأنهم قد تحملوا وزر هذا الكفر والعار، ثم ارتكبوا ما هو أعظم منه في حروبهم للنبي ﷺ، ولم يتراجعوا إلا تحت سيوف بني هاشم والأنصار، فأعلنوا إسلامهم خوفاً من القتل، وهامهم اليوم يخططون لوراثة دولة الإسلام التي بناها الله تعالى ورسوله، وهم كارهون!

كانوا من بقي منهم يسمع كلامه كسهيل بن عمرو، وأبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية بن خلف، وحكيم بن حزام، وصهيب بن سنان، وأبي الأعور السلمي، وغيرهم. وكانت تصرفاتهم الظاهرة والخفية، تدل على فرحهم بأن النبي ﷺ أعلن قرب موته، فهم يعدون العدة لحصار جديد لعترته ليأخذوا خلافته!

لذا أراد أن يُخلِّد الحقيقة في وجدان الأمة فأعلن: (منزلنا إذا فتح الله تعالى علينا مكة في خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر). (السيرة الحلبية: ٣ / ٢٧).

ثم أكد ذلك فقال لما توجه إلى معركة حنين: (منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر!) (البخاري: ٩٢/٥).

ثم أكد بعد في حجة الوداع فقال ﷺ يوم التروية: (منزلنا غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر). (البخاري: ١٥٨ / ٢).

ثم أكد لما عاد من عرفات فقال يوم النحر: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث

تقاسموا على الكفر . يعني بذلك المحصب) . (البخاري: ٢٤٧ / ٤).

فقد كان مهماً في ميزان الله تعالى أن يحفظ المسلمون تلك الحادثة ويعرفوا مكانها، لأنها وثيقة في كيد فراعنة قريش الذي فاق كيد اليهود حيث جمع بطون قريش شيوخهم، وتقاسموا باللات والعزى على قتل النبي ﷺ بأي طريقة، ومقاطعة بني هاشم مقاطعة كاملة شاملة حتى يسلموه لهم للقتل، لأن ذنب محمد أن الله أرسله نبياً، وهم لا يريدون نبياً من بني هاشم، ولا يريدون أن يشاهدوا معجزاته! وقد نفذوا قرار المحاصرة أربع سنين فضيقوا على بني هاشم، حتى أكل أطفالهم ورق الشجر من الجوع، ومصوا الرمل الرطب من العطش!

ولما أعلنت قريش قرار المقاطعة رأى بنو هاشم أنفسهم مضطرين لترك بيوتهم والتجمع في نقطة واحدة، لحفظ حياتهم وحياة النبي ﷺ فاختاروا الشعب حيهم القديم وفيه بيت عبد المطلب وأبي طالب.

وفي مقابل عمل النبي ﷺ لتخليد مؤتمر المقاطعة في منى كان زعماء قريش يعملون لينسى الناس الحادثة ومكانها وأشخاصها، ولذلك طمسوها خلافتهم وضيعت مكانها وأكثر أشخاصها! وقالوا لقد قاطعوهم مدة ثم تراجعوا!

ولم يحفظ مكان المؤامرة إلا آل النبي ﷺ وشيعتهم، فصار خيف بني كنانة أو المحصب من منى منزل بني هاشم، إلى يمين جمرة العقبة للدخول إلى منى!

قال المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب في كتابه القيم: المواجهة مع رسول الله/ ١٧٥: «وعانوا الحرمان والجوع، فأكلوا نبات الأرض، وأخذ الأطفال يَمْصُونَ الرمال من العطش، وكانت بطون قريش تشاهد كل هذا وتتلذذ به، دون أي إحساس بالخرج! ولكن الهاشميين لم يركعوا ولم يستسلموا، ولم يستجيبوا لبطون قريش في طلبها تسليم النبي .

لقد تحملوا ما لم تتحمله قبيلة على وجه الأرض في سبيل محمد ﷺ وفي سبيل دينه. ولولا صبرهم وثباتهم لقتلت البطون رسول الله كما قتل غيره من الأنبياء وأجهضت دعوته في مهدها، ولكن الله أراد أن يظهر دينه، وأن يتحمل البطن الهاشمي أعباء مرحلة التأسيس الحاسمة.

ثم أوحى الله تعالى لنبيه ﷺ أنه أرسل حشرة أكلت صحيفة الحصار ولم تبقى من كتابتها إلا اسم الله، وما إن انتهى جبريل من إلقاء تلك البشارة العظيمة حتى نهض رسول الله ﷺ فأخبر

عمه بتفاصيل خبر السماء، وعلى إثر ذلك توجه النبي وأبو طالب والهاشميون جميعاً إلى المسجد الحرام.

أقبلت قريش تريد الوقوف على حقيقة الأمر، وهي تظن أبا طالب قد جاء ليعلن استسلامه واستسلام بني هاشم، ولكن أبا طالب طلب من زعماء الشرك أن يحضروا صحيفة الحصار، فلما فعلوا ذلك قال لهم: أليست هذه صحيفتكم على العهد الذي تركوها فيه؟ فقالت زعامة البطون: نعم. فقال أبو طالب: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟ فقالوا: اللهم لا. فقال لهم: لقد أعلمني محمد عن ربه أن الله قد بعث الأرضة فأكلت كل ما فيها إلا ذكر الله، أفرأيتم إن كان صادقاً ما تصنعون؟ فقالت زعامة البطون: نكف ونمسك. فقال أبو طالب: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونهم! فقالوا: قد أنصفت وأجملت. وفُضِّت الصحيفة فإذا كل ما فيها قد محي إلا مواقع اسم الله عز وجل، وبهت زعامة الشرك وأسلم على أثر هذه المعجزة عدد من الناس، وأعلن أبو طالب أنه على الدين الحق، واهتزت شرعية الحصار والمقاطعة.

إن للهاشميين فضلاً على كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين، فلولا موقفهم الحاسم المشرف بقيادة أبي طالب، لتمكنت بطون قريش من قتل محمد ﷺ ولما قامت للإسلام قائمة!

ومن المهازل أن تقوم السلطات التي سيطرت على مقاليد أمور المسلمين فيما بعد بتصوير أبي طالب مشركاً وتكر كفاحه وجهاد أبنائه، وتفرض مسبتهم على المنابر، ولا تقبل شهادة من يواليهم. وتلقي في أذهان العامة والغوغاء أن الهاشميين ماتوا بموت محمد، وأنهم لم يخلقوا للقيادة، وإنما خلقوا ليكونوا أتباعاً لخلفاء بطون قريش، وأن الخلافة حق خالص للبطون مثلاً كانت النبوة حقاً خالصاً للهاشميين، وأن هذه القسمة هي القسمة العادلة، وكأن البطون هي المخولة بتوزيع فضل الله تعالى.

ومضافاً إلى تحليد النبي ﷺ ظلم بطون قريش وتآمرهم على الإسلام، فقد قد سجل في أحاديثه طول بعثته أن الخطر والتحريف والظلم الذي يخشاه على الإسلام وأهل بيته، إنما هو من قريش وحدها، فبقية القبائل تبع لها!

كثرة مكذوبات الخلافة في حصار الشعب!

١. نلاحظ أن قريشاً أسوأ من اليهود، فاليهود كانوا ينكرون نبوة أنبيائهم ثم يقتلونهم!
لكن قريشاً قالوا نريد قتل محمد حتى لو كان نبياً وأتى بمعجزات، لأن الموت عندنا أفضل من الإيمان برسول من بني هاشم! وقد وبخهم الله تعالى بذلك فقال عنهم: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَ الْيَمِّ!
فقد جمعت بطون قريش بين سيئات اليهود وعناد البداوة!

٢. وهم مع ذلك جناء يخافون من عشيرة النبي ﷺ، فقرروا أن يضغطوا عليهم اجتماعياً وإقتصادياً وسياسياً، حتى يسلموهم ابنهم بأيديهم فيقتلوه!
وهم جناء أن يقاتلوهم فيخرجوهم من مكة، فأرادوا منهم أن ينفوا أنفسهم باختيارهم من مكة! فجمعوا صفات التكبر، والجبن، والحقارة!

ثم القسوة، فهم يرون حالة بني هاشم المحاصرين ويسمعون تضرع أطفالهم من الجوع! ومع ذلك حرموا الرأفة عليهم مهما بلغ بهم الحصار!

« لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً، ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل! » (الدرر لابن عبد البر / ٥٤، وسبل الهدى: ١٠ / ٥٩، وعيون الأثر: ١ / ١٦٥).

٣. لكن تتفاجأ في أحاديث الخلافة عن الحصار بأن زعماء قريش يمثلون النبل والقيم والإنسانية والضمير الحي! وأنهم تلاوموا وقرروا نقض الصحيفة الظالمة وإنصاف بني هاشم، وعملوا في ذلك ليل نهار، وعرضوا أنفسهم للأخطار حتى تمكنوا من نقض الصحيفة!

وتقرأ أن النبي ﷺ كان يشكر لهم صنيعهم! وأوصى المسلمين أن لا تقتلوا فلاناً لأنه لم يؤذني! وفلاناً لأنه كان خيراً باراً من أبطال نقض الصحيفة! وهم الفراعنة الستة برواية ابن إسحاق (١٤٥/٢): (أبو جهل هشام بن عمرو وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن مخزوم، ومطعم بن عدي، وزهير بن أبي أمية، وأبي البختری بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد).

وقد نظموا في مدح هؤلاء الفراعنة شعراً، كما في السيرة الحلبية (٣٧/٢):

« فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح أمره والمساء
يا لأمر أتاه بعد هشام زمعة إنه الفتى الأتاء
وزهير والمطعم بن عدي وأبو البحتري من حيث شاءوا
نقضوا مبرم الصحيفة إذ شد دت عليه من العدا الأنداء »!

وزعموا أن شاعر النبي ﷺ رثى مطعماً بقصيدة! وبذلك صار الفراعنة أصحاب قرار الحصار، أبطال فك الحصار، وطمسوا صمود النبي ﷺ وأبي طالب، بل طمسوا آية الأروضة التي أبهتتهم! وقالت روايتهم: « ثم إن المطعم بن عدي قام إلى الصحيفة فشققها، فوجد الأروضة قد أكلتها ». أما أبو طالب، فانتقموا منه بأن جعلوه كافراً في قعر جهنم! وزعموا أن النبي ﷺ شفع له فأنقذه من قعر جهنم إلى ضحضاح نار يغلي منه دماغه!

قال البخاري (٢٤٧/٤): « إن العباس قال للنبي: « ما أغنيت عن عمك! فوالله كان يحوطك ويغضب لك! قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار! »

أفلتت الحقيقة من غابة الكذب القرشي!

وقد أفلتت الحقيقة في رواية ابن سعد في الطبقات (٢٠٨/١) قال: (فأرسل الله عز وجل على الصحيفة دابة فأكلت كل شيء إلا اسم الله عز وجل... فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فسقط في أيديهم ونكسوا على رؤوسهم! فقال أبو طالب: علام نُحبس ونُحصر وقد بان الأمر! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا! ثم انصرفوا! »

وقال القطب الرواندي في الخرائج (٨٥/١): « فما راع قريشاً إلا وبنو هاشم عُنقاً واحداً، قد خرجوا من الشعب! فقالت قريش: الجوع أخرجهم! فجاؤوا حتى أتوا الحجر وجلسوا فيه، وكان لا يقعد فيه إلا فتیان قريش، فقالوا: يا أبا طالب قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئتكم بخبر، إبعثوا إلى صحيفتكم لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح. قال: فبعثوا إليها وهي عند أم أبي جهل، وكانت قبل في الكعبة فخافوا عليها السرق فوضعت بين أيديهم وخواتيمهم

عليها. فقال أبوطالب: هل تنكرون منها شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط، أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأربعة، فأكلت كل قطعة وإثم، وتركت كل إسم هو لله، فإن كان صادقاً أفلعتكم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: نعم يا أباطالب، ففتحت ثم أخرجت فإذا هي مشرّبة كما قال! فكبر المسلمون، وامتقت وجوه المشركين. فقال أبوطالب: أتبين لكم أينما أولى بالسحر والكهانة؟ فأسلم يومئذ عالم من الناس.



الصحيفة الملعونة الثانية لعزل عترة النبي ﷺ

استنفرت قريش في حجة الوداع لخوفها أن يعلن النبي ﷺ خلافة علي عليه السلام! وكان من بقي ممن وقع الصحيفة الملعونة الأولى حاضراً في حجة الوداع، وكان المتآمرون لقتل النبي ﷺ في طريق تبوك موجودين أيضاً! وقد فرحوا يومها بأن النبي ﷺ لم يستطع كشف أسماءهم، واعتبروه نوعاً من الانتصار عليه! وكانوا يرون أنه ماضٍ في تركيز خلافة علي عليه السلام فقد أشاد به في طريق تبوك، وفي المدينة بعد عودته، وسحب سورة براءة من أبي بكر وبعثه بها وقال: إن جبرئيل عليه السلام أمره بأنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه!

ثم أشركه في أصحابه لأنهما من ولد عبد المطلب، وعددها مئة ناقة على عدد نذر عبد المطلب عن أبيه عبدالله. ثم خص فاطمة عليها السلام بأضحية وقال لها: قومي فاشهدي أضحيتك. (المغني: ١/ ١٥٦)، بينما ذبح لكل أزواجه بقرة (المغني: ٣/ ٥٠١).

وتواصلت أحاديثه عن مكانة علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام فقال إن فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعلياً سيد العرب، وأسداً لله وأسداً رسولاً أو ولي المؤمنين بعده.

وكان يؤكد على ميزانية الخمس التي جعلها الله في سورة الأنفال لبني هاشم لينزههم عن الزكوات التي هي أوساخ الناس، وهذا أقصى الرفعة لهم!

ثم لم يرض حتى قرن عترته بالقرآن وأوصى بهما الأمة، وبشر باثني عشر إماماً ربانيين من

عترته، أي أن إمامتهم من الله! فماذا بقي لبطون قبائل قريش!

ثم رأت قريش أنه ﷺ يتعمد التذكير بظلم البطون ومحاصرتهم لبني هاشم في شعب أبي طالب، فقد أعلن يوم التروية: « منزلنا غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر ». (صحيح بخاري: ١٥٨/٢).

ثم كررها بعد عرفات. (بخاري: ٢٤٧/٤). وكان أكد عليها يوم فتح مكة! فلا حل عند قريش إلا بمواصلة العمل لقتل محمد! وإلا فالحيلولة بينه وبين إعلانه علياً خليفة، وذلك بالتشويش على كلامه، ونفي أنه قال، وبالتهديد بإعلان الردة إن لزم الأمر! وهو أمر يخاف منه النبي ﷺ كثيراً!

إن نصوص خطب النبي ﷺ في عرفات حتى برواية السلطة، تكفي لمعرفة الجوال الذي أوجده قريش حول النبي ﷺ وكيف كانت تترقب كلماته لتشوش على ما لا يناسبها وترفضه، وتأخذ ما يناسبها وتضخمه! فقد كان يوم عرفات أهدأ مكان وأنسبه لأن يوصل النبي ﷺ ما يريده إلى المسلمين المحرمين لربهم، فركب ناقته ليشاهدوه ويسمعوه، وكان صوته يصل إلى أكثرهم، ومع ذلك دعا برجل جهوري الصوت فكان يلقي الجملة ويقول له: أصرخ بها، فيصرخ ويسمعها من لم يسمعها مباشرة.

لكن ما أن بشر أمته بالأئمة الاثني عشر عليه من عترته، حتى ارتفعت الضجة واللغط كما قال راوي قريش: (فضجوا وقاموا وقعدوا وكبروا ولغطوا، فأصميتها الناس) وقال إن النبي قال: بعدي اثنا عشر إماماً ثم قال كلمة لم أفهمها فسألت عمر فقال: كلهم من قريش!

أقول: هذا هو الجوال القرشي الذي قال عنه أمير المؤمنين عليه (شرح النهج: ٢٠٠/٢٩٨):

«إن العرب كرهت أمر محمد ﷺ وحسدته على ما آتاه الله من فضله واستطالت أيامه! حتى قذفت زوجته ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم مننه عندها! وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته!»

نسختان للصحيفة الملعونة الثانية

أرادت قريش أن تضمن نجاحها في عزل عترة النبي ﷺ عن الحكم، فكتبت معاهدة بذلك ووضعتها في الكعبة! وكانت نسخة موجزة، ولما وصلوا إلى المدينة تشاوروا مع أشباههم، وكتبوا نسخة مفصلة وأعطوها لأبي عبيدة بن الجراح، فبعثها إلى مكة ووضعها مكان النسخة الأولى.

في تفسير القمي (١٧٣/١)، أنه بعد خطبة النبي ﷺ في منى وتأكيده على كتاب الله وأهل بيته ﷺ: «فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته! فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لا يردُّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً».

وفي الكافي (٥٤٥/٤): «عن الحارث بن الحصرية الأسدي، عن الباقر ﷺ قال: كنت دخلت مع أبي (زين العابدين ﷺ) الكعبة فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أو قُتل ألا يردُّوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً! قال قلت: ومن كانوا؟ قال: كان الأول، والثاني، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم ابن الحبيبة!»

نص الصحيفة الملعونة الثانية برواية حذيفة

روى الشهيد التستري في الصوارم المهرقة في رد الصواعق المحرقة (٧٤): (عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: حدثني بريدة الأسلمي أنه لما قمنا من مكاننا في غدير خم نريد سمعت رجلاً يقول لصاحبه: ما رأيت اليوم ما فعل بابن عمه، لو قدر أن يصيره نبياً بعده لفعل! فقال له صاحبه: أسكت لو فقدنا محمداً لم نر من هذا شيئاً!

ثم لما رحل النبي ﷺ عن غدير خم ورأى أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة يتناجون في إنكار تلك الخطبة في شأن علي ﷺ أمر منادياً ينادي ألا لا يجتمع ثلاثة نفر من الناس يتناجون.

وارتحل علي ﷺ فلما نزل منزلاً آخر أتى سالم مولى أبي حذيفة أبا بكر وعمر وأبا عبيدة فوجدهم يساراً بعضهم بعضاً، فوقف عليهم وقال: أليس رسول الله ﷺ نهي أن يجتمع ثلاثة نفر على سر؟ والله لئن لم تخبروني بما أنتم عليه لآتين رسول الله ﷺ لأعرفنه ذلك منكم! فقال أبو بكر: يا سالم عليك عهد الله وميثاقه إن نحن أخبرناك بما نحن فيه فإن أحببت أن تدخل معنا دخلت وإن

أبيت كتمت علينا. فقال سالم: ذلك لكم عليّ. فأعطاهم عهد الله وميثاقه أنه إن لم يدخل معهم يكتمه عليهم، قالوا: اجتمعنا على أن نتعاقد اليوم على أن نمنع محمداً مما افترضه علينا من ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام! فقال لهم سالم: أنا والله به أول من يحالفكم على ذلك الأمر، والله ما طلعت شمس على أهل بيت أبغض إلي من بني هاشم ولا في بني هاشم أبغض إلي من علي! فاصنعوا ما بدا لكم فإني واحد منكم! فتعاقدوا في وقتهم ذلك ثم تفرقوا.

قال حذيفة: ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقال لهم: ما كنتم يومكم هذا تتناجون فيه؟ قالوا: يا رسول الله ما التقينا غير وقتنا هذا، فنظر إليهم مغضباً ثم قال: وَمَا لِلَّهِ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. ثم أمر رسول الله ﷺ بالرحيل حتى دخل المدينة، واجتمع القوم بها وكتبوا صحيفة على حسب ما تعاقدوا عليه من التنكب عما بايعوا عليه رسول الله ﷺ في استخلاف علي عليه السلام، وأن الأمر لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ، ثم بعده لعمر بن الخطاب، ثم بعده للحبي من أحد الرجلين أبي عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة. وأشهدوا على ذلك أربعة وثلاثين رجلاً، أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة، وعشرين رجلاً غيرهم: وهم سعيد بن العاص الأموي، وأسماء بن زيد، والوليد بن أبي ربيعة، وسعيد بن زيد بن نفيل، وأبوسفيان بن حرب، وسفيان بن أمية، وأبو حذيفة بن عتبة، ومعاذ بن جبل، وبشير بن أبي سعيد الأنصاري، وسهل بن عمر، وحكيم بن حزام الأسدي، وصهيب بن سنان الرومي، والعباس بن مرداس السلمي، وأبومطيع بن أسد العبدى، وقعد ابن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة، وسعيد بن مالك، وخالد بن عرفطة، ومروان بن الحكم، والأشعث بن قيس. قال حذيفة: حدثتني أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر أن القوم اجتمعوا في دار أبي بكر، فتوامروا في ذلك، وأسماء تسمع جميع كلامهم، فأمروا سعيد بن العاص أن يكتب على اتفاق منهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. إن المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيه اتفقوا جميعاً بعد أن اجتهدوا في آرائهم، وكتبوا هذه الصحيفة نصراً منهم للإسلام، وليقتدي بهم من جاء بعدهم.

أما بعد، فإن الله بمنه وكرمه بعث محمداً رسولاً إلى الناس كافة، بدينه الذي ارتضاه لعباده، فأدى ما أمر به، حتى إذا أكمل الدين وبين الفرائض والسنن وعين الحلال والحرام، فقبضه إليه

مكرماً من غير أن يستخلف من بعده أحداً، فجعل الاختيار إلى المسلمين ليختاروا لأنفسهم من وثقوا برأيه ودينه، وأن للمسلمين في رسول الله أسوة حسنة في ترك الإستخلاف فإنه لم يستخلف على الناس أصلاً، لئلا يجري ذلك في أهل ملة واحدة، فيكون إرثاً لهم دون سائر المسلمين، ولئلا يكون دولة بين الأغنياء منهم، ولئلا يقول الذي يستخلفه إن هذا الأمر باق في عقبه من ولد إلى ولد إلى يوم القيمة. والذي يجب على المسلمين عند مضي كل خليفة أن يجمعوا أهل الصلاح وذوي الرأي منهم، ليتشاوروا في أمورهم، فمن رأوه مستحقاً للخلافة بدينه وفضله ولوه أمورهم، وجعلوه القيم عليهم، لأنه لا يخفى على أهل كل زمان من يصلح منهم للخلافة.

فإن ادعى أحد أن رسول الله استخلف رجلاً بعينه بحيث نصبه للناس باسمه ونسبه كان كاذباً في دعواه، وأتى بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول الله ﷺ، وخالف إجماع المسلمين، وإن ادعى مدع أن خلافة رسول الله ﷺ وراثته لأهل بيته، فقد أبطل وأحال وخالف قول رسول الله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث فما تركناه صدقة، وإن ادعى مدع أن الخلافة لا تصلح إلا لرجل واحد من جميع الناس وأنها مقصورة فيه وإن قال قائل أن الخلافة تتلو النبوة فقد كذب، لأنه قال أصحابي: كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، وإن ادعى مدع أنه يستحق بقرابته من رسول الله ﷺ فليس له ولا لولده، وإن دنا من النبي نسبه لأن الله يقول وقوله القاضي على كل أحد: إن أكرمكم عند الله أتقاكم. فمن رضي بما اجتمع عليه أصحاب رسول الله فقد هدي وعمل بالصواب، ومن كره ذلك وخالف أمرهم فقد عاند جماعة المسلمين فليقتلوه فإن في ذلك صلاح الأمة، فإن رسول الله قد قال اجتمع لأمتي رحمة والفرقة عذاب، ولا تجتمع أمتي على ضلال أبداً، وإن المسلمين يد واحدة على من سواهم، وإنه لا يخرج من جماعة المسلمين إلا مفارق معاند لهم مظاهر عليهم، فقد أباح الله ورسوله دمه، وأحل قتله.

وكتب سعيد بن العاص باتفاق من أثبت إسمه وشهادته آخر هذه الصحيفة في المحرم سنة عشر من الهجرة.

ثم دفعت الصحيفة إلى أبي عبيدة بن الجراح، فوجه بها إلى مكة فلم تزل الصحيفة في الكعبة مدفونة، إلى أن ولي عمر بن الخطاب فأخرجها.

وهي التي تمناها أمير المؤمنين عليه السلام لما توفي عمر فوقف به وهو مسجى بثوبه وقال: ما أحب

أن ألقى الله تعالى إلا بصحيفة هذا المسحى!

أقول: رويت هذه الصحيفة بروايات بينها تفاوت لكنه غير مضر بالمعنى.

قال حذيفة: فلما فرغوا من ذلك أتوا رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلسوا معه، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي عبيدة وقال: بخ بخ لك يا با عبيدة! من مثلك وقد أصبحت أمين قوم من هذه الأمة على باطلهم! ثم قرأ: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رَأْيَ بِيهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ. ولقد أصبح نفر من أصحابي ما هم في فعلهم دون مشركي قريش لما كتبوا صحيفتهم وعلقوها في الكعبة! ولولا أن الله أمرني بالإعراض عنهم لأمر هو بالغه، لقدمتهم وضربت أعناقهم!

قال حذيفة: فوالله لقد رأيت هؤلاء نفر قد استقبلتهم الرعدة فلم يملك أحد منهم نفسه، ولم يخف على كل من حضر مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار أن رسول الله ﷺ يذمهم). انتهى حديث حذيفة، ويظهر أن اتفاقهم على أن تكون الخلافة لأبي بكر ثم لعمر ثم لأبي عبيدة ثم لسالم، كان شفهيًا! وأن سالمًا دخل معهم من مكة، ثم أكد ذلك في رجوعهم.

مؤامرة عقبة هرشى لقتل النبي ﷺ

في معجم البلدان (٣٩٧/٥): (هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة).

وفي معجم البكري (١٣٥٠/٤): (على ملتقى طريق الشام والمدينة، في أرض مستوية، هضبة ململمة لا تنبت شيئاً، وهي من الجحفة، يرى منها البحر، سهلة المصعد صعبة المنحدر، والطريق من جنبتيها).

وقد خلط بعضهم بينها وبين عقبة تبوك العميقة، التي كمن فيها بعض الصحابة للنبي ﷺ في عودته من تبوك ليقتلوه فأنجاه الله تعالى، فأعادوا محاولتهم بعد خطبة الغدير في عودته من حجة الوداع في عقبة هرشى، وكانت هذه المحاولة شبيهةً إلى حد كبير بمؤامرة اغتياله ﷺ في عقبة تبوك.

في تفسير القمي (١٧٤/١): «فقال أصحابه الذين ارتدوا بعده: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال، وقال هاهنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له! فاجتمعوا أربعة عشر نفرًا

وتأمروا على قتل رسول الله ﷺ وقعدوا في العقبة وهى عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها، لينفروا ناقة رسول الله ﷺ فلما جن الليل تقدم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل عليه السلام: يا محمد إن فلاناً وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك، فنظر رسول الله ﷺ فقال: من هذا خلفي؟ فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة بن اليمان، قال: سمعت ما سمعت؟ قال: بلى. قال: فاكتم، ثم دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم، فلما سمعوا نداء رسول الله ﷺ فروا ودخلوا في غمار الناس، وقد كانوا عقلوا وراحلهم فتركوها! ولحق الناس برسول الله وطلبوهم وانتهى رسول الله ﷺ إلى وراحلهم فعرّفهم، فلما نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً! فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ولم يريدوه ولم يكتموا شيئاً من رسول الله ﷺ فأنزّل الله:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا: أَنْ لَا يَرُدُّوا هَذَا الْأَمْرَ فِي أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ. وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا: مِنْ قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ.

فحدثني أبي عن مسلم بن خالد عن محمد بن جابر عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ لما رجع من حجة الوداع: يا ابن مسعود قد قرب الأجل ونعيت إلي نفسي فمن لذلك بعدي؟ فأقبلت أعد عليه رجلاً رجلاً، فبكى رسول الله ﷺ ثم قال ثكلتك الشواكل فأين أنت عن علي بن أبي طالب لم لا تقدمه على الخلق أجمعين؟! يا ابن مسعود إنه إذا كان يوم القيامة رفعت لهذه الأمة أعلام، فأول الأعلام لوائي الأعظم مع علي بن أبي طالب والناس أجمعين تحت لوائه ينادي مناد هذا الفضل يا ابن أبي طالب. ثم نزل كتاب الله يخبر عن أصحاب رسول الله ﷺ).

وفي تفسير العياشي (٣٣٤/١): «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً. قال: حيث كان رسول الله ﷺ بين أظهرهم. فَعَمُوا وَصَمُوا: حيث قبض رسول الله! ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام. قال: ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا.. إلى الساعة!»

وفي تنزيه الأنبياء/١٢٠: (إن النبي ﷺ لما نص على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة في ابتداء الأمر جاءه قوم من قريش قالوا له: يا رسول الله إن الناس قريبا عهد بالإسلام ولا يرضوا أن تكون النبوة فيك والإمامة في ابن عمك فلو عدلت بها إلى حين لكان أولى، فقال لهم النبي ﷺ: ما فعلت ذلك برأيي فأخير فيه ولكن الله أمرني به وفرضه عليّ. فقالوا له: فإذا لم تفعل ذلك مخافة الخلاف على ربك، فأشرك معه في الخلافة رجلاً من قريش يسكن إليه الناس ليتيم لك الأمر ولا تحالف الناس عليك، فنزل: وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

حديث حذيفة الطويل وبضمنه مؤامرة عقبة هرشى

ونورده هنا كاملاً لفوائده، ما عدا نص الصحيفة المتقدم، لأنه يكشف حقيقة صراع النبي ﷺ مع قريش في تلك الفترة:

ففي إرشاد القلوب (٣٣٢/١): (واستُخلف علي بن أبي طالب عليه السلام فأقام حذيفة على المدائن وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان. سلام عليك أما بعد، فإني قد وليتك ما كنت تليه لمن كان قبلي من حرف المدائن وقد جعلت إليك أعمال الخراج والريستاق وجباية أهل الذمة فاجمع إليك ثقاتك ومن أحببت ممن ترضى دينه وأمانته واستعن بهم على أعمالك، فإن ذلك أعز لك ولوليك وأكبت لعدوك وإني أمرك بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية، وأحذرك عقابه في المغيب والمشهد، وأتقدم إليك بالإحسان إلى المحسن والشدة على المعاند، وأمرك بالرفق في أمورك واللين والعدل على رعيتك، فإنك مسؤول عن ذلك. وإنصاف المظلوم، والعفو عن الناس، وحسن السيرة ما استطعت، فالله يجزي المحسنين. وأمرك أن تجبي خراج الأرضين على الحق والنصفة ولا تتجاوز ما قدمت به إليك، ولا تدع منه شيئاً ولا تبدع فيه أمراً، ثم اقسمه بين أهله بالسوية والعدل، واخفض لرعيتك جناحك، وواس بينهم في مجلسك، وليكن القريب والبعيد عندك في الحق سواء، واحكم بين الناس بالحق وأقم فيهم بالقسط، ولا تتبع الهوى ولا تحف في الله لومة لائم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وقد وجهت إليك كتاباً لتقرأه على أهل مملكتك، ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين،

فأحضرهم واقرأه عليهم، وخذ لنا البيعة على الصغير والكبير منهم إن شاء الله. قال: ولما وصل عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة جمع الناس وصلى بهم، ثم أمر بالكتاب فقرأه عليهم وهو: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين: سلام عليكم، أما بعد، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد.

وبعد، فإن الله تعالى اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، إحكاماً لصنعه وحسن تدبيره، ونظراً منه لعباده، واختص به من أحب من خلقه فبعث إليهم محمداً عليه السلام فعلمهم الكتاب والحكمة إكراماً وتفضلاً لهذه الأمة، وأدبهم لكي يهتدوا، وجمعهم لئلا يتفرقوا، ووفقههم لئلا يجوروا. فلما قضى ما كان عليه من ذلك مضى إلى رحمة الله حميداً محموداً.

ثم إن بعض المسلمين أقاموا بعده رجلين رضوا بهما وسيرتهما، قاما ما شاء الله، ثم توفاهما الله عز وجل، ثم ولوا بعدهما الثالث فأحدث أحداثاً، ووجدت الأمة عليه فعلاً، فاتفقوا عليه ثم نعموا منه فغيروا.

ثم جاؤني كتتاب الخيل فبايعوني فأنا أستهدي الله بهداه وأستعينه على التقوى. ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام والقيام عليكم بحقه، وإحياء سنته، والنصح لكم بالمغيب والمشهد، وبالله نستعين على ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد وليت أموركم حذيفة بن اليمان وهو ممن أرتضي هداه، وأرجو صلاحه، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم، والشدة على مريبكم، والرفق بجمعيتكم، أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان، ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم إن حذيفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وآل محمد ثم قال: الحمد لله الذي أحيا الحق، وأمات الباطل، وجاء بالعدل ودحض الجور، وكبت الظالمين.

أيها الناس: إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً وخير من نعلمه بعد نبينا رسول الله عليه السلام وأولى الناس بالناس، وأحقهم بالأمر، وأقربهم إلى الصدق، وأرشدهم إلى العدل، وأهداهم سبيلاً، وأدناهم إلى الله وسيلة وأقربهم برسول الله عليه السلام رحماً، أنيوا إلى طاعة أول الناس سلماً وأكثرهم علماً وأصدقهم طريقة وأسبقهم إيماناً وأحسنهم يقيناً وأكثرهم معروفاً وأقدمهم

جهاداً وأعزهم مقاماً. أخي رسول الله وابن عمه وأبي الحسن والحسين وزوج الزهراء البتول سيدة نساء العالمين، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه، فإن الله في ذلك رضى ولكم مقنع وصلاح، والسلام.

فقام الناس بأجمعهم فبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام بأحسن بيعة وأجمعها.

فلما استتمت البيعة قام إليه فتى من أبناء العجم وولادة الأنصار لمحمد بن عمار بن التيهان أخي أبي الهيثم بن التيهان يقال له مسلم، متقلداً سيفاً، فناداه من أقصى الناس: أيها الأمير إنا سمعناك تقول في أول كلامك إنما وليكم الله ورسوله وأمر المؤمنين حقاً حقاً تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء أنهم لم يكونوا أمراء المؤمنين حقاً، فعرفنا ذلك أيها الأمير رحمك الله ولا تكتمنا، فإنك ممن شهد وغبنا، ونحن مقلدون ذلك في أعناقكم، والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمتكم، وصدق الخبر عن نبيكم.

قال حذيفة: أيها الرجل أما إذا سألت وفحصت هكذا فاسمع وافهم ما أخبرك به:

أما من تقدم من الخلفاء قبل علي بن أبي طالب عليه السلام فمن تسمى بأمر المؤمنين فإنهم تسموا بذلك وسماهم الناس به. وأما علي بن أبي طالب فإن جبرائيل عليه السلام سماه بهذا الاسم عن الله تعالى وشهد له الرسول ﷺ عن سلام جبرائيل له بإمرة المؤمنين، وكان أصحاب رسول الله يدعونه في حياة رسول الله بأمر المؤمنين.

قال الفتى: أخبرنا كيف كان ذلك يرحمك الله.

قال حذيفة: إن الناس كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ قبل الحجاب إذا شاؤوا فنهاهم رسول الله أن يدخل أحد إليه وعنده دحية بن خليفة الكلبي، وكان رسول الله يرسل قيصر ملك الروم وبني حنيفة وملوك بني غسان على يده، وكان جبرائيل عليه السلام يهبط عليه في صورته، ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يدخل المسلمون عليه إذا كان عنده دحية.

قال حذيفة: وإني أقبلت يوماً لبعض أموري إلى رسول الله رجاء أن ألقاه خالياً، فلما صرت بالباب نظرت فإذا أنا بشملة قد سدلت على الباب فرفعتها وهممت بالدخول وكذلك كنا نصنع فإذا أنا بدحية قاعد عند رسول الله ﷺ والنبي نائم ورأسه في حجر دحية الكلبي، فلما رأيته انصرفت فلقيني علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض الطريق فقال: يا ابن اليان من أين أقبلت

فقلت من عند رسول الله ﷺ قال: وما ذا صنعت؟ قلت: أردت الدخول عليه في كذا وكذا وذكرت الأمر الذي جئت له فلم يتهياً لي ذلك. قال: ولم؟ قلت عنده دحية الكلبي وسألت علياً معونتي على رسول الله ﷺ في ذلك الأمر. قال فارجع معي فرجعت معه، فلما صرنا إلى باب الدار جلست بالباب ورفع علي الشملة ودخل فسلم فسمعت دحية: يقول وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قال: له أجلس فخذ رأس أخيك وابن عمك من حجري، فأنت أولى الناس به، فجلس علي وأخذ رأس رسول الله فجعله في حجره، وخرج دحية من البيت، فقال علي عليه السلام: أدخل يا حذيفة فدخلت وجلست فما كان بأسرع من انتبه رسول الله فضحك في وجه علي، ثم قال: يا أبا الحسن من حجر من أخذت رأسي؟ قال: من حجر دحية الكلبي. فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبرائيل، فما قلت له حين دخلت وما قال لك؟ قال دخلت وسلمت فقال لي: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال رسول الله: يا علي سلمت عليك ملائكة الله وسكان سماواته بإمرة المؤمنين من قبل أن يسلم عليك أهل الأرض.

يا علي إن جبرائيل عليه السلام فعل ذلك عن أمر الله عز وجل وقد أوحى إلي عن ربي تبارك وتعالى من قبل دخولك أن أفرض ذلك على الناس، وأنا فاعل ذلك إن شاء الله تعالى. فلما كان من الغد بعثني رسول الله ﷺ إلى ناحية فدك في حاجة، فلبثت أياماً ثم قدمت فوجدت الناس يتحدثون أن رسول الله أمر الناس أن يسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وأن جبرائيل أتاه بذلك عن الله عز وجل، فقلت: صدق رسول الله، وأنا قد سمعت جبرائيل سلم على علي بإمرة المؤمنين، فحدثتهم الحديث، فسمعني عمر بن الخطاب وأنا أحدث الناس في المسجد فقال لي: أنت رأيت جبرائيل وسمعته! إتي القول فقد قلت قولاً عظيماً، فقد خولط بك! فقلت: نعم أنا سمعت ورأيت ذلك فأرغم الله أنف من رغم! فقال يا أبا عبد الله لقد رأيت وسمعت عجباً!

قال حذيفة: فسمعني بريدة بن الحصيب الأسلمي وأنا أحدث ببعض ما رأيت وسمعت، فقال لي: والله يا ابن الإيمان لقد أمرهم رسول الله ﷺ بالسلام على علي بإمرة المؤمنين فاستجاب له طائفة يسيرة من الناس ورد ذلك عليه وأباه كثير من الناس! فقلت: يا بريدة أكنت شاهداً ذلك اليوم؟ فقال: نعم من أوله إلى آخره، فقلت له حدثني به رحمة الله فإني كنت عن ذلك اليوم غائباً، قال بريدة: كنت أنا وعمار أخي مع رسول الله ﷺ في نخيل بني النجار فدخل علينا علي

بن أبي طالب ﷺ فسلم فرد عليه رسول الله، ورددنا ثم قال: يا علي أجلس هنا، فدخل رجال فأمرهم رسول الله بالسلام على علي بإمرة المؤمنين، فسلموا وما كادوا.

ثم دخل أبوبكر وعمر فسلما، فقال لهما رسول الله: سلما على علي بإمرة المؤمنين، فقالا: الإمرة من الله ورسوله؟ فقال: نعم، ثم دخل طلحة وسعد بن مالك فسلما فقال لهما النبي: سلما على علي بإمرة المؤمنين، فقالا: عن الله ورسوله؟ فقال: نعم. قالوا سمعنا وأطعنا.

ثم دخل سلمان الفارسي وأبوذر الغفاري رضي الله عنهما فسلما فرد عليهما السلام، ثم قال لهما سلما على علي بإمرة المؤمنين، فسلموا ولم يقولوا شيئاً.

ثم دخل خزيمة بن ثابت وأبواهشم بن التيهان فسلما فرد عليهما السلام، ثم قال سلما على علي ﷺ بإمرة المؤمنين، فسلموا ولم يقولوا شيئاً.

ثم دخل عمار ومقداد فسلما فرد عليهما السلام وقال: سلما على علي بإمرة المؤمنين، ففعلا ولم يقولوا شيئاً.

ثم دخل عثمان وأبو عبيدة فسلما فرد عليهما السلام وقال: سلما على علي بإمرة المؤمنين، قالوا: عن الله ورسوله؟ قال: نعم، فسلموا.

ثم دخل فلان وفلان وعدد من جماعة المهاجرين والأنصار كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول سلموا على علي بإمرة المؤمنين، فبعض يسلم وبعض لم يقل شيئاً، وبعض يقول للنبي: عن الله ورسوله، فيقول: نعم. حتى غص المجلس بأهله وامتألت الحجرة وجلس بعض على الباب وفي الطريق، وكانوا يدخلون فيسلمون ويخرجون.

ثم قال لي ولأخي قم يا بريدة أنت وأخوك فسلموا على علي بن أبي طالب بإمرة المؤمنين، فقمنا وسلمنا ثم عدنا إلى مواضعنا فجلسنا.

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ وقال: إسمعوا وعوا إني أمرتكم أن تسلموا على علي بإمرة المؤمنين، وإن رجلاً سألوني ذلك عن أمر الله عز وجل أو أمر رسول الله، ما كان لمحمد أن يأتي أمراً من تلقاء نفسه بل بوحى ربه وأمره. أفرأيتم والذي نفسي بيده لئن أبيتم ونقضتموه لتكفرن ولتفارقن ما بعثني به ري، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

قال بريدة: فلما خرجنا سمعت بعض أولئك الذين أمروا بالسلام على علي بإمرة المؤمنين من قريش يقول لصاحبه وقد التفت بهما طائفة من الجفاء البطاء عن الإسلام من قريش: أما رأيت ما صنع محمد بابن عمه من علوا المنزلة والمكانة ولو يستطيع والله لجعله نبياً من بعده. فقال له صاحبه أمسك ولا يكبرن عليك هذا الأمر، فإننا لو فقدنا محمداً لكان فعله هذا تحت أقدامنا!

قال حذيفة ثم خرج بريدة إلى بعض طرق الشام ورجع، وقد قبض رسول الله وباع الناس بأبكر، فأقبل بريدة ودخل المسجد وأبوبكر على المنبر وعمر دونه بمراقبة، فنادهما من ناحية المسجد: يا أبابكر ويا عمر. فقال: ما لك يا بريدة أجننت؟ فقال لهما: والله ما جننت ولكن أين سلامكما بالأسس على علي بإمرة المؤمنين؟ فقال له أبوبكر: يا بريدة الأمر يحدث بعده الأمر، فإنك غبت وشهدنا والشاهد يرى ما لا يرى الغائب!

فقال لهما: رأيتما لم يره الله ولا رسوله! ولكن هذا وفاء صاحبك بقوله لو فقدنا محمداً لكان هذا قوله تحت أقدامنا!

ألا إن المدينة حرام عليّ أن أسكنها أبداً حتى أموت وخرج بريدة بأهله وولده، فنزل بين قومه بني أسلم، فكان يطلع في الوقت دون الوقت، فلما أفضى الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام إليه وكان معه حتى قدم العراق، فلما أصيب أمير المؤمنين سار إلى خراسان فنزلها فلبث هناك إلى أن مات رحمه الله. (و من أولاده في نيشابور الحاكم الحسكاني)

قال حذيفة: هذه أنباء ما سألتني عنه. فقال الفتى: لا جزى الله الذين شاهدوا رسول الله وسمعوه يقول هذا القول في علي، فقد خانوا الله ورسوله وأزوا الأمر عن رضي به الله، وأقروه فيمن لم يره الله ولا رسوله لذلك أهلاً. لا جرم والله لن يفلحوا بعدها أبداً، ونزل حذيفة عن منبره فقال يا أبا الأنصار إن الأمر كان أعظم مما تظن! إنه عزب والله البصر وذهب اليقين، وكثر المخالف وقل الناصر لأهل الحق.

فقال له الفتى: فهلا انتصيتم أسياكم ووضعتموها على رقابكم وضربتم بها الزائلين عن الحق قدماً قدماً حتى تموتوا أو تدركو الأمر الذي تحبونه من طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ. فقال له: أيها الفتى إنه أخذ والله بأسامعنا وأبصارنا، وكرهنا الموت وزينت عندنا الحيرة، وسبق علم الله بإمرة الظالمين، ونحن نسأل الله الصفح لذنوبنا والعصمة فيما بقي من آجالنا، فإنه

مالك رحيم. ثم انصرف حذيفة إلى منزله وتفرق الناس.

قال عبد الله بن سلمة: فبينما أنا ذات يوم عند حذيفة أعوده في مرضه الذي مات فيه وقد كان يوم قدمت فيه من الكوفة، وذلك من قبل قدوم علي عليه السلام إلى العراق، فبينما أنا عنده إذ جاء الفتى الأنصاري فدخل على حذيفة فرحب به وأقبل به وأدناه وقرب مجلسه، وخرج من كان عند حذيفة من عواده وأقبل عليه: فقال يا أبا عبد الله سمعتك يوماً تحدث عن بريدة بن الخصيب الأسلمي أنه سمع بعض القوم الذين أمرهم رسول الله ﷺ أن يسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين يقول لصاحبه: ما رأيت اليوم ما صنع محمد بابن عمه من التشريف وعلو المنزلة حتى لو قدر أن يجعله نبياً لفعل، فأجابه صاحبه وقال لا يكبرن عليك فلو فقدنا محمد لكان قوله تحت أقدامنا! وقد ظننت نداء بريدة لهما وهما على المنبر أنها صاحبا القول!

قال حذيفة: أجل القائل عمر والمجيب أبو بكر. فقال الفتى: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلك والله القوم وبطلت أعمالهم. قال حذيفة: ولم يزل القوم على ذلك من الإرتداد وما لم يعلم الله منهم أكثر! فقال الفتى: قد كنت أحب أن أتعرف هذا الأمر من فعلهم، ولكنني أجذك مريضاً، وأنا أكره أن أملك بحديثي ومسألتي، وقام لينصرف فقال حذيفة: لا، بل اجلس يا ابن أخي وتلق مني حديثهم وإن كرّني ذلك، فلا أحسبني إلا مفارقكم، إني لا أحب أن تغتر بمنزلتها في الناس، فهذا ما أقدر عليه من النصيحة لك ولأمر المؤمنين عليه من الطاعة له ولرسوله، وذكر منزلته.

فقال: يا أبا عبد الله حدثني بما عندك من أمورهم لأكون على بصيرة من ذلك. فقال حذيفة: إذا والله لأخبرنك بخبر سمعته ورأيتَه ولقد والله دلنا على ذلك من فعلهم على أنهم والله ما آمنوا بالله ولا برسوله طرفة عين! وأخبرك أن الله تعالى أمر رسوله في سنة عشر من مهاجرته من مكة إلى المدينة أن يحج هو ويحج الناس معه فأوحى إليه بذلك وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق فأمر رسول الله ﷺ المؤذنين فأذنوا في أهل السافلة والعالية ألا إن رسول الله ﷺ قد عزم على الحج في عامه هذا ليفهم الناس حجهم ويعلمهم مناسكهم فيكون سنة لهم إلى آخر الدهر. قال: فلم يبق أحد ممن دخل في الإسلام إلا حج مع رسول الله ﷺ لسنة عشر ليشهدوا منافع لهم ويعلمهم حجهم ويعرفهم مناسكهم.

وخرج رسول الله ﷺ بالناس وخرج بنسائه معه، وهي حجة الوداع فلما استتم حجهم، وقضوا مناسكهم، وعرف الناس جميع ما احتاجوا إليه وأعلمهم أنه قد أقام لهم ملة إبراهيم عليه السلام، وقد أزال عنهم جميع ما أحدثه المشركون بعده، ورد الحج إلى حالته الأولى.

ودخل مكة فأقام بها يوماً واحداً، هبط عليه الأمين جبرائيل عليه السلام بأول سورة العنكبوت فقال اقرأ يا محمد بسم الله الرحمن الرحيم ألم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. فقال رسول الله ﷺ يا جبرائيل وما هذه الفتنة؟ فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك: إني ما أرسلت نبياً قبلك إلا أمرته عند انقضاء أجله أن يستخلف على أمته من بعده من يقوم مقامه، ويحيي لهم سنته وأحكامه، فالطابعون لله فيما يأمرهم به رسول الله ﷺ الصادقون، والمخالفون على أمره هم الكاذبون، وقد دنا يا محمد مصيرك إلى ربك وجنته وهو يأمرك أن تنصب لأمتك من بعدك علي بن أبي طالب عليه السلام وتعهده إليه فهو الخليفة القائم برعيتك وأمتك، إن أطاعوه أسلموا وإن عصوه كفروا، وسيفعلون ذلك وهي الفتنة التي تلوت الآي فيها، وإن الله عز وجل يأمرك أن تعلمه جميع ما علمك وتستحفظه جميع ما استحفظك واستودعك، فإنه الأمين المؤتمن.

يا محمد، إني اخترتك من عبادي نبياً، واخترتك لك وصياً.

قال: فدعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فخلا به يومه ذلك وليته واستودعه العلم والحكمة التي آتاه الله إياها، وعرفه ما قال جبرائيل، وكان ذلك في يوم عائشة بنت أبي بكر فقالت: يا رسول الله لقد طال استخلاؤك بعلي منذ اليوم، قال: فأعرض عنها رسول الله ﷺ فقالت لم تعرض عني يا رسول الله؟ قال: بأمر لعله يكون لي صلاحاً لمن أسعده الله بقبوله والإيمان به، وقد أمرت بدعاء الناس جميعاً إليه، وستعلمين ذلك إذا أنا قمت به في الناس. قالت: يا رسول الله ولم لا تخبر به الآن لأتقدم بالعمل به ولاخذ بما فيه الصلاح؟ قال: سأخبرك به فاحفظه إلى أن أوامر بالقيام به في الناس جميعاً، فإنك إن حفظتيه حفظك الله في العاجلة والآجلة جميعاً، وكان لك الفضيلة بسبقه والمسارعة إلى الإيمان بالله ورسوله، ولو أضعتيه وتركت رعاية ما ألقى إليك منه كفرت بربك وحبط أجرك وبرئت منك ذمة الله ورسوله وكنت من الخاسرين، ولم يضر الله ذلك ولا

رسوله، فضمنت له حفظه والإيمان به ورعايته.

فقال ﷺ: إن الله تعالى أخبرني أن عمري قد انقضى، وأمرني أن أنصب علياً للناس علماً وأجعله فيهم إماماً وأستخلفه كما استخلف الأنبياء من قبلي أوصياءهم، وأنا صائر إلى ربي وأخذ فيه بأمره، فليكن هذا الأمر منك تحت سويداء قلبك، إلى أن يأذن الله بالقيام به، فضمنت له ذلك.

ولقد أطلع الله نبيه على ما يكون منها فيه ومن صاحبته حفصة وأبويها، فلم تلبث أن أخبرت حفصة وأخبرت كل واحدة منها أباهما فاجتمعا فأرسلا إلى جماعة الطلقاء والمنافقين فخبراهم بالأمر فأقبل بعضهم على بعض وقالوا: إن محمداً يريد أن يجعل هذا الأمر في أهل بيته كسنة كسرى وقيصر إلى آخر الدهر، ولا والله ما لكم في الحياة من حظ إن أفضى هذا الأمر إلى علي بن أبي طالب، وإن محمداً عاملكم على ظاهركم، وإن علياً يعاملكم على ما يجد في نفسه منكم، فأحسنوا النظر لأنفسكم في ذلك وقدموا آراءكم فيه، ودار الكلام فيما بينهم وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي، فاتفقوا على أن ينفروا بالنبي ﷺ ناقتة على عقبة هرشى، وقد كانوا صنعوا مثل ذلك في غزاة تبوك فصرف الله الشر عن نبيه ﷺ، فاجتمعوا في أمر رسول الله من القتل والإغتيال واستقاء السم على غير وجه، وقد كان اجتمع أعداء رسول الله ﷺ من الطلقاء من قريش والمنافقين من الأنصار ومن كان في قلبه الإرتداد من العرب في المدينة وما حولها، فتعاقدوا وتحالفوا على أن ينفروا به ناقتة وكانوا أربعة عشر رجلاً، وكان من عزم رسول الله أن يقيم علياً عليه السلام وينصبه للناس بالمدينة إذا قدم، فسار رسول الله ﷺ يومين وليلتين، فلما كان في اليوم الثالث أتاه جبرائيل عليه السلام بآخر سورة الحجر فقال: اقرأ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. قال ورحل رسول الله وأغدق السير مسرعاً على دخول المدينة لينصب علياً عليه السلام علماً للناس فلما كانت الليلة الرابعة هبط جبرائيل عليه السلام في آخر الليل فقرأ عليه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رَسُولَهُ وَاللَّهُ يَعَصِيكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. وهم الذين هموا برسول الله فقال ﷺ: أما تراني يا جبرائيل أغدق السير مجدداً فيه لأدخل المدينة فأعرض ولاية علي عليه السلام على الشاهد والغائب فقال له جبرائيل عليه السلام: الله يأمرك أن تفرض ولايته غداً إذا نزلت منزلك. فقال رسول الله: نعم يا

جبرائيل غداً أفعل ذلك إن شاء الله. وأمر رسول الله بالرحيل من وقته وسار الناس معه حتى نزل بغدير خم، وصلى بالناس وأمرهم أن يجتمعوا إليه ودعا علياً عليه السلام ورفع رسول الله ﷺ يده علي اليسرى بيده اليمنى ورفع صوته بالولاء لعلي عليه السلام على الناس أجمعين، وفرض طاعته عليهم وأمرهم أن لا يختلفوا عليه بعده، وخبرهم أن ذلك عن الله عز وجل وقال لهم: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا؟ بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. ثم أمر الناس أن يبايعوه فبايعه الناس جميعاً ولم يتكلم منهم أحد، وقد كان أبوبكر وعمر تقدموا إلى الجحفة فبعث وردهما، ثم قال لهما النبي متهجماً: يا ابن أبي قحافة ويا عمر بايعا علياً بالولاية من بعدي، فقالا: أمر من الله ومن رسوله؟ فقال: وهل يكون مثل هذا عن غير أمر الله، نعم أمر من الله ومن رسوله. فقال: وبايعا ثم انصرفا.

وسار رسول الله ﷺ باقي يومه وليلته حتى إذا دنوا من عقبة هرشي تقدمه القوم، فتواروا في ثنية العقبة، وقد حملوا معهم دباباً، وطرحوا فيها الحصى.

فقال حذيفة: فدعاني رسول الله ﷺ ودعا عمار بن ياسر وأمره أن يسوقها وأنا أقودها، حتى إذا صرنا رأس العقبة، ثار القوم من ورائنا، ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة، فذعرت وكادت أن تنفر برسول الله ﷺ فصاح بها النبي ﷺ أن اسكني، وليس عليك بأس. فأنطقها الله تعالى بقول عربي مبين فصيح فقالت: والله، يا رسول الله ﷺ لا أزلت يداً عن مستقر يد ولا رجلاً عن موضع رجل وأنت على ظهري، فتقدم القوم إلى الناقة ليدفعوها فأقبلت أنا وعمار نضرب وجوههم بأسيافنا، وكانت ليلة مظلمة، فزالوا عنا وأيسوا مما ظنوا ودبروا. فقلت: يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين يريدون ما ترى؟ فقال ﷺ: يا حذيفة هؤلاء المنافقون في الدنيا والآخرة، فقلت: ألا تبعث إليهم يا رسول الله رهطاً فيأتوا بروؤسهم؟ فقال: إن الله أمرني أن أعرض عنهم، فأكره أن تقول الناس إنه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا، فقاتل بهم حتى إذا ظهر على عدوه أقبل عليهم فقتلهم! ولكن دعهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد، وسيمهلهم قليلاً ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ. فقلت: ومن هؤلاء القوم المنافقون يا رسول الله ﷺ أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ فسأهم لي رجلاً رجلاً حتى فرغ منهم، وقد

كان فيهم أناس أنا كاره أن يكونوا فيهم فأمسكت عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: يا حذيفة كأنك شاك في بعض من سميت لك، إرفع رأسك إليهم فرفعت طرفي إلى القوم، وهم وقوف على الثنية، فبرقت برقة فأضاءت جميع ما حولنا، وثبتت البرقة حتى خلتها شمساً طالعة فنظرت والله إلى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً، فإذا هم كما قال رسول الله ﷺ، وعدد القوم أربعة عشر رجلاً، تسعة من قريش وخمسة من ساير الناس.

فقال له الفتى: سمهم لنا يرحمك الله تعالى! قال حذيفة: هم والله أبوبكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص، هؤلاء من قريش، وأما الخمسة الآخر فأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وأوس بن الحدثان البصري، وأبو هريرة، وأبو طلحة الأنصاري.

قال حذيفة: ثم انحدرنا من العقبة، وقد طلع الفجر فنزل رسول الله ﷺ فتوضأ وانتظر أصحابه حتى انحدروا من العقبة واجتمعوا، فرأيت القوم بأجمعهم وقد دخلوا مع الناس وصلوا خلف رسول الله ﷺ، فلما انصرف من صلاته التفت فنظر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يتناجون، فأمر منادياً فنادى في الناس لا تجتمع ثلاثة نفر من الناس يتناجون فيما بينهم بسر، وارتحل رسول الله ﷺ بالناس من منزل العقبة....

فلما نزل المنزل الآخر رأى سالم مولى حذيفة أبابكر وعمر وأبا عبيدة يسار بعضهم بعضاً، فوقف عليهم وقال: أليس قد أمر رسول الله ﷺ أن لا تجتمع ثلاثة نفر من الناس على سر واحد، والله لتخبروني فيما أنتم وإلا أتيت رسول الله ﷺ حتى أخبره بذلك منكم، فقال أبوبكر: يا سالم عليك عهد الله وميثاقه لئن خبرناك بالذي نحن فيه وبما اجتمعنا له، إن أحببت أن تدخل معنا فيه دخلت وكنت رجلاً منا، وإن كرهت ذلك كتمته علينا، فقال سالم: لكم ذلك وأعطاهم بذلك عهده وميثاقه، وكان سالم شديد البغض والعداوة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وقد عرفوا ذلك منه، فقالوا له: إنا قد اجتمعنا على أن نتحالف ونتعاقد على أن لا نطيع محمداً فيما فرض علينا من ولاية علي بن أبي طالب بعده! فقال لهم سالم: عليكم عهد الله وميثاقه إن في هذا الأمر كنتم تخوضون وتتناجون؟ قالوا أجل علينا عهد الله وميثاقه أنا إنما كنا في هذا الأمر بعينه لا في شيء سواه. قال سالم: وأنا والله أول من يعاقدكم على هذا الأمر ويحالفكم عليه، إنه

والله ما طلعت الشمس على أهل بيت أبغض إلى من بني هاشم، ولا في بني هاشم أبغض إلى ولا أمقت من علي بن أبي طالب فاصنعوا في هذا الأمر ما بدا لكم فإني واحد منكم، فتعاقدوا من وقتهم على هذا الأمر ثم تفرقوا.

فلما أراد رسول الله ﷺ المسير أتوه فقال لهم: فيما كنتم تتناجون في يومكم هذا وقد نهيتكم عن النجوى؟ فقالوا: يا رسول الله ما التقينا غير وقتنا هذا، فنظر إليهم النبي ﷺ ملياً ثم قال لهم: **ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.** ثم سار حتى دخل المدينة واجتمع القوم جميعاً وكتبوا صحيفة بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر، وكان أول ما في الصحيفة النكت لولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وأن الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم معهم ليس بخارج منهم، وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً: هؤلاء أصحاب العقبة وعشرون رجلاً آخر، واستودعوا الصحيفة أبا عبيدة بن الجراح وجعلوه أمينهم عليها.

قال: فقال الفتى يا أبا عبد الله يرحمك الله هبنا نقول إن هؤلاء القوم رضوا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة لأنهم من مشيخة قريش، فما بالهم رضوا بسالم وهو ليس من قريش ولا من المهاجرين ولا من الأنصار وإنما هو عبد لامرأة من الأنصار؟ قال حذيفة: يا فتى إن القوم أجمع تعاقدوا على إزالة هذا الأمر عن علي بن أبي طالب عليه السلام حسداً منهم له وكراهة لأمره، واجتمع لهم مع ذلك ما كان في قلوب قريش من سفك الدماء، وكان خاصة رسول الله ﷺ وكانوا يطلبون الثأر الذي أوقعه رسول الله بهم من علي بن أبي هاشم، فإنما كان العقد على إزالة الأمر عن علي عليه السلام من هؤلاء الأربعة عشر، وكانوا يرون أن سالماً رجل منهم.

فقال الفتى: فخبري يرحمك الله عما كتب جميعهم في الصحيفة لأعرفه، فقال حذيفة حدثني بذلك أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة أبي بكر أن القوم اجتمعوا في منزل أبي بكر فتآمروا في ذلك، وأسماء تسمعهم وتسمع جميع ما يدبرونه في ذلك، حتى اجتمع رأيهم على ذلك فأمروا سعيد بن العاص الأموي فكتب هو الصحيفة باتفاق منهم، وكانت نسخة الصحيفة: وقد تقدمت نسختها.

قال: ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره ذلك، نزل منزل أم سلمة زوجته فأقام بها شهراً

لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه كما كان يفعل قبل ذلك. قال فشكت عايشة وحفصة ذلك إلى أبييها، فقالا لهما إنا لنعلم لم صنع ذلك ولأي شيء هو، إمضيا إليه فلاطفاه في الكلام وخادعاه عن نفسه، فإنكما تجدانه حياً كريماً، فلعلكما تسلان ما في قلبه وتستخرجان سخيته. قال: فمضت عايشة وحدها إليه فأصابته في منزل أم سلمة وعنده علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لها النبي: ما جاء بك يا حميراء؟ قالت: يا رسول الله أنكرت تخلفك عن منزلك هذه المرة وأنا أعوذ بالله من سخطك يا رسول الله، فقال: لو كان الأمر كما تقولين لما أظهرت سرّاً أو صيتك بكتمانه، لقد هلكت وأهلك أمة من الناس. قال: ثم أمر خادمة أم سلمة فقال: إجمعي هؤلاء يعني نساءه، فجمعتهن في منزل أم سلمة، فقال لهن: إسمعن ما أقول لكن، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لهن: هذا أخي ووصي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي، فأطعنه فيما يأمركن به، ولا تعصينه فتهلكن بمعصيته، ثم قال: يا علي أوصيك بهن فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك، وأنفق عليهن من مالك، ومرهن بأمركن وانهن عما يريبكن، وخل سبيلهن إن عصينكن! فقال علي عليه السلام: يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي، فقال: إرفق بهن ما كان الرفق أمثل بهن فمن عصاك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها.

قال: وكل نساء النبي قد صمتن فلم يقلن شيئاً، فتكلمت عايشة فقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بشيء فتخالفه بما سواه! فقال لها: بلى: يا حميراء قد خالفت أمري أشد خلاف، وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصنه بعدي، ولتخرجن من البيت الذي أخلفك فيه متبرجة قد حف بك فئام من الناس، فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك، ولتنبحنك في طريقك كلاب الحوآب، ألا إن ذلك كائن، ثم قال: قمن فانصرفن إلى منازلكن قال، فقمن فانصرفن.

قال: ثم إن رسول الله ﷺ جمع أولئك النفرومن ما لأهم على علي عليه السلام وطابقهم على عداوته، ومن كان من الطلقاء والمنفقين، وكانوا زهاء أربعة آلاف رجل، فجعلهم تحت يدي أسامة بن زيد مولاه وأمره عليهم، وأمره بالخروج إلى ناحية من الشام، فقالوا: يا رسول الله إنا قدمنا من سفرنا الذي كنا فيه معك، ونحن نسألك أن تأذن لنا في المقام لنصلح من شأننا ما يصلحنا في سفرنا، قال: فأمرهم أن يكونوا في المدينة ريثما يحتاجون إليه، وأمر أسامة بن زيد فعسكر بهم على أميال من المدينة، فأقام بمكانه الذي حد له رسول الله ﷺ منتظراً للقوم أن يوافوه إذا فرغوا

من أمورهم وقضاء حوائجهم، وإنما أراد رسول الله ﷺ بما صنع من ذلك أن تخلو المدينة منهم، ولا يبقى بها أحد من المنافقين.

قال: فهم على ذلك من شأنهم ورسول الله ﷺ رائب يحثهم ويأمرهم بالخروج والتعجيل إلى الوجه الذي نذهبهم إليه، إذ مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفي فيه، فلما رأوا ذلك تباطؤوا عما أمرهم رسول الله ﷺ من الخروج، فأمر قيس بن عباد وكان سياف رسول الله ﷺ والحباب بن المنذر في جماعة من الأنصار أن يرحلوا بهم إلى عسكرهم، فأخرجهم قيس بن سعد والحباب بن المنذر حتى ألحقاهم بعسكرهم، وقالوا لأسامة إن رسول الله لم يرخص لك في التخلف، فسر من وقتك هذا ليعلم رسول الله ﷺ ذلك، فارتحل بهم أسامة وانصرف قيس والحباب إلى رسول الله ﷺ فأعلماه برحلة القوم، فقال لهما: إن القوم غير سائرين.

قال: فخلا أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأسامة وجماعة من أصحابه فقالوا: إلى أين نطلق ونخلي المدينة ونحن أحوج ما كنا إليها وإلى المقام بها؟

فقال لهم: وما ذلك؟ قالوا إن رسول الله قد نزل به الموت، ووالله لئن خيلنا المدينة لتحدثن بها أمور لا يمكن إصلاحها، ننظر ما يكون من أمر رسول الله ﷺ ثم المسير بين أيدينا.

قال: فرجع القوم إلى المعسكر الأول وأقاموا به وبعثوا رسولا يتعرف لهم أمر رسول الله ﷺ فأتى الرسول إلى عائشة فسألها عن ذلك سرا فقالت إمض إلى أبي وعمر ومن معهما وقل لهما: إن رسول الله ﷺ قد ثقل فلا يبرحن أحد منكم، وأنا أعلمكم بالخبر وقتا بعد وقت! واشتدت علة رسول الله ﷺ فدعت عائشة صهيبا فقالت: إمض إلى أبي بكر وأعلمه أن محمداً في حال لا يرجي، فهلم إلينا أنت وعمر وأبو عبيدة ومن رأيتم أن يدخل معكم، وليكن دخولكم في الليل سرا!

قال: فأتاهم الخبر فأخذوا بيد صهيب فأدخلوه إلى أسامة فأخبروه الخبر، وقالوا له كيف ينبغي لنا أن نتخلف عن مشاهدة رسول الله ﷺ واستأذنه في الدخول، فأذن لهم وأمرهم أن لا يعلم بدخولهم أحد، وإن عوفي رسول الله رجعتكم إلى عسكركم، وإن حدث حادث الموت عرفونا ذلك لتكون في جماعة الناس. فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ليلاً المدينة، ورسول الله ﷺ قد ثقل فأفاق بعض الإفاقة فقال: لقد طرق ليلتنا هذه المدينة شر عظيم، ف قيل له: وما هو يا رسول الله؟ فقال: إن الذين كانوا في جيش أسامة قد رجع منهم نفر يخالفون عن أمري، ألا إني

إلى الله منهم برئ، ويحكم نفذوا جيش أسامة، فلم يزل يقول ذلك حتى قالها مرات كثيرة، قال: وكان بلال مؤذن رسول الله ﷺ يؤذن بالصلاة في كل وقت صلاة، فإن قدر على الخروج تحامل وخرج وصلى بالناس، وإن هو لم يقدر على الخروج أمر علي بن أبي طالب عليه السلام فصلي بالناس، وكان علي بن أبي طالب والفضل بن العباس لا يزيلاونه في مرضه ذلك.

فلما أصبح رسول الله ﷺ من ليلته تلك التي قدم فيها القوم الذين كانوا تحت يدي أسامة، أذن بلال ثم أتاه يخبره كعادته، فوجده قد ثقل، فمنع من الدخول إليه، فأمرت عائشة صهيياً أن يمضى إلى أبيها فيعلمه أن رسول الله ﷺ قد ثقل في مرضه وليس يطيق النهوض إلى المسجد، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قد شغل به وبمشاهدته عن الصلاة بالناس، فاخرج أنت إلى المسجد فصل بالناس، فإنها حالة تهتك وحجة لك بعد اليوم، قال: فلم يشعر الناس وهم في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ أو علياً يصلى بهم كعادته التي عرفوها في مرضه، إذ دخل أبو بكر المسجد وقال: إن رسول الله ﷺ قد ثقل، وقد أمرني أن أصلي بالناس، فقال له رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: وأنى لك ذلك وأنت في جيش أسامة ولا والله لا أعلم أحداً بعث إليك ولا أمرك بالصلاة.

ثم نادى الناس بلال فقال: على رسلكم رحمكم الله لأستأذن رسول الله ﷺ في ذلك، ثم أسرع حتى أتى الباب فدقه دقاً شديداً فسمعه رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الدق العنيف؟ فانظروا ما هو؟ قال: فخرج الفضل بن العباس ففتح الباب ففتح الباب فإذا بلال فقال: ما وراءك يا بلال؟ فقال: إن أبا بكر دخل المسجد وتقدم حتى وقف في مقام رسول الله ﷺ، وزعم أن رسول الله ﷺ أمره بذلك، فقال: أوليس أبو بكر مع أسامة في الجيش هذا والله هو الشر العظيم الذي طرق البارحة المدينة! لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك!

ودخل الفضل وأدخل بلالاً معه فقال: ما وراءك يا بلال وأخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال: أقيموني أخرجوني إلى المسجد، والذي نفسي بيده قد نزلت بالإسلام نازلة وفتنة عظيمة من الفتن، ثم خرج ﷺ معصوب الرأس يتهدى بين علي عليه السلام والفضل بن عباس ورجلاه تجران في الأرض حتى دخل المسجد وأبو بكر قائم في مقام رسول الله ﷺ، وقد طاف به عمر وأبو عبيدة وسالم وصهيب والنفر الذين دخلوا، وأكثر الناس قد وقفوا عن الصلاة ينتظرون ما يأتي به بلال، فلما

رأى الناس رسول الله ﷺ قد دخل المسجد وهو بتلك الحالة العظيمة من المرض أعظموا ذلك! وتقدم رسول الله ﷺ فجذب أبابكر من رداءه فنحاه عن المحراب وأقبل أبوبكر والنفر الذين كانوا معه فتواروا خلف رسول الله ﷺ، وأقبل الناس فصلوا خلف رسول الله وهو جالس، وبلال يسمع الناس التكبير حتى قضى صلاته ثم التفت فلم ير أبابكر فقال أيها الناس: ألا تعجبون من ابن أبي قحافة وأصحابه الذين أنفذتهم وجعلتهم تحت يدي أسامة، وأمرتهم بالمسير إلى الوجه الذي وجهوا إليه، فخالفوا ذلك ورجعوا إلى المدينة ابتغاء الفتنة! ألا وإن الله قد أركسهم فيها! إعرجوا بي إلى المنبر، فقام وهو مربوط حتى قعد على أدنى مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه قد جاءني من أمر ربي ما الناس صائرون إليه، وإني قد تركتكم على الحجة الواضحة ليلها كنهارها، فلا تختلفوا من بعدي كما اختلف من كان قبلكم من بني إسرائيل.

أيها الناس: إني لا أحل لكم إلا ما أحله القرآن، ولا أحرم عليكم إلا ما حرمه القرآن، وإني مخلف فيكم الثقيلين ما إن تمسكتكم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، هما الخليفتان فيكم، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فأسألكم بماذا خلفتموني فيهما. وليذاذن يومئذ رجال من حوضي كما تذاذد الغريبة من الإبل فيقول رجال: أنا فلان وأنا فلان، فأقول: أما الأساء فقد عرفت ولكنكم ارتددتم من بعدي، فسحقاً لكم سحقاً.

ثم نزل من المنبر وعاد إلى حجرته، ولم يظهر أبوبكر ولا أصحابه حتى قبض رسول الله ﷺ).



أبي بن كعب أراد أن يفضح أهل الصحيفة فقتلوه!

روى الحاكم (٢٢٦/٢): (عن جندب قال: أتيت المدينة لأتعليم العلم، فلما دخلت مسجد رسول الله ﷺ إذا الناس فيه حلق يتحدثون، قال: فجعلت أمضي حتى انتهيت إلى حلقة فيها رجل شاحب عليه ثوبان كأنهما قدم من سفر، فسمعتة يقول: هلك أصحاب العقدة عليه السلام ورب الكعبة ولا آسى عليهم، يقولها ثلاثاً، هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة، هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة، هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة! قال: فجلست إليه فتحدث

ما قضي له ثم قام ، فسألت عنه فقالوا: هذا سيد الناس أبي بن كعب! قال فتبعته حتى أتى منزله فإذا هو رث المنزل رث الكسوة رث الهيئة يشبه أمره بعضه بعضاً فسلمت عليه فرد عليّ السلام، قال: ثم سألتني ممن أنت؟ قال قلت من أهل العراق، قال أكثر شيء سؤالاً وغضب! قال: فاستقبلت القبلة ثم جثوت على ركبتي ورفعت يدي هكذا ومد ذراعيه فقلت: اللهم إنا نشكوهم إليك، إنا ننفق نفقاتنا وننصب أبداننا ونرحل مطايانا ابتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهموا لنا وقالوا لنا، قال: فبكى أبيّ وجعل يترضاني ويقول: ويحك إني لم أذهب هناك، ثم قال أبيّ: أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من رسول الله ﷺ لا أخاف فيه لومة لائم. قال ثم انصرفت عنه وجعلت أنتظر يوم الجمعة فلما كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجتي فإذا الطرق مملوءة من الناس، لا أخذ في سكة إلا استقبلني الناس، قال فقلت ما شأن الناس؟ قالوا إنا نحسبك غريباً قال قلت: أجل، قالوا مات سيد المسلمين أبي بن كعب! وصححه ورواه في ترجمة أبيّ، وفي: ٣/٣٠٢. وابن سعد: ٥٠٠/٣ و٥٠١.

وفي مسند أحمد (١٤٠/٥): (عن قيس بن عباد قال أتيت المدينة للقي أصحاب محمد ﷺ ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إلي من أبيّ، ثم حدثت فما رأيت الرجال مُتحت (مدت) أعناقها إلى شيء مُتوَحِّها إليه! قال: سمعته يقول: هلك أهل العقدة ورب الكعبة! ألا لا عليهم آسى ولكن آسى على من يهلكون من المسلمين! وإذا هو أبيّ، والحديث على لفظ سليمان بن داود).

وفي صحيح ابن خزيمة (٣٣/٣): (ثم استقبل القبلة فقال: هلك أهل العقدة ورب الكعبة ثلاثاً. ثم قال والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من أضلوا! قال قلت: من تعني بهذا؟ قال: الأمراء).

وفي المعجم الأوسط (٢١٧/٧): (ولكني آسى على من أهلكوا من أمة محمد!)

وفي نيل الأوطار (٣/٢٢٢): (هذا لفظ أحمد، وقد أخرج الحديث أيضاً النسائي وابن خزيمة في صحيحه. وأهل العقدة بضم العين المهملة وسكون القاف، يريد البيعة المعقودة للولاية).

وهكذا قتل أبي بن كعب قبل أن ينفذ عهده الذي عاهد الله عليه أن يفصح المؤامرة على عترة النبي ﷺ! ولا مجال لذكر فعاليات الشبكة القرشية وحلفائها اليهود، التي كانت وراء السقيفة! وقال أبيّ: ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم ﷺ!

ففي شرح النهج (٢٠/٢٢): (وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة: ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبينهم! وقوله: ألا هلك أهل العقدة، والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس!).

ونختم بما رواه المفيد في الفصول المختارة/٩٠: (سئل هشام بن الحكم عما ترويه العامة من قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قبض عمر وقد دخل عليه وهو مسجى: لوددت أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى، وفي حديث آخر لهم: إني لأرجو أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى. فقال هشام: هذا حديث غير ثابت ولا معروف الإسناد وإنما حصل من جهة القصاص وأصحاب الطرقات، ولو ثبت لكان المعنى فيه معروفاً، وذلك أن عمر واطأ أبابكر والمغيرة وسالماً مولى أبي حذيفة وأبا عبيدة على كتب صحيفة بينهم يتعاقدون فيها على أنه إذا مات رسول الله ﷺ لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولم يولوهم مقامه من بعده، فكانت الصحيفة لعمر إذ كان عماد القوم، والصحيفة التي ود أمير المؤمنين ورجا أن يلقى الله بها، هي هذه الصحيفة فيخاصمه بها، ويحتج عليه بمتضمنها. والدليل على ذلك ما روته العامة عن أبي بن كعب أنه كان يقول في مسجد رسول الله ﷺ بعد أن أفضي الأمر إلى أبي بكر بصوت يسمعه أهل المسجد: ألا هلك أهل العقدة والله ما آسى عليهم، إنما آسى على من يضلون من الناس! فقليل له: يا صاحب رسول الله من هؤلاء أهل العقدة وما عقدتهم؟ فقال: قوم تعاقدوا بينهم إن مات رسول الله لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولا يولوهم مقامه! أما والله لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومن فيهم مقاماً أبين به للناس أمرهم! قال: فما أتت عليه الجمعة!!

ويؤيده ما رواه في شرح النهج (٢٠/٢٩٨) عن أمير المؤمنين عليه السلام: (قال له قائل: يا أمير المؤمنين أرايت لو كان رسول الله ﷺ ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم، وأنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمراً؟ قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلماً إلى العز والأمرة، لما عبت الله بعد موته يوماً واحداً، ولا رتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً، ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح

إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف.

وما عسى أن يكون الولد لو كان! إن رسول الله ﷺ لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذاك لم يكن يَقْرُب ما قَرُبْتُ، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة. اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الإمرة، ولا علو الملك والرياسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك).





الفصل الخامس والعشرون

النبي ﷺ والعطر

اهتمام النبي ﷺ بالطيب وحث المسلمين على استعماله

يأتي في فصل رأي النبي ﷺ في المرأة، أن الله حب اليه الطيب والنساء والصلاة. وفي الحبل المتين للبهائي ١٣٠: (ورد في الحث على الطيب أحاديث متكررة تتضمن أنه من أخلاق الأنبياء ﷺ وأنه يقوي القلب، ويزيد في الباه، ويحفظ العقل، وأن صلاة متطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب، وأن الملائكة تستنشق ريح الطيب من المؤمن، وأن ما أنفق في الطيب فليس بسرف، وأن رسول الله ﷺ كان ينفق في الطيب أكثر ما ينفق في الطعام). أقول: ولا تفسير له إلا أن الطيب كان نادراً في عصره ﷺ وغالي الثمن.

الطيب جمال مقدس

١. (قال رسول الله ﷺ: لا تدع الطيب، فإن الملائكة تستنشق ريح الطيب من المؤمن، فلا تدع الطيب في كل جمعة). (الكافي: ٥١١/١).

(روي إطلاق المسك فوق الكفن وعلى الجنازة، أن في ذلك تكربة للملائكة فما من مؤمن يقبض روحه إلا تحضر عنده الملائكة). (فقه الرضا/ ١٨٢).

أقول: الشم عالم متكامل. يوحي اليك بأبعاده، فتشعر بالنسيم، والراحة، وأنس النفس، وانشرح الصدر، وقوة القلب، وتحب البقاء في جوه، ولذلك تكرر شم طيبه.

وحاسة الشم عندنا نافذة صغيرة على عالم الشم، تعرف مفردات قليلة من لغته، وتجهل الباقي،

أما النبي والملائكة فيعرفون لغته كلها، وينعمون فيه بما لانعم، ويفهمون منه ما لا نفهم. وقد في الكافي (٥١٠/٦): باب الطيب، أورد فيه أحاديث، في أن الطيب من سنن الأنبياء ﷺ، وأنه يشد القلب، وأنه إكرامٌ للملائكة، والتأكيد عليه يوم الجمعة، وأن النبي ﷺ كان ينفق على الطيب أكثر مما ينفق في الطعام.

٢. والروائح الكريمة عالم فيه أنواع الأذى، وقد يتلبد حسنا فلا ندرکها كلها!

أما النبي والملائكة ﷺ فهم أصحاب الحس المرهف، والشفافية في الشعور، ولذا يمسهم أذى الرائحة الكريهة، ويشمون منها ما لا نشمه.

(قال عبد الله بن موسى إنه سأل أباه الكاظم ﷺ عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنه؟ فقال: ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟ قلت: لا. قال: إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال: صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد هم بالحسنة فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له. وإذا هم بالسيئة خرج نفسه متنن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه). (الكافي: ٤٢٩/٢).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (أتاني جبرئيل وقد انقطع عني الوحي ثلاثة أيام، فقلت: ما أبطأ بك يا حبيبي جبرئيل؟ فقال: يا محمد، كيف تنزل عليكم الملائكة وأنتم لا تستاكون، ولا تستنجون بالماء، ولا تغسلون براجمكم). (دعائم الإسلام: ١٢٥/١).

والبرجمة بالضم كما في الصحاح: واحدة البراجم، وهي مفاصل الأصابع التي بين الأصابع والرواجب، وهي رؤوس السلاميات من ظهر الكف، إذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت. ومعناه أن عقد أصابعهم كان يجتمع عليها الوسخ ولا ينظفونها، وفي رواية أن الوسخ الذي تحت أظافرهم كانت له رائحة كريهة!

٣. « قال سلمان رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: إذا حضر ك، أو أخذك الموت حضر أقوامٌ

يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، ثم أخرج صرة من مسك فقال: هبةٌ أعطانيها رسول الله ﷺ، قال: ثم بلها ونضحها حوله ثم قال لامرأته: قومي أجيفي الباب، فقامت وأجافت الباب، فرجعت وقد قبض رضي الله عنه »! (الكشي: ٦٦/١).

وفي رواية الطبقات (٩٢/٤): «أصاب سلمان صُرَّة مسك يوم فتحت جلولاء فاستودعها امرأته، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي هذه المسكة فمرسها في ماء ثم قال: إنضحيتها حولي فإنه يأتيني زوار الآن. قال ففعلت فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض». وفي رواية: أصاب مسكاً عند فتح مدينة بلنجر في أرمينيا.

وهي اليوم في داغستان. وكان يعرف وقت وفاته، فاستقبل ملائكة الموت بالعطر! وفي رواية: «قالت زوجته: لما حضرته الوفاة دعاني وهو في عِلِّيَّة له لها أربعة أبواب فقال: إفتحي هذه الأبواب يا بقيقة، فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ، ثم دعا بمسك له فقال أذيفيه في تنور ففعلت، ثم قال: إنضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي، فسوف تطلعين فتريني على فراشي. فاطلعت فإذا هو قد أخذت روحه، فكأنها هو نائم على فراشه.

وفي رواية: وجلست هنيهة فسمعت هسهسة. ثم صعدت فإذا هو قد مات». وفي روضة المتقين (٦٥٤/٧): (في القوي عن الصادق عليه السلام قال: الطيب في الشارب من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وكرامة للكاتبين.

وعن السكوني: قال رسول الله ﷺ ليتطيب أحدكم يوم الجمعة ولو من قارورة امرأته. وعن الصادق عليه السلام قال: قال عثمان بن مظعون لرسول الله ﷺ قد أردت أن أدع الطيب وأشياء ذكرها، فقال رسول الله ﷺ: لا تدع الطيب فإن الملائكة تستنشق الريح الطيب من المؤمن، ولا تدع الطيب في كل جمعة.

وعن السكوني: قال رسول الله ﷺ طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه، وطيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه.

وعن علي عليه السلام: أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب والحلواء. وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: كانت لرسول الله ﷺ ممسكة إذا هو توضأ أخذها بيده وهي رطبة، فكان إذا خرج عرفوا أنه رسول الله ﷺ برائحته. وعن الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ كان يتطيب بالمسك حتى يرى ويبصه في مفارقه. والويصص اللمعان).

وفي الكافي (٥١٠/٦): (قال ﷺ: إن الريح الطيبة تشد القلب وتزيد في الجماع).
وفي الكافي (٥١١/٦): (قال رسول الله ﷺ: قال لي حبيبي جبرئيل عليه السلام: تطيب يوماً ويوماً لا،
ويوم الجمعة لا بد منه «).

الطيب من سنن الأنبياء والعطر من سنن المرسلين ﷺ

عن الرضاء الشاذلي قال: الطيب من أخلاق الأنبياء.
وعن الصادق عليه السلام قال: العطر من سنن المرسلين.
ومعناه أن الأنبياء عليهم السلام يتوخون الرائحة الطيبة، والمرسلين عليهم السلام شرعوه للناس.

جعل ثلث مهر الزهراء عليها السلام للطيب

(قال النبي ﷺ لعلي: إذا زوجتكها فما تصدقها؟ قال: أصدقها سيفي وفرسي ودرعي وناضحي. قال: أما ناضحك وسيفك وفرسك فلا غنى بك عنها تقاتل المشركين، وأما درعك فشأنك بها، فانطلق عليّ وباع درعه بأربع مائة وثمانين درهماً قطرية، فصبها بين يدي النبي ﷺ، فلم يسأله عن عددها، ولا هو أخبره عنها. فأخذ منها رسول الله ﷺ قبضة، فدفعتها إلى المقداد بن الأسود، فقال: إبتع من هذا ما تجهز به فاطمة، وأكثر لها من الطيب). (العوامل للبحراني: ٤٤١/١، ونحوه للإستيعاب: ١٨٩٤/٤، وتهذيب الكمال: ٢٤٩/٣٥، وأنساب الأشراف: ٤٠٢/١، والإمتاع: ٣٥١/٥، ونهاية الأرب: ٢١٣/١٨).

وفي طبقات ابن سعد (١٩/٨) وعدد من المصادر: (فقال له النبي ﷺ سأجعل ثلثين في الطيب وثلثاً في المتاع). والظاهر أن الثلثين مصحفة عن الثلث، ومع ذلك فجعل الثلث للطيب يوجب التعجب، وسببه غلاء الطيب قلته في عصرهم كما تقدم.

كان أفضل عطر النبي ﷺ المسك وكان له ممسكة

قال الصادق عليه السلام كما تقدم: (كانت لرسول الله ﷺ ممسكة إذا هو تواضاً أخذها بيده وهي رطبة، فكان إذا خرج عرفوا أنه رسول الله ﷺ).
ومعناه أنها قماش مصرور فيه المسك فإذا قبض عليها نفذ منها المسك إلى يده.

فارة المسك أو نافجة الغزال

قال المسعودي في مروج الذهب (١٨٠/١): (وأجود المسك وأطيبه ما خرج من الظباء بعد بلوغه النهاية في النضج، وذلك أنه لا فرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك في الصورة والشكل واللون والقرن وإنما تتبين تلك بأنياب لها كأنياب الفيلة، لكل ظبي نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان أبيضان نحو الشبر وأقل وأكثر، فتنصب لها في بلاد التبت والصين الجبال والأشراك والشبّاك فيصطادونها، وربما رموها بالسهم فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها، والدم في سررها حار خام لم ينضج، وطري لم يدرك، فيكون لريحته سهوكة، فيبقى زماناً حتى تزول منه تلك الرائحة السهوكية الكريهة، ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكاً، وخير المسك ما نضج في وعائه وأدرك في سرته واستحكم في حيوانه وتمام مواده، وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى السرة، فإذا استحكم كون الدم فيها ونضج آذاه ذلك وحكّه، فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الأحجار والجبال، فيأخذونه، فذلك أفضل المسك، ويحمله التجار في النادر من بلادهم، والتبت ذو مدن كثيرة، فيضاف مسك كل ناحية إليها).

أقول: الأصح فارة المسك بدون همزة. وما قاله المسعودي هو ما كان معروفاً عن مسك الغزال في عصره، لكن عصرنا كشف أنواع الغزلان التي فيها فارة المسك، ومنها الإيل الروسي، وغيره. وفي مروج الذهب (٤٤/١): (فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون، وعليه الورق الذي خَصَفه من ورق الجنة، فييس، فذَرَتْه الرياح فانتشر في بلاد الهند، فيقال والله أعلم: إن علة كون الطيب بأرض الهند من ذلك الورق، وقيل غير ذلك، ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب).

أقول: الثابت عندنا أن آدم ﷺ نزل على الصفا، وحواء ﷺ نزلت على المروة. فلا بد من وجود سبب آخر لوجود الطيب والنباتات العطرية في الهند.

وقد روي عن الصادق ﷺ «الكافي» (٥١٤/٦): (فطار عنه لباسه الذي كان عليه من حلل الجنة فالتقط ورقة فستر بها عورته فلما هبط عبت رائحة تلك الورقة بالهند، فمن هناك الطيب بالهند لأن الورقة هبت عليها ريح الجنوب فأدت رائحتها إلى المغرب لأنها احتملت رائحة الورقة

في الجو، فلما ركدت الريح بالهند عقب بأشجارهم ونبتهم فكان أول بهيمة رتعت من تلك الورقة ظبي المسك فمن هناك صار المسك في سرّة الظبي لأنه جرى رائحة النبات في جسده وفي دمه، حتى اجتمعت في سرّة الظبي). وقد قواه المجلسي والله العالم.

وقال ابن إدريس في السرائر (١٦١/١): (أصل الطيب خمسة أصناف: المسك، والكافور، والعود، والعنبر، والزعفران، كلها تحمل من أرض الهند إلا أن الزعفران، والعنبر، قد يوجد بأرض الزنج، والأندلس).

وقال الشهيد الثاني في شرح اللمعة (٢٨١/٣): (يجوز بيع المسك في فأره بالهمز جمع فأرة، وهي الجلدة المشتملة على المسك وإن لم تفتق، بناء على أصل السلامة فإن ظهر بعد فتقه معيباً تخير، وفتقه بأن يدخل فيه خيط بإبرة ثم يُخرج ويُشم، أحوط، لترتفع الجهالة رأساً).

استعمالات الطيب أوسع من التعطر به

(وروي إطلاق المسك فوق الكفن وعلى الجنازة لأن في ذلك تكرمة للملائكة، فما من مؤمن يقبض روحه إلا تحضر عنده الملائكة.

وروي أن الكافور يجعل في فمه وفي مسامعه وبصره ورأسه ولحيته وكذلك المسك وعلى صدره وفرجه). (فقه الرضا/١٨٢).

يحرم الطيب على المُحَرَّم

(والطيب الذي يحرم مسه وشمه وأكل طعام يكون فيه: المسك، والعنبر، والزعفران، والورس، والعود، والكافور. فأما ما عدا هذا من الطيب والرياحين، فمكروه، يستحب اجتنابه وإن لم يلحق في الحظر بالأول. فإن اضطر إلى أكل طعام يكون فيه طيب، أكله غير أنه يقبض على أنفه. ولا بأس بالسعوط وإن كان فيه طيب عند الحاجة إليه.

ومتى أصاب ثوب الإنسان شيء من الطيب كان عليه إزالته. ومتى اجتاز المحرم في موضع يباع فيه الطيب، لم يكن عليه فيه شيء. فإن باشره بنفسه، أمسك على أنفه منه). (النهاية ونكتها: ٤٧٦/١).

كفى بالماء طيباً للمؤمن

(في الجعفریات: عن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يرجل شعره، وأكثر ما كان يرجل شعره بالماء ويقول: كفى بالماء طيباً للمؤمن). (وقرب الإسناد/٦٧، ومستدرک الوسائل ٤٠٨/١).

وفي قرب الإسناد/٦٧: (قال ﷺ: ليأخذ أحدكم من شاربته، والشعر الذي من أنفه، وليتعاهد نفسه، فإن ذلك يزيد في جماله، وقال: وكفى بالماء طيباً).

العطور الكيماوية والعطور الطبيعية

أكد الإسلام على استعمال العطور الطبيعية كالمسك وعطر الورد والرياحين. وفي عصرنا يدخلون في صناعة العطور المواد الكيماوية والكحول. فينبغي للمؤمن أن يستعمل العطور الطبيعية، ويترك ما دخلت فيها الكيماويات.

المتعطرات للرجال لجذبهم وصيدهم

قال في العروة الوثقى (١٥٩/٢): (في الخبر: أيما امرأة تطيبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها).

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦١/٣)، أن عائشة زينت جارية وعطرتها لتصيد بها شباب قريش! قال: (عن عائشة أنها شوفت جارية وطافت بها وقالت: لعلنا نصطاد بها شباب قريش)!

أهم منافع الطيب المنصوص عليها

في القواعد للشهيد الأول (١١٨/١): (إذا تطيب المرأة لغير الزوج فعلت حراماً فاحشاً. وكذا إذا خرجت متطيبة للتعرض للفجور أو مقدماته. أو قصد الرجل بذينك التودد إلى النساء المحرمات. فكل ما فيه حظ النفس تتصور فيه الأحكام الخمسة غالباً، ولا ينصرف إلى أحدها إلا بالنية. ومن الخسران المبين أن يجعل المباح حراماً فكيف الواجب والمستحب! بل معدود من الخسران إن صرف الزمان في المباح وإن قل، لأنه ينقص من الثواب ويخفض من الدرجات، وناهيك خسراناً بأن يتعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم يبقى. فمن حق المتطيب يوم الجمعة أن يقصد أموراً:

منها: التأسي بالنبي ﷺ، وأهل بيته.

ومنها: إكرام الملائكة الكاتبين.

ومنها: تعظيم المسجد واحترام ملائكته.

ومنها: ترويح مجاوريه في الجلوس في المسجد.

ومنها: دفع ما عساه يعرض من رائحة كريهة عن نفسه وغيره.

ومنها: حسم باب الغيبة عن المعتابين إذ نسبوه إلى الرائحة الكريهة، فالمتعرض للغيبة كالشريك فيها، قال الله تعالى: وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ).

ومنها: زيادة العقل بالتطيب كما جاء في الأخبار: من تطيب في أول نهاره صائماً، لم يفقد عقله).

أقول: ورد في الأخبار أن الطيب يحفظ العقل ويزيد في العقل، وكذا الخل، والسفرجل، والدباء، والفرنج أو بقله الزهراء عليها السلام، والكرفس، والسواك، والسداب أو السذاب ويقال له الفيجن والفيجل والحزاء والخفت، وهو نبات طبي. وأن اللحم ينبت اللحم ويزيد في العقل. ومعناه أن جودة عمل الدماغ والعقل ترتبط بصفاء الدم من الأخلاط والميكروب.





الفصل السادس والعشرون

رأي النبي ﷺ في المرأة وتعامله معها

الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: (حب إلى من دناكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة). وقد صححه أبو الفتح الكراجكي في معدن الجواهر ٣١/، ورواه الصدوق في الخصال ١٤٥/، وصححه في شرح النهج (٣٤١/١٩) وصححه أكثر النقاد. راجع: تخريج الزيلعي (١٩٥/١)، وكشف الخفاء للعجلوني (٣٣٨/١).

من أخلاق الأنبياء ﷺ حب النساء

في جواهر الكلام (١٣/٢٩): (قال رسول الله ﷺ: ما أحببت من دناكم إلا النساء والطيب. وموثق إسحاق بن عمار عن الصادق عليه السلام: من أخلاق الأنبياء ﷺ حب النساء. وموثق يحيى بن يزيد عنه عليه السلام أيضاً: ما أظن رجلاً يزداد في هذا الأمر (التشيع) خيراً إلا ازداد حباً للنساء). فمن المقولات الصحيحة: أن القبائل أو المجتمعات التي لا تحب المرأة، لا مدنية عندها ولا حضارة. وأسباب حب النساء: رقتهن، وضعفهن، والشهوة. ولما كان الأنبياء ﷺ في ذروة الإيمان والشفافية فهم يعرفون قيمة الرقة في المرأة، ويعرفون سوء الخشونة والقسوة في الرجل. وبأبوتهم للناس وعطفهم وحنانهم، يدركون ضعف المرأة وتعرضها للظلم، وحاجتها إلى من ينصرها ويتنصف لها.

والشيعة المحب لأهل البيت ﷺ أكثر رقة من غيره، لأنه يعيش مأساة أهل البيت ﷺ ومعاناتهم، ويحزن عليهم ويبكي لهم، فهو يعرف سوء قسوة أعدائهم ووحشيتهم، ويعرف قيمة رقة المرأة وشفافيتها.

والنبي ﷺ لا يرى الشهوة الجنسية منفصلة عن المودة والرحمة، لذلك يتعجب ممن يضرب زوجته ثم يعانقها ولا يستحي! (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ قد ضربها زوجها ضرباً شديداً، فقام رسول الله فأذكر ذلك وقال: يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ثم يظل يعانقها ولا يستحي) (الطبقات: ٢٠٥/٨).

ومنه نعرف تفسير قوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.

أما قوله تعالى: وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً.

فهو يعني أن الزوجة الشريرة التي ترتكب المحرمات، ولا ينفع معها الكلام والموعظة، ولا الهجر في المضجع. يجوز للزوج أن يضربها ضرباً غير مبرح، لتعود إلى سيرتها المرضية، كما يجوز للضابط أن يؤدب الجندي العاصي. بل إن ما تعطيه القوانين العالمية للضابط من حق التأديب، أشد بمراتب من الضرب التأديبي للزوجة العاصية.

على أن تأكيد النبي ﷺ على توقي ضرب الزوجة ورد في أحاديث كثيرة.

قال ﷺ: خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي. (الفقيه: ٥٥٥/٣).

وقال ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عواني) (غوالي اللثالي: ٢٥٥/٨).

(وما روي عنه ﷺ من قوله: واتقوا الله في النساء، فإنهن عواني عندكم (أسيرات) اتخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف). (جواهر الكلام: ٣٠٥/٣١).

وروي من خطبته ﷺ في عرفات في حجة الوداع: (فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه،

فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف). (صحيح مسلم: ٤١/٤).

(أن رسول الله نهى عن ضرب النساء، فقيل: يا رسول الله إنهن قد فسدن! قال إضربوهن، ولا يضرب إلا شراركم). (طبقات ابن سعد: ٢٠٤/٨).

رد أهل البيت عليه السلام مقولة أكثر أهل النار النساء!

في صحيح مسلم (٦١/١) أن النبي ﷺ قال: (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الإستغفار، فإني رأيتهن أكثر أهل النار! فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وتُكْفِرْنَ العَشِيرَ، وما رأيته من ناقصات عقل ودين أغلب لدي ليُبَّ منكن! قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل. وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين).

وقد ردَّ الأئمة عليه السلام هذه المقولة، فقد روى الصدوق في الفقيه (٣٩١/٣) نحو حديث مسلم، لكنه روى ما يرده (٤٦٨/٣)، عن الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قلت له: شيء يقوله الناس: إن أكثر أهل النار يوم القيامة النساء؟ قال: وأنى ذلك! وقد يتزوج الرجل في الآخرة ألفاً من نساء الدنيا، في قصر من درة واحدة!)

وفي الكافي (٩٥/٨) عن الإمام الباقر عليه السلام بسند صحيح: (لكل مؤمن سبعون زوجة حوراء، وأربع نسوة من الآدميين).

وروى بعده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أكثر أهل الجنة من المستضعفين النساء، علم الله عز وجل ضعفهن فرحمهن).



من حديث النبي ﷺ مع النساء

أحاديث النبي ﷺ مع المرأة وتعاملها معها، موضوع كتاب، فنكتفي بذكر عينات تدلنا على المنهج النبوي في احترام المرأة والرحمة بها:

مع زينب العظيمة:

روى الصدوق في التوحيد/٢٧٥، عن الإمام الصادق ﷺ قال: (جاءت زينب العظيمة الحولاء إلى نساء رسول الله ﷺ وبناته وكانت تبيع منهن العطر فدخل رسول الله ﷺ وهي عندهن، فقال لها: إذا أتيتنا طابت بيوتنا، فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، قال: إذا بعث فأحسني ولا تغشي فإنه أتقى وأبقى للمال، فقالت: ما جئت بشئ من بيعي، وإنما جئتك أسألك عن عظمة الله، فقال: جل جلال الله، سأحدثك عن بعض ذلك. ثم قال: إن هذه الأرض بمن فيها ومن عليها عند التي تحتها كحلقة في فلاة قي وهاتان ومن فيهما ومن عليهما عند التي تحتها كحلقة في فلاة قي، والثالثة حتى انتهى إلى السابعة (فلاة قواء فقراء)، ثم تلا هذه الآية: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ. وهذه السبع ومن فيهن ومن عليهن عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قي، والسبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قي، ثم تلا هذه الآية: وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ. وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند حجب النور كحلقة في فلاة قي، وهي سبعون ألف حجاب يذهب نورها بالأبصار، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قي، والسبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب والهواء في الكرسي كحلقة في فلاة قي، ثم تلا هذه الآية: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب والهواء والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قي، ثم تلا هذه الآية: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. ما تحمله الأملاك إلا بقول: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ملاحظات

١. في نسخة هذا الحديث فقرة لم أوردتها في أصل النص لأنني متوقف فيها، وأحتمل أنها خطأ من النساخ، أو من راو خلط الحديث بحديث عامي. ومما يشير إلى الإرتباك في النص أنه قال ثم

انقطع الخبر، ثم واصله!

وللأمانة نذكر الفقرة، وهي: (والسبع ومن فيهن ومن عليهن على ظهر الديك كحلقة في فلاة قي، والديك له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في التخوم، والسبع والديك بمن فيه ومن عليه على الصخرة كحلقة في فلاة قي، والسبع والديك والصخرة والحوت عند البحر المظلم عليها على ظهر الحوت كحلقة في فلاة قي، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم عند الهواء كحلقة في فلاة قي، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء عند الثرى كحلقة في فلاة قي ثم تلا هذه الآية: لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى. وهنا قالت الرواية: ثم انقطع الخبر. ثم قالت: والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء كحلقة في فلاة قي، وهذا والسماء الدنيا ومن فيها ومن عليها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قي، وهذا وهاتان السماءان عند الثالثة كحلقة في فلاة قي وهذه الثالثة ومن فيهن ومن عليهن عند الرابعة كحلقة في فلاة قي، حتى انتهى إلى السابعة). انتهى.

فإن قلت: لماذا تستغرب هذه الفقرات، وقد روينا مثلها وربما كانت بسند صحيح كالذي رواه في الكافي (٨/٨٩): (عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الأرض على أي شيء هي؟ قال: هي على حوت، قلت: فالحوت على أي شيء هو؟ قال: على الماء، قلت: فلما على أي شيء هو؟ قال: على صخرة، قلت: فعلى أي شيء الصخرة؟ قال: على قرن ثور أملس، قلت: فعلى أي شيء الثور؟ قال: على الثرى، قلت: فعلى أي شيء الثرى؟ فقال: هيئات عند ذلك ضل علم العلماء)!

قلت: مثل هذه الرواية المنافية لما صح و ثبت في العلوم إن صحت فلا بد من حملها على المجاز والرمزية التي لا نعرف وجهها. أو التوقف فيها.

٢. عبر النبي ﷺ عن السماوات بأنها تحتنا. والفوق والتحت أمر نسبي. كما قال إن ما فوق السماء السابعة أعظم من السماوات السبع وأكثر، والمعروف في مصادر الحديث أن فوق السابعة سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، كما في القرآن، وقد عبرنا عن الجنة بأنها في السماء الثامنة لهذا السبب.

مع هند زوجة أبي سفيان في فتح مكة

قال الطبري (٣٣٧/٢): (إن رسول الله قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا كل مأثرة أو دم أو مال يَدْعَى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. ألا وقيل الخطأ مثل العمدة السوط والعصا فيها الدية مغلظة، منها أربعون في بطونها أولادها.

يا معشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم وآدم خلق من تراب، ثم تلا رسول الله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. يا معشر قريش: ويا أهل مكة ما ترون أني فاعلٌ بكم؟

قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم! ثم قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء! فأعتقهم رسول الله (بل أطلقهم ولم يعتقهم)، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئاً، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء!!

ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله على الإسلام، فجلس لهم فيما بلغني على الصفا، وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفل من مجلسه يأخذ على الناس، فبايع رسول الله على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول الله من الناس على الإسلام.

فلما فرغ رسول الله من بيعة الرجال، بايع النساء، واجتمع إليه نساء من نساء قريش، فيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة، لحدثها وما كان من صنيعها بحمزة، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله بحدثها ذلك!

فلما دنون منه ليبايعه قال رسول الله بلغني: تباعيني على ألا تشركن بالله شيئاً. فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذ على الرجال وسنؤتيكه. قال: ولا تسرقن. قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك حلالاً، أم لا؟ فقال أبو سفيان وكان شاهداً لما تقول: أما ما أصبت فيها مضى فأنت منه في حل. فقال رسول الله: وإنك لهند

بنت عتبة؟ فقالت: أنا هند بنت عتبة فاعف عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزنين. قالت يا رسول الله: هل تزني الحرة! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرق (استلقى)! قال: ولا تقتلن أولادكن. قالت: قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدرٍ كباراً، فأنت وهم أعلم! وتلاحظ جرة هند ووقاحتها، واطمئنانها الى كرم أخلاق النبي ﷺ.

وفي الخلاف للشيخ الطوسي (٣٥٥/٦): (قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، وإنه لا يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذ منه سراً، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف).

أرملة سعد بن ربيعة

(روى جابر: أن امرأة أتت النبي ﷺ ومعها ابنتان فقالت: هاتان بنتا سعد بن ربيعة قتل يوم أحد معك وإن عمهما أخذ جميع مالهما وميراثهما أفترى والله لا تتكحان ولا مال لهما؟ فقال النبي ﷺ: يقضي الله في ذلك، فنزل قوله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ لِلْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ. فقال ﷺ: يا جابر أَدع لي المرأة وصاحبها، فدعوتها فقال ﷺ: أعطهما الثلثين، وللأم الثمن، وما يبقى فلك). (الخلاف: ٤٥/٤).

تفسير الواصلة والموصولة

روى الشافعي في كتاب الأم (٧١/١): (عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتت امرأة إلى النبي فقالت يا رسول الله: إن بنتاً لي أصابتها الحصبة فتمزق شعرها أفأصل فيه؟ فقال رسول الله: لعنت الواصلة والموصولة).

لكن أهل البيت عليه السلام صححوا رواية الشافعي، ففي الكافي (٥٢٠/٥)، سئل الإمام الباقر عليه السلام عن وصل الشعر فقال: (لا بأس على المرأة بما تزينت به لزوجها، قال: فقلت: بلغنا أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والموصولة، فقال: ليس هناك، إنما لعن رسول الله ﷺ الواصلة والموصولة التي تزني في شبابها، فلما كبرت قادت النساء إلى الرجال، فتلك الواصلة والموصولة).

مدح النبي ﷺ لأم رحيمه

(جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ومعها ابنان لها، فأعطاها ثلاث تمرات فأعطت ابنيها كل واحد منهما ثمرة، فأكلا تمرتيهما، ثم جعلا ينظران إلى أمهما فشقت تمرتها بنصفين بينهما. فقال رسول الله ﷺ: قد رحمها الله برحمتها ابنيها)؟ (الطبراني الكبير: ٧٨/٣)

(عن الإمام الصادق عليه السلام قال: جاءت امرأة من أهل البادية إلى النبي ﷺ ومعها صبيان حامله واحداً وآخر يمشي، فأعطاها النبي ﷺ قرصاً ففلقته بينهما فقال رسول الله ﷺ: الحملات الرحيمات. لولا كثرة لعنهن لدخلت مصلياتهن الجنة). علل الشرائع: ٥٩٩/٢.

الأم أحق بأبنائها من أبيهم

(عن عبد الله بن عمر أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، فأراد أن ينزعه مني، فقال لها رسول الله ﷺ: أنت أحق به ما لم تنكحي). (الخلاف: ١٣٣/٥).

أقول: في المسألة تفصيل وفرق في الحكم بين البنات والصبيان، كما تراها في مصادرها.

يا رسول الله زوجني

(عن الإمام الباقر عليه السلام قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: زوجني، فقال رسول الله ﷺ: من لهذه؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله زوجنيها، فقال: ما تعطيها؟ فقال: مالي شيء، قال: لا، فأعادت فأعاد رسول الله ﷺ الكلام فلم يقم أحد غير الرجل، ثم أعادت فقال رسول الله ﷺ: في المرة الثالثة: أتحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، قال: قد زوجتكها على ما تحسن من القرآن فعلمها إياه). (الوسائل: ٢٤٢/٢١).

حق الزوج على الزوجة أكبر

امتحن الله المرأة فجعل حق الزوج عليها أكثر من حقها عليه، لأنه يتوقف على ذلك إدارة الأسرة والمجتمع. وبعض النساء تصاب بردة فعل فترفض الزواج، لكن لا حل لإدارة الأسرة والمجتمع إلا هذا.

(جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ماحق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها.

فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على الرجل؟ قال: والده، فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فإني عليه من الحق مثل ماله علي؟ قال: لا ولا من كل مائة واحدة، قال فقالت: والذي بعثك بالحق نبياً لا يملك رقبتني رجل أبداً!) (الكافي: ٥٠٧/٥).

(جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فسألته عن حق الزوج على المرأة، فخيرها، ثم قالت فما حقها عليه؟ قال: يكسوها من العري ويطعمها من الجوع، وإن أذنت غفر لها، فقالت: فليس لها عليه شئ غير هذا؟ قال: لا، قالت: لا والله لا تزوجت أبداً! ثم ولت فقال النبي ﷺ: إرجعي فرجعت، فقال: إن الله عز وجل يقول: وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَّهُنَّ). (الكافي: ٥١١/٥).

مع امرأة جريئة سليطة اللسان

في الثاقب في المناقب/١٠٧: (عن أبي أمامة الباهلي قال: أتى للنبي ﷺ بطعام فأمر به فوضع على الأرض فجثى على ركبتيه ووضع إحدى قدميه على الأخرى وأقبل يأكل، فدخلت امرأة برزة مزاحمة فقالت: يا محمد تأكل كما يأكل العبيد! فقال: أي عبد أعبد من محمد، أجلسي. فقالت: أنا والله لا آكل إلا ما ناولتني، فناولها، فقالت: إلا الذي في فيك! فأخرجها فناولها إياها، فابتعلتها، فصب الله عليها الحياء، فما رويت ممزحة بعد ذلك أبداً).

اجتماع نساء النبي ﷺ وفاطمة عليها السلام عند وفاته

قال مسلم في صحيحه (١٤٢/٧): (عن عائشة قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بابنتي فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أنه أسر إليها حديثاً فبكّت فاطمة، ثم أنه سارها فضحكت أيضاً، فقلت لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب

من حزن! فقلت لها حين بكت أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا، ثم تبكين وسألتها عما قال: فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وأنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراي إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك، ثم أنه سارني فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك!

ورواه ابن ماجه (٥١٨/١) والحاكم (٢٧٢/٤) وصححه بشرط الشيخين، وفيه: قالت ما رأيت أحداً أشبه سمياً ودلاً وهدياً برسول الله من فاطمة بنت رسول الله في قيامها وقعودها. قالت: وكانت إذا دخلت على النبي قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه وكان النبي إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها. فلما مرض النبي دخلت فاطمة فأكبت عليه، ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبت عليه..).

مع فاطمة بنت أسد رضي الله عنها

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من أبر الناس برسول الله ﷺ، فسمعت رسول الله وهو يقول: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا فقالت: وا سواتاه، فقال لها رسول الله ﷺ: فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية. وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه! فقال لها رسول الله ﷺ: فإني أسأل الله أن يكفيك ذلك، وقالت لرسول الله ﷺ يوماً: إني أريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار، فلما مرضت أوصت إلى رسول الله ﷺ وأمرت أن يعتق خادمها، واعتقل لسانها فجعلت تومي إلى رسول الله ﷺ إيماء، فقبل رسول الله ﷺ وصيتها.

فبينما هو ذات يوم قاعد إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال: ماتت أمي فاطمة، فقال رسول الله: وأمي والله وقام مسرعاً حتى دخل فنظر إليها وبكى، ثم أمر النساء أن يغسلنها وقال عليه السلام: إذا فرغتن فلا تحدثن شيئاً حتى تعلمنني، فلما فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهن أحد قميصيه الذي يلي جسده وأمرهن أن يكفنها فيه وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله قبل ذلك فسلوني لم فعلته، فلما فرغن من غسلها

وكفنها دخل ﷺ فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردتها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر فاضطجع فيه، ثم قام فأخذها على يديه حتى وضعها في القبر ثم انكب عليها طويلاً يناجيها ويقول لها: ابنك، ابنك! ثم خرج وسوى عليها ثم انكب على قبرها فسمعوه يقول: لا إله إلا الله، اللهم إني أستودعها إياك ثم انصرف.

فقال له المسلمون: إنا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم! فقال: اليوم فقدت بر أبي طالب، إن كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها، وإني ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عراة، فقالت: واسوأته، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية وذكرت ضغطة القبر فقالت واسعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك، فكفتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك، وانكبت عليها فلقتها ما تسأل عنه. فإنها سئلت عن ربه فقالت، وسئلت عن رسولها فأجابت، وسئلت عن وليها وإمامها فأرتج عليها فقلت: ابنك، ابنك).

مع أم هاني بنت أبي طالب ؓ

(أجارت أم هاني بنت أبي طالب الحارث بن هشام يوم الفتح فدخل عليها علي فأخذ السيف ليقتله فوثبت فقبضت على يده فلم يقدر أن يرفع قدميه من الأرض وجعل يتفلت منها ولا يقدر. فدخل رسول الله ﷺ فنظر إليها فتبسّم وقال: قد أجرنا من أجرت ولا تغضبي علياً فإن الله يغضب لغضبه وقال: يا علي أغلبتك امرأة فقال: يا رسول الله ما قدرت أن أرفع قدمي من الأرض فضحك النبي ﷺ وقال: لو أن أباطالب ولد الناس لكانوا شجعاناً. (ربيع الأبرار ٢٠٤/٢).

أقول: الصحيح الذي روينه أن علياً ؓ كان لابساً المغفر فلم تعرفه أم هاني، فأراد أن يدخل بيتها فأخذت بيده لتمنعه، فتكلم فعرفته، وقالت له: بيني وبينك رسول الله ﷺ فقبل، وذهب إلى النبي ﷺ فقال: أجرنا من أجارت أم هاني، وقال: رحم الله عمي أباطالب لو ولد الناس كلهم لكانوا شجعاناً.

وعن الإمام الباقر ؓ قال: (خطب النبي ﷺ أم هاني بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني مصابة في حجري أيتام ولا يصلح لك إلا امرأة فارغة؟ فقال رسول الله ﷺ: ما ركب الإبل مثل نساء قريش أحناه على ولد، ولا أرعى على زوج في ذات يديه). (الكافي: ٣٢٧/٥).

أقول: كانت أم هاني صديقة النبي ﷺ فكان يزورها في بيتها، وقد عرج به الى السماء من بيتها، ولما دخل مكة فاتحاً أمر بنصب خيمته في الحجون قرب قبر خديجة ﷺ، ولم يدخل بيتاً في مكة إلا بيت أم هاني رضي الله عنها. وتعذى عندها ما وجدته، خبزاً يابساً وخلاً.

وفي مجمع الزوائد (٩٢/١٠) وصححه: (قالت أم هاني: مربي رسول الله ﷺ ذات يوم فقلت يا رسول الله قد كبرت وضعفت، فمربي بعمل أعمله وأنا جالسة. قال: سبحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقيها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبرى الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهلي الله مائة مائة قال ابن خلف أحسبه قال: تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل إلا أن يأتي بمثل ما أتيت).

مدح النبي ﷺ لنساء قريش بعكس رجالهم

في الكافي (٣٢٦/٥): (قال رسول الله ﷺ: خير نساء ركن الرجال نساء قريش أحناه على ولد وخيرهن لزوج.. أطفهن بأزواجهن وأرحمهن بأولادهن، المجون لزوجها الحصان لغيره، قلنا: وما المجون؟ قال: التي لا تمتنع).

في الكافي (١٠٧/٣): (عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إذا بلغت المرأة خمسين سنة لم تر حمرة، إلا أن تكون امرأة من قريش).

وقال الوحيد في مصابيح الظلام (١٢٨/١): (مرسلة ابن أبي عمير، من قبيل المسانيد مقبولة عند الفقهاء، مع أنه ممن أجمعت العصابة..)

رفض النبي ﷺ زوجة حسناء لأنها لم تُبتلى

عن الإمام الصادق عليه السلام (الكافي: ٣٤٣/٥) قال: (أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عندي مهيرة العرب وأنا أحب أن تقبلها وهي ابنتي، قال فقال: قد قبلتها. قال: فأخري يا رسول الله، قال: وما هي؟ قال: لم يضرب عليها صدع قط (لم تصب حتى بصداع) قال: لا حاجة لي فيها، ولكن زوجها من جليب. قال: فسقط الرجل مما دخله! ثم أتى أمها فأخبرها الخبر فدخلها مثل ما دخله، فسمعت الجارية مقالته ورأت ما دخل أباه فقلت لهما: إرضيا لي ما

رضي الله ورسوله ﷺ لي. قال: فتسلى ذلك عنهما، وأتى أبوها النبي ﷺ فأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ: قد جعلت مهرها الجنة. وزاد فيه صفوان قال: فمات عنها جلييب، فبلغ مهرها بعده مائة ألف درهم).

ومعناه أن رضاها بما رضي النبي ﷺ جعلها من أهل الجنة، وقد يكون معناه أن النبي ﷺ قبلها زوجة في الجنة. ويشبه هذا ما حدث به الإمام الصادق عليه السلام (٢٥٦/٢): (دعي النبي ﷺ إلى طعام فلما دخل منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت، فتقع البيضة على وتد في حائط فثبتت عليه، ولم تسقط ولم تنكسر! فتعجب النبي ﷺ منها فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة، فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قط! فنهض رسول الله ﷺ ولم يأكل من طعامه شيئاً وقال: من لم يرزأ فما لله فيه من حاجة).

من أراد اغتصاب امرأة فقتلته فدمه هدر

في الكافي (٢٩٣/٧) عن الصادق عليه السلام في سارق أراد أن يغتصب امرأة فقتلته قال: (يضمن السارق فيما ترك أربعة آلاف درهم بمكابرتها على فرجها، وليس عليها في قتلها إياه شيء. قال رسول الله ﷺ: من كابر امرأة ليفجر بها فقتلته فلا دية له ولا قود).

رحمة الشريعة بالمسن والحامل والمرضع والمريض

في دعائم الإسلام (٢٧٩/١): (أتى رسول الله ﷺ شيخ كبير متوكئاً بين رجلين فقال: يا رسول الله، هذا شهر مفروض وأنا لا أطيق الصيام فقال: إذهب فكل، وأطعم عن كل يوم نصف صاع، وإن قدرت أن تصوم اليوم واليومين وما قدرت فصم).

وأنته امرأة فقالت: يا رسول الله إني امرأة حبلى وهذا شهر رمضان مفروض وأنا أخاف على ما في بطني إن صمت. فقال لها: انطلقي فأطري وإذا أطقت فصومي.

وأنته امرأة ترضع فقالت: يا رسول الله، هذا شهر مفروض وإن صمته خفت أن ينقطع لبنى فيهلك ولدي. فقال لها: إنطلقي فأطري وإذا أطقت فصومي.

وأناه صاحب عطش فقال: يا رسول الله، هذا شهر مفروض ولا أصبر عن الماء ساعة إلا تخوفت الهلاك قال: إنطلق فأطري، فإذا أطقت فصم).

الزنا يورث الفقر ويخرب الديار

(قال رسول الله ﷺ: الزنا يورث الفقر، ويدع الديار بلاقع! وقال عائشة: ما عجت الأرض إلى ربها عز وجل كعجيجها من ثلاث: من دم حرام يسفك عليها، أو اغتسال من زنا، أو النوم عليها قبل طلوع الشمس! قال يعقوب لابنه يوسف بن علي: يا بني لا تزن فإن الطير لو زنى لتناثر ريشه). الفقيه (٢٠/٤).

الشعر أحد الجمالين

(قال رسول الله ﷺ: إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة، فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها، فإن الشعر أحد الجمالين). (نوادير الراوندي/١١٧).

أقرب ما تكون المرأة إلى ربها

(قال الصادق عليه السلام: إن فاطمة عليها السلام دخل عليها علي صلوات الله عليه وبه كآبة شديدة. فقالت فاطمة: يا علي ما هذه الكآبة؟ فقال علي: سألتنا رسول الله ﷺ عن المرأة ما هي؟ قلنا: عورة، فقال: فمتى تكون أدنى من ربها؟ فلم ندر. فقالت فاطمة لعلي عليه السلام: إرجع إليه فأعلمه أن أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها. فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ بها قالت فاطمة عليها السلام فقال رسول الله ﷺ: إن فاطمة بضعة مني). (نوادير الراوندي/١١٩).

التأليف بين الزوجين

ومنها: أن النبي ﷺ خرج فعرضت له امرأة مسلمة فقالت: يا رسول الله إني امرأة ومعي زوج لي في بيتي مثل المرأة. فقال: أدعي زوجك فدعته، فقال لها: أتبغضينه؟ فقالت: نعم. فدعا النبي ﷺ لهما، ووضع جبهتهما على جبهته فقال: اللهم ألف بينهما وحبب أحدهما إلى صاحبه. ثم قالت المرأة بعد ذلك: ما طارف ولا تالد ولا والد أحب إلي منه. فقال النبي ﷺ: إشهدني أني رسول الله). (الخرائج: ٥١/١).

كان يسأل عن امرأة مريضة

في مصنف عبد الرزاق (٥١٨/٣): (اشتكت امرأة من أهل العوالي فكان رسول الله ﷺ يسأل عنها، قال فقال: إن ماتت فأذنوني بها، فتوفيت ليلاً فأصبح النبي ﷺ فسأل فأخبروه بخبرها وأنهم دفنوها ليلاً، قال: فأتى النبي ﷺ قبرها، فصلى عليها).

مع سفانة بنت حاتم الطائي

قال الطبري (٣٧٦/٢): (قال عدي: وخلفت ابنة حاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمتُ بها وتحالفني خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصيب، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبایا طيى وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبایا يحبسُن بها، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة فقالت يا رسول الله هللك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ من الله عليك. قال ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان الغد مرّ بي وقد أيست، فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي إليه فكلّميه، قالت: فقمّت إليه فقلت: يا رسول الله هللك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك. قال: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك ثم أذنيني. قالت: فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلميه فقبل علي بن أبي طالب. قالت: وأقمت حتى قدم ركب من بلّ أو قضاة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام قالت فجئت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام. قال عدي فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى طعينة تصوب إليّ تؤمننا، قال فقلت: ابنة حاتم! قال فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بنية والدك وعورته! قال قلت: يا أخية لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي عذر، لقد صنعت ما ذكرت!

قال: ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن ملكاً

فلن تذلل في عز اليمين وأنت أنت. قلت والله إن هذا للرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقينته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. قال: فقلت في نفسي والله ما هذا بملك! ثم مضى رسول الله ﷺ حتى دخل بيته فتناول وسادة من آدم محشوة ليفاً ففذفها إليّ فقال لي أجلس على هذه. قال قلت: لا بل أنت فاجلس عليها، قال لا بل أنت، فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض قال قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً؟ قال قلت بلى. قال أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن محل لك في دينك. قال قلت: أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يجهل. قال ثم قال: لعله يا عدي بن حاتم إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين لما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه!

ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله! ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت.

قال فأسلمت. فكان عدي بن حاتم يقول مضت الشتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت. وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه).

وقد يمزح النبي ﷺ مع المرأة

في سبل الهدى للصالحى (١١٤/٧): (روى الزبير بن بكار أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك، قال: من هو، أهو الذي بعينه بياض؟ فقالت: يا رسول الله والله ما بعينه بياض! فقال رسول الله ﷺ: بل إن بعينه بياضاً، فقالت: لا والله! فقال النبي: وهل من أحد وإلا وبعينه بياض!

وجاءته امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله إحملني على بعير، فقال رسول الله ﷺ: إحملوها على ابن بعير، فقالت ما أصنع به وما يحملني يا رسول الله؟ فقال رسول الله: هل يجيء بعير إلا ابن بعير؟ وكان مزح معها).

وقال علي بن أبي طالب: (أبصر رسول الله ﷺ امرأة عجوزة درداء فقال: أما إنه لا تدخل الجنة عجوز درداء، فبكت. فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول الله إني درداء. فضحك رسول الله ﷺ وقال: لا تدخلين الجنة على حالك).

وقال علي بن أبي طالب: (نظر رسول الله ﷺ إلى امرأة رمضاء العينين، فقال: أما إنه لا يدخل الجنة رمضاء العينين، فبكت وقالت: يا رسول الله وإني لفي النار! فقال: لا، ولكن لا تدخلين الجنة على مثل صورتك هذه، ثم قال رسول الله: لا يدخل الجنة الأعور والأعمى على هذا المعنى). (نوادير الراوندي/١٠٧).

(يروى أن أشجعيه كانت عند النبي ﷺ فقال: لا يدخل الجنة عجوز، فبكت فقال لها النبي ﷺ: إن الله تعالى يقول: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. غُرُبًا أَتْرَابًا). (عيون أخبار الرضا/٢/٢٠٢).

يحفظ خديجة ؓ في صديقاتها

في سبل الهدى (١١/١٥٩): (قالت عائشة: كانت عجوز تأتي النبي فيهش لها ويكرمها، فقال لها: كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! فقال: يا عائشة، إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيوان).

قال لعجوز: اختضبي

(قالت عجوز: دخلت على النبي ﷺ ويدي بيضاء فقال: أترك إحداكن يدها كيد الرجل، اختضبي. قال ﷺ: فإن كانت لتختضب وهي بنت ثمانين سنة!) (أمالى المحاملي/١٤٣).

جاءته بنت خالد بن سنان

قال ابن عباس: (وردت ابنة خالد بن سنان على النبي ﷺ وهي عجوز قد عمرت (فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت، وقال لها: مرحباً بابنة نبي ضيعه أهله). (مروج الذهب: ٢/٢١٣).

أقول: إن صح قول النبي ﷺ هذا، فهو يقصد بالنبي معنى غير المعنى المعروف، لأن الله تعالى قال: وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ.

ألا أخبركم بشر نساءكم

في غريب الحديث لابن سلام (٣/٦٣): (في حديث النبي ﷺ قال: دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من خشاش الأرض. الخشاش: الهوام ودواب الأرض وما أشبهها، فهذا بفتح الخاء. وأما الخشاش بالكسر فخشاش البعير: العود الذي يجعل في أنفه).

وفي غريب الحديث لابن قتيبة (٢/٩٨): (ومنه حديث النبي: إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها (حذاءها) فسقته، فغفر لها).

(قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بشر نساءكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله فأخبرنا، قال: من شر نساءكم الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها، العقيم الحقود التي لا تتورع عن قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها، الحصان معه إذا حضر، التي لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، فإذا خلا بها تمتعت تمتع الصعبة عند ركوبها، ولا تقبل له عذراً، ولا تغفر له ذنباً). الفقيه (٣/٣٩١).

(قال رسول الله ﷺ: شرار نساءكم المعقرة الدنسة اللجوجة العاصية، الذليلة في قومها العزيزة في نفسها، الحصان على زوجها الهلوك على غيره)!

قال الإمام الصادق عليه السلام: (الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس، والكبر رداء الله، فمن نازع الله عز وجل رداءه لم يزد الله إلا سفلأً، إن رسول الله ﷺ مر في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين (روث البقر اليابس) فقيل لها: تنحي عن طريق رسول الله ﷺ فقالت: إن الطريق لمعرض (عريض) فهم بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنها

جبارة). (الكافي: ٣٠٩/٢، والمعجم الأوسط: ٦/١١٩).

رأى النبي ﷺ في المرأة وتعامله معها ٢٩١

عن الصادق عليه السلام قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: أعوذ بك من امرأة تشيبيني قبل مشيبي).
(الكافي: ٣٢٦/٥).

المرأة الحسناء من أسرة سيئة

(قام النبي ﷺ خطيباً فقال: أيها الناس إياكم وخضراء الدمن. قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء). الفقيه (٣٩١/٣).

من أسئلة النساء للنبي ﷺ

(قالت أم سلمة: قلت يا رسول الله! إني امرأة أشد ضفر رأسي أفأنقضه؟ قال: لا، إنما يكفيك أن تأخذي بكفيك ثلاث حثيات، ثم تصبي على جلدك الماء فتطهرين). (مصنف عبد الرزاق: ٢٧٢/١).

في عوالي اللئالي (٢٠٤/٢): (سألت رسول الله ﷺ عن المرأة ترى في المنام مثل ما يرى الرجل؟ فقال: أتجد لذة؟ فقالت: نعم. فقال: عليها ما على الرجل).



إن الله أرفأ بالإناث من الذكور

نورد من الكافي (٧-٥/٦) أحاديث نبوية في مدح البنات:

(قال ﷺ: نعم الولد البنات ملطفات، مجهزات، مؤنسات، مباركات).

وروى عن الإمام الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرفأ منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة.

وقال الإمام الصادق عليه السلام لرجل: بلغني أنه ولد لك ابنة فتسخطها! وما عليك منها، ريحانة تشمها وقد كفيت رزقها. وقد كان رسول الله ﷺ أبا بنات.

وقال رسول الله ﷺ: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة فقيل: يا رسول الله واثنين؟ فقال: واثنين، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة).

وتقدم في رد قولهم إن أكثر أهل النار من النساء قول الإمام الصادق عليه السلام: (أكثر أهل الجنة من المستضعفين النساء، علم الله عز وجل ضعفهن فرحمهن).

أما كان فيكم رجل رحيم القلب؟!

في فتح مكة أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد في سرية إلى بني جذيمة قرب مكة ليدعوهم إلى الإسلام، ولما وصل إليهم قالوا إنا أسلمنا وصلينا فلم يقبل منهم، وأراد أن ينتقم منهم لأنهم كانوا في الجاهلية قتلوا عمه الفاكه بن المغيرة. فقال لهم إن كنتم صادقين فضعوا أسلحتكم وصلوا معنا فوضعوا أسلحتهم وجاؤوا فأمر بتكثيفهم فكتفوهم وكانوا ثمانين رجلاً، ثم أمر بضرب أعناقهم وهم يصيحون بالشهادتين وأنهم مسلمون!

وكان فيهم رجل غريب قال إنما أنا عاشق امرأة منهم وجئت إليها، فلم يقبل خالد منه وأمر بقتله، فقاوم الشاب جنود خالد حتى تكاثروا وقبضوا عليه فقتله خالد، فجاءت عشيقته وشهقت عند جثته وماتت!

فلما بلغ النبي ﷺ ذلك غضب ورفع يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد. وأرسل علياً عليه السلام فأعطاهم بني جذيمة ديات المقتولين وأرضاهم.

ولما بلغه خبر العاشق الذي ماتت معشوقته على جثته، غضب وقال لمن كان مع خالد: أما كان فيكم رجل رشيد له قلب رحيم.

قال ابن هشام (٨٨٦/٤): «قال ابن إسحاق: عن ابن أبي حُدر الد الأسلمي، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة وهو في سني، وقد جمعت يده إلى عنقه برُمة (حَبْل) ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى، فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ثم تردني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله ليسير ما طلبت، فأخذت برمته فقذته بها، حتى وقف عليهن فقال: إسلمي حبيش، على نفدٍ من العيش!

أريتكَ إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلاً أن يُنَوَّلَ عاشقٌ تكلفَ إدلاج السُرى والودائع

فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً أثيبي بود قبل إحدى الصفائق

أثيبي بود قبل أن تشحط النوى ويناى الأمير بالحبيب المفارق

قالت: وأنت فحييت سبعاً وعشراً وترأ، وثانياً تترى. قال: ثم انصرفت به فضربت عنقه! وفي المنمق لابن حبيب/٢١٦: « فلما رآته حبيش أقبلت فأكبت عليه، ولم تزل تشهق حتى ماتت! » وفي فتح الباري (٤٦/٨): « روى النسائي والبيهقي في الدلائل، بإسناد صحيح من حديث ابن عباس نحو هذه القصة وقال فيها فقال: إني لست منهم، إني عشقت امرأة منهم، فدعوني أنظر إليها نظرة! وقال فيه: فضربوا عنقه، فجاءت المرأة فوقعت عليه، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت! فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: أما كان فيكم رجل رحيم القلب! »

وهذا يدل على رحمة النبي ﷺ واحترامه للإنسان وعواطفه في العشق مهما كانت.

وروى الزمخشري في ربيع الأبرار (٤٧/٣)، أن النبي ﷺ أمر العباس أن يشفع لعاشق رآه يبكي، قال: (لما أعتقت عائشة جاريتها بريرة وكان زوجها حبشياً اسمه مغيث، خُيرت بين الإقامة معه وبين مفارقتة فاخترت المفارقة، فكانت إذا طافت بالبيت طاف مغيث خلفها ودموعه تسيل! فقال النبي ﷺ لعمه العباس: يا عم أما ترى حب مغيث لبريرة، لو كلمناها أن تتزوجه! فدعاها وكلمها فقالت: يا رسول الله إن أمرتني فعلت. قال: أما أمر فلا، ولكن أشفع، فأبت أن تتزوجه. قال الراوي: فهذا من قد رآه رسول الله ﷺ وشهد بشدة عشقه وشفع في بابه).

من عشق وعف فمات كان شهيداً!

قال العجلوني في كشف الخفاء (٢٦٤/٢): (من عشق فعف فمات، مات شهيداً. عن ابن عباس ورواه جعفر السراج في مصارع العشاق عن سويد بلفظ: من عشق فظفر فعف فمات مات شهيداً. قال في المقاصد رواه الزبير بن بكار عن مجاهد مرفوعاً بسند صحيح.

وقال في الدرر: حديث من عشق فعف فمات فهو شهيد، له طرق عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور، والخطيب في تاريخ بغداد، وابن عساكر في تاريخ دمشق. وعند الطبراني في الأوسط، والنسائي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قاله لما بلغته

قصة العاشق الذي قتلته خالد في بني جذيمة، فقال ﷺ: أما كان فيكم رجل رحيم! وقال: من عشق فعف فكنتم فصبر فمات فهو شهيد).

فالحديث عند السنة صحيح، ولم تروه بهذا اللفظ مصادرنّا. وهو يدل على الرحمة النبوية للإنسان ولعاطفة الحب والعشق بين المرأة والرجل، بقطع النظر عن الحكم الشرعي فيها.

وفي الرحمة النبوية تتجلى الرحمة الإلهية التي قال الله فيها لإبراهيم عليه السلام: (يا إبراهيم، فخلّ بيني بين عبادي، فإنّي أرحم بهم منك)!





الفصل السابع والعشرون

رأي النبي ﷺ في الأطفال وتعامله معهم

نعمة الأطفال العظيمة

في الخصال/٦١٥: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: تزوجوا فإن رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي فليتزوج، فإن من سنتي التزويج، واطلبوا الولد فإنني أكاثركم الأمم غداً، وتوقّفوا على أولادكم لبن البغي والنساء والمجنونة، فإن اللبن يعدي).

وفي الفقيه (٤٨٣/٣): (قال رسول الله ﷺ: إعلموا أن أحدكم يلقي سقطه محبباً على باب الجنة حتى إذا رآه أخذ بيده حتى يدخله الجنة، وإن ولد أحدكم إذا مات أُجر فيه، وإن بقي بعده استغفر له بعد موته).

وفي التهذيب (٤٠١/٧)، قال الإمام الصادق عليه السلام: (قال رسول الله ﷺ: تزوجوا الأباكار فإنهن أطيب شيء أفواهها، وأدرّ شيء أخلاقاً حليياً) وأحسن شيء أخلاقاً، وأفتح شيء أرحاماً.

أما علمتم أي أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط، يظل محبباً على باب الجنة فيقول الله عز وجل له: أدخل الجنة فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي، فيقول الله تعالى لملك من الملائكة أئني بأبويه فيأمر بهما إلى الجنة، فيقول: هذا بفضل رحمتي لك).

وفي الوسائل (٩٦/١٥): (عن الإمام الرضا عليه السلام قال: إن الله إذا أراد بعبد خيراً لم يمته حتى يريه الخلف. وروي أن من مات بلا خلف فكأن لم يكن في الناس، ومن مات وله خلف فكأنه لم يمت).

وفي الكافي (٣٣٤/٥): (عن الإمام الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: تزوجها سواء وولوداً ولا تزوجها حسناء عاقراً، فإنني مباه بكم الأمم يوم القيامة، أو ما علمت أن الولد إن تحت العرش

يستغفرون لأبائهم، يحضنهم إبراهيم، وتربيههم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران).

وعن النبي ﷺ: (بَيْتٌ لَا صَبِيَّانَ فِيهِ لَا بَرَكَةَ فِيهِ). (جامع السيوطي: ١١/١٤٣).

الرحمة بالإطفال عند النبي ﷺ من أسس الشخصية

قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.

وقال تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ. وقال تعالى: فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ. وقال تعالى: النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ.

وإنما كان أولىٰ بنا من أنفسنا، لأنه أرحم بنا من أنفسنا، وأعلم منا بما يصلحنا.

ورحمة النبي ﷺ شعاع من شمس الرحمة الإلهية، ففي الصحيح (الكافي: ٣٠٥/٨): (عن أبي عبد الله عليه السلام: قال لما رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات، ثم رأى آخر فدعا عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا، فأوحى الله عز ذكره إليه: يا إبراهيم إن دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي، فإني لو شئت لم أخلقهم، إني خلقت خلقي على ثلاثة أصناف: عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأثيبه، وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني، وعبداً يعبد غيري، فأخرج من صلبه من يعبدني).

يا إبراهيم فخلّ بيني بين عبادي، فإني أرحم بهم منك)!

أما سمعتم صراخ الصبي؟!

في الكافي (٤٨/٦)، بسند صحيح، قال الإمام الصادق عليه السلام: (صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر فخفف في الركعتين الأخيرتين، فلما انصرف قال له الناس: هل حدث في الصلاة حدث؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: خففت في الركعتين الأخيرتين، فقال لهم: أما سمعتم صراخ الصبي)!

وروى البخاري (١٧٣/١) أن النبي ﷺ قال: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه)!

أقول: لو كان إمام الجماعة غير النبي ﷺ فربما عاتب أم الصبي وقال للنساء المصليات:

إحرصن على أن لا يبكي أطفالكن أثناء الصلاة.

لكن النبي ﷺ لم يعاتب أم الصبي أبداً، بل تجلت رحمته بها وبالطفل بتخفيف صلاته.

ماذا أصنع لك إذا نزع الله الرحمة من قلبك!

في شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (١١٥/٣): (أن رسول الله ﷺ كان جالساً مع أصحابه إذ أقبل إليه الحسن والحسين عليهما السلام وهما صغيران، فجعلا ينزوان عليه، فمرة يضع لهما رأسه، ومرة يأخذهما إليه، فقبلهما ورجل من جلسائه ينظر إليه كالمتعجب من ذلك. ثم قال: يا رسول الله ما أعلم أني قبلت ولدًا لي قط! فغضب رسول الله ﷺ حتى التمع لونه فقال للرجل: إن كان الله عز وجل قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع لك، من لم يرحم صغيرنا ويعزز كبيرنا فليس منا). ورواه البخاري (٧٥/٧) عن عائشة ولم تذكر فيه الحسن والحسين عليهما السلام. والحاكم (١٧٠/٣) وصححه بشرط الشيخين، عن عروة وسمى فيه الحسن عليهما السلام. وسمت الروايات الرجل وهو الأقرع بن حابس من رؤساء نجد.

ملاحظة

الرحمة صفة في شخصية الإنسان مقتضى فطرته، ويستطيع الإنسان أن ينميها أو يفسدها وينقصها حتى تزول، وقد يرتكب معاصي فيعاقبه الله بنزع الرحمة من قلبه. ولذا فالمؤمن رحيم عطوف، رقيق المشاعر، شفاف الروح. والمنافق قاسٍ منزوع الرحمة. (قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين). (الثاقب في المناقب/٧٩).

ويعرف وجود الرحمة وعدمها في قلب الشخص من تعامله مع الأطفال!

من أخلاق النبي ﷺ مع طفل بال في حجره

في صحيح مسلم (١٦٤/١) عن أخت عكاشة قالت: (إنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها لم يبلغ أن يأكل الطعام، قال عبيد الله: أخبرني أن ابنها ذاك بال في حجر رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ بهاء فنضحه على ثوبه ولم يغسله غسلًا).

من أخلاق النبي ﷺ مع الصبيان والشباب

في الخصال للصدوق (٢٧١): قال رسول الله ﷺ: خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلب العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنة من بعدي).

وفي شرف المصطفى (٣٧٢/٤): (وكان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان، فيقف، ثم يأمر بهم فيرفعوا إليه فيحملهم بين يديه، ويحمل وراءه، ويأمر أصحابه أن يحملوا. فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك، فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله بين يديه وحملك وراءه، ويقول بعضهم: حملني رسول الله وراءه وأمر بعض أصحابه أن يحملك أنت).

وكان كثيراً ما يرى الأنصار فيتلقاه صبيانهم، فيمسح رؤوسهم ويسلم عليهم ويدعو لهم. وكان إذا مر بالصبيان سلم عليهم وأتحفهم بما عنده).

وفي سنن البيهقي (١٧٥/٩): (عن السائب بن يزيد قال: خرجت مع الصبيان تتلقى رسول الله ﷺ إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك. خرج الناس يتلقونه فخرج النساء والصبيان قال السائب فكنت فيمن تلقاه مع الصبيان حتى لقينا رسول الله ﷺ بثنية الوداع).

وفي النهاية لابن كثير (٢٨٩/٤): (عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه قال فحملني بين يديه. ثم قال: جيئ بأحد بني فاطمة إما حسن وإما حسين فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة).

وفي أمالي الصدوق (٢٣٨): (قال الإمام الصادق عليه السلام: إن رسول الله ﷺ أتى شاباً من الأنصار، فقال: إني أريد أن أقرأ عليكم، فمن بكى فله الجنة، فقرأ آخر الزمر: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا، إلى آخر السورة، فبكى القوم جميعاً إلا شاب فقال: يا رسول الله، قد تباكيت فما قطرت عيني. قال: إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة. قال: فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى، فدخلوا الجنة جميعاً).

كان يؤتى له بالمولود ليباركه ويدعو له ويحنكه

في مكارم الأخلاق/٢٥: (كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة، أو يسميه، فيأخذه فيضعه في حجره تكممه لأهله، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين يبول، فيقول ﷺ لا ترزموا بالصبي، فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته، ويبلغ سرور أهله فيه ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده).

وفي إمتاع الأسماع (٣٠٠/٥): (أن النبي ﷺ أتى بصبي قد شب لم يتكلم قط! فقال: من أنا؟ قال: أنت رسول الله أي تكلم! وفي مناقب آل أبي طالب (١١٨/١): (فقال: صدقت يا مبارك، فكنا نسميه مبارك اليمامة).

مسح على رأس غلام ابيض شعره فلم يشب

في مجمع الزوائد (٤٠٩/٩): (عن عطاء مولى السائب بن يزيد قال رأيت مولاي السائب بن يزيد لحيته بيضاء ورأسه أسود فقلت: يا مولاي ما لرأسك لا يبيض؟ فقال: لا يبيض رأسي أبداً وذلك أن رسول الله ﷺ مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان فسلم وأنا فيهم فرددت عليه من بين الغلمان فدعاني فقال لي: ما اسمك فقلت السائب بن يزيد ابن أخت النمر فوضع يده على رأسي وقال بارك الله فيك فلا يبيض موضع يد رسول الله ﷺ أبداً).

كان يمسح بيده فيبقي عطره

في الشفا للقاضي عياض (٦٢/١): (عن جابر بن سمرة أنه ﷺ مسح خده قال فوجدت ليده برداً وريحاً كأنها أخرجه من جؤنة عطار قال غيره مسحها بطيب أم لم يمسحها يصفاح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحتها).

وامتنع عن مباركة بعض الأطفال!

في الكافي (٤٠/٦): (أتى النبي ﷺ بصبي يدعوه له وله قنازع، فأبى أن يدعوه له وأمر بحلق رأسه). له قنازع: أي حلقوا بعض شعره وتركوا بعضه.

وفي التمهيد لابن عبد البر (١٨٣/٢): (قال الوليد بن عقبة: إن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة كان

يؤتى بالصبيان فيمسح رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة، قال فجئني بي اليه وأنا مُحَلَّق، فلم يمسنني من أجل الخلق).

أقول: الخلق عطر الكعبة، ومن البعيد أن النبي ﷺ لم يمسه من أجل ذلك، بل لأنه عرف أنه سيئ شرير، كما سترى في مروان. أما القنازع فقد تكون من سوء الحلاقة وليس مودياً كما تصور البعض. وقد صحت الرواية عند الجميع أنه لما ولد مروان بن الحكم جاؤوا به إلى النبي ﷺ ليدعوا له، فلما قرَّبته منه عائشة قال: أخرجوا عني الوزغ ابن الوزغ.. ولعنه! (الكافي: ٢٣٨/٨). ورواه الحاكم (٤٧٩/٤) وصححه، وفيه: (فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون). وفي نهاية ابن كثير (٢٧٢/٦): (فأبى أن يفعل ثم قال: ابنُ الزرقاء! هلاك أمتي على يديه ويدي ذريته).



نقاط في تربية الأطفال وتأديبهم

سعة مواضيع الطفل وتعددتها

في موضوع الأطفال بحوث وعناوين عديدة، من آداب الحمل والولادة، والتنشئة، والتربية والتعليم، واليتم، وتأديب الطفل، وعقوبة الطفل الشرير، والأطفال الذين هم شرك شيطان! والأحاديث عن رسول الله ﷺ تستوعب ذلك وإن كانت في بعض العناوين قليلة، وأحاديث أهل البيت  أكثر تفصيلاً، لكن بحثنا في أحاديث النبي ﷺ، وقد اقتصرنا في الكتاب على ذكر بعض العناوين الأكثر مساساً بالطفل، وبصورة مختصرة بدون بحث مفصل.

مسؤولية الوالدين وثوابهما في تربية الأطفال

في إرشاد القلوب (١٨٤/١): (قال رسول الله ﷺ: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمر الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلمها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه. ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). والبخاري (١٢٥/٣).

وفي أمالي الصدوق/٤٩٧: (عن أبي عبد الله عليه السلام: أن رسول الله ﷺ قال: أيما امرأة رفعت

من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً، نظر الله عز وجل إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: ذهب الرجال بكل خير، فأَيُّ شئ للنساء المساكين؟ فقال ﷺ: بلى، إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا تدري ما هو لعظمه، فإذا أرضعت كان لها بكل مصة كعدل عتق محرر من ولد إسماعيل، فإذا فرغت من رضاعة ضرب ملك على جنبها، وقال: استأنفي العمل، فقد غفر لك).

حب الأطفال والوفاء بالوعد معهم

عقد الكليني رحمه الله (٤٩/٦)، باباً بعنوان: بِرُّ الأولاد. روى فيه تسعة أحاديث، منها عن رسول الله ﷺ: (من قبل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرَّحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علَّمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يضيئ من نورهما وجوه أهل الجنة. وقال رسول الله ﷺ: أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففؤوا لهم، فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم.

وقال رسول الله ﷺ: رحم الله من أعان ولده على بره، قال قلت: كيف يعينه على بره؟ قال: يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به، فليس بينه وبين أن يصير في حد من حدود الكفر إلا أن يدخل في عقوق أو قطيعة رحم، ثم قال رسول الله ﷺ: الجنة طيبة طيبها الله وطيب ريحها يوجد ريحها من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريح الجنة عاق ولا قاطع رحم، ولا مَرَّخي الإزار خيلاء!

وقال الإمام الصادق عليه السلام: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ما قبَّلت صبياً قط فلما ولى قال رسول الله: هذا رجل عندي أنه من أهل النار).

وفي أمالي الصدوق/٦٧٣: (عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محابج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإن من فرَّح ابنةً فكأنها أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقرَّ بعين ابنٍ فكأنها بكى من خشية الله عز وجل، ومن بكى من خشية الله عز وجل أدخله الله جنات النعيم).

احترام الطفل وإكرامه

في روضة الواعظين/٣٦٩: (قال تعالى في سورة النساء: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ. وقال فيها: وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ).

وقال رسول الله ﷺ: ريح الولد من ريح الجنة. وقال: إذا نظر الوالد إلى ولده فسرّه كان للوالد عتق نسمة. قيل يا رسول الله: وإن نظر ثلاث مائة وستين نظرة؟ قال: الله تعالى أكبر. وقال ﷺ: من حق الولد على والده ثلاثة: يُحسن اسمه، ويُعلمه الكتابة، ويُزوجه إذا بلغ. وقال ﷺ: نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله له سترًا من النار، ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنة، ومن كانت له ثلاث أو مثلهن من الأخوات، وضع عنه الجهاد والصدقة).

وقال ﷺ: (نظر الوالد إلى ولده حباً له عبادة). (مستدرك الوسائل ١٥/١٧٠).

وقال ﷺ: (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم). وقال ﷺ: لئن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم). (وسائل الشيعة ٢١/٤٧٦).

وفي توحيد الصدوق/٣٣١: (قال رسول الله ﷺ: لا تضربوا أطفالكم على بكائهم، فإن بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي وآله، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه).

ضرورة اللعب للصبي

في الطبراني الكبير (١٤٠/٦): (عن سهل بن سعد قال مر رسول الله ﷺ على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعض أصحاب النبي فقال ﷺ دعهم فإن التراب ربيع الصبيان).

وفي من لا يحضره الفقيه (٣/٤٨٤): (قال ﷺ: يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق. وقال الشافعي: بر الرجل بولده بره بوالديه).

وفي خبر آخر قال ﷺ: من كان عنده صبي فليتصاب له.

وقال رسول الله ﷺ: «أحب الصبيان لخمس: الأول أنهم هم البكاؤون، والثاني يتمرغون

رأي النبي ﷺ في الأطفال وتعامله معهم ٣٠٣

بالتراب، والثالث يختصمون من غير حقد، والرابع لا يدخرون لغد شيئاً، والخامس يعمرون ثم يخربون». (المواعظ العددية: ٣٤٠/١).

وفي أمالي الصدوق/٥٣٠: «فأقبل بهما إلى منزل فاطمة ؑ وقد ادخرت لهما تمرات، فوضعتها بين أيديهما، فأكلا وشبعا وفرحا، فقال لهما النبي ﷺ: قوما الآن فاصطرا». وروينا في الكافي/٥٢/٦: (عن الإمام الكاظم ؑ قال: تستحب عرامة الصبي في صغره ليكون حليماً في كبره). ونحوه السيوطي في الجامع الصغير (١٥١/٢) عن النبي ﷺ قال: عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره).

ضرورة النظافة للأطفال

في العيون (٧٤/٢): (قال رسول الله ﷺ: إغسلوا صبيانكم من الغمر (الدسم) فإن الشيطان يشم الغمر فينزع الصبي في رقاده، ويتأذى بها الكاتبان).

تفسير: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً

في روضة المتقين (٤٨/١١): (في الصحيح عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله ؑ: إن لي أهل بيت وهم يسمعون مني أفأدعوهم إلى هذا الأمر؟ فقال ؑ: نعم إن الله عز وجل يقول في كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ).

وفي هداية الأمة (٥٧٦/٥): (قال الصادق ؑ: لما نزلت هذه الآية: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً، جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي كلّفت أهلي، فقال رسول الله ﷺ: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنههم عما تنهى عنه نفسك، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك).

أقول: ليس معنى ذلك الإكتفاء بالقول فيسقط التكليف تجاه الأهل والناس بالنهي عن المنكر، فقد علق صاحب الجواهر على هذا الحديث (٣٨٢/٢١) بقوله: (لكن ما سمعته من النصوص والفتاوى الدالة على أنها يكونان بالقلب واللسان واليد صريح في إرادة حمل الناس عليهما بذلك كله، بل هو معنى قوله ؑ: ما جعل الله بسط اللسان وكف اليد ولكن جعلها يبسطان معاً ويكفان معاً. فيمكن إرادة ما يشمل الضرب ونحوه من أمر الأهل ونهيه، كما أنه صرح

في النصوص أيضاً بالهجر وتغير الوجه وغيرهما مما يراد منه الطلب بواسطة هذه الأمور لا مجرد القول كما هو واضح بأدنى تأمل ونظر، بل منه يعلم أن المراد حينئذ من إطلاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الكتاب والسنة، حمل تارك المعروف وفاعل المنكر على الفعل والترك بالقلب على الوجه الذي ذكرناه، وباللسان وباليَد كذلك).

أنا وكافل اليتيم كهاتين

روى الترمذي (٣٢١/٤): (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين. وأشار بإصبعيه يعني السبابة والوسطى). وقال بعض العلماء يقصد به أباطالب كافل النبي ﷺ. وفي الكافي (٥١/٧): (قال علي عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من عال يتيماً حتى يستغني، أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار).

العقيقة والختان في اليوم السابع

في الكافي (٣٥/٦) بسند صحيح: (قال رسول الله ﷺ: طهروا أولادكم يوم السابع فإنه أطيب وأسرع لنبات اللحم، وإن الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين صباحاً. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (من سنن المرسلين الإستنجاء والختان. وقال الشيخ في المبسوط (٣٩٥/١): (فالمستحب أن يعق يوم السابع لما روي عن النبي ﷺ أنه قال كل غلام رهينة بعقيقته يذبح عنه يوم سابعة، ويحلق ويسمى، وروي عنه ﷺ أنه عَقَّ عن الحسن يوم السابع. ومتى لم يعق الوالد عن ولده وأدرك عَقَّ عن نفسه استحباباً. ولا يقوم مقام العقيقة الصدقة بثمانها، ومن لا يقدر عليها فلا شئ عليه، فإن قدر فيها بعد قضاها. ويستحب أن يتصدق بوزن شعر رأسه ذهباً أو فضة).

وجوب ستر الوالدين عند المقاربة عن الأطفال

في الكافي (٥٠٠/٥): (قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما، ما أفلح أبداً! إذا كان غلاماً كان زانياً، أو جارية كانت زانية)!

التفريق بين الأطفال في النوم

في الكافي (٦٩/٧): (قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يثغر الصبي لسبع، ويؤمر بالصلاة لتسع، ويفرق بينهم في المضاجع لعشر، ويحتلم لأربع عشرة، وينتهي طوله لإحدى وعشرين، وينتهي عقله لثمان وعشرين إلا التجارب).

وفي دعائم الإسلام (١٩٤/١): (وروى عن أبيه عن آبائه أن رسول الله ﷺ قال: مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين، واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً، وفرقوا بينهم في المضاجع إذا بلغوا عشرًا. وهذا قريب بعضه من بعض، وأحوال الأطفال تختلف في الطاقة والعقل، وعلى قدر ذلك يعملون، والأطفال غير مكلفين).

وفي ملاذ الأخيار (٤١٧/١٢): (وقال في النهاية: إن كل غلام رهينة بعقيقته. الرهينة الرهن والتاء للمبالغة ثم استعمالاً بمعنى المرهون فقليل هو رهن بكذا ورهينة بكذا. والمعنى أن العقيقة لازمة له لا بد منها، فشبه في لزومها له وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المرتهن).

وفي من لا يحضره الفقيه (٤٣٧/٣): (قال رسول الله ﷺ: الصبي والصبي، والصبي والصبي، والصبي والصبي، والصبي والصبي، يفرق بينهم في المضاجع لعشر سنين).

قاعدة في تربية الطفل

في وسائل الشيعة (٤٧٦/٢١): (قال النبي ﷺ: الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت خلأته لإحدى وعشرين سنة، وإلا ضرب على جنبه، فقد أعذرت إلى الله). أي يُعرض عنه فلا خير فيه.

التأثير السلبي لأكل الحرام على الطفل

في مكارم الأخلاق/٤٥٥، من وصية النبي ﷺ لابن مسعود: (يا ابن مسعود: لا تأكل الحرام ولا تلبس الحرام ولا تأخذ من الحرام ولا تعص الله لأن الله تعالى يقول لإبليس: **وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**).

وفي تفسير العياشي (٢٩٩/٢) عن الباقر عليه السلام في تفسير الآية: (ما كان من مال حرام فهو شريك الشيطان، قال ويكون مع الرجل حتى يجامع فيكون من نطفته ونطفة الرجل إذا كان حراماً. قال: كلتاها جميعاً تختلطان وقال: ربها خلق من واحدة، وربها خلق منهما جميعاً).

يصح الحج بالطفل الصغير

في الإستبصار (١٤٦/٢) أن رسول الله ﷺ مرَّ بالروحاء وهو حاج فقامت إليه امرأة ومعها صبي لها فقالت: يا رسول الله أيجب عن مثل هذا؟ قال: نعم ولك أجره).

ساووا بينهم في العطية

في مكارم الأخلاق ٢٠: (عن النبي ﷺ: أنه نظر إلى رجل له ابنان فقبل أحدهما وترك الآخر، فقال: فهلا ساويت بينهما).

وحسَّ بن حجر حديث: (سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء). (فتح الباري (١٥٨/٥) والطبراني (٢٨٠/١١) والزوائد (١٥٣/٤)).

وقال ﷺ: إعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ).

وفي كفاية الأحكام للسبزواري (٣١/٢): (وروى الحميري بإسناده عن علي بن جعفر عن أخيه قال: سألت عن الرجل يحل له أن يفضل بعض ولده على بعض؟ قال: قد فضلت فلاناً على أهلي وولدي، فلا بأس. والمشهور بين الأصحاب الكراهية، قال في المسالك: الوجه الكراهية المؤكدة لقوله ﷺ سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت البنات.. إلى أن قال: وقد روي أن النعمان بن بشير أتى والده إلى النبي ﷺ فقال: إني نحلتي ابني هذا فلاناً، فقال النبي ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال: أرده. وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال له: أتحب أن يكونوا في البر سواء؟ فقال: نعم قال: فأرجعه.

وفي حديث آخر عنه ﷺ أنه قال لمن أعطى بعض أولاده شيئاً: أكل ولدك أعطيت مثله؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، فرجع تلك العطية. وفي رواية أخرى: لا تشهدني على جور. قال: الأصحاب حملوها على تقدير سلامة السند على الكراهية جميعاً).

وجوب الإستئذان داخل الأسرة

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

في الكافي (٥/٥٢٩) عن الإمام الصادق عليه السلام: (من بلغ الحلم فلا يلج على أمه ولا على أخته ولا على خالته، ولا على سوى ذلك إلا بإذن، فلا تأذنوا حتى يسلم. والسلام طاعة لله عز وجل. وقال عليه السلام: ليستأذن عليك خادمك إذا بلغ الحلم في ثلاث عورات إذا دخل في شيء منهن ولو كان بيته في بيتك، قال: وليستأذن عليك بعد العشاء التي تسمى العتمة، وحين تصبح وحين تضعون ثيابكم من الظهر. إنما أمر الله عز وجل بذلك للخلوة، فإنها ساعة غرة وخلوة). وفي دعائم الإسلام (٢/٢٠٢): (عن علي عليه السلام قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله هل أستأذن على أمي إذا أردت الدخول عليها؟ قال: نعم، أيسرك أن تراها عريانة؟ قال: لا، قال: فاستأذن عليها إذا).

حكم الأطفال المعاقين والذين يموتون صغاراً

في الفصول المهمة (١/٢٧٨): (عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سألته هل سئل رسول الله ﷺ عن الأطفال؟ فقال: قد سئل فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم قال: يا زرارة هل تدري قوله: الله أعلم بما كانوا عاملين قلت: لا، قال: الله فيهم المشية، أنه إذا كان يوم القيامة جمع الله الأطفال والذي مات من الناس في الفترة والشيخ الكبير الذي أدرك النبي ﷺ وهو لا يعقل، والأصم، والأبكم الذي لا يعقل، والمجنون، والأبله الذي لا يعقل، وكل واحد منهم يحتج على الله، فيبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة، فيؤجج لهم ناراً ثم يبعث الله إليهم ملكاً، فيقول لهم: إن ربكم يأمركم أن تتبوا فيها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، وأدخل الجنة، ومن تخلف عنها دخل النار).

قوم نوح المغرقون لم يكن فيهم طفل

في علل الشرائع بسند صحيح (٣٠/١): قال عبد السلام الهروي: قلت للإمام الرضا عليه السلام: لأي علة أغرق الله عز وجل الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فقال ما كان فيهم الأطفال لأن الله عز وجل أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً، فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، ما كان الله تعالى ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأما الباقون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السلام وسائرهم أغرقوا برضاهم تكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان شاهده وأتاه).





الفصل الثامن والعشرون

طفلان لا كالأطفال!

سلوك النبي ﷺ مع الحسنين عليهما السلام كله بأمر ربه عز وجل

يدل عليه قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ.
ويدل عليه ما ورد في أكثر من حديث: إن الله أمرني بحبهما فأحبوهما.
وما يأتي في حديث ضياعهما ليلة فاستنفر النبي ﷺ والمسلمون ودعا ربه فجاء جبرئيل عليه السلام وأخبره بمكانهما وفضلهما (فقال: لأشرفن اليوم ابني هذين كما شرفهما الله تعالى، وقال: يا بلال، هلم علي الناس، فنادى بهم فاجتمعوا، فقال النبي ﷺ لأصحابه..).
كما كان غرضه ﷺ أن يبلغ الأمة إمامتهما، وأنها إمامان تجب طاعتها بعده.

هدف النبي ﷺ من معاملته الخاصة للحسن والحسين عليهما السلام

كل الذين كتبوا في تعامل النبي ﷺ مع الأطفال، ذكروا معاملته الخاصة للحسن والحسين عليهما السلام وأولاد فاطمة عليهما السلام، لكنهم لم يفسروها! فالمسلم يتفاجأ بشدة حب النبي ﷺ لهما، وتنوع اهتمامه بهما في تعامله، في أقواله فيهما، من مراسم ولادتهما، وتسميتهما، والعقيقة عنهما، وكان يراهما يومياً، ويقبلهما، ويتابع أحوالهما!

ولما مشيا، كان يأخذهما معه إلى المسجد ويجلسهما إلى جنبه ويصلي، وقد يركب الواحد منهما على ظهره، فيريد المسلمون أن يبعده فيقول أتركوه!

وكان مع سلوكه هذا معهما يطلق أقواله النبوية الخالدة فيهما:

✽ قال عمران بن حصين: قال لي رسول الله ﷺ: يا عمران إن لكل شيء موقعاً من القلب، وما وقع موقع هذين الغلامين من قلبي شيء قط، فقلت: كل هذا يا رسول الله! قال: يا عمران وما خفي عليك أكثر. إن الله أمرني بحبهما.

✽ وكان يقول: يا علي لقد أذهلني هذان الغلامان يعني الحسن والحسين أن أحب بعدهما أحداً أبداً، إن ربي أمرني أن أحبهما، وأحب من يحبهما.

✽ وعن أبي ذر قال: أمرني رسول الله ﷺ بحب الحسن والحسين عليهما السلام. فأنا أحبهما، وأحب من يحبهما، لحب رسول الله ﷺ إياهما.

✽ وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقبل الحسن والحسين وهو يقول: من أحب الحسن والحسين وذريتهما مخلصاً لم تلمح النار وجهه، ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا أن يكون ذنبه ذنباً يخرج من الإيمان.

✽ وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان يحبني فليحب ابني هذين، فإن الله أمرني بحبهما.

✽ إن الله أمرني بحب الحسن والحسين فأحبوهما..

✽ الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة..

✽ الحسن والحسين سبطان من الأسباط..

✽ الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا..

✽ الحسن والحسين ابناي من فاطمة وعلي..

✽ قال رسول الله ﷺ: خذوا بحزمة هذا الأنزع، فإنه الصديق الأكبر والهادي لمن اتبعه، ومن سبقه مرق من دين الله، ومن خذله محقه الله، ومن اعتصم به فقد اعتصم بالله، ومن أخذ بولايته هداه الله، ومن ترك ولايته أضله الله. ومنه سبطا أمتي الحسن والحسين، وهما ابناي، ومن ولد الحسن الأئمة الهداة والقائم المهدي، فأحبوهم وتواوهم، ولا تتخذوا عدوهم وليجة من دونهم، فيحل عليكم غضب من ربكم وذلة في الحياة الدنيا، وقد خاب من افترى.

❖ وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط.
❖ وقال رسول الله ﷺ: من أبغض الحسن والحسين جاء يوم القيامة وليس على وجهه لحم، ولم تنله شفاعتي! (هذه الأقول: في مصادر الحديث الصحيحة ومنها: كامل الزيارات/ ١١٤، وبعدها).

حديث: فهو معي في درجتي في الجنة

يظهر من أحاديث الطرفين أن جنة الفردوس في أعلى الجنة خاصة لإبراهيم وآل إبراهيم عليه السلام ولمحمد وآل محمد ﷺ. وأنها تتسع لشيعتهم معهم أيضاً.

قال الكاظم عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: (أخذ رسول الله ﷺ بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: من أحب هذين الغلامين وأباهما وأمهما، فهو معي في درجتي يوم القيامة). (كامل الزيارة/ ١١٧)

وروى أحمد في مسنده (٧٧/١) قال: (إن رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة). ورواه الترمذي: ٥ / ٣٠٥، وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير: ٣ / ٥٠ والصغير: ٢ / ٧٠، والخطيب في الإكمال / ١٧٣، وقال: والحديث صحيح بشواهده. وتاريخ دمشق: ١٣ / ١٩٦، وأسد الغاية: ٤ / ٢٩.

وقال المزي في تهذيب الكمال (٣٦٠/٢٩): (قال عبد الله بن أحمد: لما حدث نصر بن علي بهذا الحديث أمر المتوكل بضربه ألف سوط! فكلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه)!

أقول: كان المتوكل ناصباً يقيم حفلات سخرية من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام. وقد فاجأه الراوي السني بحديث فغضب عليه، وتحيله رافضياً، فقالوا له هذا سني وفي رواية فأمر بضربه خمسمائة سوط، ثم أصروا عليه حتى عفى عنه!

ويقصد النبي ﷺ بقوله: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما، نوعاً خاصاً من الحب هو طاعتهم والإقتداء بهم ونصرتهم على من خالفهم. وليس الحب العام الذي يدعيه كل الناس، بل الذين ناصرهم وتحملوا في نصرتهم الإضطهاد، والتقتيل، من الحكومات وأتباعها!

ومعنى قوله ﷺ: كان معي في درجتي، أنه يكون من أهل جنة الفردوس وفي درجة الوسيلة التي هي أعلاها، ومعناه أن درجة الوسيلة تتسع للملايين!

احتجاج المأمون بمبايعة النبي ﷺ للحسين عليه السلام

في تحف العقول لابن شعبة الحراني/٤٥٣: (قال المأمون: ويحكم أما علمتم أن أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا الخلق، أما علمتم أن رسول الله ﷺ بايع الحسن والحسين وهما صبيان ولم يبايع غيرهما طفلين. أو لم تعلموا أن أباهم علياً آمن برسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين، فقبل الله ورسوله إيمانه ولم يقبل من طفل غيره، ولا دعا رسول الله ﷺ طفلاً غيره. أو لم تعلموا أنها ذرية بعضها من بعض، يجري لأخراهم ما يجري لأولهم)!

جعل الله أبناء بنت النبي ﷺ أبناءه

روى الجميع أن النبي ﷺ قال إن الحسن والحسين عليهما السلام ابناي، فجعل أبناء البنت أبناء له، وفي ذلك رفع لمقام المرأة في مجتمع مفرط في الذكورية، وجعل الله تعالى وراثته ﷺ في أبناء بنته عليهما السلام. وفي كامل الزيارة/١١٦: (سبطا أمتي الحسن والحسين، وهما ابناي. ومن ولد الحسين الأئمة الهداة والقائم المهدي، فأحبوهم وتوالوهم).

وروى الحاكم (١٦٦/٣) وصححه بشرط الشيخين، عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني ومن أحبني أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار). ونحوه الترمذي (٣٣٩/٤) وحسنه. والرياض النضرة (٢٣٢/٢) والطبراني في الكبير (٤٧/٣).

واختار الله لهما أحسن الأسماء

روى الحاكم (١٦٨/٣): (عن علي قال: لما أن ولد الحسن سميته حرباً، فقال لي النبي ﷺ: ما سميت ابني؟ قلت: حرباً، قال: هو الحسن. فلما ولد الحسين سميته حرباً فقال النبي ﷺ: ما سميت ابني؟ قلت: حرباً، قال هو الحسين. فلما أن ولد محسن قال: ما سميت ابني؟ قلت: حرباً قال: هو محسن. ثم قال النبي ﷺ: إني سميت بني هؤلاء بتسمية هارون بنيه شبراً وشبيراً ومشبراً). وقد صححه الحاكم وروته مصادرهم العديدة كالبيهقي وابن عساكر والبلاذري. لكنه لا يصح عندنا لأن علياً عليه السلام لم يكن ليسبق رسول الله ﷺ بتسميته. وكان هذه الرواية تريد

ذم علي عليه السلام بأنه يحب الحرب!

في مناقب آل أبي طالب (١٨٩/٣): (السمعاني في فضائل الصحابة، وجماعة من أصحابنا في كتبهم عن أسماء بنت عميس، واللفظ لها قالت: لما ولدت فاطمة الحسن جاءني النبي ﷺ فقال: يا أسماء هاقي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها وقال: يا أسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء، فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إليه، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لعلي: أي شيء سميت ابني هذا؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله، وقد كنت أحب أن أسميه حرباً فقال: أنا لا أسبق باسمه ربي! ثم هبط جبرئيل فقال: السلام عليك يا محمد العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك، سم ابنك هذا باسم ابن هارون. قال: وما اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ قال: شبر، قال: لساني عربي، قال: سمه الحسن فسماه الحسن، فلما كان يوم سابعه عق عنه بكشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقاً وطلّى رأسه بالخلوق ثم قال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية، قالت: فلما ولد الحسين عليه السلام فعل مثل ذلك.

الباقر عليه السلام: فوزنه فكان وزنه درهماً ونصفاً، يعني شعر الحسين وقت الولادة).

قطع النبي خطبته وأخذ الحسنين عليهما السلام إليه

روى النسائي (١٩٢/٣) والترمذي وحسنه (٣٢٤/٥) عن بريدة: (كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما).

كانا يركبان على ظهر النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد!

وقال ابن حجر في الإصابة (٦٢/٢): (فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم إليه، الحسن بن علي، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر). وفي نهج الحق للعلامة الحلي (٢٧٢:) (وكان ذات يوم يخطب، فعبر الحسن، وهو طفل صغير،

فنزل من منبره، وقطع الخطبة، وحمله على كتفه، وأصعده المنبر، ثم أكمل الخطبة)

وفي علل الشرائع (١٨٩/١) من كلام علي عليه السلام مع أبي بكر وعمر، يوضح لهما سبب قول الحسن عليه السلام لأبي بكر: إنزل عن منبر أبي واذهب الى منبر أيبك! (الإصابة: ٢٩/٢): (وأما الحسن ابني فقد تعلمان ويعلم أهل المدينة أنه يتخطى الصفوف حتى يأتي النبي ﷺ وهو ساجد فيركب ظهره فيقوم النبي ﷺ ويده على ظهر الحسن والأخرى على ركبته حتى يتم الصلاة؟ قالوا: نعم قد علمنا ذلك، ثم قال: تعلمان ويعلم أهل المدينة أن الحسن كان يسعى إلى النبي ويركب على رقبته ويدلي الحسن رجله على صدر النبي ﷺ حتى يرى بريق خلد خاليه من أقصى المسجد والنبي ﷺ يخطب ولا يزال على رقبته حتى يفرغ النبي ﷺ من خطبته والحسن على رقبته. فلما رأى الصبي على منبر أبيه غيره شق عليه ذلك، والله ما أمرته بذلك، ولا فعله عن أمري).

رأى النبي ﷺ الحسين عليه السلام فتقدم عن أصحابه وأخذه

روى أحمد في مسنده (١٧٢/٤): (عن يعلى العامري أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دعوا له قال فاستتلت رسول الله ﷺ أمام القوم وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه قال فطفق الصبي هاهنا مرة وهاهنا مرة فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه. قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه، والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه قبله، وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط). وروته عدة مصادر ووثقته أو حسنته كالترمذي (٣٢٤/٥) والحاكم (١٧٧/٣) وابن ماجه (٥١/١) وابن أبي شيبة (٥١٥/٧) والبخاري في الأدب المفرد ٨٥. ومعنى استتلت: انفرد وتقدم، يقال استتلت استتلاً: تفرد من القوم.

وفي مناقب آل أبي طالب (٢٢٧/٣): (أحاديث الليث بن سعد: أن النبي كان يصلي يوماً في فئة والحسين صغير بالقرب منه، وكان النبي إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجله وقال: حلّ حلّ، وإذا أراد رسول الله أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حلّ حلّ، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي من صلاته. فقال يهودي: يا محمد إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن، فقال النبي: أما لو كنتم تؤمنون بالله وبرسوله لرحمتم الصبيان! قال: فإني أؤمن بالله وبرسوله، فأسلم لما رأى كرمه مع عظم قدره).

وفي مناقب آل أبي طالب (٢٢٦/٣): (عبد الرحمن أبي ليل قال: كنا جلوساً عند رسول الله إذ أقبل الحسين فجعل ينزو على ظهر النبي وعلى بطنه فبال، فقال ﷺ لا ترزموا ابني، أي لا تقطعوا عليه بوله، ثم دعا بهاء فصبه على بوله. وفي سنن أبي داود: فقال لبانة: أعطني إزارك حتى أغسله قال: إنما يغسل من بول الأنثى، وينضح من بول الذكر). أي يُرش عليه الماء فيطهر.

أمر الحسن والحسين ﷺ أن يتصارعا!

في أمالي الصدوق ٥٣٠: (وأخذ النبي ﷺ الحسن، فوضعه على عاتقه الأيمن، ووضع الحسين على عاتقه الأيسر، وخرج علي عليه السلام فلحق برسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه: بأبي أنت وأمي ادفع إلي أحد شبليك أخفف عنك. فقال: إمض، فقد سمع الله كلامك، وعرف مقامك. وتلقاه آخر، فقال: بأبي أنت وأمي، ادفع إلي أحد شبليك، أخفف عنك. فقال: إمض فقد سمع الله كلامك، وعرف مقامك.

فتلقاه علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ادفع إلي أحد شبلي وشبليك حتى أخفف عنك. فالتفت النبي ﷺ إلى الحسن عليه السلام فقال: يا حسن هل تمضي إلى كتف أبيك؟ فقال له: والله يا جده، إن كتفك لأحب إلي من كتف أبي. ثم التفت إلى الحسين عليه السلام فقال: يا حسين هل تمضي إلى كتف أبيك؟ فقال له: والله يا جده، إني لأقول لك كما قال أخي الحسن، إن كتفك لأحب إلي من كتف أبي. فأقبل بهما إلى منزل فاطمة عليها السلام وقد ادخرت لهما تميرات فوضعتها بين أيديهما، فأكلا وشبعا وفرحا، فقال لهما النبي ﷺ: قوما الآن فاصطراعا، فقاما ليصطراعا، وقد خرجت فاطمة عليها السلام في بعض حاجتها، فدخلت فسمعت النبي ﷺ وهو يقول: إيه يا حسن شدد على الحسين فاصرعه. فقالت له: يا أبه وا عجباه أتشجع الكبير على الصغير! فقال لها: يا بنية، أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن، شدد على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: يا حسين، شدد على الحسن فاصرعه!

تعويذ النبي ﷺ للحسن والحسين ﷺ

كان النبي ﷺ يعوذ الحسنين عليهما السلام بدعاء. (قال عبد الله بن مسعود: قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ مر به الحسن والحسين وهما صبيان فقال: هاتوا ابني أعوذهما بها عوذ به

إبراهيم ابنه إسماعيل وإسحاق، فضمهما الى صدره وقال: أعيدكما بكلمات الله التامة، من كل عين لامة، ومن كل شيطان وهامة). (مختصر تاريخ دمشق: ٣٠/٧، والطبراني الكبير: ٧٢/١٠).

ولما نزل جبرئيل ﷺ بسورتي المعوذتين وقال له عوذ بها الحسن والحسين ﷺ فاستبدل النبي ﷺ الدعاء بالمعوذتين، وسمعه الصحابة يقول إيتوني بابني لأعوذهما كما عوذ إبراهيم بنه، فيقرأ عليهما المعوذتين، فتصور ابن مسعود أنهما عوذتان للحسين ﷺ وليستا سورتين من القرآن، ولم يكتبهما في مصحفه!

قال ابن قتيبة في مختلف الحديث/٣٠: (وسببه في تركه إثباتها في مصحفه أنه كان يرى النبي ﷺ يعوذ بها الحسن والحسين). وأحمد في مسنده (١٣٠/٥).

منع النبي ﷺ الحسن ﷺ من الأكل من مال الصدقة

في صحيح البخاري (١٣٥/٢): (أخذ الحسن بن علي ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ: كَيْفَ كَيْفَ ليطرحها! ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة). والبخاري (٣٦/٤) ومسلم (٣/ ١١٧) والبيهقي (٧/ ٢٩) وأحمد (٢/ ٢٧٩) وفيه: فأدخل النبي إصبعه فانتزعها منه ثم قال: أما علمت أن الصدقة لا تحل لآل محمد! والدارمي (١/ ٣٨٦) ومجمع الزوائد (١/ ٢٨٤) وغيرهم.

وقوله ﷺ: لا تحل لآل محمد يقصد علياً وفاطمة وذريتهما ﷺ، ولا يدخل فيهم أزواجه لأنه أخرجهن من تحت الكساء. قال الشوكاني في نيل الأوطار (٤/ ٢٤٣): «وذكر ابن المنير أنها لا تحرم الصدقة على الأزواج، قولاً واحداً».

ضاع الحسنان ﷺ فاستنفر النبي ﷺ المسلمين

في أمالي الصدوق/٥٢٨، بسنده عن الإمام الباقر ﷺ قال: (مرض النبي ﷺ المروضة التي عوفي منها، فعادته فاطمة سيدة النساء ومعها الحسن والحسين ﷺ، قد أخذت الحسن بيدها اليمنى، وأخذت الحسين بيدها اليسرى، وهما يمشيان وفاطمة بينهما حتى دخلوا منزل عائشة فقعد الحسن ﷺ على جانب رسول الله الأيمن، والحسين على جانب رسول الله الأيسر، فأقبلا يغمران ما يليهما من بدن رسول الله ﷺ، فما أفاق النبي من نومه، فقالت فاطمة للحسن والحسين: حبيبي إن جدكما قد غفا، فانصر فاساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه.

فقالا: لسنا ببارحين في وقتنا هذا. فاضطجع الحسن على عضد النبي ﷺ الأيمن، والحسين على عضده الأيسر فغفيا، وانتبها قبل أن ينتبه النبي ﷺ وقد كانت فاطمة لما ناما انصرفت إلى منزلها، فقالا لعائشة: ما فعلت أمتنا؟ قالت: لما نمتما رجعت إلى منزلها. فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها، فسطع لهما نور، فلم يزا يمشيان في ذلك النور، والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى، وهما يتماشيان ويتحدثان، حتى أتيا حديقة بني النجار، فلما بلغا الحديقة حارا فبقيا لا يعلمان أين يأخذان، فقال الحسن للحسين: إنا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه وما ندري أين نسلك، فلا عليك أن ننام في وقتنا هذا حتى نصبح. فقال له الحسين: دونك يا أخي فافعل ما ترى، فاضطجعا جميعاً، واعتنق كل واحد منهما صاحبه وناما. وانتبه النبي ﷺ من نومته التي نامها، فطلبهما في منزل فاطمة فلم يكونا فيه وافتقدهما، فقام النبي ﷺ على رجله، وهو يقول: إلهي وسيدي ومولاي، هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة، اللهم أنت وكيل عليهما، فسطع للنبي ﷺ نور، فلم يزل يمضي في ذلك النور حتى أتى حديقة بني النجار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كل واحد منهما صاحبه، وقد تقشعت السماء فوقهما كطباق، فهي تمطر كأشد مطر ما رآه الناس قط، وقد منع الله عز وجل المطر منهما في البقعة التي هما فيها نائمان، لا يمطر عليهما قطرة، وقد اكتنفتها حية لها شعرات كأجام القصب وجناحان، جناح قد غطت به الحسن، وجناح قد غطت به الحسين، فلما أن بصرهما النبي ﷺ تنحنا، فانسابت الحية وهي تقول: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أن هذين شبلا نبيك، قد حفظتهما عليه ودفعتهما إليه سالمين صحيحين! فقال لها النبي ﷺ: أيتها الحية، فمن أنت؟ قالت: أنا رسول الجن إليك. قال: وأي الجن؟ قالت: جن نصيين، نفر من بني مليح، نسينا آية من كتاب الله عز وجل فبعثوني إليك لتعلمنا ما نسينا من كتاب الله، فلما بلغت هذا الموضع سمعت منادياً ينادي: أيتها الحية، هذان شبلا رسول الله، فاحفظيهما من الآفات والعاهات ومن طوارق الليل والنهار، فقد حفظتهما وسلمتهما إليك سالمين صحيحين وأخذت الحية الآية وانصرفت.. الحديث بطوله).

ورواه العلامة الحلي في نهج الحق/٣٨٩: (من كتاب الخوارزمي، عن عبد الله بن العباس قال: كنا مع رسول الله ﷺ فإذا فاطمة عليها السلام قد أقبلت تبكي فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: يا

أبت إن الحسن والحسين قد عبأ أو ذهبا منذ اليوم وقد طلبتهما ولا أدري أين هما، وإن علياً يمشي إلى الدالية منذ خمسة أيام يسقي البستان، وإني طلبتهما في منازلكما فما أحسست لهما أثراً. وإذا أبو بكر فقال: قم يا أبابكر فاطلب قرعة عيني، ثم قال: قم يا عمر فاطلبهما، قم يا سلمان، وأباذر، ويا فلان، ويا فلان، قال: فأحصينا على رسول الله ﷺ سبعة بعثهم في طلبهما وحثهم فرجعوا ولم يصيبوهما، فاغتم النبي ﷺ غمّاً شديداً، ووقف على باب المسجد، وهو يقول: اللهم بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفيك، إن كانا قرعة عيني وثمره فؤادي أخذنا بحراً أو برّاً فاحفظهما وسلمهما. قال: فإذا جبرئيل عليه السلام قد هبط فقال: يا رسول الله، إن الله يقرؤك السلام، ويقول لك: لا تحزن ولا تغتم، الصبيان فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وهما في الجنة، وقد وكلت بهما ملكاً يحفظهما إذا ناما وإذا قاما، ففرح رسول الله ﷺ ومضى جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمسلمون حوله، حتى دخل حظيرة بني النجار فسلم على الملك الموكل بهما، ثم جثا النبي ﷺ على ركبتيه، فإذا الحسن معانق للحسين وهما نائمان، وذلك الملك قد جعل جناحه تحتهما والآخر فوقهما، وعلى كل واحد دراعة من شعر أو صوف، والمداد على شفثيهما فما زال النبي ﷺ بينهما حتى استيقظا فحمل النبي ﷺ الحسن، وحمل جبرئيل الحسين وخرج النبي ﷺ من الحظيرة.

وقال ابن عباس: وجدنا الحسن على يمين النبي ﷺ والحسين على شماله وهو يقبلهما ويقول: من أحبكما فقد أحب الله ورسوله، ومن أبغضكما فقد أبغض رسول الله، فقال أبو بكر: يا رسول الله أعطني أحدهما أحمله: فقال النبي ﷺ: نعم الحمولة، ونعم المطية تحتهما.

فلما صار إلى باب الحظيرة لقيه عمر بن الخطاب، فقال له مثل مقالة أبي بكر، فرد عليه رسول الله ﷺ مثل ما رد على أبي بكر، فرأينا الحسين متلبساً بثوب رسول الله ﷺ ووجدنا يد النبي ﷺ على رأسه فدخل النبي ﷺ المسجد، فقال: لأشرفن اليوم ابني هذين كما شرفهما الله تعالى، وقال: يا بلال، هلم على الناس، فنادى بهم، فاجتمعوا فقال النبي ﷺ لأصحابه:

معشر أصحابي، تلقوا عن نبيكم محمد ﷺ بأنه قال: ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: عليكم بالحسن والحسين، فإن جدتهما رسول الله، وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة. يا معشر الناس، هل أدلكم على خير الناس أمّاً وأباً؟ قالوا:

بلى يا رسول الله. قال: عليكم بالحسن والحسين، فإن أباهما علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو خير منهما، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ذو المنفعة والمنقبة في الإسلام، وأمهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة.

معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: عليكم بالحسن والحسين، فإن عمهما جعفر ذو الجناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب.

معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين، فإن خالهما القاسم بن محمد عليه السلام، وخالتهما زينب بنت رسول الله ﷺ.

معشر الناس، أعلمكم أن جدّهما في الجنة، وجدتهما في الجنة، وأبوهما وأمهما في الجنة، وعمهما وعمتهما في الجنة، وخالهما وخالتهما في الجنة، ومن أحب ابني هذين وأباهما وأمهما فهو معنا غداً في الجنة، ومن أبغضهما فهو في النار. وإن من كرامتهما على الله أن سماهما في التوراة: شُبراً وشبيراً).

وقد روته مصادر الخاصة والعامة عن المنصور الدوانيقي، وهو من أكمل نصوصه، رواه الحافظ ابن المغازلي في مناقب علي عليه السلام ٢٢٦، والحافظ ابن حنويه الحنفي في كتابه، بسنده عن سلمان بن الأعمش عن أبيه قال: (قال الأعمش: وجه إلي المنصور فقلت للرسول: لما يريدني أمير المؤمنين؟ قال: لا أعلم، فقلت: أبلغه أي آتية، ثم تفكرت في نفسي فقلت: ما دعاني في هذا الوقت لخير، ولكن عسى أن يسألني عن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإن أخبرته قتلتني! قال: فتطهرت ولبست أكفاني وتحنّطت ثم كتبت وصيتي، ثم صرت إليه فوجدت عنده عمرو بن عبّيد فحمدت الله تعالى على ذلك وقلت: وجدت عنده عون صدق من أهل البصرة.

فقال لي: أدن يا سليمان! فدنوت، فلما قربت منه أقبلت على عمرو بن عبّيد أسأله وفاح مني ريح الخنوط، فقال: يا سليمان ما هذه الرائحة؟ والله لتصدّقني وإلا قتلتك، فقلت: يا أمير المؤمنين أتاني رسولك في جوف الليل فقلت في نفسي: ما بعث إليّ أمير المؤمنين في هذه الساعة إلا ليسألني عن فضائل علي فإن أخبرته قتلتني، فكتبت وصيتي ولبست كفني وتحنّطت. فاستوى جالساً وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. ثم قال: أتدري يا سلمان ما اسمي؟ فقلت: يا

أمير المؤمنين دعنا الساعة من هذا. فقال: ما اسمي؟ فقلت: عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب. قال: صدقت فأخبرني بالله وقرابتي من رسول الله كم رويت من حديث علي بن أبي طالب وكم من فضيلة من جميع الفقهاء؟ قلت: شئ يسير يا أمير المؤمنين. قال: كم؟ قلت: مقدار عشرة آلاف حديث وما يزداد. قال: يا سلمان ألا أحدثك بحديث في فضائل علي يأكل كل حديث رويته عن جميع الفقهاء، فإن حلفت لا ترويها لأحد من الشيعة حدثتكم بها! قال: لا أحلف ولا أحدث بها. قال: إسمع. كنت هارباً من بني مروان وكنت أدور البلدان أتقرب إلى الناس بحب علي وفضائله، وكانوا يشرفوني ويعظموني ويكرموني حتى وردت بلاد الشام وأهل الشام كلما أصبحوا لعنوا علياً رضي الله عنه في مساجدهم، فإنهم كلهم خوارج وأصحاب معاوية، فدخلت مسجداً وفي نفسي منهم ما فيها، فأقمت الصلاة وصليت الظهر وعليّ كساء خلق، فلما سلم الإمام اتكى على الحائط وأهل المسجد حضور، وجلست فلم أر أحداً يتكلم توقراً منهم لإمامهم، فإذا أنا بصيين قد دخلا المسجد، فلما نظر إليهما الإمام قام ثم قال: أدخلا فمرحبا بكما وبمن سميتما باسمهما، والله ما سميتهما باسميهما إلا لأجل حبي لمحمد وآل محمد، فإذا أحدهما الحسن والآخر الحسين! فقلت في نفسي: قد أجيت حاجتي ولا قوة إلا بالله، وكان إلى جانبي شاب فسألته من هذا الشيخ ومن هذان الغلامان. فقال: الشيخ جدهما وليس في هذه المدينة أحد يحب علياً سواه، فلذلك سماهما الحسن والحسين، ففرحت فرحاً شديداً، فدنوت من الشيخ فقلت: هل لك في حديث أقر به عينك؟ فقال ما أحوجني إلى ذلك، وإن أقررت عيني أقررت عينك، فعند ذلك قلت: حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن رسول الله. قال لي: ومن أبوك ومن جدك؟ فعلمت أنه يريد نسبتي فقلت: أنا محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، وإنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ وإذا بفاطمة وقد أقبلت تبكي، فقال لها النبي ما يبكيك لا أبكى الله عينك. قالت: يا أبتا إن الحسن والحسين قد ذهبا منذ اليوم ولم أرد أين هما وإن علياً يمشي إلى الدالية منذ خمسة أيام يسقي البستان، وإنني قد استوحشت لهما! قال: يا أبابكر اذهب فاطلبهما ويا عمر اذهب فاطلبهما ويا فلان ويا فلان. قال: ولم يزل يوجه حتى مضوا سبعين رجلاً يعثرون في طلبهم فرجعوا ولم يصيبوهما، فاغتم النبي ثم قام ووقف على باب المسجد فقال: اللهم بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفوتك إن كانا قرّة عيني في بر أو بحر أو سهل أو جبل فاحفظهما وسلمهما على قلب فاطمة سيدة نساء العالمين! فإذا باب

من السماء قد فتح وجبرئيل قد نزل من عند رب لم يزل وقال: السلام عليك يا رسول الله، الحق يقرؤك السلام ويقول لك لا تحزن ولا تغتم، الغلامان فاضلان في الدنيا والآخرة، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وإنيهما في حديقة بني النجار، وقد وكلت بهما ملكين رحيمين يحفظانها إن قاما أو قعدا أو ناما أو استيقظا! قال: فعند ذلك فرح النبي فرحاً شديداً وقام ومضى وجبرئيل عن يمينه والمسلمون حوله، حتى دخل حظيرة بني النجار، فسلم عليه الملكان الموكلان بهما فرد عليهما السلام والحسن والحسين نيام معتنقان، وذلك الملك قد جعل جناحه تحتها والجناح الآخر فوقهما، فجثى النبي على ركبتيه وانكب عليهما يقبلهما، حتى استيقظا فرأيا جدهما فحمل النبي الحسن وحمل جبرئيل الحسين، وخرج النبي من الحظيرة، قال: وكان يقول كلما قبلهما وهما على كتفيه وكتف جبرئيل: من أحبكما فقد أحبني ومن أبغضكما فقد أبغضني! فقال أبوبكر: أعطني أحمل أحدهما يا رسول الله، قال: نعم المحمول ونعم المطية ونعم الراكبان هما، وأبوهما وأمهما خير منهما ونعم من أحبهما. فلما خرجا ومضيا وتلقاهما عمر فقال: من أحبهما قال ولم يزل النبي سائراً حتى دخلت المسجد وقال: والله لأشرفن اليوم ولدي كما شرفهما الله تعالى ثم قال يا بلال ناد في الناس.. كما في رواية الخوارزمي، وفيه: وأن من كرامتهما على الله أن سماهما في التوراة شبراً وشبيراً، فهما سبطاي وريحانتي في الدنيا والآخرة. قال المنصور: فلما سمع الشيخ ذلك مني كساني خلعتي، فبعثها بمائة دينار. ثم ذكر المنصور أن هذا الشيخ دله على أخ له فحدثه المنصور بفضائل العترة عليهم السلام فأكرمه.

قال له: أخبرني أبي عن جدي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله جلوساً بباب داره وإذا بفاطمة قد أقبلت وهي حاملة الحسن وهي تبكي بكاء شديداً فاستقبلها وقال: ما يبكيك لا أبكي الله لك عينا! ثم تناول الحسن من يدها فقالت: يا أبت إن نساء قريش يعيرنني ويقلن قد زوجك أبوك بفقر لا مال له! فقال لها النبي: يا فاطمة ما زوجتك أنا ولكن الله تعالى زوجك في السماء وشهد لك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل!

إعلمي يا فاطمة أن الله تعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختر منها أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع اطلاعة ثانية فاختر بعلك فجعله وصياً، ثم زوجك به من فوق سبع سماواته، وأمرني أن أزوجك به وأتخذه وصياً ووزيراً.

فعلي أشجعهم قلباً، وأعلم الناس علماً، وأحلم الناس حُلماً، وأحكم الناس حكماً، وأقدم بالناس إيماناً، وأسمحهم كفاً، وأحسن الناس خلقاً، يا فاطمة إني أخذ لواء الحمد ومفاتيح الجنة بيدي وأدفعها إلى علي بن أبي طالب، فيكون آدم ومن دونه تحت لوائه!

يا فاطمة إني مقيم غداً علياً على حوضي يسقي من يرد عليه من أمتي.

يا فاطمة إبنك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وكان قد سبق اسمهما في التوراة مع موسى بن عمران لكرامتها عند الله.

يا فاطمة يكسي أبوك حلة من حلل الجنة ولواء الحمد بين يدي وأمتي تحت لوائي، فأناوله علياً لكرامته على الله.

قال: وينادي مناد يا محمد نعم الجد جدك ونعم الأخ أخوك، فالجد إبراهيم والأخ علي بن أبي طالب. وإذا دعاني رب العالمين دعا علياً معي، وإذا أحياني أحيى علياً معي، وإذا شفعتني ربي شفع علياً. وإنه في المقام عوني على مفاتيح الجنة، فقومى يا فاطمة إن علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة! قال: فلما سمع الشاب هذا مني أمر لي بعشرة آلاف درهم.

ثم قال المنصور إن الشيخ حكى له على شخص كان مفرطاً في سب علي عليه السلام فحول الله وجهه إلى وجه خنزير وصار آية للناس!

ثم قال: يا سليمان سمعت في فضائل علي أعجب من هذين الحديثين؟

يا سليمان حُبُّ علي إيمان وبُغْضُهُ نفاق، لا يحبُّ علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا كافر! فقلت: يا أمير المؤمنين الأمان؟ قال: لك الأمان، قلت: فما تقول يا أمير المؤمنين في مَنْ قتل هؤلاء؟ قال: في النار لا أشكُّ، فقلت: فما تقول فيمن قتل أولادهم وأولاد أولادهم؟ قال: فَنَكَسَ رأسه ثم قال: يا سليمان المُلْكُ عَقِيمٌ، ولكن حَدَّثَ عن فضائل علي بها شئت!

قال قلت: مَنْ قتل ولده في النار! فقال عمرو بن عبيد: صدقت يا سليمان، الويل ثم الويل لمن قتل ولده! فقال المنصور: يا عمرو إشهد عليه فإنه قال في النار، فقال قد أخبرني الشيخ الصدوق يعني الحسن بن أنس أن من قتل أولاد علي لا يشم رائحة الجنة. قال: فوجدت المنصور قد غمض وجهه فخرجنا. فقال الراوي: لولا مكان عمرو ما خرج سليمان إلا مقتولاً.

ملاحظات من الحديث الشريف

١. لما ضاع الحسين عليه السلام استنفر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين لبحثوا عنه، وأطلق تضرعه ودعاه لربه عز وجل، فلما وجدته وأخاه الحسن عليه السلام وسمع مديحهما من الله تعالى، دعا للصلاة جامعة، وعرف أمته بمقامهما وإمامتهما! ثم واصل النبي صلى الله عليه وآله استنفره لبيان مقام الحسين عليه السلام كل عمره. ويقابل هذا استنفر يزيد للمسلمين ليقاتلوا الحسين عليه السلام ويقتلوه، وقد استنفروا معه وقتلوه! ولعل فيهم أبناء من استنفرهم النبي صلى الله عليه وآله للبحث عنه!
٢. قوله صلى الله عليه وآله: ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ فذكر خاله القاسم دون إبراهيم، لأنه كان أكبر سنًا، وخالته زينب وهي ربيته ويعاملها كبنته.
٣. قول فاطمة عليها السلام لأبيها: إن نساء قريش يعيرنني ويقلن قد زوجك أبوك بفقر لا مال له! ليست شكاية لزواجهما من علي عليه السلام وإنما نقلت قول نساء قريش ليرد عليهم النبي صلى الله عليه وآله، فكان رده المطلوب لها. وقد نسج النواصب على هذا الحديث أن فاطمة عليها السلام لم تكن راضية بعلي عليه السلام وأنها كانت تشكو إلى أبيها صلى الله عليه وآله وإلى الناس!
٤. عجباً للمنصور الدوانيقي الذي يسميه العباسيون ابن سلامة بالتشديد نسبة إلى أمه البصرية الفارسية الرقاصة، يروي هذه المناقب لعلي عليه السلام ويتعش بها، ثم يقول لمالك أكتب الموطأ لنفرضه على الناس ولا ترو فيه شيئاً عن علي، ولما خرج عليه الحسينيون قال: لأرغمن أنفي وأنف بني علي، ولا علين كعب تيم وعدي، وأمر بالترضي على أبي بكر وعمر في خطبة الجمعة، وما زال أمره إلى اليوم!
٥. سليمان الأعمش عالم قوي الشخصية جريئ، وهو موثق عند السنة والشيعة، كان يسكن الكوفة وأصله من شمال إيران. وروايته عن المنصور أصح من رواية الخوارزمي وأدق.

من دعاء النبي صلى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السلام

قال ابن قدامة في المغني (٥٥٣/٦): (وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة وولديها وزوجها: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).

وفي أسباب النزول للواحدى/٢٣٩: (فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً). وقد صححوا أن الآية نزلت في بيت أم سلمة فأرادت أن تدخل معهم في دائرة الكساء فقال لها: لا، ولكنك إلى خير، وجذب من يدها طرف الكساء!

قال أحمد (٣٢٣/٦): (ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، إنك حميد مجيد. قالت أم سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبته من يدي وقال إنك على خير).

وفي أمالي الصدوق/٥٧٤، عن ابن عباس: (اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي، وأكرم الناس عليّ، فأحب من أحبهم، وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس).

وفي أمالي المفيد/٧٨، عن جابر الأنصاري قال: (خرج علينا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين فقال: إن ابني هذين ريبتهما صغيرين ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله تعالى لهما ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين مطهرين زكيين فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما النار فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأمة على محبتهما فقال: يا محمد إني قضيت قضاءً وقدّرت قدراً، وإن طائفة من أمتك ستفي لك بدمتك، وطائفة سيخفرون دمتك في ولدك كاليهود والنصارى والمجوس! وإني أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك ألا أحله محل كرامتي، ولا أسكنه جنتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي).





الفصل التاسع والعشرون

اللعن في اللغة والقرآن

اللعن والبراءة عقيدة في كل الأديان

ثبت في جميع الأديان أن الله تعالى لعن أشراراً، أي حكم بطردهم من رحمته، وأمر المؤمنين به أن يلعنوا من لعنه الله: **أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**.

قال النبي ﷺ: (سنة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب: المكذب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجبروت يذل من أعز الله، ويعز من أذل الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي). رواه الجميع كالحاكم (٣٦/١ و٩٠/٤) وصححه على شرط بخاري.

وفسر المناوي في فيض القدير (١٢١/٤ و١٢٧) من استحل ظلم العترة بقوله: «يعني من فعل بأقاربي ما لا يجوز فعله، من إيذائهم أو ترك تعظيمهم، فإن اعتقد حله فكافر، وإلا فمذنب».

وروته مصادرنا، كالكاظمي (٢٩٣/٢) عن الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: خمسة لعنتهم وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والتارك لسنتي، والمكذب بقدر الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمستأثر بالفئ المستحل له».

فلعن المسلم لمن لعنه الله تعالى عقيدة وعبادة، ومع ذلك تنطع أحمد بن حنبل وأفرط، فتصور أن اللعن منقصة ينبغي للتمي أن ينتزه عنها!

فقد روى أبويعلى عن صالح ابن أحمد قال: (قلت لأبي: إن قوماً ينسبوننا إلى تولي يزيد! فقال: يا بني وهل يتولى يزيد أحديهم بالله. قلت: وهل يجوز لعنه؟ ولم لا يلعن من لعنه الله تعالى

في كتابه! فقلت: في أي آية؟ قال: في قوله تعالى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ. فهل يكون فساد أعظم من القتل! يقصد قتله الحسين عليه السلام لأنه من أرحامه.

وقال ابن تيمية في كتابه رأس الحسين/٢٠٥: (قيل للإمام أحمد: أكتب الحديث عن يزيد؟ فقال: لا ولا كرامة، أو ليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل! وقيل له: إن قوماً يقولون إنا نحب يزيد! فقال: وهل يحب يزيد أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقيل: فلماذا لا تلعه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً! أي أترفع وأنزه نفسي عن اللعن! وبذلك زايد ابن حنبل على ربه!!

أهم الملعونين في القرآن

في القرآن سبع وثلاثون آية ذكر فيها اللعن. ومن الملعونين:

- ١ - الشيطان الرجيم: وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
- ٢ - الكافرون: إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا. وغيرها.
- ٣ - الكاذبون: ثُمَّ نَبَّهَتْ فَنَجَعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ.
- ٤ - المنافقون: وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ
- ٥ - الذين في قلوبهم مرض: أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ.
- ٦ - المشركون: وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.
- ٧ - أصحاب السبت من بني إسرائيل: أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ.
- ٨ - المغضوب عليهم من بني إسرائيل: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ.
- ٩ - الذين يكتُمون البينات والهدى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.

١٠ - الناقضون لعهد الله، والقاطعون لما أمر الله به أن يوصل، والمفسدون في الأرض: وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

سوء الدار، وقال تعالى: فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ.

١١ - الظالمون من أهل النار: فَأَذَنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.

١٢ - الجاحدون بآيات الله: وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ.

١٣ - المطيعون للطاغوت: وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ.

١٤ - الأئمة المضلون: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ. وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ.

١٥ - القائلون بأن يدا الله مغلولة: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُلُّ اللَّهُ مَغْلُولَةً غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.

١٦ - العاصون المعتدون: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

١٧ - المؤمنون بالجبب والطاغوت: يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِّ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ.

١٨ - المفترون على الله كذباً: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.

١٩ - قاتل المؤمن متعمداً: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.

٢٠ - المتهمون للعفيفات بالفاحشة: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

٢١ - من يرمون أزواجهم بالفاحشة: وَالْحَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ.

٢٢ - المؤذون لله ورسوله ﷺ: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أقول: هؤلاء الملعونون في القرآن ملعونون على لسان النبي ﷺ، فهو يلعن من لعنه الله تعالى. وسيأتي قسمان آخران ملعونون على لسان النبي ﷺ هما الملعونون بعناوين من أفعالهم، والملعونون بأسمائهم وصفاتهم.

لم تفهم قريش معنى اللعن في الإسلام!

المفهوم الإسلامي للعن أنه حكم إلهي بطرد شخص شرير من رحمة الله تعالى، وهو كأى حكم لا يكون إلا بوحى الله تعالى، ولا يثبت إلا بتبليغ من النبي ﷺ، فيكون معنى قوله ﷺ: لعن الله فلاناً، أن الله أخبرني أنه صدر فيه حكم الطرد من رحمته، وها أنا أخبركم. أما إنشاء اللعن بقولك: لعن الله فلاناً، فمعناه أني ألعن من لعنه الله تعالى، فإن كان الشخص ملعوناً من الله تعالى فلعنك في محله، وإلا فهو مجرد ادعاء منك، ليس له أي أثر!

لكن قريشاً أخذوا مفهومهم للعن من ثقافتهم الوثنية وثقافة اليهود! فاللعن عندهم إنشاء، وله تأثير وضعي (أتوماتيكي) من أي شخص صدر!

وقد أصر القرشيون على ذلك وادعوا أن لعن النبي ﷺ لزعماء قريش المشركين كان عملاً من عند نفسه، وأن الله تعالى وبّخه على ذلك وأنزل عليه آية: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ! فندم النبي ﷺ على ظلمه لقريش ودعا الله أن يجعل لعنته لهم: (صلاة وقربة، وزكاة وأجرًا، وزكاة ورحمة، وكفارة له يوم القيامة، وقربة تقربه بها يوم القيامة، ومغفرة وعافية، وكذا وكذا.. وبركة ورحمة ومغفرة وصلاة.. على حدّ تعابيرهم)!

ونسبوا ذلك إلى النبي ﷺ بعشرات الروايات في صحاحهم (البخاري: ١٥٧/٧) فصار الملعونون بهذه الأدعية أربع وأفضل من غيرهم!

لكن مع هذا بقيت حساسيتهم من اللعن! فلو أن شخصاً لعن بغيراً لنفروا منه لأنه حلت فيه اللعنة وصار مشؤوماً ولم يرافقه رغم حاجتهم إليه!

وقد فعل ذلك عمر، فروى مسلم (٢٣/٨) وابن أبي شيبه (١٦٣/٦) بسند صحيح: (بينما عمر يسير في أصحابه وفي القوم رجل يسير على بغير له من القوم يضعه حيث يشاء فلا أدري بما التوى عليه فلعنه فقال عمر: من هذا اللاعن؟ قالوا: فلان، قال: تخلف عنا أنت وبغيرك، لا تصحبنا راحلة ملعونة)!

وعلى هذا بنى أتباع قريش فقههم! قال ابن رجب الحنبلي في شرح حديث لبيك ٤٧: (كان بعض السلف لا يدخل بيته بشيء ملعون، ولا يأكل من بيض دجاجة يلعنها، ولا يشرب من

لبن شاة لعنها! قال بعضهم: ما أكلت شيئاً ملعوناً قط. وذكر ابن حامد من أصحابنا عن أحمد قال: من لعن عبده فعليه أن يعتقه، أو شيئاً من ماله أن عليه أن يتصدق به! قال: ويجيء في لعن زوجته أنه يلزمه أن يطلقها).

وروى ابن سعد (٢٢٣/٧): أن أبا الجوزاء لم يلعن شيئاً قط ولم يأكل شيئاً لعن قط قال: حتى إن كان ليرشو الخادم في الشهر الدرهم والدرهمين حتى لا تلعن الطعام إذا أصابها حر التنور! وهكذا اتهموا الله تعالى بأنه عابث غير عادل، لأنه جعل مصير الناس لعبة على ألسنة كل لاعن! فما أسهل أن يلعن شخص طعامهم وشرابهم فيحرمهم منه، أو يلعن فتسكن فيها اللعنة! لقد خلطوا الإنشاء الإضائي للعن فجعلوه لعنة كالإنشاء الابتدائي! ولهم هدف سياسي من ذلك أن يكون اللعن إنشاء من اللاعن لا من الله، ليخلصوا زعماء قريش من لعن الله على لسان النبي ﷺ!

وقد بحثنا ذلك في كتاب ألف سؤال وإشكال على المخالفين: ٢ / مسألة ١٤٥

المفهوم الإسلامي للعن

المفهوم الصحيح للعن أنه قرار إلهي وحكم على صاحبه بالنار، وبأنه لا يؤمل منه الخير فهو مطرود من رحمة الله. فهو حق محصور بالله تعالى ولا يكون إلا باستحقاق، ولا يمكن لإنسان أن يلعن، وإن فعل فهو لغو! إلا أن يعطي الله حق اللعن لرسوله وآله صلى الله عليه وآله.

وإنشاء اللعن منا تصديق للنبي ﷺ والبراءة ممن لعنه الله تعالى ورسوله. وهذا معنى قول النبي ﷺ: (إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها ترددت بينهما فإن وجدت مساغاً وإلا رجعت على صاحبها). (الكافي: ٢ / ٣٦٠، وتفسير الطبري: ١٣ / ٢٧٨، ومجمع الزائد: ٨ / ٧٤، ووثقه).

وقال أهل البيت عليه السلام إن الله لا يلعن المؤمن، قال الباقر عليه السلام (ولا يلعن الله مؤمناً قال الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً). (الكافي: ٢ / ٢٧).

مكدوباتهم في أن الله نهى نبيه ﷺ عن لعن قريش!

زعموا أن النبي ﷺ كان يدعو على قريش ويلعنهم في قنوته، فجاءه جبرئيل غاضباً ووبخه! قال البيهقي (٢١٠/٢): (بيننا رسول الله ﷺ يدعو على مضر (قريش) إذ جاءه جبرئيل فأومأ إليه أن اسكت فسكت، فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك سبباً ولا لعناً! وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ، وعلمه دعاء عاماً يقوله في قنوته ليس فيه ما يمس قريش! وهو سورتا الخلع والحفد، اللتين كان يحبهما عمر، ويقرؤهما في صلاته لتكونا بدل المعوذتين!

وحقق القرشيون هدفهم فجعلوا اللعن غضباً وخطأ من النبي ﷺ!

(قال ابن خيثم: دخلت على أبي الطفيل عامر بن واثلة فوجدته طيب النفس فقلت يا أبا الطفيل أخبرني عن نفر الذين لعنهم رسول الله ﷺ قال قال: اللهم إنما أنا بشر فأيا عبد من المؤمنين دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة). (مجمع الزوائد ٢٦٧/٨).

أقول: هذا عن غضب النبي ﷺ وإيذائه للمؤمنين ولعنهم وضرهم!

أما عن غضب عمر، فقالوا إن الله أجرى الحق على لسانه وقلبه في الرضا والغضب! وإن الملائكة تحدّثه والملك ينطق على لسانه. وإن جبرئيل جاء إلى النبي ﷺ فقال له: أقرئ عمر السلام، وأعلمه أن رضاه حكم، وغضبه عز! فزعموا أنه معصومٌ حتى في الغضب، والنبي ﷺ يخطئ في الرضا والغضب.

قال المناوي في فيض القدير (٢٧٨/٢): (وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على لسانه، فكان الحق معتمله، حتى يقوم بأمر الله، ومن ثم جاء في خبر: إن غضبه عزٌّ ورضاه حكم، وذلك لأن من غلب على قلبه سلطان الحق فغضبه للحق عز للدين، ورضاه عدل لأن الحق هو عدل الله، فرضاه بالحق عدل منه على أهل ملته. ومعنى رضاه حكم: أنه إذا رضي رضي الحق).

وفي تاريخ دمشق (٧١/٤٤): (أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: أقرئ عمر السلام وأعلمه أن غضبه عز ورضاه عدل). (رواه ابن حبان في طبقات المحدثين بأصبهان: ٣٤ / ٢، وابن أبي شيبة: ٤٨٦ / ٧ و ٤٨٧، والطبراني في الأوسط: ٢٤٢ / ٦، والكبير: ٤٨ / ١٢، ومجمع الزوائد: ٦٩ / ٩، وكتر العمال: ٣٦٥ / ١٠، عن مصادر متعددة، وفي: ١٢

٥٩٦/ و٦٠٣ وج: ١١/ ٥٧٨ و٥٧٩، بروايات وفيها: إن الله عز وجل عند لسان عمر وقلبه.. إن الله جعل الحق على قلب عمر ولسانه لو لم أبعث فيكم لبعث عمر، أيد الله عز وجل عمر بملكين يوفقانه ويسددانه، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً!

فقد اتخذوا عمر نداً للنبي ﷺ بل جعلوه معصوماً دائماً لا يخطئ، والنبي ﷺ يخطئ!





الفصل الثلاثون

الملعونون على لسان النبي ﷺ في السنة

كثرة الملعونين على لسان النبي ﷺ

قال الله تعالى: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

إذا تتبعنا الذين لعنهم النبي ﷺ بعنوان عام أو خاص لوجدنا أن أكثر معاصريه ﷺ ملعونون على لسانه، لا فرق في ذلك بين الصحابة وغيرهم!

وهذا ينسجم مع رواية البخاري (٢٠٨/٧)، أن النبي ﷺ قال: (بيننا أنا قائمٌ فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)!

وقد صرحت رواية للبخاري (٩٧٥/٢)، بأن المطرودين أي الملعونين صحابة قال: يرد على الخوض رجلاً من أصحابي فيحلّون عنه فأقول يا رب أصحابي!

ولو أردنا استقصاء العناوين والأشخاص الذين لعنهم النبي ﷺ لاحتاج الأمر إلى أكثر من مئة صفحة، لكننا نقتصر على نماذج منهم لعنهم الله.

الذين جاؤوا لقتله ليلة الهجرة

قال الله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية (الخصال/٣٦٦): (وأما الثانية يا أبا اليهود فإن قريشاً لم تزل تحيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي ﷺ حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار، وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف (المغيرة بن شعبة)، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتي النبي ﷺ وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيا ففهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها، فيمضي دمه هدرًا!

فهبط جبرئيل على النبي ﷺ فأنبأه بذلك وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار، فأخبرني رسول الله ﷺ بالخبر، وأمرني أن أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه، فمضى لوجهه واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي ﷺ فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي، فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس).

أقول: روي أنهم ضربوا علياً عليه السلام وحبسوه ساعة وتركوه. والصحيح أنه قاومهم ولم يقدروا على الإمساك به، وتضاربوا وتقاتلوا. ففي أمالي الطوسي/٤٦٧: (حتى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح، هجموا على علي عليه السلام فلما بصر بهم قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب له علي فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر «يرفس كالفصيل» ويرغو رغاء الجمل، ويدعر ويصيح وهم في عرج الدار «منعطفها» من خلفه، وشد عليهم علي بسيفه فأجفلوا أمامه إجمال النعم إلى ظاهر الدار، فتبصروه فإذا هو علي فقالوا: إنك لعلي؟ قال: أنا علي. قالوا: فإننا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به).

وفي إمتاع الأسماع للمقرئزي (١٩٦/٩): (وذكر الواقدي: أن الذين كانوا ينتظرونه: أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمّية بن خلف، وابن القيتلة، وزمعة بن الأسود، والمطعم بن عدي، وأبوهب، وأبي بن خلف، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج).

وفي شرح النهج (٣٠٤/١٣): (الذين حصوا هذا الرأي واتفقوا عليه: النضر بن الحارث من بني عبدالدار، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، وزمعة بن الأسود، هؤلاء الثلاثة من بني أسد بن عبد العزى، وأبو جهل بن هشام، وأخوه الحارث، وخالد بن الوليد بن المغيرة، هؤلاء الثلاثة من بني مخزوم، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج، وعمرو بن العاص، هؤلاء الثلاثة من بني سهم، وأمّية بن خلف وأخوه أبي بن خلف، هذان من بني جمح).

وفي الإمتاع (٤١/١) والطبقات (٢٠٠/١) والطبري (٩٨/٢): (كان أشد قريش عداوة لرسول الله ﷺ جيرانه وهم: أبو جهل بن هشام بن المغيرة، وعمه أبوهب بن عبد العزى بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث بن وهب وهو ابن خال رسول الله ﷺ، والحارث بن قيس السهمي، والوليد بن المغيرة بن مخزوم، وأمّية وأبي ابنا خلف بن وهب بن كعب بن لؤي، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص، والنضر بن الحارث بن عبد مناف بن عبدالدار، ومنبه ونيبه أبناء الحجاج، وزهير بن أبي أمّية، وحذيفة بن المغيرة وهو ابن عمّة رسول الله ﷺ، والعاص بن سعيد العاص بن أمّية، وعدي بن الحمراء الخزاعي، وأبو البختري العاص بن أسد بن عبد العزى، وعقبة بن أبي معيط، وأبان بن أبي عمرو بن أمّية، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وابن الأصداء الهذلي، والحكم بن أبي العاص بن أمّية، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وطعيمة بن عدي أخو مطعم بن عدي، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، والحارث بن مالك وهو ابن الطلائطة، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي. وكان الذين تنتهي إليهم عداوة رسول الله ﷺ: أبو جهل، وأبوهب، وعقبة بن أبي معيط).

وفي البدء والتاريخ (١٦٩/٤): (فقال أبو جهل: أرى أن نجتمع من كل قبيلة منافى شبيهاً نشيطاً، ثم نعطي كل واحد منهم سيفاً صقيلاً، فيعمدون إليه ويضربونه ضربة رجل واحد ويفرقون

دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على الإقادة بجميع الناس. فتفرقوا على هذا وجمعوا من فتيان قريش أربعين شاباً وأعطوهم السيوف وأمروهم أن يغتالوا النبي ﷺ ويقتلوه).

أقول: أطمئن بأن هؤلاء الأربعين كانوا الفئة المهاجمة ليلة الهجرة، مع كبار المال من قريش، فيكون الذين حاصروا البيت عشرات، والذين هاجموا ودخلوا الدار بعض الشباب فيهم خالد بن الوليد، ففاجأهم علي عليه السلام بسيفه وأمسك بخالد الذي تقدمهم ولوى يده، فصاح كما يصيح الفصيل.

أصحاب مؤامرة العقبة في الرجوع من تبوك

في الخصال/٤٩٩: بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال: (الذين نفروا برسول الله ﷺ ناقته في منصرفه من تبوك أربعة عشر: أبو الشور، وأبو الدواهي، وأبو المعازف، وأبوه، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وأبو الأعور، والمغيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن وليد، وعمر بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وعبد الرحمن بن عوف، وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: وَهُمْ أَيْمَانُ يَنْتَلُوا). وورد أنه لعنهم مواجهة.

أصحاب عقبة هرشي

وقد جاءت تسميتهم في حديث حذيفة في الصحيفة الملعونة الثانية وعدد هم أربعة عشر رجلاً، تسعة من قريش وخمسة من ساير الناس.

قال حذيفة: (هم والله: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص، هؤلاء من قريش، وأما الخمسة الآخر فأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وأوس بن الحدثان البصري، وأبو هريرة، وأبو طلحة الأنصاري. وقد جددوا كتابة صحيفتهم في المدينة وأضافوا لها عشرين شاهداً هم: سعيد بن العاص الأموي، وأسامة بن زيد، والوليد بن أبي ربيعة، وسعيد بن زيد بن نفيل، وأبوسفيان بن حرب، وسفيان بن أمية، وأبو حذيفة بن عتبة، ومعاذ بن جبل، وبشير بن أبي سعيد الأنصاري، وسهل بن عمر، وحكيم بن حزام الأسدي، وصهيب بن سنان الرومي، والعباس بن مرداس السلمي، وأبومطيع بن أسد العبدى، وقعد ابن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة، وسعيد بن مالك، وخالد بن عرفطة، ومروان بن الحكم، والأشعث بن قيس.

قال حذيفة: حدثني أسماء بنت عيسى زوجة أبي بكر أن القوم اجتمعوا في دار أبي بكر فتوا مروا في ذلك وأسماء تسمع جميع كلامهم، فأمرها سعيد بن العاص أن يكتب على اتفاق منهم).

الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية

من الثوابت في مذهبنا أن الله لعن بني أمية، ففي مصباح المتعبد/٧٧٤: (إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة، ولعن الله آل زياد وآل مروان، ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة، ولعن الله عمر بن سعد، ولعن الله شمراً، ولعن الله أمة أسرجت وألجمت وتنقبت لقتالك).

وفي موسوعة ابن عباس (١٩٦/٤): (قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا).

فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن يعلى بن مرة والسيوطي في الدر المنثور: أن رسول الله ﷺ قال: رأيت بني أمية على منابر الأرض ويملكونكم فتجدونهم أرباب سوء. واهتم رسول الله ﷺ لذلك، فأنزل الله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا.. الآية.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن).

وفي المناقب والمثالب للقاضي النعمان/٢٣٣: (روي أن رسول الله ﷺ أشرف يوم أحد على عسكر المشركين فقال: اللهم العن القادة والأتباع، فأما الأتباع فإن الله يتوب على من يشاء منهم، وأما القادة والرؤوس فليس منهم نجيب ولا ناج. ومن القادة يومئذ أبو سفيان ومعاوية).

وهذا يدل على أنه يجب على الأمة أن تحذر من الشجرة الملعونة وأن تتحصن منهم بلعنهم قاطبة، ولا تفتح باب الإشتاء، فالطيب يستثنيه الله تعالى!

المتخلفون عن جيش أسامة

في منهاج الكرامة/١٠٠: «وقال رسول الله ﷺ» في مرض موته مرة بعد أخرى مكرراً لذلك: أنفذوا جيش أسامة! لعن الله المتخلف عن جيش أسامة! وكان الثلاثة معه».

وفي تقريب المعارف/٣١٤: «لا فرق بين خلافة ﷺ فيها أمر به من المسير مع أسامة، وبين خلافة فيما أمر به من الصلاة والزكاة والإمامة، وذلك فسق لا شبهة فيه، ودعوى خروج أبي بكر من البعث لا يفي شيئاً لثبوت الرواية به».

فقد أراد النبي ﷺ أن تفرغ المدينة من دعاة الفتنة وأرسلهم جميعاً في جيش أسامة إلى فلسطين، وفيهم سبع مئة رجل من قريش! وأمره بالتحرك ولعن من تخلف عن جيش أسامة! فافتعلوا المشاكل والأعذار حتى سوفوا الوقت وأفشلوا برنامج النبي ﷺ، وتسلبوا من معسكره عائدين إلى المدينة!

قال أمير المؤمنين عليه السلام يصف رجوعهم ليلاً: «وأما الثانية يا أخا اليهود، فإن رسول الله ﷺ أمرني في حياته على جميع أمته، وأخذ على من حضره منهم البيعة بالسمع والطاعة لأمره، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب في ذلك، فكنت المؤدي إليهم عن رسول الله ﷺ أمره إذا حضرته، والأمير على من حضرني منهم إذا فارقت، لا تختلج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي في شيء من الأمور، في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته. ثم أمر رسول الله ﷺ بتوجيه الجيش الذي وجهه مع أسامة بن زيد، عند الذي أحدث الله به من المرض الذي توفاه فيه، فلم يدع النبي أحدًا من أفناء العرب ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس، ممن يخاف عليّ نقضه ومنازعته، ولا أحدًا ممن يراني بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه، إلا وجهه في ذلك الجيش، ولا من المهاجرين والأنصار والمسلمين وغيرهم، والمؤلفة قلوبهم والمنافقين، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته، ولثلاث يقول قائل شيئاً مما أكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية والقيام بأمر رعيته من بعده. ثم كان آخر ما تكلم به في شيء من أمر أمته أن يمضي جيش أسامة ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه، وتقدم في ذلك أشد التقدم، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز، وأكد فيه أكثر التأكيد! فلم أشعر بعد أن قبض النبي ﷺ إلا برجال من بعث أسامة بن زيد وأهل عسكره، قد تركوا مراكزهم وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ فيما أنهضهم له

وأمرهم به، وتقدم إليهم من ملازمة أميرهم والسير معه تحت لوائه، حتى ينفذ لوجهه الذي أنفذه إليه، فخلفوا أميرهم مقيماً في عسكره، وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضاً إلى حل عقدة عقدها الله عز وجل لي ولرسوله ﷺ في أعناقهم فحلوها، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه، وعقدوا لأنفسهم عقداً ضجت به أصواتهم، واختصت به آراؤهم، من غير مناظرة لأحد منا بني عبد المطلب، أو مشاركة في رأي، أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتي!

فعلوا ذلك وأنا برسول الله ﷺ مشغول، وبتجهيزه عن سائر الأشياء مصدود، فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها! فكان هذا يا أبا اليهود أقرح ما ورد على قلبي، مع الذي أنا فيه من عظيم الرزية وفاجع المصيبة، وفقد من لا خلف منه إلا الله تبارك وتعالى، فصبرت عليها إذ أتت بعد أختها على تقاربها وسرعة اتصالها». (الخصال/٣٧١).

وقال الشهرستاني في الملل والنحل (٢١/١): (في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية.. فأول تنازع: وقع في مرضه عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه قال: إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي. فقال عمر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله! وكثر اللغط فقال النبي ﷺ: قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ. الخلاف الثاني: في مرضه أنه قال جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه! فقال قوم يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتد مرض النبي عليه الصلاة والسلام فلا تسع قلوبنا مفارقتة والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره).

أبوسفيان، وابناه يزيد ومعاوية

روى في الخصال/٣٩٧، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: «إن رسول الله ﷺ لعن أباسفيان في سبعة مواطن في كلهن لا يستطيع إلا أن يلعنه، أولهن: يوم لعنه الله ورسوله وهو خارج من مكة إلى المدينة مهاجراً وأبوسفيان جائي من الشام، فوقع فيه أبوسفيان يسبه ويوعده وهم أن يبطش به فصرفه الله عن رسوله. والثانية: يوم العير إذا طردها ليحرزها عن رسول الله ﷺ

فلعنه الله ورسوله. والثالثة: يوم أحد قال أبو سفيان: أعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا عزي ولا عزي لكم، فقال رسول الله ﷺ: الله مولانا ولا مولى لكم. والرابعة: يوم الخندق يوم جاء أبو سفيان في جميع قريش فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، وأنزل الله عز وجل في القرآن آيتين في سورة الأحزاب، فسمى أباسفيان وأصحابه كفاراً، ومعاوية مشرك عدو لله ولرسوله. والخامسة: يوم الحديبية والهدي معكوفاً أن يبلغ محله، وصد مشركوا قريش رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام وصدوا بُدْنَهُ أن تبلغ المنحر، فرجع رسول الله ﷺ لم يطف بالكعبة ولم يقض نسكه، فلعنه الله ورسوله. والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وعامر بن الطفيل بجمع هوازن وعيينة بن حصن بغطفان، وواعد لهم قريظة والنضير أن يأتوهم فلعن رسول الله ﷺ القادة والأتباع وقال: أما الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمناً، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا نجيب ولا ناج. والسابعة: يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة وهم اثنا عشر رجلاً من بني أمية وخمسة من سائر الناس، فلعن رسول الله ﷺ من على العقبة غير النبي ﷺ وناقته وسائقه وقائده).

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: جاء هذا الخبر هكذا. والصحيح أن أصحاب العقبة كانوا أربعة عشر « والاحتجاج: ٤٠٨/١، وشرح الأخبار: ١٦٥/٢.

أقول: ورد أن النبي ﷺ عَدَّر ثلاثة منهم لأنهم لم يسمعوا منادي النبي ﷺ ونهيه أن يسلكوا العقبة، ولم يعرفوا مقصود أصحاب المؤامرة، فيكون العدد سبعة عشر، وبدون الثلاثة أربعة عشر، وهو الصحيح. وروي تسعة عشر.

أبوالعاص وابنه الحكم وأولاده

في فتح الباري (٢١٥/١٢): (أن أصحاب رسول الله ﷺ دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبي العاص، وهو يقول اطلع علي وأنا مع زوجتي).

وقد نص النبي ﷺ على أن لعنته تشمل من كان في صلب الحكم، فقد قالت عائشة لمروان بن الحكم: (ولكن رسول الله لعن أبامروان ومروان في صلبه، فمروان فَضْضُ (قطعة) من لعنة الله عز وجل). (الحاكم: ٤٨١/٤، وصححه بشرط الشيخين، والنسائي: ٤٥٩ / ٦، وفتح الباري: ٤٤٣ / ٨، وعمدة القاري: ١٩ / ١٦٩).

وقال البخاري (٤٢/٦): (كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال: خذوه! فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي.. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري).

وقال ابن حجر في فتح الباري (٤٢/٨): (قال بعض الشراح: وقد اختصره فأفسده! والذي في رواية الإسماعيلي: فقال عبدالرحمن: سَنَّةُ هِرْقَلٍ وقيصر! فقال خذوه! فدخل بيت عائشة فلم يقدروا: أي امتنعوا من الدخول خلفه إعظماً لعائشة. وفي رواية أبي يعلى: فنزل مروان عن المنبر حتى أتى باب عائشة، فجعل يكلمها وتكلمه ثم انصرف!)

وقد اختصر ابن حجر وغيره الرواية أيضاً وأفسدوها البخاري! فهي حدث صارخ يكشف موقف أولاد أبي بكر من معاوية، وموقفه منهم! وروت كلام عائشة هذا، عامة مصادرهم!

العاص وابنه عمرو

في شرح النهج (٢٩٠/٢) من مناظرة الإمام الحسن عليه السلام لعمر: (وأما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك! وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح، وتنازع فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزاها الأهم حساباً وأخبثهم منصباً. ثم قام أبوك فقال أنا شائع محمد الأبر فأنزل الله فيه ما أنزل، وقاتلت رسول الله ﷺ في جميع المشاهد وهجوته وأذيته بمكة، وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكديباً وعداوة. ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً وأكذبك واشياً، جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسداً لما ارتكب مع حليتك ففضحك الله وفضح صاحبك، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام.

ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة، فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن!

وأما ذكرت من أمر عثمان فأنت سَعَرْتَ عليه الدنيا ناراً ثم حلت بفلسطين، فلما أتاك قتله قلت أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها! ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعث دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود، وبالله ما نصرت عثمان حياً، ولا غضبت له مقتولاً).

المغيرة بن شعبة

ورد إسم المغيرة في رواية حذيفة في الذين تأمروا لقتل النبي ﷺ في رجوعه من تبوك ليلة العقبة، ففي إرشاد القلوب للديلمى (٢٣٢/٢): (فقال حذيفة: هم والله أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومعاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص هؤلاء من قريش. وأما الخمسة فأبو موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة الثقفي وأوس بن الحدثان البصري وأبو هريرة وأبو طلحة الأنصاري).

سهيل بن عمرو العامري

في البخاري (٣٦/٥): (كان رسول الله يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحرث ابن هشام فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ...).

أقول: كلما رووا أن النبي ﷺ لعن أحداً من رؤساء قريش، قالوا نزلت بعدها آية: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ! فنزلوا الآية عشرات المرات.

وفي المنق (٤٢٣/١): (المؤلفة قلوبهم من قريش: أبوسفيان صخر بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن طليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، والحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وسعيد بن يربوع المخزومي، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحي، وسهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وحويطب بن عبد العزى بن أبي قيس العامري، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، وأبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب، والعلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة بن كلاب، أعطى رسول الله ﷺ كل واحد من هؤلاء مائة ناقة، إلا سعيد بن يربوع وحويطب بن عبد العزى فإنه أعطى كل واحد منهما خمسين ناقة).

صفوان بن أمية

في تفسير التبيان (٤٦٣/٣) أنه كان من زعماء قريش العتاة المعادين للنبي ﷺ الذين حاولوا اغتياله وهو في مكة، ثم حاولوا اغتياله وهو في المدينة.

وفي الإصابة (٣٤٩/٣): (صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن جمح قتل أبوه يوم بدر كافراً، وحكى الزبير أنه كان إليه أمر الأزد في الجاهلية. هرب يوم فتح مكة وأسلمت امرأته وهي ناجية بنت الوليد بن المغيرة قال فأحضر له بن عمه عمير بن وهب أماناً من النبي ﷺ فحضر وحضر وقعة حنين. واستعار النبي ﷺ منه سلاحاً لما خرج إلى حنين وهو القاتل يوم حنين: لئن يرُبُّني رجل من قريش أحب إلي من أن يرُبني رجل من هوازن، وأعطاه النبي من الغنائم فأكثر فقال: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي، فأسلم).

عقبة بن أبي معيط وابنه الوليد

بنو أبي معيط نسبوا أنفسهم إلى بني أمية وقريش، وقد نفاهم النبي ﷺ عن قريش لما أمر بقتل عقبة، وكان صاحب خمارة ومبغى في مكة، وكان معروفاً بإلحاده.

وابنه الوليد مثله وإن أسلم، وقد ولاه عثمان الكوفة فصل فيهم الصبح ثمان ركعات وقال: هل أزيدكم، وتقياً الخمر في محراب المسجد!

ففي صحيح مسلم (١٢٦/٥): (قال شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقياً! فقال عثمان: إنه لم يتقياً حتى شربها، فقال: يا عليُّ قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ولّ حارها من تولى قارها فكأنه وجد عليه فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعليُّ يعلد). (والأم للشافعي: ١٩٢/٧، ومجموع النووي: ١١٦/٢٠، وفتح الوهاب: ٢/٢٨٧، ومغني الشريبي: ٤/١٨٩، ومسند أحمد: ١/٨٢، و١٤٠، و١٤٥، وسنن الدارمي: ٢/١٧٥، وابن ماجه: ٢/٨٥٨، وأبي داود: ٢/٣٥٩، وسنن البيهقي: ٨/٣١٨، والسيرة الحلبية: ٢/٥٩٢، والغدير: ٨/١٢٠).

قال ابن قتيبة في المعارف (٣١٩): «كان أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فوقع على أمة للخم يهودية من أهل صفورية يقال لها ترنا، وكان لها زوج من أهل صفورية

يهودي، فولدت له ذكوان فادعاه أمية واستلحقه وكناه أبا عمرو ثم قدم به مكة، فلذلك قال النبي ﷺ لعقبه يوم أمر بقتله: ما أنت وقريش إنما أنت يهودي من أهل صفورية! لأنك في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له).

وقال ابن حبيب في المنمق/١٠٠: (ومن ثم يقال إن أمية استلحق أبا عمرو ابنه وهو ذكوان وهو رجل من أهل صفورية، فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أبان وهو أبو معيط. ويقال استلحق ذكوان أيضاً أبان).

قال ابن عقيل في النزاع والتخاصم/١٤: (وبنو أمية لهم أكبر سابقة في التهتك والفسوق والوقاحة، فقد نافر أمية هاشماً فنفره هاشم، فخرج أمية إلى الشام وأقام بها عشر سنين، وكان مضعوفاً وصاحب عهار، وقد صنع أمية شيئاً لم يصنعه أحد من أهل الجاهلية، فقد نزل لابنه أبي عمرو في حياته عن زوجته وزوجه بها فبنى بها أبو عمرو أمام أبيه، وكان المقيتون في الجاهلية الذين يتزوجون نساء آبائهم بعد موتهم، أما من يتزوج زوجة أبيه وهو حي على مرأى منه، فهذا لم يكن قط قبل أمية). راجع: الطبقات: ١/ ٧٥، والمنمق/ ٩٧، والطبري: ١/ ٣٧١ / ٢ / ١٣، وكامل ابن الأثير: ٢/ ١٦، والنزاع والتخاصم / ٤٩، وإمتاع الأسماع: ١٠/ ٦، وسبل الهدى: ١/ ٢٧١، والسيرة الحلبية: ١/ ٧، والمنمق: ٢/ ٢١٢، وأعلام النبوة / ٢٥١ ومعجم ما استعجم: ٣ / ٨٣٧، والعدد القوية/ ١٤٠.

أمية بن خلف

في أمالي الطوسي/٢٠: (قال: حدثني سعيد بن مينا، عن غير واحد من أصحابه: أن نفرا من قريش اعترضوا لرسول الله ﷺ منهم عتبة بن ربيعة، وأمие بن خلف، والوليد بن المغيرة، والعاص بن سعيد، فقالوا: يا محمد، هلم فلتعبد ما نعبد فنعبد ما تعبد فنشرك نحن وأنت في الأمر، فإن يكن الذي نحن عليه الحق فقد أخذت بحظك منه، وإن يكن الذي أنت عليه الحق فقد أخذنا بحظنا منه، فأنزل الله: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ. ثم مشى أي بن خلف بعظم رميم ففته في يده ثم نفخه، وقال: أتزعمن أن ربك يحيي هذا بعد ما ترى؟ فأنزل الله: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الشَّجَرَةَ الْأَخْضَرَ نَارًا فَاذَا أَنْتُمْ مِنْهُ نُوقِدُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا

أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).
أقول: كان أمية ثم ابنه صفوان نشيطين في عداة النبي ﷺ وقد قتل أمية بن خلف بيد كافرًا،
قتله عمار بن ياسر رضي الله عنه. أما ابنه صفوان فقد أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين الكثير،
وقالوا إنه أسلم بسبب سخاء النبي ﷺ، وكان من شهود الصحيفة الثانية لعزل بني هاشم.

الوليد بن المغيرة وابنه خالد بن الوليد

الوليد بن المغيرة رئيس بني مخزوم، وأشد المشركين على النبي ﷺ وفيه نزل قوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَدْتُ لَهُ نَمِيمًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا. إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ. لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ. لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ. عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ.

و هو العُتْلُ الزَّئِيمُ، الذي لم يتسع له حلم الله العظيم، فصرح بأنه ابن زنا، وأنزل فيه: وَلَا تُطْعَمْ كُلَّ خَلَافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ. مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ. أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. وقد اتفق المفسرون على نزولها في الوليد.

ففي تفسير الجلالين/٧٥٨: «دعي في قريش وهو الوليد بن المغيرة. ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة». وابن إسحاق (١٤٠/٢)، والقرطبي (٧١/١٩) وغيرها.

وهو أول المستهزين الذين قتلهم الله في السنة الثالثة من بعثة النبي ﷺ. فقد نزلت آيات: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، عند هلاكه ورفقائه، بعد ثلاث سنين من البعثة. «مر بنبل لرجل من بني خزاعة قد رآه في الطريق فأصابته شظية منه فانقطع أكحله حتى أدماه فمات وهو يقول: قتلني رب محمد!» (الخصال/٢٧٩)، فاعترف بأن الله قتله، ومع ذلك أوصى بأخذ الدية من صاحب السهام! وقال فيه أبو طالب رضي الله عنه:

«رجال تمالؤا حاسدين وبغضة لأهل العلى فينهم أبداً وتر

وليّد أبوه كان عبداً لجدنا إلى علجة زرقاء جاش بها البحر

وتيمٌ ومخزومٌ وزهرةٌ منهم وكانوا لنا مولىً إذا ابتغى النصر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم وكانوا كجفر بئسما صنعت جفر».

(ابن هشام: ١/ ١٧٣ وابن إسحاق: ٢/ ١٣٣).

ومعناه أن أبا الوليد وضعته رومية من خدمة السفية في جدة، فاشتره هاشم.
أما خالد بن الوليد فقد استوفينا أخباره وكشفنا حقيقته، في كتاب قراءة جديدة في حروب الردة،
وقراءة جديدة في الفتوحات، وأثبتنا أنه لم يبرز لفارس أبداً وأن البطولات المنسوبة إليه مكذوبة،
وأنه هرب في مؤتة، وهرب في حرب اليمامة مرات! وإنما عظمه رواية الخلافة وأهلها لأنه ابن
زعيم قرشي هو الوليد بن المغيرة، وكان خالد يفتخر بأبيه! قال الطبري (٢/ ٥١٣): «ثم برز خالد
حتى إذا كان أمام الصف دعا إلى البراز وانتمى، وقال:

أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد
أنا ابن أشياخ وسيفي السخف أعظم شئ حين يأتبك التفت

والنفت: ما يلصق بالقدر من المرق، أي العبرة بآخر القدر. (العين: ٨/ ١٢٧).

والرجل العود: العالم بالأمر الذي لا يجهل مقامه. (لسان العرب: ٣/ ٣١٥).

فاعجب لقائد المسلمين يفتخر بأبيه الذي أنزل الله ذمه في القرآن، ووصفه بما وصفه! فلو كان
في قلبه إيمان لما افتخر به.

ونشأ خالد على يد أبيه الوليد في العداء للنبي ﷺ وكان بارزاً بين إخوته، وكان أحد الذين
انتدبتهم قريش لقتل النبي ﷺ ليلة الهجرة، وتقدم أن علياً عليه السلام وثب به فختله وهمز يده، فجعل
خالد يقمص قماص البكر.

وشارك خالد وإخوته مع المشركين في بدر فقتل أخوه أبوقيس، وأسر أخوه الوليد بن الوليد،
ونجا خالد. (شرح النهج: ١٤/ ٢٠٣). وكان من قادة المشركين في أحد، وكان سبباً في هزيمة المسلمين
بعد انتصارهم، فقد اغتنم قادة الخيل عكرمة وضرار وخالد انشغال المسلمين بالغنائم،
وفتحوا الطريق للمشركين فهاجموهم من خلفهم.

وكان خالد ينظر في ميزان القوى، وبعد انهزام الأحزاب أمام النبي ﷺ رأى أن ميزان القوة تحول إلى جانب النبي ﷺ فجاء إلى المدينة هو وعمر بن العاص في السنة الثامنة، وأسلموا. وبعد فتح مكة شارك مع قريش إلى جانب النبي ﷺ في حرب حنين، لكنه كان في أول المنهزمين بخيله من بني سليم.

وبعد فتح الطائف أخذ خالد يستوفي ربا أبيه من ثقيف فمنعه النبي ﷺ (المنق/٢٠٣) ثم عاد خالد يستوفي فشكوه إلى النبي ﷺ فنزلت الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. (عمدة القاري: ٢٠١/١١).

ثم زعم خالد أنه أسلم قبل خيبر وأنه شارك فيها، فصدقه رواية السلطة، قال خالد (مسند أحمد ٨٩/٤): «غزوت مع رسول الله غزوة خيبر، فأسع الناس في حظائر يهود فقال: يا خالد ناد في الناس أن الصلاة جامعة!» لكن علماءهم استحووا من كذبه الصريح فردوا قوله وقالوا أسلم سنة ثمان! وكانت خيبر سنة سبع! (عمدة القاري: ١٧/٢٤٨. والإستيعاب: ٢/٤٢٧، ومجمع الزوائد: ٩/٣٥١، وتهذيب التهذيب: ٣/١٠٧، وابن تيمية في فتاويه: ٤/٣٩٧).

الأسود بن المطلب، وابنه هبار

روينا وروى الذهبي في تاريخه (٢٢٤/١) وصححه قال: «المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وأبوزمعة الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، والحارث بن عيطل السهمي، والعاص بن وائل. فأتاه جبريل فشكاهم النبي ﷺ إليه فأراه الوليد وأوماً جبريل إلى أبجله (شربانه) فقال: ما صنعت؟ قال: كُفيت. ثم أراه الأسود، فأوماً جبريل إلى عينيه فقال: ما صنعت؟ قال: كُفيت. ثم أراه أبازمعة فأوماً إلى رأسه فقال: ما صنعت؟ قال: كُفيت. ثم أراه الحارث فأوماً إلى رأسه أو بطنه وقال: كُفيت. فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبالاً فأصاب أبجله فقطعها. وأما الأسود فعمي. وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خروءه من فيه فمات. وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت فمات).

وأما هبار بن الأسود فقد اشتهر بأنه رَوَّع زينب ربيبة النبي ﷺ لما هاجرت، فأسقطت حملها!

قال في شرح النهج (١٩٢/١٤): (قال محمد بن إسحاق: قدم لها كنانة بن الربيع بغيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته، وخرج بها نهاراً يقود بغيرها وهي في هودج لها، وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء، وتلاومت في ذلك وأشفقت أن تخرج ابنه محمد من بينهم على تلك الحال، فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن أسد بن عبد العزى، ونافع بن عبد القيس الفهري، فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً فلما رجعت طرحت ما في بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج، فلذلك أباح رسول الله ﷺ يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود.

قلت: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله فقال إذا كان رسول الله ﷺ أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة رضي الله عنها حتى ألقت ذا بطنها. فقلت أروي عنك ما يقوله قوم إن فاطمة رُوعت فألقت المحسن؟ فقال لا تروه عني ولا ترو عني بطلانه).

قال البلاذري (٣٥٧/١): (وأما هبار بن الأسود، فكان ممن عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين حملت من مكة إلى المدينة، فكان رسول الله يأمر سراياه إن لقوه أن يقتلوه فلما كان يوم الفتح هرب. ويقال أتاه وهو بالجعرانة حين فرغ من أمر المشركين بحنين فمثل بين يديه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقبل إسلامه وأمر أن لا يُعرض له! قال الزبير بن العوام: لقد رأيت رسول الله ﷺ بعد غلظته على هبار يطأطئ رأسه استحياء منه، وهو يعتذر إليه).

وقال ابن حجر في فتح الباري (٥٢/٤): (ومن النفر الذين كان أهدر دمهم النبي ﷺ قبل الفتح غير من تقدم ذكره هبار بن الأسود وعكرمة بن أبي جهل وكعب بن زهير ووحشي بن حرب وأسيد بن أبياس ابن أبي زنيم، وقيتنا ابن خطل، وهند بنت عتبة).

وفي شرح النهج (٢٧٥/١٧): (قال الواقدي: ونهى رسول الله ﷺ عن الحرب وأمر بقتل ستة رجال وأربع نسوة: عكرمة بن أبي جهل، وهبار بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صبابه الليثي، والحويرث بن نفيل، وعبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي، وهند بنت عتبة وسارة مولاه لبني هاشم، وقيتتين لابن خطل يقال: قُرينا وأرنب).

عبد الله بن خطل وقينناه

في سيرة ابن هشام (٤/٨٦٨): (قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خطل، رجل من بنى تيم بن غالب، وإنما أمر بقتله أنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصداً معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً. وكانت له قيتان: فرتنى وصاحبتها وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر رسول الله بقتلهما معه).

وفي شرح النهج (١٧/٢٧٥): (قال الواقدي: وأقبل ابن خطل مدججاً في الحديد على فرس ذنوب بيده قناة يقول: لا والله لا يدخلها عنوة حتى يرى ضرباً كأفواه المزداد، فلما انتهى إلى الخندفة ورأى القتال دخله رعب حتى ما يستمسك من الرعدة، ومر هارباً حتى انتهى إلى الكعبة).

وفي قرب الإسناد للحميري القمي (١٣٠/١): (ثم أمر رسول الله ﷺ بقتل عبد الله بن أبي سرح وإن وجد في جوف البيت، وبقتل عبد الله بن خطل، وقتل مقيس بن صبابه، وبقتل فرتنى وأم سارة. قال: وكانتا قيتين تزنيان، وتغنيان بهجاء النبي ﷺ وتحضضان يوم أحد على رسول الله ﷺ) قال الطبري (٢/٣٣٦): (وأما قيتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد فآمنها. وأما سارة فاستؤمن لها فآمنها).

عكرمة بن أبي لهب

قال البلاذري (١/٣٥٧): (فأما عكرمة فإنه هرب وأسلمت امرأته أم حكيم فقالت: يا رسول الله زوجي هرب خوفاً منك فقال: هو آمن. فخرجت في طلبه، وأدركت عكرمة في ساحل من السواحل، قد ركب البحر، وقالت له امرأته: جئتُك، يا ابن عم، من عند أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم، قد أمنتك وعفا عنك! فرجع، ثم لما قدم على رسول الله ﷺ وقف بين يديه فأظهر السرور به وأسلم وسأل النبي ﷺ أن يستغفر له فاستغفر له).

وقال: والله لأجتهدن في جهاد أعداء الله، وجعل على نفسه أن يحصى كل نفقة أنفقها في الشرك فينفق مثلها في نصر الإسلام).

سعد بن أبي سرح

قال البلاذري (٣٥٨/١): (وأما عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فإنه أسلم وكان يكتب بين يدي رسول الله ﷺ فيملئ عليه الكافرين، فيجعلها الظالمين، ويملى عليه عزيز حكيم فيجعلها عليم حكيم، وأشبهه هذا، فقال: أنا أقول كما يقول محمد وآتي بمثل ما يأتي به محمد. فأنزل الله فيه وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ. وهرب إلى مكة مرتدًا فأمر رسول الله ﷺ بقتله وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاع. ولما جاء إلى النبي ﷺ عفا عنه، قال: أما كان فيكم من يقوم إلى هذا الكلب قبل أن أوثمه فيقتله؟ فقالوا: لو أومأت إلينا قتلناه. فقال: إن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين. وولاه عثمان مصر، ثم تحوّل إلى فلسطين فمات بها).

عتبة بن أبي وقاص

قال ابن هشام (٥٩٧/٣): (قال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ. فذُتَّ بالحجارة حتى وقع لشقه، فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكُلمت شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم)!

وروى ابن هشام (٥٩٨/٣): (عن أبي سعيد الخدري: أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبدالله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ).

وقال الطبري (٢٠١/٢): (حدثنا أسباط عن السدي قال: أتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا

عليها وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى عباد الله إليَّ عباد الله، وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي ﷺ فقال بل أنا أقتله فقال: يا كذاب أين تفر، فحمل عليه فطعنه النبي ﷺ في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً، فوقع يخر خوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزئك؟ قال أليس قال لأقتلنك! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلهم، فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح).

وقال الطبري (٢١٠/٢): (وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل! فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فأخذ لنا أمانة من أبي سفيان! يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوكم فيقتلوكم)!

أقول: قول أصحاب الصخرة كفر صريح، لكن القائلين شخصيات قرشية، ولذا سيبقى إسم القائل مكتوماً عن الأجيال، حتى يكشف الإمام المهدي ﷺ الحقائق!

كما ندكر هنا بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عليه، فقد كان من حواربي أمير المؤمنين ﷺ وكان بطلاً في حروبه، وقائد جيشه في صفين، وقد استشهد في صفين ببسالة رضوان الله عليه. وسبحان من يخرج الحي من الميت!

عبد الله بن شهاب الزهري

قال السيد شرف الدين في الفصول المهمة / ١١٨: « لما اشتد البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين، أرهف المشركون لقتل رسول الله غرار عزمهم، وأرصدوا لذلك جميع أهبيهم، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك، كانوا كالفدائية في هذا السبيل وهم: عبد الله بن شهاب الزهري، وعتبة بن أبي وقاص وابن قميئة الليثي أبي بن خلف، وعبد الله بن حميد الأسدي القرشي لعنهم الله وأخزاهم، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة، وأما عتبة فرماه - تبّت يده - بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشق شفته، وأما ابن قميئة قاتله الله فكلّم وجنته ودخل من خلف المغفر فيها، وعلاه بالسيف - سُلت يده - فلم يطق أن يقطع فسقط ﷺ إلى الأرض.

وأما أبي بن خلف فشده عليه بحرته فأخذها رسول الله ﷺ منه وقتله بها، وأما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الأنصاري شكر الله سعيه وأعلى في الجنان مقامه، فإنه ممن أبلى يومئذ بلاء

حسناً. ثم حمل ابن قمئة على مصعب بن عمير وهو يظنه رسول الله ﷺ فقتله، ورجع إلى قريش يشرهم بقتل محمد، فجعل الناس يقولون: قتل محمد، قتل محمد! فانخلعت قلوب المسلمين جزعاً وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً، وأوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين، لا يرتابون في قتل رسول الله ﷺ وقد سقط في أيديهم!

وفي المناقب آل أبي طالب (١/١٦٦): «ورسول الله يدعوهم في أحوالهم: يا أيها الناس إني رسول الله إن الله قد وعدني بالنصر، فأين الفرار! وكان النبي ﷺ يرمي ويقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فرماه ابن قمئة بقذافة فأصاب كفه، ورماه عبدالله بن شهاب بقذافة فأصاب مرفقه، وضربه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد على وجهه، فشج رأسه فنزل عن فرسه، ونهبه ابن قمئة، وقد ضربه على جنبه!»

وروى ابن هشام (٣/٥٩٧) نحو ما تقدم، وذكر أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيده). وبعضه مناقب آل أبي طالب: ١/٩٦، و١٠٢، و١١٧، والخرائج: ٦٢.

أقول: عبدالله بن شهاب هذا، هو جد الزهري المعروف الذي جعلوه إماماً في الحديث، واسمه محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب. وكان الزهري ناصباً يبغض أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ذلك كان يقدس حفيده الإمام زين العابدين عليه السلام!

قال في شرح النهج (٤/١٠٢) ونحوه الغارات (٢/٥٧٧): (وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السلام روى جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن شيبه قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً فنالا منه! فبلغ ذلك علي بن الحسين فجاء حتى وقف عليهما فقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أيبك! وأما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأريتك كير أيبك!).

والكير: منفخ الحداد، أي كان أبوك قيناً ولم يكن من بني زهرة ولا قريش، لأنهم لا يعملون في الحدادة، أو لم يكن عربياً، وقد يكون يهودياً.

ومن وقاحة الزهري أن تقديسه للإمام ﷺ لم يمنعه من الطعن في جده أمير المؤمنين ﷺ! فكان يروي هو وعروة أن النبي ﷺ قال: من أراد أن ينظر إلى رجلين من أهل النار فلي نظر إلى هذين الآتين، فجاء علي والعباس! وكان عروة يروي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: زينب خير بناتي، تنتقص من فاطمة ﷺ. فرد عليه الإمام ﷺ رداً قاصماً، فاعتذر عروة بأن خالته عائشة قالت ذلك قبل أن ينزل قوله تعالى: أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ.

ومعناه أن زينب ربيبة وليست بنت النبي ﷺ، وقد روى ذلك الحاكم في المستدرک (٢٠٠/٢)، وصححه بشرط الشيخين عن عروة عن عائشة أنها قالت: « فكان رسول الله ﷺ يقول: هي أفضل بناتي أصيبت فيَّ. فبلغ ذلك علي بن الحسين فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك تحدّثه تنتقص فيه حق فاطمة؟! فقال: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها! وأما بعد فلك أن لا أحدث به أبداً! قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية: أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ).

ولما رأى الإمام زين العابدين ﷺ أن الزهري أوغل في نصرة بني أمية، كتب له رسالة، جاء فيها: واعلم أن أدنى ما كتمت، وأخف ما احتملت أن أنست وحشة الظالم، وسهلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دعيته! فما أخوفني أن تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك، ودنوت ممن لم يردّ على أحد حقاً، وأحببت من حاد الله!

أوليس بدعائهم إياك حين دعوك جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً إلى ضلالتهم، وداعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجاهل إليهم. فلم يبلغ أخص زرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم.

فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمروا لك في كنف ما خربوا عليك؟ فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول. وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً؟

تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد. ولا تحسب أي أردت

توييخك وتعنيفك وتعيرك، لكني أردت أن ينعش الله ما فات من رأيك، ويرد إليك ما عذب من دينك. فالله لنا ولك، وهو المستعان.

الحارث بن هشام بن المغيرة

كان الحارث المخزومي أحد رؤساء قريش الناشطين لقتل النبي ﷺ فلما فتح النبي ﷺ مكة أمر بقتل عدد من الأشرار، وأرسل علياً عليه السلام لذلك.

قال المفيد في الإرشاد (١٣٨/١): (وبلغه عليه السلام أن أخته أم هاني قد آوت ناساً من بني مخزوم منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصده نحو دارها مقنعاً بالحديد فنادى: أخرجوا من آوitem. قال: فجعلوا يذرقون والله كما تذرق الحبارى خوفاً منه. فخرجت أم هاني وهي لا تعرفه فقالت: يا عبدالله، أنا أم هاني بنت عم رسول الله وأخت علي بن أبي طالب إنصرف عن داري. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخرجوهم. فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ، فنزع المغفر عن رأسه فعرفته، فجاءت تشدد حتى التزمته وقالت فديتك، حلفت لأشكونك إلى رسول الله ﷺ فقال لها: إذهبي فبري قسمك فإنه بأعلى الوادي. قالت أم هاني: فجئت إلى النبي ﷺ وهو في قبة يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره، فلما سمع رسول الله ﷺ كلامي قال: مرحباً بك يا أم هاني وأهلاً. قلت: بأبي أنت وأمي أشكو إليك ما لقيت من علي اليوم. فقال رسول الله ﷺ: قد أجرت من أجرت. فقالت فاطمة عليها السلام: إنما جئت يا أم هاني تشتكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله! فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله لعلي سعيه وأجرت من أجارت أم هاني لمكانها من علي).

النضر بن الحارث العبدي

قال ابن هشام (١٩٥/١): (وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إليّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس

ورستم واسبنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني! قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأُنزل مثلاً أنزل الله. قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن. فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالوا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول: ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟

فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي حتى قدما مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.. الخ.)



أقول: الملعونون على لسان النبي ﷺ كثيرون لا يتسع المجال لاستقصائهم.

فمنهم أبو القين الأسلمي، وابن قميئة، وابن النعيان، وما عزم بن مالك، ومسطح بن أثانة، وأربد بن قيس، وعامر بن الطفيل، وأم حكيم، وسفيان بن خالد بن نبيح، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وسراق بن مالك، ومن أفشت سر النبي ﷺ، وأبورافع اليهودي، وكعب بن الأشرف، وعبد الله بن سلول، وذو الثدية، والراشي والمرثشي، وشارب الخمر، والسارق، وآكل الربا، والمختشون والمترجلات، ومن ظلم أهل المدينة أو أخافهم، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، وعشائر قريش عدا بني هاشم، والغادرون بأصحابه من عكل وعرينة، ورعل

وذكوان وعصية ولحيان، والذين يؤذون النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، ومن أغضب فاطمة عليها السلام أو آذاها، وقتلة الحسين عليها السلام والعتر الطاهرة.

ومن آذى علياً عليها السلام أو غصب حقه، ومن ظلم أهل بيته عليها السلام أو آذاهم، أو تخلف عن نصرتهم، والمتخلفون عن القتال، والفارون من الزحف، ومن ولي على المسلمين رجلاً وفيهم أعلم منه، والناكثون والقاسطون والمارقون، الذين أمر علياً عليها السلام بحربهم، ومن سب والديه، أو ادعى لغير أبيه، أو تولى غير مواليه، أي أهل البيت عليها السلام.





الفصل الحادي والثلاثون

حكم الأمة بعد نبيها ﷺ طليق وعتيق وملعون ومأبون!

سياسة الإسلام العجيبة مع قريش وثقيف!

لا نعرف في التاريخ قبائل أفرطت في عدائها للأنبياء ﷺ كبطون قريش مع النبي ﷺ وعشيرته بني هاشم! وقد وثقنا ذلك بمواقفهم وأعمالهم الكيدية الخبيثة والوضيعة ضد النبي ﷺ في بحث: صراع قريش مع النبي ﷺ.

وقد قاوم النبي ﷺ قريشاً حتى هاجر من مكة ثم عاد إليها في السنة الثامنة فاتحاً، فأخضعهم وعفا عنهم وقبل إسلامهم وسماهم: الطلقاء.

ثم فتح لهم أبواب دولته! وفي نفس الوقت أعلن أنهم وأولادهم وذرياتهم خارجون عن أمته إلى يوم القيامة!

ثم حكم ﷺ على ثقيف حكماً مشابهاً لحكمه على قريش، وثقيف من قبائل هوازن النجدية، سكنت الطائف فصارت حضرية، وكانت حليفة لقريش وشريكتها في عدائها للنبي ﷺ.

وقد تحالفت مع هوازن في حربها للنبي ﷺ وانهزمت معها في حنين، ثم انهزمت بيد علي ﷺ في وِجٍّ، وبعد هزيمتهم طلبوا أن يعفيهم من الصلاة لأنها دناءة معيبة! فلم يقبل منهم وهددهم بعلي ﷺ!

وقد حاصرهم النبي ﷺ بعد حنين فتحصنوا وتركهم وظلوا على شركهم فحرك عليهم النبي ﷺ القبائل المحيطة بهم التي أسلمت، ومنها بعض قبائل هوازن ليضغطوا عليهم!

حكم الأمة بعد نبينا ﷺ طليق وعتيق وملعون ومأبون! ٣٥٧

وأخيراً جاء وفد ثقيف إلى النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك فقبل إسلامهم وسماهم العتقاء لا الطلقاء (ابن هشام: ٩٣٦/٤) وحكم عليهم بحكم قريش بأنهم وذرياتهم إلى يوم القيامة ليسوا من أمته الإسلامية! فقال ﷺ: «المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، واللقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة».

وقد روته مصادرهم بأسانيد عديدة فيها الصحيح على شرط الشيخين كمسند أحمد: ٣٦٣/٤ بروايتين، ومجمع الزوائد: ١٥/١٠، بروايات، وقال في بعضها: رواه أحمد والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح، وقد جوده فإنه رواه عن الأعمش وأبويعلی: ٤٤٦/٨، وابن حبان: ٢٥٠/١٦، والطبراني الكبير: ٣٠٩/٢، و٣١٣، و٢١٤، و٣١٦، و٣٤٣، و٣٤٧، و: ١٨٧/١٠، وموارد الضمآن: ٢٧١/٧، والدر المنثور: ٢٠٦/٣، وفتح القدير: ٣٣٠/٢، وعلل الدارقطني: ١٠٢/٥، والسماعي: ١٥٢/٤، وتاريخ بغداد: ٤٦/١٣، وتعجيل المنفعة/٤١٤، ومن مصادرها: أمالي الطوسي/٢٦٨.

وهو حكمٌ شديد وضربة قاصمة للقاء قريش وعتقاء ثقيف! حيث أخرجهم من أمته وألحقهم بها إلحاقاً، والعجيب أنه حكم شامل لمن وجد منهم في ذلك العصر، ومن يولد من ذرياتهم إلى يوم القيامة!

لكن دولة الخلافة وهي دولة اللقاء ادعت لأنفسها ولثقيف الصحبة والفضائل والخلافة، بينما هم لا يستطيعون إدخالهم في أمة الإسلام!

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: «وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم تلحقك ثلثته! وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟ وما لللقاء وأبناء اللقاء والتميز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حَنَّ قَدْحٌ ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا ترعب أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك؟ وتتأخر حيث أخرجك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر! وإنك لذهَّاب في التيه رَوَّاع عن القصد». «نهج البلاغة: ٣٠/٣ الإحتجاج: ٢٥٩/١، ابن الأعمش: ٥٦٠/٢».

وقال صعصعة لمعاوية: «أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكرأ؟! وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ! فأنى تصلح الخلافة لطلق!» «مروج الذهب/٦٩٤».

وقال ابن عباس لأبي موسى الأشعري: «ليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة! واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعه». «شرح النهج: ٢/٢٤٦».

وكتب ابن عباس إلى معاوية: «وإن الخلافة لا تصلح إلا لمن كان في الشورى، فما أنت والخلافة؟ وأنت طليق الإسلام، وابن رأس الأحزاب، وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر». «الإمامة والسياسة: ١٠٠/١، وراجع جواهر التاريخ: ٢/٩٤».

وقد أفتى عمر نظرياً بأن حكم الأمة محرم على الطلقاء! وقال كما في الطبقات: ٣/٣٤٢: «هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطلق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء». ورواه في تاريخ دمشق: ١٤٥/٥٩، وأسد الغابة: ٤/٣٨٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١٣، والغدير: ٧/١٤٤، و١٠/٣٠، ونفحات الأزهار: ٥/٣٥٠.

فاعجب لهذا الأمر! واعجب لأن أكثر حكام أمة النبي ﷺ ليسوا من أمته بنصه!

من الغرائب أن أمتنا يحكمها الملعونون على لسان نبيها ﷺ!

تميزت أمتنا سلبياً بأن الحكم فيها كان بالقوة والسيوف، ولم يكن بالشورى إلا خلافة علي عليه السلام. وأن كل من حكمها بعد النبي ﷺ غير أهل البيت عليه السلام لا أهلية لهم للحكم لأنهم ما بين طليق، وعتيق، وملعون، ومأبون!

فكل خلفائنا وحكامنا والحمد لله لا يصلحون شرعاً للحكم، لأنهم بحكم الشريعة محرومون من الحقوق المدنية، خاصة الملعونين، أي مرتكبي الذنوب الكبيرة الذين استحقوا الطرد من رحمة الله تعالى إلى آخر عمرهم!



لذلك صاح مخرج أفلام مصري!

هو السيناريست الكبير أسامة أنور عكاشة، فكتب مقالاً أثار ضجة في وقتها، بعنوان: أبناء الزنا كيف صاروا أمراء المسلمين! ووصل الأمر إلى أن أصدر الأزهر بياناً، يرفض فيه ما جاء في مقال عكاشة، إلا أنه رفض التراجع عما كتبه، مؤكداً أن رأيه لا يعني كفره بها هو

معلوم في الدين. فقد كتب تحت هذا العنوان: إنه ليس من الصدفة أن يبدأ الصراع في الجاهلية بين أولي الشرف من العرب كبنى هاشم ومخزوم وزهره وغيرهم، وبين من اشتهر بالعهر والزنا مثل بني عبد شمس وسلول وهذيل، والذي امتد هذا الصراع إلى ما بعد دخول كل العرب في الإسلام. ولم تكن من قبيل الصدفة أن أغلب من التحق بالركب الأموي كانوا ممن لهم سوابق بالزنا والبغاء، فهذه المهنة تورث الكراهية والحقد لكل من يتحلّى بالعفة والطهارة، إضافة إلى أنها لا تبقي للحياة سبيلاً وهي تذهب العفة وتفتح طريق الغدر والإثم والعهر. لنرى بعض ما أنجب البغاء:

١ - حمّامة أم أبي سفيان وهي زوجة حرب بن أمية بن عبد شمس، وهي جدة معاوية، كانت بغياً صاحبة راية في الجاهلية! والرايه علمٌ نضعه العاهرة على دارها دلالة على البغاء، يعني مثل الملهى بتسمية وقتنا الحالي.

٢ - الزرقاء بنت وهب، وهي من البغايا وذوات الأعلام أيام الجاهلية، وتلقب بالزرقاء، لشدة سوادها المائل للزرقة وكانت أقل البغايا أجرة، ويعرف بنوها بنو الزرقاء، وهي زوجة أبي العاص بن أمية، أم الحكم بن أبي العاص (طرده الرسول من المدينة) جدة مروان بن الحكم، يقال إن الحسين بن علي رد على رسول مروان قائلاً، يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق عكاظ!

٣ - آمنه بنت علقمة بن صفوان أم مروان بن الحكم جدة عبد الملك بن مروان، وكانت تمارس البغاء سرّاً مع أبي سفيان بن الحارث بن كلدة، وهذا مروان هو الذي أتوا به بعد ولادته إلى رسول الله ﷺ فقال الرسول: إبعده عني هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون.

وهذا الذي يلعنه الرسول يصبح أميراً للمؤمنين!!

٤ - النابغة سلمى بنت حرملة، وقد اشتهرت بالبغاء العلني ومن ذوات الأعلام وهي أم عمرو بن العاص بن وائل، كانت أمةً لعبد الله بن جدعان، فاعتقها فوق عليها في يوم واحد أبو لهب، وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة المخزومي، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي، فولدت عمرو، فادعاه كلهم، لكنها ألحقته بالعاص بن وائل، لأنه كان ينفق عليها كثيراً!

٥ - سمية بنت المعطل النوبية، وهي من البغايا ذوات الأعلام، وكانت أمة للحارث بن كلدة،

وتنسب أولادها ومنهم زياد مرة لزوجها عبيد بن أبي سرح الثقفي فيقال زياد بن عبيد ومرة يقال زياد ابن سمية ومرة زياد ابن أبيه، حتى استلحقه معاوية بأن أحضر شهوداً على أن أبا سفيان قد واقع سمية وهي تحت عبيد بن أبي سرح، وبعد تسعة أشهر ولدت صبياً أسموه زياد. ولم يستلحقه معاوية حباً وكرامة، ولكن لأن زياد بن أبيه كان عامل سيدنا علي على فارس والأهواز، فأراد استمالته.

❖ ويستمر البغاء في إنتاج رجال الرذيلة ليكونوا سادة العرب.

٦- مرجانة بنت نوف وهي أمة لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت، كان يصلها سفاحاً العديد من الرجال، من بينهم زياد ابن أبيه فباعها عبد الرحمن وهي حامل من الزنا، فولدت عبيدين هما عباد وعبيد الله ابنا مرجانة لا يعرف لهما أب، فاستدعاهما زياد واستلحقهما به، فكان عباد والى سجستان زمن معاوية، وعبيد الله بن زياد والياً على البصرة، حيث يبدو أن أمة العرب قد خلت من الأشراف لتنصيبهم في هكذا مناصب، فلم يبق إلا أولاد الزنا، ولكن الطيور على أشكالها تقع؛ فرجل كمعاوية لا يمكنه استعمال رجل ذو فضيلة.

وبعد أن كان عبيد الله ابن زياد والياً على البصرة زمن معاوية ولاه يزيد الكوفة حيث قاتل الإمام الحسين حفيد النبي حيث خاطبه الإمام بالدعي ابن الدعي.

❖ وقيل للحسن البصري: يا أبا سعيد قُتل الحسين بن علي، فبكى حتى اختلج جنباه ثم قال: واذلاه لأمة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها!

٧- قطام بنت شحنة التيمية، وقد اشتهرت بالبغاء العلني في الكوفة وكانت لها قوادة عجوز اسمها لبابة، هي الواسطة بينها وبين الزبائن، كان أباه شحنة بن عدي وأخاها حنظلة بن شحنة من الخوارج، وقد قتلا معاً في معركة النهروان، فأصبحت والغل يأكل قلبها لهذا طلبت من عبد الرحمن بن ملجم عندما جاء لخطبتها أن يضمن لها قتل سيدنا علي ويصدقها بثلاثة آلاف درهم و غلام وجارية، فلم يشف غليل هذه الزانية مقتل الإمام بعدما سمعت بمقتل ابن ملجم أيضاً، لهذا بعثت إلى مصر من وشى على جماعة من العلويين هناك عند الوالى عمرو ابن العاص، ابن البغي سلمى بنت حرملة، ومن هؤلاء الجماعة خولة بنت عبد الله وعبد الله وسعيد أبناء عمرو بن أبي رحاب.

٨- نضلة بنت أسماء الكلبية وهي زوجة ربيعة بن عبد شمس وهي أم عتبة وشيبة الذين قتل يوم بدر. يذكر الأصفهاني في كتابه الأغاني أن أمية بن عبد شمس جاء ذات ليلة إلى دار أخيه ربيعة، فلم يجده فاخلى بزوجة أخيه وواقعها. فحبلى منه بعتبة.

ويروى أن أمية هذا ذهب إلى الشام وزنا هناك بأمة يهودية فولدت له ولداً سماه ذكوان، ولقبه أبو عمرو، وجاء به إلى مكة مدعياً أنه مولى له، حتى إذا كبر اعتقه واستلحقه، ثم زوجه امرأته الصهباء، قال ابن أبي الحديد إن أمية فعل في حياته ما لم يفعله أحد من العرب، زوج ابنه أبو عمرو من امرأته في حياته فولدت له أبا معيط جد الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الذي ولاه عثمان الكوفة حيث كان يأخذه النوم بعد أن يقضي ليلته في شرب الخمر ولا يصحو على صلاة الفجر! هكذا كانوا ولادة أمور المسلمين!

يروي أن عقبة بن أبي معيط لما أسره المسلمون يوم بدر أمر الرسول بقتله فقال يا محمد ناشدتك الله والرحم! فقال الرسول: ما أنت وذاك! إنما أنت ابن يهودي من أهل صفورية.

٩- هند بنت عتبة، وقد اشتهرت بالبغاء السري في الجاهلية وهي زوجة أبي سفيان، وابنها معاوية يعزى إلى أربعة نفر غير أبي سفيان، مسافر بن أبي عمرو بن أمية، عمارة بن الوليد بن المغيرة، العباس بن عبد المطلب، والصبح مولى مغن لعمارة بن الوليد.

✽ يروى أن علياً قال في كتابه إلى معاوية: وأما قولك نحن بني عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض.. فذلك نحن.. لكن ليس المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق! وهي إشارة واضحة بالصاق أصول معاوية بعبد مناف.

١٠- ميسون بنت بجدل الكلبية، هي أم يزيد بن معاوية، كانت تأتي الفاحشة سراً مع عبد لأبيها ومنه حملت بيزيد، ويروى أن معاوية خاصم ميسون، فأرسلها إلى أهلها وبعد فترة أرجعها إلى الشام وإذا هي حامل!

قال يزيد للإمام الحسن: يا حسن إني أبغضك! فقال الإمام: ذلك لأن الشيطان شارك أباك حينما ساور أمك، فاختلط الماء!

✽ قال الإمام محمد الباقر: قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا وقاتل الحسين بن علي ولد زنا ولا يقتل الأنبياء والأوصياء إلا أبناء البغايا.

١١- أمنة بنت علقمة بن صفوان هي أم مروان بن الحكم كانت تمارس الزنا مع أبي سفيان فولدت مروان. أخرج ابن عساكر من طريق محمد القرظي قال: لعن رسول الله الحكم وما ولد إلا الصالحين وهم قليل.

وقالت عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله ثم قالت والشجرة الملعونة في القرآن.

❖ هؤلاء هم الرجال الذين أسسوا الدولة الإسلامية، فلا غرابة أن نرى الدماء تلون كل أوراق تاريخنا!

أقول: وما خفي عن عكاشة المصري أعظم. وأمر الزنا وأبناء الزنا مشهور في الذين حكموا من بني أمية وبني العباس والعثمانيين، وغيرهم.

نموذج من الخلفاء العباسية :

كان حضرة الخليفة مخنثاً يطلب الرجال!

قال الطبري «٣٤٣/٧»: «وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور، فوكل عليه عمر بن فرج الرخجي، ومحمد بن العلاء الخادم، فكانا يحفظانه «من التخنث» ويكتبان بأخباره في كل وقت!»

وذكر أن محمد بن عبد الملك كان كتب إلى الواثق حين خرج جعفر من عنده: يا أمير المؤمنين، أتاني جعفر بن المعتصم يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه، في زي المخنثين له شعراً قفاً! فكتب إليه الواثق: إبعث إليه فأحضره ومُر من يجزُّ شعر قفاه، ثم مُر من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه، واصرفه إلى منزله! فذكر عن المتوكل أنه قال: لما أتاني رسوله لبست سواداً لي جديداً وأتيت رجاء أن يكون قد أتاه الرضا عني، فأتيت فقالت: يا غلام أدع لي حجاماً فدعا به، فقال: خذ شعره واجمعه، فأخذه على السواد الجديد ولم يأت به بمنديل فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه!

أقول: يتضح بذلك أن سبب غضب الواثق على المتوكل أنه كان مخنثاً شاذاً، أطال شعره كما يفعل المخنثون، الذين يتشبهون بالنساء، ويطلبون الرجال!

وأوصى الوائق بالخلافة الى ابنه محمد، لكن كبار أركان الدولة استصغروه، فجاؤوا بالمتوكل من سجنه، ونصبوه خليفة.

قال الطبري «٢٤١/٧»: «لما توفي حضر الدار أحمد بن أبي دؤاد، وإيتاخ، ووصيف وعمر بن فرج، وابن الزيات، وأحمد بن خالد أبو الوزير، فعزموا على البيعة لمحمد بن الوائق، وهو غلام أمرد فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية، فإذا هو قصير، فقال لهم وصيف «القائد التركي»: أما تتقون الله تولون مثل هذا الخلافة، وهو لا يجوز معه الصلاة! قال فتناظروا فيمن يولونها فذكروا عدةً، فذكر عن بعض من حضر الدار مع هؤلاء أنه قال: خرجت من الموضع الذي كنت فيه فمررت بجعفر المتوكل فإذا هو في قميص وسروال قاعد مع أبناء الأتراك، فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: لم ينقطع أمرهم. ثم دعوا به، فأخبره بغا الشرابي الخبر، وجاء به فجلس فألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه وقبّله بين عينيه، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. ثم غُسلَ الوائق وصُلِّيَ عليه ودفن، ثم صاروا من فورهم إلى دار العامة ولم يكن لُقْبَ المتوكل!

المتوكل الشاذ الفاسد صار: محيي السنة ومن أقطاب العالم!

لبغضه لعلّي عليه السلام لقبوه محي السنة، وجعلوه من أقطاب العالم وأحد الستة أهل الظاهر الذين يتصرفون في الملك أي في الطبيعة. وليس فوقهم إلا أهل الباطن الذين يتصرفون في الملكوت، أي في العالم الأعلى ويأمرون الملائكة! وزاد المتوكل على بغضه لعلّي أنه قتل زوار الحسين عليه السلام وحرث قبره! قال ابن عربي في فتوحاته (٢٧٦/١١ و ٦/٢): (ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة لا يكون منهم في الزمان إلا واحد وهو الغوث أيضاً وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه. ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويجوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبدالعزيز والمتوكل! ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في الظاهر كأحمد بن هارون الرشيد السبتي وكأبي يزيد البسطامي.

وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر ومنهم رضي الله عنهم الأئمة ولا يزيدون في كل زمان على اثنين لا ثالث لهما، الواحد عبد الرب، والآخر عبد الملك، والقطب عبد الله. قال تعالى: وَأَنَّهُ

لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، فلكل رجل إسم إلهي يخصه به يدعى عبد الله، ولو كان إسمه ما كان. فالأقطاب كلهم عبد الله والأئمة في كل زمان عبد الملك وعبد الرب، وهما اللذان يخلفان القطب إذا مات، وهما للقطب بمنزلة الوزيرين الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت والآخر مع عالم الملك)!

وأسوأ من أولاد الزنا والمخانيث الملعونون على لسان رسول الله ﷺ

أول الملعونين على رسول الله ﷺ الذين حكموا، كانوا في جيش أسامة وتحلفوا عنه، وقد قال النبي ﷺ: لعن الله من تخلف عن جيش أسامة!

ثم حكم بنو أمية وهم الشجرة الملعونة في القرآن، ثم حكم بنو العباس وقد صدر فيهم لعن النبي ﷺ بعدة عناوين منها عنوان من ظلم أهل بيته ﷺ!

فهل رأيت أمة كل حكامها تقريباً من الملعونين على لسان نبيها؟!

وهل عرفت لماذا لم يبارك الله لنا في الفتوحات، ووقع بيننا السيف صراعاً على السلطة حتى قتل في ذلك أضعاف ما قتل في الفتوحات.

وهل عرفت لماذا ضعفت الأمة وانهارت حتى صارت على حجمها الكبير من أذل الأمم، ضارعة لعدوها، منفعة غير فاعلة، فقيرة على غناها؟!





الفصل الثاني والثلاثون

من أدعية النبي ﷺ

أهمية الدعاء في حياة كل إنسان

كتبنا في رسالة: من أدعية الحبيب المصطفى ﷺ ما خلاصته: الدعاء بذاته قيمة لأنه ارتباط المحدود بالمطلق، فمهما كان أحدنا قوياً فهو مفتقر في وجوده إلى الخالق سبحانه، وفي استمرار حياته ونموه وتكامله، مفتقر إلى ضراعة دائمة ليتلقى التموين والعطاء من الغني بالمطلق سبحانه.

وكما قال النبي ﷺ: (الدعاء مخُّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد.. وما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له، إما أن يُعَجَّلَ له في الدنيا أو يُؤَجَّلَ له في الآخرة، وإما أن يُكْفَرَ عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بمأثم). (الوسائل: ١٠٨٦/٤).

وإنما صار الدعاء جوهر العبادة ومُحَّها ولُبُّها، لأنه اعتراف الإنسان بأنه محدود في الزمان والمكان والقدرات، وإقراراً منه لخالقه بأنه المطلق في القدرة والعلم والحكمة، فهو خطاب يضع الأمر في نصابه ويربط الكائن بخالقه. وهو حالة راقية لذرة من الكون الواسع تفتح يديها لتلتقى القيض.

وقد كان الدعاء ركناً في سلوك سيد الأنبياء والرسل ﷺ، فقد عاش به رسولاً مبلغاً وإنساناً، فكانت حياته ضراعة متواصلة في محضر ربه العظيم. وأدعيته البليغة ﷺ تكشف عن عالمه الداخلي، العامر بمعرفة ربه وطاعته.

وقد حفظ المسلمون بعض أدعيته ﷺ لكنهم ضيعوا أكثرها للأسف بسبب

منع السلطة التحديث عنه ومنع كتابة حديثه ﷺ! (تدوين القرآن/٣٦٥).

وقد ضيعوا أكثر أدعيته ﷺ لأن الحكام لم يكونوا أهل دعاء ليهتموا به!

لكن أئمة العترة صلوات الله عليهم خالفوا السلطة ونشروا حديث النبي ﷺ وأدعيته ما استطاعوا، ودعوا المسلمين إلى الكتابة، وقد وصلنا عن طريقهم الكثير من أدعية رسول الله ﷺ، وفقدنا الكثير منها بسبب مواصلة السلطة سياسة التعقيم والإضطهاد، ومطاردة رواتهم وإحراق كتبهم!

دعاؤه ﷺ وشكواه إلى ربه لما كذبه أهل الطائف

ذهب النبي ﷺ إلى الطائف، بعد وفاة عمه وحاميه أبي طالب، وبقي فيها عشرة أيام، والتقى بزعمائها من قريش وثقيف ودعاهم إلى الإسلام فكذبوه ولم يقبلوا منه، فرجع ميؤوساً، ووجهوا إليه غلمانهم وصبيانهم يرمونه بالحصي، فأوى إلى ظل شجرة عنب وقال: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي. إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك). (مصباح المتعبد: ١٤٩، وابن هشام: ٢/٢٨٥).

دعاء جده عبد المطلب لما استسقى به ﷺ

أجذب أهل مكة فاستسقى عبد المطلب بالنبي ﷺ. قالت رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم: قام فاعتضد ابن ابنه محمداً فرفعه على عاتقه، وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب (قرب) ثم قال: اللهم ساد الحلة، وكاشف الكرب، أنت عالم غير معلّم، ومسؤول غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك بعدارات حرمك، يشكون إليك ستّهم التي أذهبت الخفّ والظلف، فاسمعنّ اللهم، وأمطرنّ علينا غيثاً مغدقاً مريعاً سحاً طبّقاً دراكاً. قالت: فورب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها واكتظّ الوادي بشجثجه وانصرف الناس! (كبير الطبراني: ٢٤ / ٢٥٩، وكتاب الدعاء / ٦٠٦، وشرح النهج / ٧ / ٢٧١).

دعاؤه ﷺ في الإستسقاء

في أمالي المفيد/٣٠٢: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: والله يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بغير
يئط، ولا غنم يغط، ثم أنشأ يقول:

أتيناك يا خير البرية كلها	لترحمنا مما لقينا من الأزل
أتيناك والعذراء يدمى لبانها	وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقي بكفيه الفتى استكانة	من الجوع ضعفاً ما يمر وما يحلي
ولا شئ مما يأكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا	وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إن هذا الأعرابي يشكو قلة المطر وقحطاً شديداً، ثم قام يجر
رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما حمد ربه أن قال: الحمد لله الذي علا
في السماء فكان عالياً، وفي الأرض قريباً دانياً، أقرب إلينا من جبل الوريد. ورفع يديه إلى السماء
وقال: اللهم اسقنا غيثاً، مغيثاً، مريئاً، مريعاً، غدقاً، طبقاً، عاجلاً غير راث، نافعاً غير ضائر،
تملاً به الضرع، وتنبت به الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها.

فما ردَّ يديه إلى نحره حتى أهدق السحاب بالمدينة كالإكليل، والتقت السماء بأردافها. وجاء
أهل البطاح يضحجون يا رسول الله: الغرق الغرق، فقال رسول الله ﷺ: اللهم حَوِّالَيْنَا ولا علينا،
فانجاب السحاب عن السماء، فضحك رسول الله ﷺ وقال: لله در أبي طالب لو كان حياً لقرَّت
عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام عمر بن الخطاب فقال: عسى أردت يا رسول الله:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمدٍ

فقال رسول الله ﷺ: ليس هذا من قول أبي طالب، بل من قول حسان بن ثابت، فقام علي
بن أبي طالب فقال: كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... الأبيات.. قال أجل).

دَعَاؤُهُ ﷺ فِي يَوْمِ بَدْرٍ

(كَانَ ﷺ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولٌ وَأَجُولُ.. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَأَجْعَلْكَ فِي نَحْوِهِمْ). (تفسير القرطبي: ٣ / ٢٥٦).

ولما خرج إلى بدر: (اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك. قال: فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً، للرجل البعير والبعيران، واكتسى من كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزوادهم، وأصابوا فداء الأسرى). (الإمتاع: ١٢ / ١٧٨).

(لما نظر النبي ﷺ إلى كثرة المشركين وقلة المسلمين، استقبل القبلة وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض، فنزلت الآيات: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ). (الصحيح: ٥ / ٣٥).

وحفظ أهل البيت دعاءه ﷺ: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، فكم من كرب يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه القريب، ويشمت به العدو وتعيى فيه الأمور، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة فيه إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته عني وكفيتني، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حاجة، ومنتهى كل رغبة، فلك الحمد كثيراً ولك المنُّ فاضلاً، وبنعمتك تتم الصالحات، يا معروفاً بالمعروف موصوف، أنلني من معروفك معروفاً تغنيني به عن معروف من سواك، برحمتك يا أرحم الراحمين). (مصباح المنهجد/١٤٩).

دَعَاؤُهُ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ

انهزم الناس في معركة أحد كما وصفهم الله تعالى: إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ. ولم يثبت مع النبي ﷺ إلا علي عليه السلام فقاتلا وردّا هجمات المشركين وجرح النبي ﷺ. فأمره الله أن يستظل بصخرة، ويواصل علي رد هجماتهم، وكانت تسع حملات قتل علي عليه السلام قادتها وعدداً من فرسانها، والنبي ﷺ يدعو: اللهم لك الحمد وإليك المشتكى،

وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فنزل جبرئيل وقال: يا محمد لقد دعوت إبراهيم حين ألقى في النار، ودعا به يونس حين صار في بطن الحوت، وكان من دعائه ﷺ: اللهم اجعلني صبوراً، واجعلني شكوراً، واجعلني في أمانك). (مهج الدعوات / ٢٨).

دعاؤه ﷺ في أيام الأحزاب

حشد اليهود كل العرب لحرب الأحزاب، وبلغ الجيش أربعة وعشرون ألف مقاتل (النتيبه والإشراف / ٢١٦)، فحاصروا المدينة ولم يكن أمامهم مانع إلا الخندق، واستمر حصارهم نحو شهر يقاتلون المسلمين برشق السهام والأحجار (تفسير القمي: ٢ / ١٨٥)، حتى استطاع نخبة من فرسانهم بقيادة عمرو بن ود أن يعبروه، وكان يعد بألف فارس فدعا المسلمين إلى المبارزة فلم يجرؤ على مبارزته إلى علي عليه السلام فدعا له النبي ﷺ بالنصر وكان ذلك يوم الأربعاء ثالث يوم من دعاء النبي ﷺ. (قال جابر: دعا النبي ﷺ على الأحزاب في مسجد الفتح ثلاثة أيام، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء، واستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف السرور في وجهه، قال جابر: فما نزل بي أمر غائظ وتوجهت في تلك الساعة، إلا عرفت الإجابة). (المجتبى لابن طاووس / ٤٨).

وفي الكافي (٥٦١/٢) أن دعاءه ﷺ كان (يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، يا كاشف غمي، إكشف عني همي وغمي وكربي، فإنك تعلم حالي وحال أصحابي، فاكفني هول عدوي، فإنه لا يكشف ذلك غيرك).

ولما برز علي عليه السلام ما زال النبي ﷺ يدعو له وهو مطئط رأسه، ومما قاله ﷺ: (برز الإيمان كله إلى الشرك كله. اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه). (تفسير القمي: ٢ / ١٨٣). (اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، فاحفظ علياً اليوم، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. اللهم أعنه واستعن به، اللهم انصره وانتصر به فإنه عبدك وأخ رسولك). (أمالى الصدوق / ١٠٧).

دعاؤه لعلي عليه السلام يوم خيبر

(وكان يوم خيبر أرمداً لا يبصر، فقال النبي ﷺ: أدن مني، فدنا منه فتفل في عينه ودعا له، فلم يرمد وفتحت عليه خيبر). (مناقب ابن سليمان: ٢/٤٠١).

(اللهم اهد قلبه واشرح صدره وثبت لسانه، وقه الحر والبرد). (فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف، فقلنا لو سألتني؟ فقال: إن رسول الله بعث إلي وأنا أرمداً العين يوم خيبر، قلت: يا رسول الله إني أرمداً العين، فتفل في عيني ثم قال: اللهم اذهب عنه الحر والبرد. قال: فما وجدت حرّاً ولا برداً بعد يومئذ). (أمال الطوسي / ٨٩).

دعاؤه بأن يتولاه الله تعالى

قال الإمام الصادق عليه السلام: (كان رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة في ليلتها فقصدته من الفراش، فقامت تطلبه في جوانب البيت، حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول: اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً، اللهم ولا تكنني إلى نفسي طرفة عين أبداً، اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً. اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً. قال فانصرف أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله ﷺ لبكائها فقال لها: ما يبكيك يا أم سلمة؟ فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تسأله أن لا يشمت بك عدواً أبداً ولا حاسداً، وأن لا يردك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع عنك صالح ما أعطاك أبداً، وأن لا يكللك إلى نفسك طرفة عين أبداً! فقال: يا أم سلمة وما يؤمنني وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين، فكان منه ما كان). (القي: ٢/٧٤).

(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، أعوذ بك من شر هؤلاء الأربع. اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أضل، أو أذل، أو أذل، أو أظلم، أو أظلم، أو أجهل، أو يُجْهَلَ عليّ). (المصباح للكفعمي / ٢٩٩).

دَعَاؤُهُ ﷺ بِالْعَافِيَةِ مِنْ جَارِ السُّوءِ

(اللهم إني أعوذ بك من غنى يطغيني، وفقير يسيئني، وهوى يرد ديني، وعمل يخزيني، وجار يؤذيني. اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء وسوء القدر، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد).
(البحار: ٩٢ / ٣٦٠).

إِسْتِعَاذَتُهُ مِنْ شَرِّ الْمَالِ وَالْعِيَالِ وَالْأَصْحَابِ

(اللهم إني أعوذ بك من ولد يكون عليّ ربّاً، ومن مالٍ يكون عليّ ضياعاً، ومن زوجة تُشيبني قبل أوان مشيبي، ومن خليل مكر، عيناه تراني وقلبه يرعاني، إن رأى خيراً دفعه وإن رأى شراً أذاعه). (الفتاوى: ٣ / ٥٥٨).

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحُزْنٌ

(حسبي الرب من الربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي من هو حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم). (الفرج بعد الشدة: ٣١/١).

دَعَاؤُهُ ﷺ قَبْلَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ مَا يَسْتَيْقِظُ

(بسم الله، آمنت بالله وكفرت بالطاغوت. اللهم احفظني في منامي وفي يقظتي. اللهم إن أمسكت نفسي في منامي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين). (الكافي: ٢ / ٥٣٦).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت. فإذا قام من نومه قال: الحمد لله الذي أحياني بعدما أمتاني وإليه النشور). (الكافي: ٢ / ٥٣٩).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان ﷺ يؤتى بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه، ثم ينام ما شاء الله، فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء، ثم تلا الآيات من آل عمران: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ

فَيَأْمَأُ وَقُؤُؤَأً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَيْنَأ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلَأً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. ثم يستنُّ ويتطهر، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات، على قدر قرائته ركوعه، وسجوده على قدر ركوعه، يركع حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه؟ ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران، ويقلب بصره في السماء، ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيصلي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء، ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين، ثم يخرج إلى الصلاة). (التهذيب: ٢ / ٣٣٤).

(كان من دعاء رسول الله ﷺ إذا أصبح أن يقول: أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والجلال والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن فيهما، لله عز وجل، وحده لا شريك له. اللهم اجعل أول يومي هذا صلاحاً، وأوسطه فلاحاً، وآخره نجاحاً. اللهم إني أسألك خير الدنيا والآخرة يا ارحم الراحمين. اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتنا ما تبلغنا به رحمتك، ومن اليقين ما تهوَّنُ به علينا مصيبات الدنيا. اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا، واجعله الوارث منا، وانصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا). (شرح النهج: ٦ / ١٧٨).

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى

(اللهم إن ظلمي أصبح مستجيراً بعفوك، وذنبي أصبح مستجيراً بمغفرتك، وذُئِّي أصبح مستجيراً بعزك، وفقري أصبح مستجيراً بغناك، ووجهي الفاني البالي أصبح مستجيراً بوجهك الدائم الباقي). (تفسير القمي: ١١/٢).

دَعَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ الطَّعَامِ

(كان رسول الله ﷺ إذا وضعت المائدة بين يديه قال: سبحانك اللهم ما أحسن ما تبطينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعطينا، سبحانك اللهم ما أكثر ما تعافينا. اللهم أوسع علينا وعلى فقراء المؤمنين والمسلمين). (الكافي: ٦ / ٢٩٣).

دَعَاؤُهُ ﷺ بَعْدَ الطَّعَامِ

كان إذا رفعت المائدة قال: (اللهم أكثرت وأطبت وباركت، فأشبع وأرويت. الحمد لله الذي يُطعم ولا يُطعم).

(وإذا طعم عند أهل بيت دعا لهم: (طعم عندكم الصائمون، وأكل عندكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة الأخيار). (الكافي: ٦ / ٢٩٤).

دَعَاؤُهُ ﷺ فِي الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الْخُبْزِ

(اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبينه، فلولوا الخبز ما صمنا ولا صلينا، ولا أدينا فرائض ربنا). (المحاسن: ٢ / ٢٩٢).

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا شَرِبَ الْمَاءَ

(كان رسول الله ﷺ إذا شرب الماء قال: الحمد لله الذي سقانا عذبا زلالا ولم يسقنا ملحا أجاجا، ولم يؤاخذنا بذنوبنا). (الكافي: ٦ / ٣٨٤).

وكان إذا أكل طعاما أو شرب غير الماء واللبن قال: (اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرا منه). (المحاسن: ٢ / ١٩٧).

دَعَاؤُهُ إِذَا رَأَى فَاكْهَةً جَدِيدَةً

(اللهم كما أريتنا أولها في عافية، فأرنا آخرها في عافية). (حلية الأبرار: ٤٠٣/١).

إِذَا لَبَسَ ثَوْباً جَدِيداً

(الحمد لله الذي كساني من الرياش ما أتجمل في الناس. اللهم اجعله ثياب بركة، أسعى فيها بمرضاتك، وأعمر فيها مساجدك). (روضة الواعظين: ٣٠٩).

الدعاء عند التخلي والوضوء

(كان رسول الله ﷺ إذا أراد دخول المتوضأ قال: (اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس، الخبيث المخبث الشيطان الرجيم، اللهم أمط عني الأذى وأعذني من الشيطان الرجيم. اللهم كما أطعمتني طيباً في عافية، فأخرجه مني خبيثاً في عافية.
وإذا جلس للوضوء قال: اللهم أذهب عني القذى والأذى واجعلني من المتطهرين). (الفتاوى: ١/ ٢٢).

دعاؤه ﷺ إذا نظر في المرأة

(اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي). (تحف العقول / ١١).

دعاؤه ﷺ إذا أراد النهوض من مجلسه

(سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين). (البحار: ٣ / ٢).

دعاؤه ﷺ إذا سمع صوت الرعد

(اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك). (نور الثقلين: ٤٩٠ / ٢).

دعاؤه ﷺ إذا ركب دابته للسفر

سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ. اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، والعمل بها ترضى. اللهم هَوِّنْ علينا سفرنا، واطوِّرْ عنا بعده. اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال). (نور الثقلين: ٥٩٢ / ٤).

دعاؤه ﷺ في سفره ومنزله

(اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزّلين. وإذا دخل بلدًا: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، أسألك خير

هذه القرية وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم إني أسألك خيرها وأعوذ بك من شرها. اللهم أطعمنا من جناها وأعذنا من وبائها، وحبينا إلى أهلها، وحبب صالحى أهلها إلينا). (المحاسن: ٨٠/٢).

دَعَاؤُهُ ﷺ فِي الْإِسْتِخَارَةِ

(اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في عاجل أمري وآجله، فقد ره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي فاصرفه عني واصرفني عنه، وقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به). (البحار: ٨٨ / ٢٢٨).

دَعَاؤُهُ ﷺ فِي صَلَاتِهِ وَصُومِهِ وَحُجِّهِ

إذا دخل إلى المسجد: اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج: اللهم دعوتني فأجبت دعوتك، وصليت مكتوبك، وانتشرت في أرضك كما أمرتني. فأسألك العمل بطاعتك، واجتناب سخطك، والكفاف في الرزق برحمتك). (حلية الأبرار: ١/٢٧٨، ونور الثقلين: ٥/٣٢٨).

وإذا وضع جبهته لل سجود: (اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي، فاغفر لي ذنوبي يا حيُّ لا يموت). (البحار: ٨٣/٢١٧).

دَعَاؤُهُ فِي افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ

وأثنائها وختمها: عن علي عليه السلام قال: كان إذا استفتح الصلاة يكبر ثم يقول: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَوْ يَدَّكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ). (فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢/٦٩٥).

دَعَاؤُهُ ﷺ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ

(اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل خير، والسلامة من كل إثم. اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلا فرجته، ولا سقماً إلا شفيته، ولا عيباً إلا سترته، ولا رزقاً إلا بسطته، ولا خوفاً إلا آمنته، ولا سوءاً إلا صرفته، ولا حاجة هي لك رضى ولي صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين). (البحار: ٨٣ / ٦٣).

دَعَاؤُهُ ﷺ بَعْدَ الصَّلَاةِ

عن الإمام الجواد عليه السلام قال: (كان النبي ﷺ يقول إذا فرغ من صلاته: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وإسرافي على نفسي، وما أنت أعلم به مني. اللهم أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أجمعين، ما علمت الحياة خيراً لي فأحيني، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي. اللهم إني أسألك خشيتك في السر والعلانية، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وبركة الموت بعد العيش، وبرد العيش بعد الموت، وشوقاً إلى رؤيتك ولقائك، من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهدين. اللهم اهدنا فيمن هديت، اللهم إني أسألك عزيمة الرشاد والثبات في الأمر والرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عافيتك، وأداء حقك، وأسألك يا رب قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وأستغفرك لما تعلم، وأسألك خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، فإنك تعلم ولا نعلم، وأنت علام الغيوب). (الكافي: ٢ / ٥٤٧).

دَعَاءُ الْقَنُوتِ الَّذِي عَلَّمَهُ ﷺ لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عن عائشة عن الحسن بن علي عليه السلام قال: (علمني رسول الله ﷺ في وترى إذا رفعت رأسي ولم يبق إلا السجود: (اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت وتعاليت). (الحاكم ٣٦٣/٢) وقال الترمذي كما في المجموع (٣ / ٤٩٥): لا يعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيء أحسن من هذا).

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا هَلَ هَلَالُ شَهْرِ رَمَضَانَ

(اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والعافية المجللة، والرزق الواسع، ودفع الأسقام، وتلاوة القرآن والعون على الصلاة والصيام. اللهم سلمنا لشهر رمضان، وسلمه لنا وتسلمه منا، حتى ينقضي شهر رمضان وقد غفرت لنا). (ثواب الأعمال / ٦٤).

(اللهم إنه قد دخل شهر رمضان، اللهم رب شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن وجعلته بينات من الهدى والفرقان. اللهم فبارك لنا في شهر رمضان، وأعنا على صيامه وصلاته، وتقبله منا). (الإقبال: ١ / ١٣٨).

دَعَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ إِفْطَارِهِ مِنْ صَوْمِهِ

(اللهم لك صُمنَا، وعلى رزقك أفطرْنَا، فتقبله منا. ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وبقي الأجر). (البحار: ١٦ / ٢٤٢).

مِنْ أَدْعِيَتِهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

(اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرِّج عن كل مكروب، اللهم ردّ كل غريب، اللهم فكّ كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من أمور المسلمين، اللهم اشف كل مريض، اللهم سدّ فقرنا بغناك، اللهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر، إنك على كل شيء قدير). (أعيان الشيعة: ١ / ٣٠٦).

أقول: هذا الدعاء دعاء لظهور الإمام المهدي عليه السلام وإقامته دولة العدل، لأن أغلب هذه الأشياء لا تتحقق إلا على يده صلوات الله عليه.

دَعَاؤُهُ ﷺ إِذَا لَبَسَ ثَوْبًا جَدِيدًا أَوْ ثَوْبَ إِحْرَامِهِ

(الحمد لله الذي رزقني ما أوارى به عورتي، وأؤدي به فرضي، وأعبد فيه ربي، وأنتهي فيه إلى ما أمرني. الحمد لله الذي قصدته فبلغني، وأردته فأعانني، وقبلني ولم يقطع بي، ووجهه أردت فسلمني. فهو حصني وكهفي، وحرزي وظهري، وملاذي وملجئي، ومنجاي وذخري، وعدتي في شدتي ورجائي). (من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٥٢٧).

دَعَاؤُهُ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ

(دعا يوم عرفة حين غابت الشمس، فكان آخر كلامه هذا الدعاء وهملت عيناه بالبكاء: اللهم إني أعوذ بك من الفقر، ومن تشت الأمر، ومن شر ما يحدث في الليل والنهار.

أصبح ذلي مستجيراً بعزك، وأصبح وجهي الفاني مستجيراً بوجهك الباقي، يا خير من سئل، وأجود من أعطى، وأرحم من استرحم، جللني برحمتك، وألبسني عافيتك، واصرف عني شر جميع خلقتك). (قرب الإسناد / ٢١).

دعاء علمه ﷺ لوسوسة الصدر

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قد لقيت شدة من وسوسة الصدر، وأنا رجل مدين مُعِيل مُحُوج، فقال له: كرر هذه الكلمات: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا. فلم يلبث أن جاءه فقال: أذهب الله عني وسوسة صدري وقضى عني ديني ووسّع عليّ رزقي). (الكافي: ٢ / ٥٥٤).

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو عيال وعليّ دينٌ وقد اشتدت حالي، فعلمني دعاء أدعوا الله عز وجل به ليرزقني ما أقضي به ديني وأستعين به على عيالي. فقال رسول الله ﷺ: يا عبد الله توضاً وأسبغ وضوءك، ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود، ثم قل: يا ماجد يا واحد يا كريم يا دائم، أتوجه إليك بمحمد نبيك نبي الرحمة. يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربك ورب كل شيء، أن يصلي على محمد وأهل بيته. وأسألك نفحة كريمة من نفحاتك وفتحاً يسيراً ورزقاً واسعاً، ألم به شعثي، وأقضي به ديني، وأستعين به على عيالي). (الكافي: ٢ / ٥٥٢).

أقول: روى الجميع حديث الأعمى الذي علمه النبي ﷺ التوسل به إلى الله تعالى، وهو حجة دامغة لمن أنكر التوسل، وقد حاول ابن تيمية وأتباعه تضعيفه أو تحريفه فعجزوا، وألف الشيخ محمود سعيد ممدوح المعاصر كتاباً سماه: رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزياره، قال في ٩٣: (قال الإمام الحافظ أبو عيسى الترمذي في جامعه. عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: أدع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في). وقد صححه وقال إن ابن حنيف طبقه بعد وفاة النبي ﷺ.

دَعَاؤُهُ ﷺ لَطَلْبِ الْحَاجَةِ

(يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لم يهتك الستر ولم يؤاخذ بالجريرة، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى ومنتهى كل شكوى، يا مقيل العثرات، يا كريم الصفح، يا عظيم المن، يا مبتدئاً بالنعيم قبل استحقاقها، يا رباه يا سيده يا أملاه يا غاية رغبته، أسئلك بك يا الله أن لا تشوّه خلقي بالنار، وأن تقضي لي حوائج آخرتي ودنيائي وتفعل بي كذا وكذا.. وتصلني على محمد وآل محمد. وتدعو بما بدا لك).

(بحار الأنوار: ٩٢ / ١٦٤).

دَعَاؤُهُ ﷺ لِمَرِيضٍ

(اللهم اشفه بشفائك وداوه بدوائك وعافه من بلائك). (البحار: ٧٨ / ٢٢٤).

دَعَاءُ بِجَوَامِعِ الْخَيْرِ

عن أبي أمامة قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً فقلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً! قال: ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله، تقولون: اللهم إنا نسألك من خير ما أسألك منه نبيك محمد ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد، وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله). (الترمذي: ٥ / ١٩٨).

دَعَاؤُهُ فِي طَلْبِ الْعَوْنِ وَالنَّصْرِ

(رب أعني ولا تُعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ. رب اجعلني لك شَكَاراً، لك ذَكَاراً، لك أَوْاهاً، لك مطوعاً، إليك مُخْبِتاً، إليك أَوْاهاً مُنِيباً. رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي). (الحاكم: ١ / ٥١٩).

من أدعيته ﷺ لعلي ﷺ

من أدعيته ﷺ لعلي ﷺ: عن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله ﷺ بإزاء بيتي وهو يقول: (أشرفُ نَبير، أشرفُ ثبير، اللهم إني أسألك ما سألك أخي موسى: أن تشرح لي صدري، وأن تسر لي أمري، وأن تحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، وأن تجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أخي، أشدد به أزري، وأسركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً). (قرب الإسناد / ٢٧).

عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ذات يوم وقال: (اللهم أنس وحشتي واعطف عليّ يا باني عمي علي. فنزل جبرئيل ﷺ وقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول: قد فعلت وأيدتك ما سألت بعلي، وهو سيف الله على أعدائه وسيبلغ دينك كلما بلغ الليل والنهار). (الروضة / ٧٣).

اللهم املاً قلبه علماً وفهماً

قال علي ﷺ: (ما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي وكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله عز وجل لي أن أعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي فكتبته وما ترك شيئاً علمه الله عز وجل من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي وما كان أو يكون من طاعة أو معصية إلا أعلمني وحفظته ولم أنس منه حرفاً واحداً، وكان رسول الله ﷺ إذا أخبرني بذلك طله يضع يده على صدري ثم يقول: اللهم املاً قلبه علماً وفهماً ونوراً وحلماً وإيماناً، علّمهُ ولا تُجْهِلْهُ، وحَفِّظْهُ ولا تُنْسِه). (مسند زيد بن علي / ٢٩٤).

وفي مسند زيد بن علي ﷺ / ٢٩٤: (بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني وأنا شاب لا علم لي بالقضاء، قال فضرب يده في صدري ودعا لي فقال: اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه، ولقنه الصواب، وثبته بالقول الثابت، ثم قال: يا علي إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تعجل بالقضاء بينهما حتى تسمع ما يقول الآخر، يا علي لا تقض بين اثنين وأنت غضبان، ولا تقبل هدية مخاصم ولا تضيغه دون خصمه، فإن الله عز وجل سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال فقال ﷺ: فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بعده).

دعاء علمه عليه السلام لعلي عليه السلام وهو مريض

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (مرض علي صلوات الله عليه فأتاه رسول الله ﷺ فقال له: قل: اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك، وصبراً على بليتك، وخروجاً إلى رحمتك). (الكافي: ٥٦٧/٢).

دعاء علمه عليه السلام لعلي عليه السلام إذا وقع في بلية

(يا علي ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة أو بلية فقل: بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فإن الله عز وجل يصرف بها عنك ما يشاء من أنواع البلاء). (الكافي: ٥٧٣/٢).

دعاؤه لعلي وفاطمة عليهما السلام عند زواجهما

في ينابيع المودة (٦٥/٢)، أن النبي ﷺ خطب عندما زوج علياً وفاطمة عليهما السلام: (جمع الله شملكما، وأعز جدكما، وأطاب نسلكما وجعل نسلكما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة، وأمن الأمة، وبارك الله لكما، وبارك فيكما، وبارك عليكما، وأسعدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب. اللهم إني مني وأنا منهما، اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني، فأذهب عنهما الرجس وطهرهما وطهر نسلهما. قال أنس: والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب).

دعاؤه للحسين عليه السلام

في أمالي المفيد/٧٨، عن جابر الأنصاري قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ أخذاً بيد الحسن والحسين فقال: إن ابني هذين ريبتهما صغيرين ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله تعالى لهما ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين مطهرين زكيين فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما النار فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأمة على محبتها فقال: يا محمد إني قضيت قضاءً وقدّرت قدراً، وإن طائفة من أمتك ستفني لك بدمتك في اليهود والنصارى والمجوس، وسيخفرون ذمتك في ولدك! وإني أوجب على نفسي لمن فعل ذلك ألا أحله محل كرامتي ولا أسكنه جنتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي).

دعاؤه علي وفاطمة والحسين عليهما السلام

روى الجميع حديث الكساء بصيغ مختلفة، ويظهر أنه صدر عن النبي ﷺ في أكثر من مناسبة، ففي بعضها أن النبي ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسين عليهما السلام في مجلس واحد، وأجلس الحسين علي فخذه، وعلياً وفاطمة أحدهما بين يديه والآخر خلفه، وحدد بهم أهل بيته وعترته ودعا لهم. وفي بعضها ألبسهم كساءً خبيراً ودخل معهم فيه، ثم دعا لهم. أو أدار عليهم كساء وحددهم ودعا لهم. ومرة كان نائماً تحت كساء فجاء الحسنان وأدخلهما معه ثم جاء علي وفاطمة فأدار عليهما الكساء ودعا لهم. وفي المباهلة وضع كساء على شجرتين ووقف مع عترته تحته يستظلون من الشمس، فنظر إليهم علماء النصارى وهابوا أن يباهلوهم وسموهم أهل الكساء. وقد نزلت آية التطهير بعد هذا التحديد النبوي، فكان تحديده ﷺ وضعاً لمصطلح الإسلامي لأهل البيت، كما كان مصطلح الصلاة أخص من معناها اللغوي، فتكون الآية تصديقاً لهذا المصطلح المحدد.

قال ابن قدامة في المغني (٥٥٣/٦): (وقد قال النبي ﷺ لفاطمة وولديها وزوجها: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).

وفي أسباب النزول للواحدي (٢٣٩): (فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).

وفي أمالي الصدوق (٥٧٤)، عن ابن عباس: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي، وأكرم الناس عليّ، فأحب من أحبهم، وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس).

وروي أن دعاءه ﷺ ونزول الآية كانا في بيت أم سلمة فسألت النبي ﷺ: فأرادت أن تدخل معهم في دائرة الكساء، فقال لها: لا، ولكنك إلى خير، وفي بعضها أنه جذب من يدها طرف الكساء! قال أحمد (٣٢٣/٦): (ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، إنك حميد مجيد. قالت أم سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي! وقال: إنك على خير).

وفي كمال الدين/٢٧٨، عن علي عليه السلام: (فجمعني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً ثم ألقى علينا كساء، وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي ولحمي، يؤمني ما يؤلمهم، ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت على خير، إنما أنزلت فيّ وفي أخي وفي ابني الحسن والحسين وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة، ليس معنا فيها أحد غيرنا).

وقد حرص النبي ﷺ على تركيز مصطلح آله وعترته وأهل بيته في الأمة (كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. (الترمذي: ٢٩٣/٤؛ ٣٠/ ٥ و ٣٢٨، والطبراني الكبير: ٥٦/ ٣؛ ٢٢/ ٢٠٠، وأحمد: ٣/ ٢٥٩، و ٢٨٥، وغيرها).

دعا بالبركة لعبد الله بن جعفر

قال القاضي عياض في الشفا (٢٨٥/١): (ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقه يمينه، فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة، فكانت عنده غرائب المال. ودعا لعلّي أن يكفى الحر والقر، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف ولا يصيبه حر ولا برد. ودعا لفاطمة ابنته الله ألا يجيعها، قالت: فما جاعت بعد).

دعاؤه بالمغفرة للنجاشي

روى الطبري الشيعي في ذخائر العقبى ٢٠٨، فرحة النبي ﷺ بعودة جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة عند فتح خير، ومعهم رسول النجاشي، ومعانقته لجعفر وقوله المشهور: ما أدري أفتتح خير أفرح أم بقدوم جعفر؟ وروي: بأيهما أنا أسرّ بفتح خير أم بقدوم جعفر؟ وأبلغه جعفر رسالة النجاشي: أخبر صاحبك بما صنعتُ إليكم، وهذا صاحبي معك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقل له يستغفر لي.

فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات: اللهم اغفر للنجاشي، فقال المسلمون: آمين. فقال جعفر للرسول: إنطلق وأخبر صاحبك بما قد رأيت من النبي ﷺ).

دعا بالشباب لعمر بن الحمق

عاش الصحابي الجليل عمرو بن الحمق ثمانين سنة ولم تشب منه شعرة! فقد سقى النبي لبناً فقال: اللهم أمتعه بشبابه. فلقد أتت عليه ثمانون سنة لا يرى شعرة بيضاء). (ابن أبي شيبة: ٤٣٧/٧). وروي أنه ﷺ دعا للنابغة الجعدي الشاعر: لا يفضض الله فاك. فعاش مئة وعشرين سنة لم يسقط له سن ولا ضرس!) (أمالى المرتضى: ١/١٩٢).

دعا على كسرى حين مزق كتابه

دعا عليه بأن يمزق الله ملكه فقتله ابنه وانفرط ملكه. وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل يمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت، فلم يرفعها إلى فيه بعد! وقال لعتبة بن أبي لهب: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد.

دعا على الحكم بن أبي العاص

وكان يمشي خلف النبي ﷺ يقلده في مشيه فيختلج بوجهه ويغمز، فقال النبي ﷺ: كن كذلك. فلم يزل يختلج حتى مات. ودعا النبي ﷺ على عشرات من المنافقين أو المشركين، ولعن عشرات منهم.

وقد واجهت السلطة القرشية لعن النبي ﷺ للمعونيين، وقامت بمحاولات لخلها، فزعموا أن النبي ﷺ أبطل لعن من لعنهم، لأنهم لم يكونوا مستحقين له، يعني كذب نفسه! كما زعموا أنه ﷺ لم يلعن أحداً ونهى عن اللعن! مع أنه ﷺ نهى المسلمين وبعض نسائه: أن يكونوا لعّانين فحّاشين، وهو غير اللعن الشرعي والطرود الإلهي.

أما اللعن بمعنى الطرد من رحمة الله تعالى ووجوب لعن الملعونين، والبراءة منهم فهو أمر عقدي ثابت في القرآن والسنة، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وقد استمر لعن النبي ﷺ لأولئك الملعونين بل نص على أن لعنته تشمل من كان في صلب الملعون، فقد قالت عائشة لمروان بن الحكم: ولكن رسول الله لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فَضَّضَ (قطعة) من لعنة الله عز وجل). (الحاكم: ٤٨١/٤).

كما رفض الإمام الباقر عليه السلام أن يتزوج من ذرية الأشعث بن قيس وقال: (إن رسول الله ﷺ لعن قوماً فجرت اللعنة في أعقابهم إلى يوم القيامة! وأنا أكره أن يصيب جسدي جسد أحد من أهل النار). (الكافي: ٥/ ٥٦٩).

وقد بحثنا لعن معاوية لأمر المؤمنين عليه السلام في جواهر التاريخ (٢/ ٤٢٧)، وفندنا تحريف أتباع الخلافة لمعنى اللعن ومحاولتهم جعله رحمة وبركة على الملعونين.

من أدعيته القصار ﷺ:

- ١ - اللهم إني أسألك العافية وشكر العافية وتمام العافية في الدنيا والآخرة). (مكارم الأخلاق / ٣٥١).
- ٢ - (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع). (الحاكم: ١/ ١٠٤).
- ٣ - (اللهم فائق الإصباح، وجاعل الليل سكناً، والشمس والقمر حساباً، إقض عني الدين، وأغنني من الفقر، ومتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك). (ابن أبي شيبه: ٧/ ٢٧).
- ٤ - (اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك). (ابن شيبه: ٧/ ١٣٤).
- ٥ - كان ﷺ يكثر من قوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. قالوا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها). (مسند أبي يعلى: ٦/ ٣٦٠).
- ٦ - (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة). (ابن حبان: ٣/ ٣٠٤).
- ٧ - (اللهم متعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني، وأرني فيه ثأري). (الحاكم: ١/ ٥٢٣).
- ٨ - (اللهم زيّني بالعلم، وأغنني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية). (كنز العمال: ٢/ ٦٨٩).
- ٩ - (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك). (صحيح مسلم: ٨/ ٨٨).



الفصل الثالث والثلاثون

أهم خصائص النبي ﷺ وشمائله

كثرة خصائص النبي ﷺ وكثرة المؤلفات فيها

عَدَّ العلماء كثيراً من خصائص النبي ﷺ مثل أنه خاتم الأنبياء وأفضلهم، وأن الله خصه بالمعراج وأراه ملكوت السموات والأرض، وأن شريعته لا تنسخ، وأنه لا ظل له، وأنه تنام عينه ولا ينام قلبه، وأن الله أحل له من النساء أكثر من أربع، وأن صلاة الليل وصلاة الوتر فرض عليه دون أمته، وأنه شفيع المحشر، وصاحب لواء الحمد فيه، وأنه في درجة الوسيلة، الدرجة العليا من الجنة.. الخ.

وقد ألف العلماء أكثر من خمسين كتاباً وبحثاً في خصائص النبي ﷺ، عددوا فيها عشرات الخصائص، ومن هذه الكتب والبحوث القوي ومنها الضعيف، ومنها مكذوب لتأييد حديث مكذوب، كقول أنس وأمه الأرملة بنت ملحان إن النبي ﷺ كان يزورها في بيتها وينام في حجرها فتفلي رأسه من القمل، مع أنها أجنبية عنه، فزعموا أن من خصائصه الخلوة بالأجنبية! أو المكذوب لرفع لعن زعماء قريش، فقالوا إن النبي ﷺ ظلمهم بلعنه إياهم ثم تاب! ثم قالوا إن من خصائصه أن له أن يلعن الناس بلا سبب!

وقد اختصر بعضهم في خصائصه ﷺ، وأطال آخرون، وبقيت خصائص لم يذكروها، فأردنا إيراد أهمها، وكتابة ما لم يذكروه منها.

عددوا من خصائصه أكثر من مائة

ونورد منها خلاصة لما ذكره المقرئ في المجلد العاشر من إمتاع الأسماع:

- ✧ جعله الله تعالى أولى بالمؤمنين من أنفسهم.
- ✧ جعل أزواجه أمهات المؤمنين وحرم التزوج بهن بعده.
- ✧ نصره الله بالرعب مسيرة شهر.
- ✧ أن الملائكة قاتلت معه يوم بدر.
- ✧ أن رسالته عامة إلى الإنس والجن.
- ✧ أنه أول شافع وأول مشفع في القيامة.
- ✧ أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.
- ✧ أنه أول من يقرع باب الجنة.
- ✧ أنه سيد الأنبياء ﷺ.
- ✧ أنه أعطي جوامع الكلم ومفاتيح الكلم.
- ✧ أنه أعطى مفاتيح خزائن الأرض.
- ✧ أنه كان منوراً وكان إذا مشى في الشمس والقمر لا يظهر له ظل.
- ✧ كان يرى من ورائه كما يرى من أمامه، ويرى في الظلمة كما يرى في النهار.
- ✧ أن كل نسب وحسب ينقطع نفعه يوم القيامة إلا نسبه وحسبه.
- ✧ أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً، لأن الشيطان لا يتمثل في صورته.
- ✧ كان إذا قعد لحاجته تبتلع الأرض بوله وغائطه.
- ✧ أنه ولد مختوناً مسروراً.
- ✧ كان لا يتشاءب.
- ✧ كان لا يحط عليه الذباب.

✽ أنه أسري به وعرج به إلى سدره المنتهى.

✽ أنه صاحب اللواء الأعظم يوم القيامة.

✽ أنه صاحب الخوض المورود.

أول خصائصه مقامه العظيم الذي تفرد به

١ . فهو أفضل المخلوقات، لأنه أعرفهم بالله تعالى، ولأنه أعمقهم طاعة له. فقد حقق رقماً قياسياً في معرفة ربه عز وجل، وطاعته المطلقة.

قال المجلسي في روضة المتقين (٢٧٣/١٣): (روي بطرق متكررة أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: يا علي لا يعرف الله تعالى إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا).

وروى الصدوق في علل الشرائع (٥/١)، بسند صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال: علي: فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا. فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فانطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هملنا، لتعلم الملائكة ان لا إله إلا الله وأنا عبيد ولسنا بألهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله. فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا، فتعلمت الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله، لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله. فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله.

فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله، وتسبيحه، وتهليله، وتحميده، وتمجيده..

وإنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل مشى مشى، وأقام مشى مشى، ثم قال لي تقدم يا محمد، فقلت له يا جبرئيل أتقدم عليك؟ فقال: نعم لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصة، فتقدمت فصليت بهم ولا فخر، فلما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل تقدم يا محمد وتحلف عني، فقلت يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال يا محمد إن انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعديّ حدود ربي جل جلاله!

فزج بي في النور زجة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه، فنوديت يا محمد، فقلت: لبيك ربي وسعدك تباركت وتعاليت، فنوديت: يا محمد أنت عبادي وأنا ربك فيايي فاعبد وعليّ فتوكل، فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي، لك ولمن أتبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلفت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشييعتهم أوجبت ثوابي، فقلت يا رب ومن أوصيائي، فنوديت يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه إسم وصي من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم مهدي أمتي، فقلت يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت يا محمد هؤلاء أوليائي وأوصيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك. وعزتي وجلالي، لأظهرن بهم ديني ولأعلن بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذلن له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي حتى تعلو دعوتي، ويجتمع الخلق على توحيدني ثم لأديمن ملكه ولأداو لن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة).

كما أن نبينا ﷺ أعمق الناس في العبودية والطاعة لله تعالى، فلم يعص ربه طرفه عين، وكان مُسَلِّماً له راضياً بقضائه وقدره، لم يقترح على ربه شيئاً أبداً، بينما طالب نوح ﷺ بانه فقال له: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ. وطلب ابراهيم ﷺ أن يجعل من ذريته أئمة، فقال له: لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.

٢. وهو سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فقد أخذ الله ميثاق جميع الأنبياء على نبوته. قال تعالى: وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ. وقد جمع له الأنبياء في معراجة فصلى بهم ﷺ وسألهم فقالوا: أخذ الله عهدنا وميثاقنا على توحيده، وعلى أنك رسول الله. (الكافي: ١٢٠/٨).

٣- خلق الله نور نبينا وآله ﷺ قبل هذا العالم، وأحاديثه عندنا متواترة، وفي مصادرهم كثيرة، أوردها آية الله الميلاني في المجلد الخامس من كتابه نفحات الأزهار، وأوردناها في السيرة النبوية. منها ما رواه في الخصال ٤٨١، عن علي عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل أن خلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار! وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليه السلام!»

ومنها أن عترته النبي ﷺ خلقوا من نوره، ففي الكافي (٤٤٢/١): «قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فيه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماً علماء بررة أصفياء».

٤. أن نبينا ﷺ أول من أجاب في عالم الذر، لما خلق الله البشر وامتحنهم. ففي بصائر الدرجات ٨٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن بعض قریش قال لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من أقر بري وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، وكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله».

ويؤيده ما رواه ابن حنبل في فضائل الصحابة (٢٦٢/٢)، عن سلمان قال: «سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعلي بن أبي طالب بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءين فجزة أنا وجزء علي».

وقد بتره ابن حنبل، لأن نصه كما في تاريخ دمشق (٦٧/٤٢): «كنت أنا وعلي بن أبي طالب، مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزة أنا وجزء علي». ونص ابن عساكر مبتور أيضاً فقد نقله في شرح النهج (١٧١/٩) فقال: «رواه أحمد

في المسند وفي كتاب فضائل علي. وفي كتاب الفردوس: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية».

ونلاحظ أن أخبار خلق نور النبي ﷺ مغيبة عن ثقافة المذاهب فلا تسمعها في مساجدهم ومعاهدهم، ولا تراها في مناهجهم التربوية. وهو سلوك متعمد في الإعراض عن ذكر مقامات النبي ﷺ موروث من طلقاء قريش الذين كانوا يسمون خيار الصحابة: عبّاد محمد! ويهتمونهم بالغلو فيه، لأنهم يؤمنون بمقاماته ﷺ ويتعبدون بأوامره ونصوصه! ولذلك أعلنوا بعد وفاته: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات!

وقد ورثهم في عصرنا بدو متعصبون لبني أمية، قالوا: محمد طارش ومات! أي مبعوث أوصل رسالة وانتهى! وقال عالمهم: عصاي هذه أنفع من محمد!

وحرّموا زيارة قبره ﷺ وحكموا على المسلمين بالشرك لخطابهم النبي ﷺ وقولهم: يا رسول الله إشفع لنا عند الله! وقالوا إنهم يعبدون محمداً!

وقد بحثنا ذلك في المجلد الثاني من ألف سؤال وإشكال، وقلنا إن طعن القرشيات في نبينا ﷺ أسوأ من طعن الإسرائيليات في الأنبياء ﷺ.

٥. من خصائصه أنه ﷺ لم يقترح على ربه شيئاً، فهو أبداً تابع لأمر ربه. ففي من لا يحضره الفقيه (١/١٩٨) قال الإمام زين العابدين لولده زيد عليه السلام: (يا بني إن رسول الله ﷺ لا يقترح على ربه عز وجل فلا يراجعه في شيء يأمره به).

والأئمة على أخلاق جدّهم ﷺ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (مرضت مرضاً شديداً فقال لي أبي عليه السلام: ما تشتهي؟ فقلت أشتهي أن أكون ممن لا أقترح على ربي ما يدبره لي، فقال لي: أحسنت، ضاهيت إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال له جبرئيل عليه السلام: هل من حاجة؟ فقال: لا أقترح على ربي، بل حسبي الله ونعم الوكيل). (الدعوات/١٦٨).

٦. ومن خصائصه ﷺ أنه كان يعمل بقاعدة: دعوا مقادير الله تجري ولا يتدخل. قال الإمام الصادق عليه السلام (الكافي/٢/٦٣): (لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء قد مضى: لو كان غيره).

وقال في الكافي (١/٢٥٩): (عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضاء عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد

عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها، والموضع الذي يقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الإوز في الدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أم كلثوم: لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف أن ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف، كان هذا مما لم يجز تعرضه! فقال: ذلك كان، ولكنه خير في تلك الليلة لمتضي مقادير الله عز وجل).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام (٤٨١/٤): (قال رسول الله ﷺ: يرحمك الله يا سعد، فلقد كنت شجياً في حلق الكافرين، لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضة المسلمين كعجل قوم موسى. قالوا: يا رسول الله أو عجل يراد أن يتخذ في مدينتك هذه! بل، والله يراد، ولو كان سعد فيهم حياً لما استمر تدبيرهم، ويستمرون ببعض تدبيرهم، ثم الله تعالى يبطله. قالوا: أخبرنا كيف يكون ذلك؟ قال: دعوا ذلك لما يريد الله أن يدبره!)

وفي دعائم الإسلام (١٤٦/٢): (اعتل الحسين عليه السلام فاشتد وجعه، فاحتلمته فاطمة عليها السلام الى النبي ﷺ مستغيثةً مستجيبةً فقالت: يا رسول الله، أدع الله لابنك أن يشفيه ووضعت بين يديه، فقام النبي ﷺ حتى جلس عند رأسه ثم قال: يا فاطمة يا بنية، إن الله هو الذي وهب لك هو قادر على أن يشفيه. فهبط عليه جبرئيل فقال: يا محمد، إن الله لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء، ولا تكون الفاء إلا من آفة، ما خلا الحمد لله فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدر من ماء فاقرأ فيه الحمد أربعين مرة، ثم صبه عليه فإن الله يشفيه، ففعل ذلك فكانما أنشط من عقال). (دعائم الإسلام: ١٤٦/٢).

فقد رأت الزهراء عليها السلام أن حالة ابنها خطيرة فحملته الى النبي ﷺ. ولما جلس عند رأسه ليدعو له رآه كالمحتضر، ففكر لعل الله تعالى بدا له في وعده بالحسين عليه السلام ويريد أن يميته! فتوقف عن الدعاء له وقال لها: بل أترك أمره لمقادير الله تعالى، ولا تدخل في مقاديره عز وجل! والحديث يلفتنا الى تأثير تلاوة سورة الحمد في الماء لأنها بلا فاء! ثم تأثير الماء في بدن المريض، وتأثير التكرار سبع مرات أو عشرًا أو أربعين!

وفيهم منه أن معمارية القرآن حسبت للحرف أين يوضع وأين لا يوضع! وأن في القرآن دلالة الحروف بوجودها وعدمها، فوق دلالة الكلمات، فهذا الحرف يدل على نوع من الأحداث،

وهذا يدل على نوع وذاك على نوع آخر!

٧. من خصائصه ﷺ أنه وآله ﷺ مستثنون من أمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ: قال الله تعالى: قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ. وقد تصور صاحب الميزان أن هذا ليس استثناءً وأن المعنى: استكبرت أم تصورت أنك أعلى قدراً من أن تؤمر. والصحيح أنه استثناء حقيقي لأنه لا يوجد مخلوق يتصور أنه أكبر قدراً من أن يأمره خالقه تعالى، بل المعنى: هل استكبرت عن أمري، أم أنت من عبادي العالين الذين لم يشملهم أمري. فقد شمل الأمر بالسجود كل الملائكة، وإبليس الذي كان معهم وهو من الجن. ولم يشمل النبي وأهل بيته ﷺ الذين كانوا أنواراً تامة العقل والحياة، يعيشون في منطقة علياً حول العرش. واستثناهم لأن السجود من أجلهم.

فقد روى الصدوق (فضائل الشيعة/٧) بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: (كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل لإبليس: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، فمن هو يا رسول الله الذي هو أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا، قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَلَمْ يَسْجُدْ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، عنى من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش. فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدي، فمن أحبنا أحبه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يجنأ إلّا من طاب مولده).

٨. أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ﷺ لأن نبينا ﷺ في صلبه. ففي عيون أخبار الرضا ﷺ (٢٣٨/١): (إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا واکراماً، وكان سجدتهم لله عز وجل عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة)؟!

٩. من خصائصه ﷺ أنه وأهل بيته ﷺ المستثنون من الصعقة في قوله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ. وقد تحير المفسرون في المستثنى من صعقة القيامة

على عشرة أقوال وأكثر!

قال في فتح الباري (٣٢٠/١١): (وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال: الأول: أنهم الموتى كلهم لكونهم لا إحساس لهم.. عن سعيد بن جبير موقوفاً: هم الشهداء وسنده إلى سعيد صحيح.. وهذا هو القول الثاني.. إلى آخر ما عدده.

أقول: إن الإستثناء من الصعقة تكريمٌ خاصٌ للمستثنين. وقد طبقه كل منهم على من يراه أهلاً له. والعجيب أنهم قبلوا أن يكون المستثنين الملائكة أو البشر، فهم أحق بالتكريم من محمد وآل محمد ﷺ! مع أن بني آدم أفضل من الملائكة، وجبرئيل لم يتقدم على نبينا ﷺ!

١٠- ومن خصائص النبي ﷺ أنه كان يحقر الدنيا ولا يراها لنفسه قدراً. قال أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: ٥٩/٢): (فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ، فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى. وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص لأثره. قضم الدنيا قضمًا، ولم يعرها طرفاً. أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخصهم من الدنيا بطناً. عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقر شيئاً فحقره، وصغر شيئاً فصغره. ولو لم يكن فينا إلا حينا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله ﷺ لكفى به شقاقاً لله ومحادةً عن أمر الله. ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخسف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة لإحدى أزواجه غيبه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها. فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها ريشاً، ولا يعتقدها قراراً ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر. وكذا من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده.

ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدل على مساوئ الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته. فلينظر ناظر بعقله، أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال أهانه فقد كذب والعظيم، وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه. فتأسى متأسي بنبيه، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة فإن الله جعل محمداً ﷺ علماً للساعة، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة. خرج

من الدنيا خميصاً، وورداً الآخرة سليماً. لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه. فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (قال رسول الله ﷺ: مالي وللدنيا إنما مثلي ومثلها كراكب رفعت له شجرة في يوم صائف، فقال تحتها، ثم راح وتركها). ومعنى: قال تحتها: نام في القيلولة.

وقال عليه السلام: (في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: يا علي إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، يا علي أوحى الله إلى الدنيا إحدمني من خدمني، وأتعبني من خدمك. يا علي إن الدنيا لو عدلت عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة من ماء، يا علي ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلا قوتاً). (وسائل الشيعة: ١١/٣١٧).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: (أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: علمني يا رسول الله شيئاً، فقال عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر. قال: زدني يا رسول الله، قال: إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر). (وسائل الشيعة: ١١/٣٢٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (قال رسول الله ﷺ: إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم). (وسائل الشيعة: ١١/٣١٩).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الكافي: ٨/١٣١): (قال رسول الله ﷺ: عرضت علي بطحاء مكة ذهباً فقلت: يا رب لا، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا شبعت حمدتك وشكرتك، وإذا جعت دعوتك وذكرتك).

ونختم بما قاله أمير المؤمنين عليه السلام (مطالب السؤل: ٢٧٦)، لجابر الأنصاري لما رآه تنفس الصعداء، فقال له: (يا جابر علام تنفسك أعلى الدنيا؟ فقال جابر: نعم. فقال له: ملاذ الدنيا سبعة: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، والمركوب، والشموم، والمسموع.

فألذ المأكولات العسل وهو بصاق من ذبابة، وأجل المشروبات الماء وكفى بإباحته وسياحته على وجه الأرض، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلى المنكوحات النساء وهي مبال في مبال ومثال لمثال، وإنما يراد أحسن ما في المرأة لأقبح ما فيها. وأعلى المركوبات الخيل وهي قوادل، وأجل المشمومات المسك وهو دم من سرّة دابة، وأجل المسموعات الغناء والترنم وهو إثم! فما هذه صفته لم يتنفس عليه عاقل! قال جابر: فوالله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبي).

١١. من خصائصه ﷺ أن بدنه الشريف فيه ميزات عن تكوين أبداننا. فالنبي ﷺ ولد مختوناً مسروراً أي سويت سرتة، وعلى كتفه خاتم النبوة وهو شامة عليها شعرات خضر. وهو يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ويرى في الظلمة كما يرى في النور، وبدنه نوراني ليس له ظل، ولا يتشاءب ولا يتمطى، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، فيسمع وهو نائم، ورائحة نجوه مثل المسك، والأرض تستره بابتلاعه. وأن أحدهم شرب من دم حجامته فلم يمرض، وأن في تفلته الشفاء والمعجزة.

قال المحقق الحلي في النهاية ونكتها (٥١٠/١): (في خصائص النبي ﷺ وهي خمس عشرة خصلة: منها ما هو في النكاح وهو تجاوز الأربع بالعقد، وربما كان الوجه الوثوق بعدله بينهن دون غيره... ومنها ما هو خارج عن النكاح: وهو وجوب السواك، والوتر والأضحية، وقيام الليل، وتحريم الصدقة الواجبة... وخصَّ بأنه تنام عينه ولا ينام قلبه. ويصبر وراءه كما يبصر أمامه).

وفي الكافي (١٤٠/٨) في حديث الله تعالى لعيسى عليه السلام: (النور في صدره والحق على لسانه، وهو على الحق حيثما كان، أصله يتيم، ضال برهة من زمانه عما يراده، تنام عيناه ولا ينام قلبه، له الشفاعة وعلى أمته تقوم الساعة).

ومن خصائصه ﷺ ثقل بدنه، ففي مناقب آل أبي طالب (٣٩٩/١): (عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إحملني لنطرح الأصنام عن الكعبة، فلم أطق حمله، فحملني، والله لو شئت أن أنال السماء بيدي لنلتها).

وفي علل الشرائع (١٧٤/١) أن محمد بن حرب الهلالي والي المدينة سأل الصادق عليه السلام: (لم لم يطق حمله علي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته، وما ظهر منه في قلع باب القموص بخيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، وقد كان رسول الله ﷺ يركب الناقة والفرس والحمار، وركب البراق ليلة المعراج، وكل ذلك دون علي في القوة والشدة؟ فقال: إن علياً عليه السلام برسول الله ﷺ تشرف وبه ارتفع وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل، ولو علاه النبي لحط الأصنام لكان ﷺ بعلي مرتفعاً ومتشرفاً وواصلاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه. ألا ترى أن علياً عليه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله ﷺ شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء

لنلتها. أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة وانبعث فرعه من أصله، وقد قال علي عليه السلام: أنا من أحمد كالضوء من الضوء... الحديث). أي ضوء منبعث من ضوء.

وروي أنه بعد تكسير هبل، رمى النبي ﷺ بقبضة حصى على بقية الأصنام فوقع لوجهها فأخذها الناس وكسروها. وروي (البحار: ٧٧/٣٨) أن عمر تمنى ذلك، فقال له ﷺ: إن الذي عبده لا يقلعه).

١٢. من خصائصه ﷺ أنه الشاهد على عمل أمته في حياته، وبعد موته. قال الله تعالى: وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. وفي الصحيح في الكافي (٢١٩/١) قال الإمام الصادق عليه السلام: (تعرض الأعمال على رسول الله ﷺ) أعمال العباد كل صباح أبراها وفجارها فاحذروها. وهو قول الله تعالى: وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ.

وقال عليه السلام: ما لكم تسوون رسول الله ﷺ! فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله ﷺ وسروه). أقول: لا نعرف النظام الرباني لعرض الأعمال على النبي والمؤمنين أي الأئمة عليه السلام، ولا بد أن يكون العرض في خلاصة أو في عمود من نور كما في بعض الروايات، أو يكون بمقياس خارج زماننا ومكاننا، حتى يستوعب النبي ﷺ كل الأعمال.

ويدل الحديث الصحيح عن الصادق عليه السلام (البصائر/٤٤٤) على أنه يوجد نظامان لعرض الأعمال، قال عليه السلام: (إن أعمال أمة محمد تعرض على رسول الله ﷺ في كل خميس فليستح أحدكم من رسول الله ﷺ أن يعرض عليه القبيح).

وفي حديث آخر: (تعرض عليه في كل خميس، فإذا كان الهلال أكملت. فإذا كان النصف من شعبان عُرِضَتْ على رسول الله ﷺ وعلى علي عليه السلام، ثم تنسخ في الذكر الحكيم). والذكر الحكيم إسم أو وصف للقرآن، وهنا بمعنى اللوح المحفوظ كما روي. وفي رواية: أن الله عز وجل في يوم عرفة، يجعل أعمال النواصب هباء منثوراً. وفي رواية: أن أعمال العباد تلقى في نهر من أنهار الجنة عند الملتزم. (الكافي: ٥٢٥/٤).

وفي رواية: استحباب صوم يوم الخميس لتعرض أعمال العبد وهو صائم.

١٣. ومن خصائصه ﷺ أن الله جمع له موارث الأنبياء ﷺ فأعطاها إلى علي ﷺ.

ففي الكافي (١١٥/١): (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال لي: يا أبا محمد إن الله عز وجل لم يعط الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطاه محمد ﷺ قال: وقد أعطى محمد ﷺ جميع ما أعطى الأنبياء ﷺ، وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل: صحف إبراهيم وموسى.. قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم. قلت: من لدن آدم ﷺ حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد ﷺ أعلم منه).

وفي الكافي (٢٢٣/١): (عن علي بن النعمان رفعه، عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: يمصون الثماد ويدعون النهر العظيم! قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله ﷺ والعلم الذي أعطاه الله، إن الله عز وجل جمع لمحمد ﷺ سنن النبيين من آدم وهلم جرأ إلى محمد ﷺ. قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين ﷺ فقال له رجل: يا ابن رسول الله فأمر المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر ﷺ: إسمعوا ما يقول؟ إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين ﷺ، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين)!

وفي الغيبة للطوسي/٢٢٢: (عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: عصا موسى قضيب آس من غرس الجنة أتاه بها جبرئيل ﷺ لما توجه تلقاء مدين، وهي وتابوت آدم في بحيرة طبرية، ولن يبليا ولن يتغيرا حتى يخرجهما القائم ﷺ إذا قام).

وقال الله تعالى عن تابوت السكينة: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

وقد كان التابوت آية لبني إسرائيل على إمامة من يكون عنده، وقد جاءت به الملائكة تحمله بين جموع بني إسرائيل حتى وضعته أمام طالوت ﷺ، ثم سلمه طالوت إلى داود، وداود لسليمان، وسليمان إلى وصيه آصف بن برخيا، ثم فقده بنو إسرائيل عندما تركوا وصي سليمان ﷺ وبايعوا غيره.

واعتقادنا أن تابوت السكينة وجميع موارث الأنبياء عليهم السلام وصلت إلى النبي ﷺ، ثم إلى أوصيائه عليهم السلام، فهي عند الإمام المهدي عليه السلام.

وفي الكافي (٢٣٣/١) قال الإمام الصادق عليه السلام: (وإن عندي لسيف رسول الله ﷺ وإن عندي لراية رسول الله ﷺ ودرعه ولامته ومغفره، وإن عندي لراية رسول الله ﷺ المغلبة، وإن عندي ألواح موسى عليه السلام وعصاه، وإن عندي لخاتم سليمان بن داود عليه السلام، وإن عندي الطست الذي كان موسى عليه السلام يقرب به القربان، وإن عندي الاسم الذي كان رسول الله ﷺ إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة. وإن عندي المثل الذي جاءت به الملائكة).

ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل، في أي أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة، ومن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة).

١٤. ومن خصائصه عليه السلام أنه خطيب المحشر، وصاحب لواء الحمد ورئاسة المحشر، وله حوض الكوثر، وله الشفاعة في المحشر.

في تفسير فرات/٤٣٧: (قال النبي ﷺ: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة، وعدني المقام المحمود وهو وافٍ لي به، إذا كان يوم القيامة نُصب لي منبر له ألف درجة لاكمراقيكم، فأصعد حتى أعلو فوقه، فيأتيني جبرئيل بلواء الحمد، فيضعه في يدي ويقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فأقول لعلي: إصعد، فيكون أسفل مني بدرجة، فأضع لواء الحمد في يده.

ثم يأتي رضوان بمفاتيح الجنة فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود، الذي وعدك الله تعالى، فيضعها في يدي، فأضعها في حجر علي بن أبي طالب.

ثم يأتي مالك خازن النار فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، هذه مفاتيح النار، أدخل عدوك وعدو ذريتك وعدو أمتك النار، فأخذها وأضعها في حجر علي بن أبي طالب. فالنار والجنة يومئذ أسمع لي ولعلي من العروس لزوجها، فهو قول الله تبارك وتعالى في كتابه: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. ألق يا محمد وياعلي عدوكما في النار.

ثم أقوم فأثني على الله ثناء لم يُثنَ عليه أحد قبلي، ثم أثني على الملائكة المقربين، ثم أثني على الأنبياء والمرسلين، ثم أثني على الأئمة الصالحين، ثم أجلس فيثني الله عليّ، ويثني عليّ

ملائكته، ويشني عليّ أنبياءه ورسله، وتشني عليّ الأمم الصالحة).

وفي التوحيد للصدوق/٢٦١: (ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد وهو المقام المحمود، فيشني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يشني على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد ﷺ، ثم يشني على الرسل بما لم يثن عليهم أحد قبله، ثم يشني على كل مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصديقين والشهداء ثم بالصالحين، فيحمده أهل السماوات والأرض، فذلك قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. فطوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب).

قال الكاظمي في مسالك الأفهام (١/١٤٨٩): (قال في التبيان: قد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس. ويؤيده ما رواه العامة عن أبي هريرة أنه قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي).

وفي الكافي (٤/٥٥١): (اللهم فاجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقربين وعبادك الصالحين وأنبيائك المرسلين وأهل السماوات والأرضين، ومن سبج لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين، على محمد عبدك ورسولك ونبيك وأمينك ونجيك وحبيبك وشفيعك وخصمتك وصفوتك وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة والوسيلة من الجنة، وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرين).

وفي أمالي الصدوق/٣٧٠: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي، فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن أذى ذريتي). وفي أمالي الطوسي/٤٥٥: (عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ﷺ يوماً مقبلاً على علي بن أبي طالب وهو يتلو هذه الآية: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. فقال: يا علي، إن ربي عز وجل ملكني الشفاعة في أهل التوحيد من أمتي، وحظر ذلك على من ناصبك وناصب ولدك من بعدك).

١٥. ومن خصائصه ﷺ أن له درجة الوسيلة في الفردوس الأعلى في الجنة. ففي

بصائر الدرجات/٤٣٦، بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري قال: (كان النبي ﷺ يقول: إذا سألتكم الله فسلوه الوسيلة. قال: فسألنا النبي ﷺ عن الوسيلة قال: هي درجتي في الجنة، وهي

ألف مرقاة، ما بين مرقاة إلى مرقاة جوهرية، إلى مرقاة زبرجدة، إلى مرقاة ياقوتة، إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ذهبية، إلى مرقاة فضة، فيؤتى بها يوم القيمة حتى تنصب مع درجة النبيين، فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قالوا طوبى لمن له هذه الدرجة؟ فيأتي النداء من عند الله تبارك وتعالى يُسمع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذه درجة محمد. فقال رسول الله ﷺ أَقْبِلْ أنا يومئذ متزراً بربطة من نور، على تاج الملك وإكليل الكرامة، وعلي بن أبي طالب أمامي، بيده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه: لا إله إلا الله. المفلحون هم الفائزون بالله.

فإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقربان، وإذا مررنا بالملائكة قالوا هذا نبيان مرسلان، وإذا مررنا بالمؤمنين قالوا نبيان لم نرهما ولم نعرفهما، حتى أعلو تلك الدرجة وعليّ يتبعني، فإذا صرت في أعلى الدرجة وعليّ أسفل مني بدرجة، ويده لوائي فلا يبقى يومئذ ملك ولا نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم إلينا ويقولون: طوبى لهذين العبدین ما أكرمهما على الله. فيأتي النداء من عند الله يسمع النبيين والخلائق: هذا محمد حبيبي، وهذا علي وليي، طوبى لمن أحبه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه).

وفي الكافي (٢٤/٨) من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم السابع لوفاة النبي ﷺ: (ألا الوسيلة على درج الجنة وذروة ذوائب الزلفة، ونهاية غاية الأمنية، لها ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام. وما بين مرقاة درة إلى مرقاة جوهرية، إلى مرقاة زبرجدة، إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ياقوتة، إلى مرقاة زمردة، إلى مرقاة مرجانة، إلى مرقاة كافور، إلى مرقاة عنبر، إلى مرقاة يلنجوج، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة غمام، إلى مرقاة هواء، إلى مرقاة نور!

قد أنافت على كل الجنان، ورسول الله ﷺ يومئذ قاعد عليها، مرتد برطتين، ربطة من رحمة الله، وربة من نور الله، عليه تاج النبوة وإكليل الرسالة، قد أشرق بنوره الموقف، وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة وهي دون درجته، وعليّ ربتان ربطة من أرجوان النور، وربة من كافور. والرسول والأنبياء قد وقفوا على المراقي، وأعلام الأزمنة وحجج الدهور، عن أياننا وقد تجللهم حلل النور والكرامة، لا يرانا ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا بهت بأنوارنا وعجب من ضيائنا وجلالتنا.

وعن يمين الوسيلة عن يمين الرسول ﷺ غمامة بسطة البصر يأتي منها النداء: يا أهل الموقف

طوبى لمن أحب الوصي وآمن بالنبي الأُمي العربي، ومن كفر فالنار موعده!
ويا أهل الإنحراف والصدود عن الله عز ذكره ورسوله وصراطه وأعلام الأزمنة، أيقنوا
بسواد وجوهكم وغضب ربكم، جزاء بما كنتم تعملون)!
وفي مناقب ابن المغازلي/٣١٦، وكنز العمال (١٠٣/١٢) عن ابن مردويه: (في الجنة درجة
تدعى الوسيلة، فإذا سألت الله فسلوا لي الوسيلة، قالوا: يا رسول الله من يسكن معك فيها؟ قال:
علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ).



شمال النبي ﷺ وكثرة المؤلفات فيها

المقصود بخصائص النبي ﷺ صفاته الخاصة. وبالشمال صفاته العامة. قال الخليل (٢٦٥/٦): (والشمال: خليفة الإنسان. وجمعه: شمائل. ويقال: إنها لحسنة الشمائل، أي: شكلها وحالاتها. ورجل كريم الشمائل، أي: في أخلاقه وعشرته). فالشمائل تشمل الطبائع والصفات البدنية. وقد ألف الترمذي كتابه: الشمائل المحمدية، في شمائل النبي ﷺ، ولخصه الألباني. وكتب البغوي المشهور وهو الحسين بن مسعود كتابه: الأنوار في شمائل النبي المختار لكنه لم يتقيد فيه بإسم الكتاب فجاء أوسع من الشمائل. وألف آخرون في العصور المتأخرة في الشمائل، ولم يبلغوا مستوى شمائل الترمذي والبغوي، لذلك نورد خلاصته:

خلاصة كتاب الشمائل المحمدية للترمذي

أهم ما أورده الترمذي في كتابه أحاديث علي والحسن والحسين ﷺ في وصف النبي ﷺ، لكنه جزأها مع الأسف، مقتدياً في التجزئة بأستاذه محمد بن إسماعيل البخاري، الذي نَقَّف الأحاديث تنقيفاً فخرها!

ونحن جمعناها وكتبنا ملاحظات حول الحديث المشهور عن ابن أبي هالة: قال الترمذي: كان علي إذا وصف رسول الله ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط، ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا بالملكثم، وكان في وجهه تدوير، أبيض مشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد ذو مسربة، شن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنها ينحط في صلب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقال الترمذي: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي يقول: في تفسير صفة النبي ﷺ: الممغط: الذاهب طولاً. وقال: سمعت أعرابياً يقول في كلامه: تمغط في نشاطته

أي مدها مدّاً شديداً. والمتردد: الداخل بعضه في بعض قصراً.
وأما القَطَط: فالشديد الجعودة والرجل الذي في شعره هجونة، أي تشن قليل.
وأما المَطْهَم: الكثير اللحم، والمكَلْثَم: المدور الوجه المشرب: الذي في بياضه حمرة.
والأَدْعَج: الشديد سواد العين. والأَهْدَب: الطويل الأشفار. والكَتْد: مجتمع الكتفين
وهو الكاهل. والمسربة: هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة.
والشَن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين.
والتقلع: أن يمشي بقوة. والصبب: الحدور. يقال: انحدرنا في صبوب وصبب.
وقوله: جليل المشاش: يريد رؤوس المناكب. والعشرة: الصحبة. والعشير: الصاحب.
والبديهة: المفاجأة، يقال: بدهته بأمر، أي فجأته.

حديث ابن أبي هالة بل حديث الحسن في وصف النبي ﷺ

اشتهر هذا الحديث باسم حديث هند بن أبي هالة في وصف النبي ﷺ لكن فقراته المهمة رويت عن هالة عن الحسن عن الحسين عن علي عليه السلام!
قال الترمذي/١٨٩: عن الحسن بن علي قال: قال الحسين: سألت أبي عن سيرة رسول الله ﷺ في جلسائه فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عيان ولا مشاح.. وسيأتي كاملاً.

بحث في سند الحديث

١. ضعف النقاد هذا الحديث مثل الهيثمي وقال: فيه من لم يسم، أي مجهول. والألباني فقال: ضعيف. وكذلك فعل السيد جعفر مرتضى، في الصحيح في سيرة النبي ﷺ، وكلامهم طبعاً عن سنده المشهور المتقدم.

لكن يمكن تصحيح الحديث لأن له طرقاً أخرى، ذكر بعضها الصدوق في معاني الأخبار/٨٠، قال: (وحدثني الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري قال أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن منيع، قال: حدثني إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي

بن الحسين عليه السلام بمدينة الرسول قال: حدثني علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال الحسن بن علي عليه السلام: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ، وأورد الحديث.

كما ذكر له ابن عساكر طريقين آخرين (تاريخ دمشق: ٣/٣٣٦) قال: (وأما حديث هند فأخبرناه عالياً أبو محمد عبد الكريم السلمي أنبأنا أبو بكر الخطيب أنبأنا أبو بكر الخطيب. وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا أبو بكر بن اللالكائي وأبو سعد محمد بن علي بن محمد بن جعفر السلمي قالوا أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر أنا يعقوب نبأنا يونس أنبأنا أبو بشر بن قعنب حدثني إسحاق بن صالح المخزومي عن يعقوب التميمي عن عبد الله بن عباس أنه قال لهند بن أبي هالة التميمي، وكان صادقاً وكان وصافاً لرسول الله ﷺ صف لنا رسول الله ﷺ فلعلك أن تكون نساباً معرفة، قال: كان بأبي هو وأمي طويل الصمت دائم الفكر متواتر الأحران إذا تكلم تكلم بجوامع الكلم لا فصل ولا قصير. إذا تحدث أعاد وإذا وعظ جد وماد، وإذا خولف أعرض فأشاح، يتروح إلى حديث أصحابه يعظم النعمة وإن دقت ولا يذم ذواقاً، ويسم عن مثل حب الغمام.

هذا حديث غريب من حديث ابن عباس عن هند وهو مختصر، وقد روي من وجه آخر غريب أيضاً عن هند أخبرناه أبو عبد الله الفراوي أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ لفظاً وقراءة حينئذ. وأخبرناه أبو طاهر محمد بن محمد السنجي وأبو محمد بختيار بن عبد الله الهندي واللفظ لحديثها، قالوا: أنبأنا أبو سعد محمد بن عبد الملك بن عبد القاهر الأسدي أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان قالوا: أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال أبو عبد الله الثقفي صاحب كتاب النسب وقال ابن شاذان المعروف بابن أخي طاهر العلوي أنبأنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

زاد أبو عبد الله أبو محمد بالمدينة سنة ثلاث وستين ومائتين: حدثني علي بن جعفر بن محمد زاد بن شاذان بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال: قال الحسن بن علي: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية

رسول الله ﷺ وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لي منه شيئاً أتعلق به قال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلأأ وجهه تلاًأ القمر ليلة البدر.. الحديث).

وقال القاضي عياض في الشفا (١٥٣/١): (وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن خداداد الكرجي الباقلاني قال: وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن ابن خيرون قالاً: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أخيه موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن علي بن الحسين قال: قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً.. الحديث)

أقول: من مجموع طرق الحديث ومن استفاضته، يمكن القول بصحته.

٢. الإشكال الأهم أن الترمذي رواه عن ابن أبي هالة عن الإمام الحسن عليه السلام وابن عساكر رواه في طريق، عن ابن عباس أنه سأل ابن أبي هالة.

٣. والأهم منهما أن روايتهم للحديث تقول إن الإمام الحسن عليه السلام كتبه عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام زماناً ثم ذكره له فوجد أن استقصى وصف جده النبي ﷺ من أبيه علي عليه السلام، وأورد ما قاله الحسين عليه السلام وهو أكثر مما قاله ابن أبي هالة! وبلاغة القسمين ونفسهما الأدبي واحد!

٤. ما تقدم يعزز الشك بأن القائل ليس ابن أبي هالة، وأن أصل الحديث لعلي أو لابنه الحسن عليه السلام ونسبه راوٍ ناصبي إلى ابن أبي هالة. فلغة هذا الوصف بليغة شبيهة بكلام أمير المؤمنين عليه السلام، وبعض فقراته رويت عنه.

٥. اتهموا بوضعه جميع بن عمير التيمي من تيم الله وذممه، لكنه ثقة عندنا. قال الكناي في تنزيه الشريعة (٤٦/١): (جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي أبو بكر الكوفي، راوي حديث هند

بن أبي هالة في الصفة النبوية، قال أبو داود أخشى أن يكون حديثه موضوعاً، وقال ابن الجوزي كذاب يضع الحديث). وقال النووي: هو من أكذب الناس (المجموع: ٨/١٢).

وقال الطبرسي في رجال الشيعة في أسانيد السنة ٨٦: (قال ابن حبان: كان رافضياً يضع الحديث. وقال ابن حجر: يتشيع. وقال أبو حاتم: من عتق الشيعة. وقال ابن عدي: وعامة ما يرويه أحاديث لا يتابعه غيره عليه).

٦. يؤيد أن القائل ليس ابن أبي هالة أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن بحاجة لأن يسأل عن صفة جده عليه السلام، فقد نشأ في حضنه وروى عنه، وكان له من العقل والإدراك ما يجعله أقدر على وصفه من ابن أبي هالة الذي لم يكن في المدينة، ولا عرف بالفصاحة والبلاغة. ويكفي لإثبات ما قلنا أن تتأمل فقرات الحديث التي رويت عن ابن أبي هالة والفقرات التي تلتها التي رويت عن أمير المؤمنين عليه السلام لترى وحدتها.

نص روايتهم عن جميع بن عمير (مجمع الزوائد ٢٧٣/٨):

(عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافاً عن صفة رسول الله ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال:

كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلأأ وجهه تلاًؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع وأقصر من المشذب، رَجَل الشعر، إذا تفرقت عقيصته فرق فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزجّ الحواجب، سوابغ من غير قرن بينهما، عَرِقٌ يُدِرُّه الغضب، أقنى العرنيين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم.

كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيدٌ دمنة في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك سواء البطن والصدر، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة، بشعر يجري كالخط، عاري اليدين والبطن، مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، رحب الراحة، سبط القصب، شش الكفين والقدمين وسائر الأطراف، خمسان الأخصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء. إذا زال زال قلْعاً، وتخطى تكفياً، ويمشي هوناً، ذريع المشية إذا مشى، كأنها ينحط من صلب، وإذا التفت التفت معاً، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل

نظره الملاحظة بسوق أصحابه، يدر من لقي بالسلام.

قلت صف لي منطقته: قال كان رسول الله ﷺ مواصل الأحرار، دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل الصمت، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فضل لا فضول ولا تقصير، دمثٌ ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا نوزع الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فيضرب بباطن راحة اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا ضحك غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

قال الحسن عليه السلام: فكتمتها الحسين زماناً، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسألته عما سألته ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله، فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ قال: كان دخوله لنفسه مأذون له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه، ثم جزأ نفسه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة، فلا يدخر عنهم شيئاً، فكان من سيرته في جزء الأمة إثارة أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج، فيتشغل بهم فيما يصلحهم ويلائمهم، ويخبرهم بالذي ينبغي لهم، ويقول ليلبغ الشاهد الغائب، وأبلغوا في حاجة من لا يستطيع إبلاغها، يثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذاك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق، ويخرجون أذلة.

قال فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال: كان رسول الله ﷺ يحزن لسانه إلا مما ينفعهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، أو قال ولا ينفرهم، فيكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد سره ولا خلقه، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا. لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجوز به. الذين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده أعظمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

فسأله عن مجلسه فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهي عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه بنصيبهم، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه. من جالسه أو قاومه في حاجة صابره، حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تُثني فلتاته، متعادلين متواصين فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذوي الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال قلت كيف كانت سيرته في جلسائه قال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا فاحش ولا عياب، ولا مزاح. يتغافل عما لا يشتهي، ولا يخيب فئة، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء والإكثار وما لا يعنيه، وترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه. إذا تكلم أطرقت جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده، من تكلم انصتوا له حتى يفرغ. حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الهفوة في منطقه ومساءته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبوهم ويقول إذا رأيتم طالب الحاجة فارشدوه. ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه، فيقطعه بنهي أو قيام.

قال قلت كيف كان سكوته قال: كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر، فأما تقديره ففي تسويته النظر واستماع بين الناس، وأما تذكره أو قال تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يرضيه ولا يستفزه.

وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدوا به، وتركه القبيح لينتهوا عنه، وإجهاده الرأي فيما يصلح أمته، والقيام فيما يجمع لهم الدنيا والآخرة).

ما لم نذكره من شمائل الترمذي

كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه.

كان أشكل العين، أي طويل شق العين. كان أبيض مليحاً مقصداً.

كان له شعر فوق الجمة، ودون الوفرة. شعره إلى أنصاف أذنيه. كان يسدل شعره. ثم فرق رأسه. كان يكثر دهن رأسه، وتسريح لحيته.

يجب التيمن في طهوره، وفي ترجله، وفي انتعاله.

أفلج الشيتين، إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه.

وعليه ثوبان أخضران وله شعر قد علاه الشيب. إنما كان شيئاً في صدغيه.

كان كُم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ. لبس جبة رومية ضيقة الكمين.

قال ﷺ: عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم. أهدى دحية للنبي ﷺ خفين فلبسهما.

نهى أن يأكل الرجل بشماله، أو يمشي في نعل واحدة.

كتب إلى كسرى وقيصر ف قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم، فصاغ رسول الله ﷺ خاتماً حلقتة فضة، ونقش فيه: محمد رسول الله.

كان خاتمه من ورق وكان فضة حبشياً.

كان عليه يوم أحد درعان قد ظاهر بينهما. دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء. دخل مكة وعلى رأسه المغفر. قال: فلما نزع جاءه رجل فقال له: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: أقتلوه.

ولا رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنها الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث.

رأيت رسول الله ﷺ يأكل الدجاج. أكلت مع رسول الله ﷺ لحم حبارى.

قال ﷺ: كلوا الزيت، وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة.

إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ، فقرب له خبزاً من شعير، ومرقاً فيه دبء وقديد، قال أنس: فرأيت النبي ﷺ يتبع الدباء حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. كان يحب الحلواء والغسل. ضفت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فأتي بجنب مشوي، ثم أخذ الشفرة فجعل يحز فحز لي بها منه. قال: فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فألقى الشفرة.

قال ﷺ: إن أطيب اللحم لحم الظهر.

جلس علي والنبي ﷺ يأكل، قالت فجعلت لهم سلقاً وشعيراً، فقال لعلي: من هذا فأصب، فإن هذا أوفق لك.

رأيت النبي ﷺ أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمر، وقال: هذا إدام هذه، وأكل. كان يأكل البطيخ بالرطب.

قال سلمان: قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده، فذكرت ذلك للنبي ﷺ وأخبرته بما قرأت في التوراة، فقال: بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده.

كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين. وقال ﷺ: أما أنا فلا آكل متكئاً.

قال رسول الله ﷺ: ليس شئ يحزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن.

كان إذا شرب تنفس مرتين. وشرب من زمزم وهو قائم.

وقال ﷺ: ثلاث لا ترد: الوسائد والدهن واللبن.

ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسر دكم هذا! ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه. يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه.

كان لا يضحك إلا تبسماً، إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين وليس بأكحل.

كان إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.

كان ﷺ يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه فيقال له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما

تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً.
 أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء .
 قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة .
 إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من آدم، حشوه ليف .
 لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله .
 لو أهدي إلي كراع لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت .
 ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، ولا ضرب خادماً ولا امرأة .
 ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا .
 احتجم على الأخدعين وبين الكتفين وأعطى الحجام أجره .
 قال ﷺ: إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر،
 وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي . وأنا
 نبي الرحمة، ونبي التوبة، وأنا المقفى، وأنا الحاشر، ونبي الملاحم .

نماذج من كتاب: الأنوار في شمائل المختار للبغوي

صفحة ١٥٧/ قال أنس: ما شممت رائحة قط مسكية ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ،
 ولا مسست شيئاً قط خزة ولا حريرة ألين من كفه .
 صفحة ٢٦٦/ جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذكرون
 أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت وربما يتبسم معهم .
 صفحة ٢٦٧/ عن أبي الدرداء قال: كان إذا حدث بحديث تبسم في حديثه .
 صفحة ٢٨١/ قال علي بن أبي طالب: كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ، فما
 يكون أحد أقرب إلى العدو منه .
 صفحة ٢٩٣/ عرضت عجوز للنبي ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت: يا رسول الله إن لي
 إليك حاجة . فقال يا أم فلان أجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك قال ففعلت فقعد
 إليها رسول الله ﷺ .

صفحة/٢٩٦: كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له.

صفحة/٣١٦: أتى رجل يكلمه فأرعد فقال: هون عليك فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد.

صفحة/٣٣١: قال ﷺ: لقد أخفْتُ في الله وما يخاف أحد، ولقد أوديتُ في الله وما يؤذى أحد. ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال. صفحة/٣٤٢: من رواية أم معبد في هجرة النبي ﷺ: لما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال لا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضأة أبلج الوجه، لم تعب ثجلة ولم تزر به صقلة، وسيم قسيم في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثائة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سباه وعلاه البهاء، أجمل وأبهاء من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلوا المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطق خرزات نظم يتحدرن. ربعة لا يأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر. غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا. له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا وإن أمر تبادروا لأمره محشود محفود، لا عابس ولا مفند.

صفحة/٥٢٤: عن عروة أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد رداء وثوب أخضر طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر، وهو عند الخلفاء اليوم قد كان خلق فطووه بثوب يلبسونه يوم الفطر والأضحى.

صفحة/٦٦١: كانت للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال.

صفحة/٥٣٧: كان لرسول الله ﷺ قلنسوة بيضاء مضرية وقلنسوة برد حبرة، وقلنسوة ذات أذنين يلبسها في السفر، فربما وضعها بين يديه إذا صلى.

صفحة/٦٢٥: أن الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر أتوا إلى سلمى الأحمسية فقالوا لها: اصنعي لنا طعاماً مما كان يعجب رسول الله ﷺ ويحسن أكله، فقالت: يا بني لا تشتهي اليوم،

قال: بلى إصنعيه لنا. قال: فقامت فأخذت من شعير فطبخته، ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئاً من زيت، ودقت الفلفل والتوابل فقربتة إليهم، فقالت: هذا مما كان يعجب رسول الله ﷺ ويحسن أكله.

أقول: لما فتح مكة نصب خيمته في الحجون قرب قبر خديجة ﷺ. ولم يدخل بيتاً من بيوته وبيوت بني عبد المطلب، إلا بيت أم هاني رضي الله عنها.

قالت أم هاني قالت: دخل علي النبي ﷺ فقال: أعندك شيء؟ فقلت: لا إلا خبز يابس وخل، فقال: هاتي، فما أفقر بيت آدم فيه الخل.





الفصل الرابع والثلاثون

كيف كان رسول الله ﷺ يمضي يومه

كيف يمضي ليلته ﷺ؟

١. كان رسول الله ﷺ يصلي المغرب والعشاء في المسجد وقد يفصل بينهما. ثم يذهب الى منزله، ثم يعود بعد نحو ساعة لصلاة العشاء، أو يجمعهما ويفصل بينهما بصلاة ركعتين والإقامة لصلاة العشاء. وبعد الصلاة يذهب الى بيته، وقد يجلس قليلاً في المسجد لمن راجعه في حاجة. وقد يزور ضيوفاً عنده بعد صلاة العشاء، كما روي في وفد الطائف. وكان يأخذ عدداً من أهل الصُفَّة معه ليعشيهم، ويوزع الباقيين على بعض أصحابه. ولم أجد أن أحداً ذهب اليه في بيته ليلاً في حجرته الشريفة أو بيوت نسائه، إلا على الإفطار في شهر رمضان.

٢. وكان يتعشى إن وجد العشاء ولو خفيفاً، ويأمر بالعشاء ويؤكده عليه، ولم أجد أنه قبل دعوة في الليل في غير شهر رمضان. وعشاؤه يكون في بيته وحجرتة وفي البيت خادمه أنس. أو في بيت إحدى نسائه، ولم يكن واجباً عليه أن يقسم ليلته لكل زوجة ليلة، كما يأتي.

وكان غالباً ما يبيت في بيت إحدى زوجاته، وإذا مسها يغتسل من الجنابة، ولا ينام جنباً كما زعمت رواية عائشة. وكان ينام مبكراً ولا يصلي نافلة الى نصف الليل. قال الإمام الصادق عليه السلام في الصحيح (الكافي: ٤٤٥/٣): (إن رسول الله ﷺ كان إذا صلى العشاء الآخرة أمر بوضوئه وسواكه يوضع عند رأسه مخمراً (مغطى) فيرقد ما شاء الله، ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلي أربع ركعات، ثم يرقد. ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلي أربع ركعات، ثم يرقد حتى إذا كان في وجه الصبح قام فأوتر، ثم صلى الركعتين.

ثم قال الصادق عليه السلام: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ. قلت: متى كان يقوم؟ قال: بعد ثلث الليل، وفي حديث: بعد نصف الليل. وفي رواية: يكون قيامه وركوعه وسجوده سواء، ويستاك في كل مرة قام من نومه. وفي رواية: فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء، ثم تلى الآيات من آل عمران: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

وفي رواية أنه كان يخرج وينظر في السماء، ويقرأ هذه الآيات.

ونلاحظ أن النبي ﷺ كان كثير السواك، وكان نومه مجزأ ولم يكن متصلاً، وأطول نومه الى نصف الليل ويظهر أنه في الليالي القصار، والى ثلثه في الليالي الطوال.

قال الله تعالى في آخر سورة المزمل: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ. وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، عِلْمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ، فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ. عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

٣. وكان النبي ﷺ يخرج الى المسجد مع الأذان، فيصلي ركعتي الفجر نافلة ويصليها المسلمون

ففرادى لأنه لا جماعة في النوافل، ثم يصلي فريضة الصبح ويجلس بعد الصلاة يذكر الله تعالى، ويراجعه من له حاجة أو عنده مسألة، ثم ينصرف الى منزله، أو عمله.

تأكيد النبي ﷺ على السواك

١. السواك الشرعي: تنظيف الأسنان بعود يابس، وأفضله عود شجر الأراك. (قال

رسول الله ﷺ: لما دخل الناس في الدين أفواجا أتكههم الأزد أرقها قلبوا وأعذبها أفواها، فقيل: يا رسول الله هذا أرقها قلبوا عرفناه، فلم صارت أعذبها أفواها؟ فقال: إنها كانت تستاك في الجاهلية). (الفقيه: ٥٣/١).

(قال رسول الله ﷺ: تسوكوا فإن السواك مطيبة للفم مرضاة للرب، ما جاءني صاحبي جبرئيل إلا أوصاني بالسواك حتى خشيت أن يفرضه عليّ وعلى أمتي، ولولا أني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته عليهم، وإني لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفى أو أدرد).
(مستدرک الوسائل: ١/٣٦٠).

وفي دعائم الإسلام (١١٨/١) قال رسول الله ﷺ: (ثلاث أعطين النبیون: العطر والأزواج والسواك، ولو يعلم الناس ما في السواك لبات مع الرجل في لحافه. وقال ﷺ: لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك مع الوضوء، ومن أطاق ذلك فلا يدعه).

وعنه ﷺ أنه قال: أتاني جبرئيل وقد انقطع عني الوحي ثلاثة أيام، فقلت: ما أبطأ بك يا حبيبي جبرئيل؟ فقال: يا محمد كيف تنزل عليكم الملائكة وأنتم لا تستاكون ولا تستنجون بالماء ولا تغسلون براجمكم، يعنى المفاصل. وقال ﷺ: السواك شطر الوضوء والوضوء شطر الإيمان).

٢. أورد السيد جعفر مرتضى في كتابه الآداب الطبية/٢٤٩، عدداً من روايات السواك، ثم قال:

(نحمل ما جاء فيها على النحو التالي:

- ١ - إن السواك طهور، ومعقم للفم.
- ٢ - إنه منظف للفم.
- ٣ - يجعل الفم عذباً.
- ٤ - يذهب برائحة الفم الكريهة، ويطيب رائحته.
- ٥ - يذهب بالغم.
- ٦ - يزيد في العقل.
- ٧ - يذهب بالدمعة.
- ٨ - يذهب بالبلغم.
- ٩ - يزيد في الحفظ.
- ١٠ - يجلو العين، ويجلو البصر، ويذهب بغشاوته.
- ١١ - يبيض الأسنان.
- ١٢ - يذهب الحفر.

- ١٣ - يشد اللثة.
- ١٤ - يشهي الطعام.
- ١٥ - وإذا كان يعود الأراك، فإنه يسمن اللثة أيضاً.
- ١٦ - ينبت الشعر.
- ١٧ - يوجب النشرة، أو النشوة، حسب بعض النسخ.
- ١٨ - يزيد الرجل فصاحة.
- ١٩ - يذهب بالنسيان، ويحدث الذكر.
- ٢٠ - يذهب بوسوسة الصدر.
- ٢١ - يوجب شدة الفهم.
- ٢٢ - يمرئ الطعام.
- ٢٣ - يذهب بأوجاع الأضراس.
- ٢٤ - يدفع عن الإنسان السقم، ويذهب به.
- ٢٥ - يغني من الفقر.
- ٢٦ - يُصح المعدة).

٣. قال يوسف الحاج أحمد في موسوعة: الإعجاز العلمي (١٧٤٨/١): (أوردت مجلة المجلة الألمانية الشرقية في عددها الرابع (١٩٦١م)، مقالاً للعالم رودات، مدير معهد الجراثيم في جامعة روستوك، يقول فيه: قرأت عن السواك الذي يستعمله العرب كفرشاة للأسنان في كتاب لر حالة زار بلادهم وقد عرض للأمر بشكل ساخر، واتخذة دليلاً على تأخر هؤلاء القوم الذين ينظفون أسنانهم بقطعة من الخشب في القرن العشرين.

وفكرت لماذا لا يكون وراء هذه القطعة الخشبية حقيقة علمية؟ وجاءت الفرصة سانحة عندما أحضر زميل لي من العاملين في حقل الجراثيم في السودان عدداً من تلك الأعواد الخشبية. وفوراً بدأت أبحاثي عليها، فسحقتها وبللتها، ووضعت المسحوق المبلل على مزارع الجراثيم، فظهرت على المزارع آثار كتلك التي يقوم بها البنسلين!

وإذا كان الناس قد استعملوا فرشاة الأسنان من مائتي عام فلقد استخدم المسلمون السواك منذ أكثر من ١٤ قرناً! ولعل إلقاء نظرة على التركيب الكيميائي لمسواك الأراك يجعلنا ندرك

أسباب الاختيار النبوي الكريم، والذي هو في أصله وحي يوحى. تؤكد الأبحاث المخبرية الحديثة أن المسواك المحضر من عود الأراك يحتوي على العفص بنسبة كبيرة وهي مادة مضادة للعفونة، مطهرة قابضة تعمل على قطع نزيف اللثة وتقويتها، كما تؤكد وجود مادة خردلية هي السنجرين Sinnigrin ذات رائحة حادة وطعم حراق، تساعد على الفتك بالجرثيم. وأكد أيضاً الفحص المجهرى لمقاطع المسواك وجود بلورات السيليكا وحامضات الكلس والتي تفيد في تنظيف الأسنان كمادة تزلق الأوساخ والقلح عن الأسنان.

وأكد د. طارق الخوري وجود الكلورايد مع السيليكا وهي مواد تزيد بياض الأسنان، وعلى وجود مادة صمغية تغطي المينا وتحمي الأسنان من التسوس، وإن وجود الفيتامين (ج) و (ثري ميتيل أمين) يعمل على التئام جروح اللثة وعلى نموها السليم، كما تبين وجود مادة كبريتية تمنع التسوس).

تأكيد النبي ﷺ على تناول طعام العشاء

يظهر أن كل الأديان تؤكد على تناول طعام العشاء، وتحذر من النوم على معدة فارغة، وأن وقت العشاء المفضل بعد العتمة، أي في أوائل الليل.

ففي الصحيح في المحاسن (٤٢١/٢): (عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تدعوا العشاء ولو على حشفة، إني أخشى على أمتي من ترك العشاء الهرم، فإن العشاء قوة الشيخ والشاب).

وفي الكافي في الصحيح (٢٨٨/٦): (قال أمير المؤمنين عليه السلام: عشاء الأنبياء ﷺ بعد العتمة فلا تدعوه، فإن ترك العشاء خراب البدن. وفيه: ترك العشاء مهزمة، وينبغي للرجل إذا أسن ألا يبيت إلا وجوفه ممتلئ من الطعام).

ويظهر أن الأطباء في صدر الإسلام كـ بعض الأطباء في عصرنا لا يجذون العشاء!

ففي الكافي (٢٨٩/٦): (عن اللهي، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: ما تقول أطباؤكم في عشاء الليل؟ قلت إنهم ينهون عنه قال: لكني آمركم به).

وفي الصحيح في المحاسن (٤٢٣/٢): (عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: من ترك العشاء نقصت منه قوة، ولا تعود إليه). وهذا معنى الهرم.

هل يجب على النبي ﷺ القسمة بين أزواجه؟

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَنِهُنَّ وَلَا يُخْرَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا. لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا.

وفي صحيح البخاري (٢٤/٦) ومسند أحمد (٢٦١/٦): (لما نزلت هذه الآيات: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ. وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ. قالت عائشة: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك!)

أقول: تعبير عائشة ينافي الإيمان بعدالة الله تعالى ونبوة النبي ﷺ وعصمته، لكن شاهدنا أنها فهمت من الآيات أن هوى النبي ﷺ أن لا يكون ملزماً بالقسمة، وقد أجابه الله تعالى الى ذلك. أما وجوب القسمة على النبي ﷺ بين أزواجه فقد اختلف فيه الفقهاء.

فقال المحقق الحلي في الشرائع (٤٩٨/٢): (من الفقهاء من زعم أنه لا يجب على النبي ﷺ القسمة بين أزواجه، لقوله تعالى: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ، وهو ضعيف لأن في الآية احتمالاً يدفع دلالتها، إذ يحتمل أن تكون المشيئة في الإرجاء متعلقة بالواهبات).

وخالفه الشهيد الثاني في المسالك (٨٢/٧) فرد رجوع الضمير لأن الواهبة نفسها كانت واحدة، بل الضمير يرجع الى كل زوجاته. وختم بقوله: (والحق: الرجوع في مثل ذلك إلى النص، وترك ما هو عين النزاع أو مصادرة على المطلوب. والذي يستفاد من ظاهر الآية عدم وجوب القسم عليه مطلقاً وفعله له جاز كونه بطريق التفضل والإنصاف وجبر القلوب، كما قال الله تعالى: ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَنِهُنَّ وَلَا يُخْرَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ. والله أعلم).

ولصاحب الحقائق (١١١/٢٣) وصاحب الجواهر (١٣١/٢٩)، بحث مفصل في المسألة، ذكروا فيه الإحتالات والأقوال المختلفة.

ونكتفي بهذه الملاحظات

١. مقتضى وجوب القسمة في المبيت بين الزوجات في الأصل على النبي ﷺ وغيره فهل هو ثابت على النبي ﷺ الى آخر عمره، أو أنه رفع عنه لما نزلت آية نفى الحرج في سورة الأحزاب في أواخر السنة الخامسة للهجرة، وهل كان بعدها يقسم بينهن على نحو الوجوب أو التفضل منه؟
 ٢. ومقتضى قوله تعالى لنبيه ﷺ: لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ. فهل الحرج المنفي هو الحرج في أصل الأزواج وأن النبي ﷺ له أن يزيد على الأربعة، وله أن يتزوج بالهبة. وهل يشمل الحرج القسمة وأنه لا يجب عليه القسمة بينهن.
 ٣. وقوله: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ. وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ. فهل الإرجاء والإيواء مطلق يشمل كل إرجاء وإيواء للزوجة، فالطلاق إرجاء وعدم القسمة إرجاء، والإبقاء إيواء، والقسمة إيواء.
 ٤. وقوله تعالى: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تُقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ. فقل تقرر أعينهن بالقسمة لأنها مساواة بينهن.
- وقيل وهذا الأقوى عندي إنها جاءت في سياق جواز الإرجاء والإيواء وترك الأمر لرغبة النبي ﷺ فتقرر أعينهن بأن النبي يختار منهن من شاء ولا تجب عليه القسمة، ويقع بينهن الخلاف في حساب ليلة هذه أو هذه، في السفر والحضر.
- والأقوى أن الله تعالى رفع القسمة عن النبي ﷺ، بنزول آيات سورة الأحزاب، ويؤيده كلمة الكفر التي قالتها عائشة من أن الله تعالى سارع في هوى نبيه ﷺ، وهي تقصد هواه في تعدد الزوجات وفي القسمة.





الفصل الخامس والثلاثون

مفهوم بيعة المسلمين للنبي ﷺ

معنى البيعة

قال الخليل (٢٦٥/٢) (البيعة: الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة). فالبيعة بمعنيين: صفقة البيع العادي، وصفقة البيعة على الطاعة، والطاعة قد تكون لأمر في سفر، أو لرئيس قبيلة، أو لوكيل في مجلس سياسي، أو لحاكم. وقد تكون مطلقة، أو مقيدة بدستور، وقوانين، وأعراف.

آيات البيعة

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَ يَزِيدْهُ مِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا.

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. وَمَعَائِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَلَىٰ عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

بيعة الناس للنبي ﷺ نوعان

جميع المسلمين بايعوا النبي ﷺ بكامل اختيارهم، فعندما يسلم المرء يبايع النبي ﷺ إرادته. ولذلك يتفوق نظام الحكم النبوي على أرقى الأنظمة الديمقراطية، فهو نظام يحترم إرادة الإنسان وحريته فرداً فرداً.

والبيعة للنبي ﷺ تكون فردية في أي وقت، وتكون جماعية عندما يطلبها النبي ﷺ، وتجد نماذج البيعة الفردية في كل مراحل السيرة النبوية، وقد أورد ابن سعد في المجلد الثامن من الطبقات خمس مئة وستاً وأربعين امرأة ذكر في ترجمتهن أنهن بايعن رسول الله ﷺ.

وتدلنا قصة بريدة الأسلمي على أن المسلمين كانوا يحرصون على أن لا يعملوا شيئاً يخل ببيعتهم، لأنهم إن عصوا النبي ﷺ فقد خرجوا من الإسلام واحتاجوا إلى بيعة جديدة، فلما أبغض بريدة الأسلمي علياً عليه السلام وجاء إلى النبي ﷺ ليفتن عليه غضب النبي ﷺ ففهم بريدة أنه خرج بعمله عن الإسلام وطلب من النبي ﷺ أن يجد له البيعة على الإسلام.

فقد روى في مجمع الزوائد (١٢٨/٩) ووثقه ابن حبان وصححه الحاكم (١٢٩/٢) بشرط الشيخين: (عن بريدة قال: بعث رسول الله ﷺ علياً أميراً على اليمن وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال إن اجتمعتم فعلي على الناس فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ عليٌّ جارية من الخمس فدعا خالد ابن الوليد بريدة فقال اغتتمها فأخبر النبي ﷺ ما صنع! فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله ﷺ في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت خيراً فتح الله على المسلمين، فقالوا: ما أقدمك؟ قلت جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبي ﷺ فقالوا: فأخبر النبي ﷺ فإنه يسقط من عين النبي ﷺ ورسول الله ﷺ يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام يتقصون علياً! من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني! إن علياً مني وأنا منه، خلق من طيئتي، وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم: ذُرِّيَّةُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يا بريدة، أما علمت أن لعي أكثر من الجارية التي أخذ وأنه وليكم بعدي؟ فقلت: يا رسول الله بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً. قال فما فارقتني حتى بايعته على الإسلام).

وقصة بريدة مفصلة أوردناها في كتاب: العقائد الإسلامية (٩١/٤)، وهي تدل على أن بغض علي عليه السلام كفر ومعصية كبيرة يحتاج صاحبها أن يجدد إسلامه!

البيعة مسح على اليد وليست مصافحة

روى الصدوق في علل الشرائع (٢٣٩/١)، بسند صحيح عن الريان بن شبيب خال المعتصم، قال: (أن المأمون لما أراد أن يأخذ البيعة لنفسه بإمرة المؤمنين ولأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بولاية العهد وللفضل بن سهل بالوزارة، أمر بثلاث كرسي تنصب لهم فلما قعدوا عليها أذن للناس فدخلوا يبايعون فكانوا يصفقون بأيامهم على أيمن الثلاثة من أعلى الإبهام إلى أعلى الخنصر ويخرجون، حتى بايع آخر الناس فتى من الأنصار، فصفق يمينه من الخنصر إلى أعلى الإبهام، فتبسم أبو الحسن عليه السلام ثم قال: كل من بايعنا بايع بفسخ البيعة غير هذا الفتى فإنه بايعنا بعقدها! فقال المأمون وما فسخ البيعة من عقدها؟ قال أبو الحسن عليه السلام: عقد البيعة هو من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام وفسخها من أعلى الإبهام إلى أعلى الخنصر.

قال فماج الناس في ذلك وأمر المأمون بإعادة الناس إلى البيعة على ما وصفه أبو الحسن عليه السلام. وقال الناس: كيف يستحق الإمامة من لا يعرف عقد البيعة؟ إن من علم لأولى بها ممن لا يعلم. قال: فحمله ذلك على ما فعله من سمه!

يقصد أن الوجه الصحيح للبيعة: أن يصفق ويمسح من الخنصر إلى أعلى الإبهام.

وقد وصفوا بيعة علي عليه السلام لأبي بكر بأن العباس مسح بيده وهي مقبوضة يد أبي بكر ففي تفسير العياشي (٦٧/٢): (وقدم علي فقال له عمر: بايع، فقال له علي: فإن أنا لم أفعل فمه؟ فقال له عمر: إذا أضرب والله عنقك، فقال له علي إذاً والله أكون عبد الله المقتول وأخا رسول الله، فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم، وأما أخو رسول الله فلا، حتى قالها ثلاثاً، فبلغ ذلك العباس بن عبد المطلب فأقبل مسرعاً يهرول فسمعه يقول: إرفقوا بابن أخي ولكم علي أن يبايعكم، فأقبل العباس وأخذ بيد علي فمسحها على يد أبي بكر).

وفي رواية: (وبسطوا يده فقبضها وعسر عليهم فتحها، فمسحوا عليها وهي مضمومة).

أما بيعة النساء فقد روي لها شكلاان: أحدهما أن يغمس النبي ﷺ يده في إناء في ماء علامة قبول البيعة، ثم يغمسن أيديهن علامة البيعة، أو بالعكس.

كما روي أن يمسحن أيديهن على يد النبي ﷺ من وراء ثوب.

ففي مستدرک الوسائل (٢٧٨/١٤): (وعن سعيدة وأيمنة أختي محمد بن أبي عمير، قالتا: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقلنا: تعود المرأة أخاها في الله، قال: نعم. قلنا: فتصافحه، قال: نعم من وراء ثوب، كان رسول الله ﷺ لبس الصوف يوم بايع النساء، فكانت يده في كمه، وهن يمسحن أيديهن عليه).

وعن أبي جعفر الجواد عليه السلام قال: (كانت مبايعة رسول الله ﷺ النساء، أن غمس يده في قدح من ماء، ثم أمرهن أن يغمسن أيديهن في ذلك القدح، بالإقرار والإيمان بالله والتصديق لرسول الله ﷺ على ما أخذ عليهن).

البيعة للنبي ﷺ لا تنشئ حق الطاعة بل هي إقرار به

البيعة عقد بين المبايع والمبايع له، وبمجرد أن تتم يترتب للمبايع حق الطاعة على المبايع ولا يجوز له الرجوع إلا إذا كانت مشروطة ونكت المبايع الشرط.

فهي تنشئ حق الطاعة للمبايع، أما إذا كان المبايع معصوماً فالبيعة لا تنشئ له حق الطاعة، لأنه ثابت من الله تعالى، والبيعة إقرار له بذلك الحق.

أما لماذا يطلب المعصوم عليه السلام البيعة، فسببه حاجة عمله في الدعوة، من أجل أن يشعر الناس بهذا الحق ويعلمونه، ويعلنوا استعدادهم للوفاء به.

أهم مبايعات المسلمين للنبي ﷺ

بيعة الأنصار الأولى والثانية

كان أهل المدينة من الأوس والخزرج يسمعون من اليهود أن هذا أوان ظهور نبي من مكة يهاجر إلى المدينة، فيتشوّفون له.

وكان النبي ﷺ ينوي الهجرة إلى المدينة، لكنه يريد أن يدعوه أهل المدينة ويبايعوه على النصر. وكان أرسل اليهم مصعب بن عمير قبل ثلاث سنوات من هجرته ليعلم من أسلم القرآن، ويدعو غيرهم إلى الإسلام.

وفي موسم الحج بعد وفاة أبي طالب التقى النبي ﷺ بستة من الأنصار، وفي السنة الثانية التقى ببضعة عشر، وبايعوه ببيعة العقبة الأولى.

وفي السنة التالية بايعه بضع وسبعون رجلاً من الأنصار ببيعة العقبة الثانية، وبعدها مباشرة كانت هجرته ﷺ في ربيع الأول.

وقد اختار النبي ﷺ دار جده عبد المطلب ﷺ بمنى، عند جرة العقبة، مكاناً للبيعة، ففي تفسير القمي: ٢٧٢/١، وإعلام الوري: ١٤٢/١، قال لهم ﷺ: «فاحْضَرُوا دَارَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى الْعُقْبَةِ وَلَا تَنْبَهُوا نَائِماً وَلَيْتَسَلَّلَ وَاحِدٌ فَوَاحِدٌ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ نَازِلاً فِي دَارِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحِمْزَةٌ وَعَلِي وَالْعَبَّاسُ مَعَهُ، فَجَاءَهُ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَدَخَلُوا الدَّارَ».

لكن رواية السلطة لم يذكرُوا بيت عبد المطلب وقالوا: «فَوَاعِدُوا رَسُولَ اللَّهِ الْعُقْبَةَ مِنْ أَوَاسِطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ». «ابن هشام: ٢٩٩/٢، والدرر: ٦٨».

وقد تعجبت في هذه السنة «١٤٢٩» من أن الوهابيين أقاموا مسجداً صغيراً مكان بيت عبد المطلب جعلوه رمزاً لبيعة الأنصار للنبي ﷺ، ويقع قرب جرة العقبة على يمين الخارج منها إلى مكة، مع أنهم يزيلون آثار الإسلام والنبي وآله ﷺ لكن لاندرى كيف حولوه إلى مسجد ومن أوقفه مسجداً! ولعلمهم استندوا إلى نص في طبقات ابن سعد «١٢١/١» يقول إن الموضع كان مسجداً، قال: «وَعَدَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ» منى وسط أيام التشريق، ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل، أن يوافوه في الشعب الأيمن، إذا انحدرُوا من منى بأسفل العقبة، حيث المسجد اليوم». أي في

زمن ابن سعد في القرن الثالث.

وفي مناقب آل أبي طالب (١٥٧/١): «فاجتمعوا في الشعب عند العقبة، ثلاثة وسبعون رجلاً وامراتان، في أيام التشريق بالليل فقال ﷺ: أبايعكم على الإسلام، فقال له بعضهم: نريد أن نعرفنا يا رسول الله ما لك علينا وما لنا على الله؟ قال: أما ما لله عليكم فإن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً. وأما مالي عليكم فتنصروني مثل نسائككم وأبناءكم، وأن تصبروا على عض السيف وأن يقتل خياركم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك ما لنا على الله؟ قال: أما في الدنيا فالظهور على من عاداكم وفي الآخرة الرضوان والجنة. فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعك بما تمنع به أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر. فقال أبو الهيثم إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإننا إن قطعناها أو قطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم، ثم قال: أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً، فاختاروا ثم قال: أبايعكم كبيعة عيسى بن مريم للحواريين كفلاء على قومهم بما فيهم، وعلى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، فبايعوه على ذلك).

وفي تفسير الطبري: ٥٩/٢٨، عن قتادة: «بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار، ذكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ إنكم تباعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا. ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله، إشتري لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشتري لربي أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، وأشتري لنفسي أن تمنعوني وأهل بيتي وذريتي مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم. قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة». فكانت بيعة الأنصار على حمايته وحماية أهل بيته ﷺ وأن لا يئازعوهم الأمر.

ففي المناقب: ٣٠٥/١، وأوسط الطبراني: ٢٠٧/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أشهد لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي قال: لما جاءت الأنصار تباع رسول الله ﷺ على العقبة قال: قم يا علي. فقال علي: على م أبايعهم يا رسول الله؟ قال: على أن يطاع الله فلا يعصى وعلى أن يمتنعوا رسول الله وأهل بيته وذريته مما يمتنعون منه أنفسهم وذرايرهم. ثم كان الذي كتب الكتاب بينهم». وفي الكافي: ٢٦١/٨، قال الإمام الصادق عليه السلام: «وأخذ عليهم علي أن يمتنعوا

محمدًا وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وذرايرهم... نجا من نجا، وهلك من هلك». قال ابن سليمان: ١٦٥/٢: «فالتزمتها رقاب القوم ووفى بها من وفى».



بيعة أهل المدينة ويهود المدينة للنبي ﷺ

نورد خلاصة لما كتبه الصديق المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه القيم: حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوة والفكر المعاصر:

«عندما وصل رسول الله ﷺ إلى إقليم الدولة ومقر المجتمع الجديد، آخى بين الأنصار ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى مرة ثانية بينه وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فأصبح المسلمون المهاجرون والأنصار كعائلة واحدة تربطهم وشائج الإسلام والإيمان وأخوته، وأصبح النبي ﷺ ولي هذه العائلة مجتمعة بالنص الشرعي، علاوة على رئاسته العامة لكل مواطني يثرب من أتباع الديانات الأخرى.

أ. التعاقد بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين

تم التعاقد الفعلي والقانوني بين رسول الله ﷺ بصفته الولي، أو السلطة، أو القيادة المختارة إلهياً لقيادة المجتمع الجديد، وبصفته أيضاً المتلقي للشرعية الإلهية، والمؤمن على تطبيق أحكامها في المجتمع الجديد، وبين المسلمين كأعضاء في المجتمع الجديد.

وقد حرص رسول الله ﷺ على أن يتم الدخول في الإسلام والانتساب إلى المجتمع الجديد بموجب عقد حقيقي مع كل واحد يريد الدخول في الإسلام والانتساب لمجتمعه الجديد، وأن يكون من بنود العقد القبول بقيادة الرسول للمجتمع، والقبول بطبيعة أحكام الشريعة الإلهية باعتبار أن قيادة الرسول وتطبيق الشريعة الإلهية «الضمانة العملية لحماية الإنسان وتمكينه من ممارسة حقوقه كاملة غير منقوصة. فلم يروا وقط أن رجلاً أو أنثى دخل في الإسلام دون أن يبايع رسول الله، فكل رجل كان يضع يده بيد الرسول كناية عن تمام التعاقد، وكل أنثى كانت تباع الرسول بالصيغة والشكل الذي حدده الرسول ﷺ. تلك حقيقة مطلقة لا يملك أحد إنكارها، فالبيعة بين الطرفين كناية عن تمام التعاقد حسب الأعراف القانونية التي كانت سائدة

آنذاك، وكانت كل بيعة تتم بالرضا والطوعية التامين بدون إكراه أو ضغط.

ب. التعاقد لتحديد إقليم الدولة ومكان المجتمع الجديد

وقع الاختيار الإلهي على مدينة يثرب «المدينة المنورة» لتكون المكان الذي تقام فيه نواة المجتمع الجديد، ومقر الدولة الإسلامية المباركة الجديدة، وكلف الله نبيه أن يترجم هذه التوجيهات الإلهية، فالتقى بعد أداء مناسك الحج بوفد مسلمي المدينة المنورة المكون من ٧٣ رجلاً وامرأتين، والذي كان يرأسه أسعد بن زرارة، واتفق هذه الوفد المفوض مع رسول الله ﷺ وتعاقد معه على ما يلي:

١. أن يهاجر رسول الله وأهل بيته ﷺ إلى المدينة المنورة.
 ٢. أن يقوم الأنصار متكافلين ومتضامين بحماية رسول الله وأهل بيته ﷺ كما يحمي كل واحد منهم نفسه ونساءه وأولاده.
 ٣. أن تتاح الفرصة لمن يرغب من مسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة والانتفاء إلى المجتمع الجديد، وأن يتولى الأنصار احتضان المهاجرين كأخوة لهم.
 ٤. أن لا يترك رسول الله المدينة المنورة عندما تعلق كلمة الله ويظهر أمره.
- وبعد الاتفاق على المضمون الآنف لهذا العقد قام أعضاء الوفد والمرأتان بمبايعة رسول الله ﷺ على ذلك فرداً فرداً، كناية عن تمام العقد وإبرامه.

ج- التعاقد مع أتباع الديانات المقيمين في المدينة

- بوصول النبي والمهاجرين إلى المدينة المنورة تكونت كل مقومات الدولة:
١. السلطة: المكونة من الإمام وهو رسول الله وأهل شوراؤه أو حكومته.
 ٢. الإقليم: وهو منطقة يثرب أو المدينة المنورة وما حولها.
 ٣. الشعب: من خلال البيعة العامة لرسول الله، عندما استقر في المدينة تكون شعب الدولة الإسلامية وتحدد عملياً من:
١. المسلمين: وهم أمة واحدة من دون الناس، ويتألفون من: المهاجرين والأنصار الأوس

والخزرج ومواليهم.

٢. اليهود المتحالفين مع قبائل الأوس والخزرج، وهم يهود بني النجار، ويهود بني الحارث، ويهود بني ساعدة، ويهود بني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة.

٣. من قبائل اليهود التي تعيش في أحياء خاصة بها حول المدينة.

٤. ممن بقي على الشرك من الأعراب المتواجدين داخل المدينة وحولها.

وكان المسلمون يعرفون الشريعة الإلهية كقانون نافذ في المجتمع، ويرتبطون مع الرسول دائماً في الصلاة يومياً، أو مرة واحدة في الأسبوع على الأقل.

أما العناصر الأخرى في مجتمع الدولة الإسلامية من أتباع الديانات الأخرى غير الإسلام، فهي لا تعرف الحلال من الحرام، وتعبير آخر فهي تجهل القانون النافذ في المجتمع الجديد الذي بدأت الدولة الإسلامية بتطبيقه، ولم ترتبط مع النبي بأي عقد. صحيح أن الكلمة العليا والقول الفصل في هذا المجتمع للنبي ﷺ وأن هذه العناصر قد استقبلته عند وصوله إلى يثرب، وعبرت عن ترحيبها وفرحتها بقدومه، لكنه ﷺ لم ير من المناسب أن يمتد سلطان دولته إلى هذه العناصر دون رضاها والتعاقد معها.

لذلك وضع صحيفة تنظيمية بمثابة ملحق دستوري لتنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع الجديد وفئاته، ليعرفوا حدودهم فلا يتجاوزوها، وتتكسر فكرة سيادة الشريعة الإسلامية على الأمة المسلمة، وسيادة القانون.

د. تكييف هذا العقد

وهذا الملحق الدستوري عبارة عن كتاب من محمد ﷺ:

١- للمؤمنين. ٢- لكافة فئات مجتمع المدينة. ٣- لمن تبعهم. ٤- لمن لحق بهم. ٥- لمن جاهد معهم. ولا تثريب على النبي ﷺ لو قدم هذا الملحق كمواد نافذة على جميع المنتمين إلى المجتمع الجديد، لكن روح الإسلام القائمة على الرضا والقبول، وخلق النبي الرحيم اقتضت أن يكون بمثابة عقد خاص يشمل كل المسلمين الذين بايعوه، وتعاقدوا معه بدخولهم في الإسلام.

ثم إن هذا الملحق الدستوري عقدٌ حقيقي نظمهُ النبي ﷺ ووافق عليه أتباع الديانات الأخرى داخل المجتمع الجديد، الذين تربطهم بالأوس والخزرج علاقات القرى والموالة. ويدل على ذلك المادة التي نصت على أن رسول الله هو المخول والمختص بفصل النزاعات الناتجة عن تطبيق هذه الصحيفة.

هـ. الخطوط العريضة لهذا الملحق أو العقد التنظيمي

١. المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أمة من دون الناس.
٢. قريش عدوة للمجتمع اليثربي لا تُجَارُ أبداً.
٣. يشترك اليهود بالنفقات الحربية ويقتسمون الغنائم.
٤. يثرب للجميع محرمة، لا يقطع شجرها ولا يقتل طيرها ولا يروع ساكنها.
٥. دين الدولة الجديدة هو الإسلام، ورئيس الدولة هو محمد رسول الله، وهو مختص بفصل النزاعات التي تنشأ في المجتمع الجديد.
٦. المجرم عدو للمجتمع لا يجوز إيواؤه. والقاتل يقتل، ويتعاون الجميع على تنفيذ الحكم عليه ولو كان ابن أحدهم.
٧. الجريمة شخصية لا يسأل غير مقترفها، والمجتمع كله ضد البغي.
٨. جار الإنسان كنفسه لا يضار.
٩. المجتمع مع المظلوم ضد الظالم.
١٠. لا تجار المرأة إلا بإذن أهلها.
١١. من خرج من المدينة فهو آمن، ومن قعد في بيته فهو آمن.
١٢. وحتى يضمن الأمن لليهود ومنهم وضعت مادة: لا يجوز لأي يهودي أن يخرج من المدينة إلا بإذن محمد.
١٣. على المسلمين سداد دين الغارم منهم.

١٤. اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

١٥. يهود بني عون أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وكذلك يهود بني الحارث، وبني النجار، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة وبطانة الجميع كأنفسهم.

١٦. الله ومحمد جازٍ لمن برّ واتقى، ومن ظلم فلا أمن له.

وقد تألف هذا العقد أو الملحق من ٤٧ بنداً تعاقدياً، وكرس البند التعاقدي رقم ٢١ الشريعة الإسلامية كقانون أعلى نافذ في المجتمع، كما كرس بوضوح تام رئاسة محمد للدولة والمجتمع بإعطائه الحق بفصل النزاعات والخصومات. وظهر اليهود بمظهر المواليين للنبي ﷺ والترتيبات التي أعلنها، وقبلوا بالملحق الدستوري بدليل أن النبي ﷺ كان يذكرهم بالعقد كلما هموا بالخروج عليه.. إلى آخر ما كتبه ﷺ.

بيعة المسلمين قبل معركة بدر

روى في مناقب آل أبي طالب (٢٨٩/١) عن ابن عباس قال: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبَقَ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَصَلَّى إِلَى الْقَبْلَتَيْنِ، وَبَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ بَيْعَةَ بَدْرَ وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَهَاجَرَ الْمُهْجَرَتَيْنِ مَعَ جَعْفَرٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَمِنْ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ).
في بحار الأنوار (٢٧٨/٢٢): (الطُّرْفُ لَا بَنَ طَاوُوسَ نَقْلًا مِنْ كِتَابِ الْوَصِيَّةِ لِعِيسَى بْنِ الْمُسْتَفَادِ، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَحَضَرَ خُرُوجَهُ إِلَى بَدْرٍ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ فَبَايَعَ كُلَّهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَلَا دَعَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ مِنْ يَفِي مِنْهُمْ وَمَنْ لَا يَفِي، وَيَسْأَلُهُ كَتَمَانِ ذَلِكَ.

ثم دعا رسول الله ﷺ علياً وحزمة وفاطمة عليه السلام فقال لهم: بايعوني ببيعة الرضا، فقال حمزة: بأبي أنت وأمي على ما نبايع، أليس قد بايعنا؟ فقال: يا أسد الله وأسد رسوله تبائع لله ولرسوله بالوفاء والاستقامة لابن أخيك، إذن تستكمل الإيمان، قال: نعم سمعاً وطاعة، وبسط يده فقال لهم: يد الله فوق أيديكم، علي أمير المؤمنين، وحزمة سيد الشهداء، وجعفر الطيار في الجنة، وفاطمة سيدة نساء العالمين، والسبطان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هذا شرط من الله على جميع المسلمين

من الجن والإنس أجمعين: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَیْ يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.

قال: ولما كانت الليلة التي أصيب حمزة في يومها دعا به رسول الله ﷺ فقال: يا حمزة يا عم رسول الله، يوشك أن تغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى، وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟ فبكى حمزة وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهمني، فقال: يا حمزة تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، وأني رسول الله تعالى بالحق، قال حمزة: شهدت، قال: وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الصراط حق، والميزان حق، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فريق في الجنة وفريق في السعير، وأن علياً أمير المؤمنين. قال حمزة: شهدت وأقررت وآمنت وصدقت.

وقال: والأئمة من ذريته الحسن والحسين، وفي ذريته. قال حمزة: آمنت وصدقت، وقال: فاطمة سيده نساء العالمين قال: نعم صدقت.

وقال ﷺ: حمزة سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه، فبكى حتى سقط على وجهه وجعل يقبل عيني رسول الله ﷺ.

وقال: جعفر ابن أخيك طيار في الجنة مع الملائكة، وأن محمد وآله خير البرية تؤمن يا حمزة بسرهم وعلاانيتهم وظاهرهم وباطنهم، وتحيا على ذلك وتموت، توالي من والاهم وتعادي من عاداهم. قال: نعم يا رسول الله أشهد الله وأشهدك وكفى بالله شهيداً، فقال رسول الله ﷺ: سددك الله ووفقك).

وفي أمالي المفيد/٢٣٥: (عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن علي بن أبي طالب فقال له ابن عباس: إن علي بن أبي طالب صلى القبلتين، وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزاً ولا قدح. ولد على الفطرة، ولم يشرك بالله طرفة عين. فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم. ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم. فقال له ابن عباس: أعلي أعلم عندك أم أنا؟ فقال: لو كان علي أعلم عندي منك لما سألتك! قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال: ثكلتك أمك عليّ علّمني، كان علمه من رسول الله

ورسول الله ﷺ علمه الله من فوق عرشه، فعلم النبي ﷺ من الله، وعلم علي من النبي، وعلمي من علم علي، وعلم أصحاب محمد كلهم في علم علي كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر).
قال الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية وأركانها في مناظرته (مناقب آل أبي طالب (٤٠٥/١): (أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كليهما وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزى، وبائع البيعتين كليهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث). ولعل الإمام الحسن عليه السلام لم يذكر بيعة بدر لأن بيعة الرضوان قرب مكة وبيعة الفتح في مكة، وكان معاوية فيها. وسيأتي ذكر بيعة الفتح.

بيعة الحديبية أو بيعة الشجرة أو الرضوان

بعد هزيمة الأحزاب وفشل حملتهم على المدينة، غزا النبي ﷺ حلفاءهم يهود بني قريظة وأجلاهم عن المدينة، وغزا بني المصطلق الذين كانوا يجمعون للغارة على المدينة وكانوا قرييين من مكة، وفرض سيطرته على شعاع واسع من محيط المدينة حتى وصل نفوذه إلى نجد.
ثم أسلم ثمامة بن أثال وفرض الحصار على المواد التموينية لقريش، ورافق ذلك القحط ضائقة اقتصادية على قريش، لكنها بقيت على عنادها!

في ذلك الظرف أراد النبي ﷺ أن يفرض على قريش أن تعترف بالإسلام كأمر واقع، فقصد مكة معلناً أنه يريد العمرة، ولا يريد حرب قريش!

ففي الكافي (٣٢٢/٨) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة، فلما انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه، أحرموا ولبسوا السلاح، فلما بلغه أن المشركين قد أرسلوا إليه خالد بن الوليد ليرده قال: إبعوني رجلاً يأخذني على غير هذا الطريق، فأتي برجل من مزينة أو من جهينة، فسأله فلم يوافقه فقال: أبعوني رجلاً غيره، فأتي برجل آخر، قال: فذكر له فأخذه معه حتى انتهى إلى العقبة فقال: من يصعدا حط الله عنه كما حط الله عن بني إسرائيل، فقال لهم: أدخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم. قال فابتدروا خيل الأنصار الأوس والخزرج، قال: وكانوا ألفاً وأربع مائة فلما هبطوا إلى الحديبية إذ امرأة معها ابنها على القليب فسعى ابنها هارباً، فلما أثبتت أنه رسول الله ﷺ صرخت به:

هؤلاء الصابئون، ليس عليك منهم بأس! فأتاها رسول الله ﷺ فأمرها فاستقت دلواً من ماء فأخذه رسول الله ﷺ فشرب وغسل وجهه فأخذت فضلته فأعادته في البئر فلم تبرح حتى الساعة. (أي بقيت البئر نابعة مملوءة)!

وخرج رسول الله ﷺ فأرسل إليه المشركون أبان بن سعيد في الخيل فكان بإزائه، ثم أرسلوا الخليس فرأى البدن وهي تأكل بعضها أوبار بعض (علامة أنها هدي للكعبة) فرجع ولم يأت رسول الله ﷺ وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان أما والله ما على هذا حالناكم على أن تردوا الهدي عن محله! فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذا عروة بن مسعود، قد أتاكم وهو يعظم البدن، قال: فأقيموها فأقاموها. فقال: يا محمد مجئ من جئت؟ قال: جئت أطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر هذه الإبل، وأخلي عنكم عن لحمانها. قال: لا واللوات والعزى فما رأيت مثلك رُدَّ عما جئت له، إن قومك يذكرونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم، وأن تقطع أرحامهم وأن تجرئ عليهم عدوهم. فقال رسول الله ﷺ ما أنا بفاعل حتى أدخلها. وقد استمرت مفاوضات النبي ﷺ مع سهيل بن عمرو يومين، ومساعدته عروة بن مسعود الثقفي، وكانت في بعض مراحلها متوترة وفيها تهديد!

قال عبد الرزاق في مصنفه (٣٣٥/٥) والبيهقي في دلائل النبوة (١٣/٤): (فقال عروة أي محمد رأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً وأرى أوشاباً من الناس خلقاء أن يفروا ويدعوك).

وبسبب هذا الكلام طلب النبي ﷺ من المسلمين أن يبايعوه أثناء التفاوض.

قال الواقدي (٦٠٢/٢): إن النبي ﷺ قال لهم: «إن الله تعالى أمرني بالبيعة فتذاك الناس يبايعونه، يبايعهم على أن لا يفروا».

وفي شرح مسلم (٢/١٣) ومسند أحمد (٣٢١/٥): «في حديث ابن عمر وعبادة: يبايعنا على السمع والطاعة، وأن لا ننزع الأمر أهله». وفي فتح الباري (٢٥٣/٥): «وبلغ ذلك المشركين فأرعبهم الله». وبقي النبي ﷺ مصراً على شرط حرية المسلمين في مكة، فرجع سهيل إلى مكة للتشاور مع زعماء قريش بشأنه، ثم عاد إلى النبي ﷺ.

بيعة الطلقاء بعد فتح مكة

من المعروف في تاريخ فتح مكة أن النبي ﷺ أخضع القرشيين، وأخذ منهم البيعة، وأخذها من نساء قريش، وجاءت بينهم هند متنكرة، فبايعها.

لكن أقوى دليل على أن النبي ﷺ طلب من المسلمين معه البيعة، قول الإمام الحسن في مناظرته مع معاوية وأركانه، قال عليه السلام (الإحتجاج: ٤٠٥/١): (أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كليهما وأنت في ضلالة بعد اللات والعزى، وبايع البيعتين كليهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث).

ولم يبايع معاوية وغيره في فتح مكة، بل هرب إلى اليمن، وبقي حتى توسط له العباس قبل وفاة النبي ﷺ بستة أشهر فجاء وبايع.

كما يفهم من رواية الطبري أن النبي ﷺ جلس على الصفا للبيعة لكل الناس.

قال الطبري (٣٣٧/٢): (إن رسول الله قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا كل مأثرة أو دم أو مال يَدْعَى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. ألا وقتيل الخطأ مثل العمد. السوط والعصا فيها الدية مغلظة، منها أربعون في بطونها أولادها).

يا معشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم وآدم خلق من تراب، ثم تلا رسول الله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. يا معشر قريش: ويا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم! ثم قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء. فأعتقهم رسول الله (بل أطلقهم ولم يعتقهم). وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئاً، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء!

ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله على الإسلام، فجلس لهم فيما بلغني على الصفا، وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفل من مجلسه يأخذ على الناس، فبايع رسول الله على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول الله من الناس

على الإسلام. فلما فرغ رسول الله من بيعة الرجال، بايع النساء، واجتمع إليه نساء من نساء قريش، فيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها وما كان من صنيعها بحمزة، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله بحدثها ذلك! فلما دنون منه ليبايعه قال رسول الله: تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً. فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه. قال: ولا تسرقن. قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك حلالي، أم لا؟ فقال أبو سفيان وكان شاهداً لما تقول: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل. فقال رسول الله: وإنك لهند بنت عتبة؟ فقالت: أنا هند بنت عتبة فاعف عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزينين. قالت يا رسول الله: هل تزني الحرة! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرق! قال: ولا تقتلن أولادكن. قالت: قد ربناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدرٍ كباراً، فأنت وهم أعلم!

ويظهر منه وقاحة هند آكلة كبـد حمزة، وأنها مطمئنة الى كرم أخلاق النبي ﷺ.

وفي كنز العرفان (٣٨٥/١): (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

نزلت يوم فتح مكة، لما فرغ النبي ﷺ من مبايعة الرجال جاءه النساء يبايعنه قيل كانت مبايعتهنَّ بأن يغمس يده في قدح من ماء ثم يغمسن أيديهن فيه. وقيل كان يصافحهن وعلى يده ثوب ويشترط عليهن الشروط الستة المذكورة في الآية.

والقتل إشارة إلى وأد البنات واللفظ في الآية أعم، والبهتان قيل إلحاق الولد بزوجه ولم يكن منه، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها هذا ولدي منك. وقيل هو أن تحمل به من الزنا لأن بطنها الذي تحمله بين يديها وفرجها الذي تقذفه بين رجلها، والمعروف هو كل طاعة يؤمر بها وقيل عنى به النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه والدعاء بالويل. واللفظ أعم من ذلك كله).

وفي تحف العقول/٤٥٧: (عن الإمام الجواد عليه السلام: كانت مبايعة رسول الله ﷺ النساء: أن يغمس يده في قدح من ماء ثم يأمرهن أن يغمسن أيديهن في ذلك القدح، بالإقرار والإيمان

بالله، والتصديق لرسول الله على ما أخذ عليهن).

ورواه في عمدة القاري (٢٩٢/١٣) لكن بيعته للنساء بمكة كانت بالمصافحة من وراء ثوب.

بيعة الغدير في حجة الوداع

أوقف النبي ﷺ المسلمين في عودته من حجة الوداع عند غدير خم، قبل الجحفة، وخطب فيهم فأخبرهم أن الله تعالى أمره أن يبلغهم ولاية علي ﷺ من بعده وأنزل عليه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

فدعا علياً ﷺ وأصعده معه المنبر ورفع يده وقال للمسلمين: ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه. وبين لهم وجوب اتباعه واتباع عترته بعده، ودعا له وبين فضله وفضل عترته ﷺ.

ولما نزل عن المنبر نزل جبرئيل بقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا. وقد روى ذلك الخطيب، والحافظ الحسكاني، وابن كثير، والخوارزمي، وابن المغازلي، وابن عساكر (٢٣٣/٤٢) بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة قال: (من صام يوم ثمانى عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألسنت ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا).

وقد تورط علماء السلطة في حديث أبي هريرة، لأنه لا يمكنهم الطعن في سنده، فرجاله بشرط الشيخين والطعن فيهم طعن في الصحاح كالبخاري ومسلم، وفي نفس الوقت لا يمكنهم قبوله لأنه يثبت ولاية علي ﷺ، ويدين عمل السقيفة!

أربعة أمور حدثت في يوم الغدير

الأمر الأول: نزول الآية التي فيها أمر النبي ﷺ بتبليغ الأمة ولاية علي عليه السلام.

والأمر الثاني: تبليغ النبي ﷺ ولاية علي والعتره من بعده وبيان فضلهم.

والأمر الثالث: أمر النبي ﷺ المسلمين بأن يهنؤوا علياً عليه السلام ويبايعوه.

والأمر الرابع: نزول آية الأمر بالتبليغ. وبعد التبليغ: نزول آية إكمال الدين.

وطبيعي أن يتحفظ رواة السلطة عن رواية الغدير، لكنهم لم يستطيعوا إنكارها، فغصوا بها! وأنصف بعضهم فشهدوا بها، فقد أورد الأميني رحمه الله حديث الغدير عن أكثر من مئة صحابي. وذكر ثلاثين مؤلفاً لعلماء سنيين أوردوا فيها أحاديث نزول الآية في ولاية علي عليه السلام.

وقد ألف الطبري المؤرخ كتاب الولاية وذكر فيه طرق وأسانيد حديث الغدير وقد بلغت كما قيل خمس مئة، قال الذهبي: (تذكرة الحفاظ: ٧١٣/٢): (ولما بلغه أن ابن أبي داود تكلم في حديث غدير خم عمل كتاب الفضائل، وتكلم على تصحيح الحديث. قلت: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير فأندهشت له، ولكثرة تلك الطرق).

وهذه نماذج من مصادرنا ومصادرهم: ففي المحتضر لابن سليمان الحلي/١١٣: (قال ﷺ: أيها الناس ألتست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! ثم قال: ألا من كنت مولاه وأولى به، فهذا علي مولاه وأولى به، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. ثم قال ﷺ: قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين، ففعل. ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام فبايع له بإمرة المؤمنين).

ثم قال ﷺ: لتام تسعة نفر، ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم. فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة).

وقال سليم بن قيس الهلالي في كتابه/٣٥٦: (قام رسول الله ﷺ في وقت الظهيرة وأمر بنصب خيمة وأمر علياً عليه السلام أن يدخل فيها، وأول من أمرهم رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، فلم يقوما إلا بعد ما سألا رسول الله ﷺ: هل من أمر الله هذه البيعة؟ فأجابها: نعم، من أمر الله

جل وعلا، واعلم أن من نقض هذه البيعة كافر ومن لم يطع علياً كافر، فإن قول علي قولي وأمره أمري، فمن خالف قول علي وأمره فقد خالفني. وبعد ما أكد عليهم هذا الكلام أمرهم بالإسراع في البيعة فقاما ودخلا على علي عليه السلام وبايعاه بإمرة المؤمنين. وقال عمر عند البيعة: بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة).

(قال ابن عباس: وجبت والله في أعناق الناس). (الإقبال: ٢/٢٤٤).

وفي شرح إحقاق الحق (٢/٤٧٣)، عن حبيب السير (٣/١٤٤): «ثم جلس أمير المؤمنين علي عليه السلام في خيمة مخصوصة تزوره الناس ويهتونه وفيهم أبو بكر وعمر فقال عمر: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. ثم أمر أمهات المؤمنين أن يدخلن عليه ويهتنه».

وفي الكافي (١/٢٩٢): (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من قول رسول الله ﷺ: سلموا على علي بإمرة المؤمنين، فكان مما أكد الله عليهما في ذلك اليوم يا زيد قول رسول الله ﷺ لهما: قوما فسلما عليه بإمرة المؤمنين، فقالا: أمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله ﷺ: من الله ومن رسوله، فأنزل الله عز وجل: وَلَا تَتَقَنَّضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ).

تهنئة أمير المؤمنين عليه السلام في الغدير كان معها بيعة

التهنئة وحدها بيعة، لأن البيعة للنبي ﷺ إقرار بنبوته وطاعته المفروضة من الله تعالى، والتهنئة لعل عليه السلام التي أمر بها النبي ﷺ يوم الغدير تهنئة واعتراف بنزول الأمر الإلهي بولايته وطاعته بعد النبي ﷺ، فهي نفس مضمون البيعة. مضافاً إلى أن النصوص دلت على أن النبي ﷺ أمرهم بتهنئته وبيعته وأرسل نساء فبايعنه.

وتقدم سؤال أبي بكر وعمر في رواية سليم/٣٥٦: (هل من أمر الله هذه البيعة؟ فأجابهما النبي ﷺ: نعم، من أمر الله جل وعلا).

وفي كتاب أسرار الإمامة للطبري الشيعي/٢٦٤: (وأمر الرجال بأن يبايعوه بالخلافة والإمامة، ولما فرغ الرجال أمر النساء بأن يبايعنه، وضرب لعل خيمة منفردة، فأمر علياً أن يحضر طستاً، فملأه بالماء ووضع يده فيه، ووضع على باب خيمته، فجاء النساء زرافات ووحدانا يسلمن

عليه ويقررن بيعته، ويضعن أيديهن في ذلك الطست).

وفي شجرة طوبى للحائري/١٧١: (أن القاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لما كان فاراً من هارون كان يمشي على شاطئ الفرات وإذا هو بينتين تلعبان في التراب، إحداهما تقول للأخرى: لا وحق الأمير صاحب بيعة يوم الغدير ما كان الأمر كذا وكذا، وتعتذر من الأخرى.

فلما رأى عذوبة منطقها قال لها من: تعنين بهذا الكلام؟ قالت: أعني الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، أبا الحسن والحسين، علي بن أبي طالب عليه السلام. قال لها: يا بنية هل لك أن ترشديني إلى رئيس هذا الحي؟ قالت: نعم إن أبي كبيرهم فمشيت ومشى القاسم خلفها حتى أتت إلى بيتهم، فبقي القاسم ثلاثة أيام بعز واحترام، فلما كان اليوم الرابع دنا القاسم من الشيخ وقال له: يا شيخ أنا سمعت ممن سمع من رسول الله ﷺ أن الضيف ثلاثة، وما زاد على ذلك يأكل صدقة، وإني أكره أن أكل الصدقة وإني أريد أن تختار لي عملاً أشتغل فيه لئلا يكون ما آكله صدقة. فقال الشيخ: اختر لك عملاً فقال له القاسم: إجعلني أسقي الماء في مجلسك فبقي القاسم على هذا إلى أن كانت ذات ليلة خرج الشيخ في نصف الليل في قضاء حاجة له فرأى القاسم صافاً قدميه ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد، فعظم في نفسه وجعل الله محبة القاسم في قلب الشيخ، فلما أصبح الصباح جمع عشيرته وقال لهم: أريد أن أزوج ابنتي من هذا العبد الصالح فما تقولون؟ قالوا: نعم ما رأيت. فزوجه من ابنته فبقي القاسم عندهم مدة من الزمان حتى رزقه الله منها ابنة وصار لها من العمر ثلاث سنين ومرض القاسم مرضاً شديداً حتى دنا أجله وتصرمت أيامه، جلس الشيخ عند رأسه يسأله عن نسبه وقال: ولدي لعلك هاشمي قال له: نعم أنا ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فجعل الشيخ يلطم على رأسه وهو يقول: وا حيائي من أبيك موسى بن جعفر قال له: لا بأس عليك يا عم إنك أكرمتني وإنك معنا في الجنة. يا عم فإذا أنا مت فغسلني وحنطني وكفني وادفني، وإذا صار وقت الموسم حج أنت وابنتك وابنتي هذه فإذا فرغت من مناسك الحج إجعل طريقك على المدينة، فإذا أتيت المدينة أنزل ابنتي على بابها فستدرج وتمشي فامش أنت وزوجتي خلفها حتى تقف على باب دار عالية فتلك الدار دارنا، فتدخل البيت وليس فيها إلا نساء وكلهن أرامل.

ثم قضى نحبه فغسله وحنطه وكفنه ودفنه، فلما صار وقت الحج حج هو وابنته وابنة القاسم

فلما قضوا مناسكهم جعلوا طريقهم على المدينة فلما وصلوا إلى المدينة أنزلوا البنت عند بابها على الأرض فجعلت تدرج والشيخ يمشي خلفها إلى أن وصلت إلى باب الدار فدخلت فبقي الشيخ وابنته واقفين خلف الباب وخرجن النساء إليها واجتمعن حولها وقلن من تكونين وابنة من؟ فلما قلن لها النساء: ابنة من تكونين؟ فلم تجبهن إلا بالبكاء والنحيب فعند ذلك خرجت أم القاسم فلما نظرت إلى شمائلها جعلت تبكي وتنادي: واولداه وا قاسماه، والله هذه يتيمة ولدي القاسم. فقلن لها: من أين تعرفينها إنها ابنة القاسم قالت: نظرت إلى شمائلها تشبه شمائل ولدي القاسم، ثم أخبرتهم البنت!





الفصل السادس والثلاثون

النبي ﷺ وجبرئيل والملائكة ﷺ

شخصية جبرئيل عليه السلام بين الملائكة

معنى كلمة الملك والملاك والملائكة

قال الخليل (٤٠٩/٥): (الألوك: الرسالة وهي المألكة، سميت ألوكاً لأنها تؤلك في الفم، من قولهم: يألك الفرس اللجام أي: يعلكه).

وقال ابن فارس (١٣٢/١) (ألك أصل واحد وهو: تحمل الرسالة).

وتفسيرهم غير معقول، فمتى كانت الرسالة علكة توضع في الفم وتعلك! لكنهم عندما يصلون الى طريق مسدود يتكلفون في التفسير كما تكلفوا في الصلاة فجعلوها من صلوات الفرس في مؤخرته، أو من صلاه بالنار أي شواه، وتكلفوا في الصراط فقالوا سمي به لأنه يصرط الناس أن يلتهمهم ويزدردهم كما يصرط الإنسان الطعام بدون مضغ!

وكان ينبغي لهم أن يقولوا إن الصلاة والصراط والملائكة وأمثالها، لا أصل لها في العربية، فهي منقولة من لغة أخرى، والمرجح أنها من السريانية لأنها لغة الدين الإلهي ومصطلحاته.

وإن كان لابد لهم من أصل عربي للملائكة فالأولى أن يجعلوها من الملكوت لقول علي عليه السلام: (ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته، وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته). على أن الملكوت منقول أيضاً.

كلمة جبريل وجبرئيل وجبرائيل

في قاموس المقدس/٢٤٥: (جبرائيل: إسم عبري معناه رجل الله، أو أظهر الله ذاته جباراً. إسم علم لملاك ذي رتبة رفيعة) (دانيال ٨: ١٦-٢٧).

ولا يصح أن يكون عبرياً، لأنه روي أن إبراهيم عليه السلام استعمل إسمه، وقد هاجر الى فلسطين وعمره خمس وسبعون سنة، وتكونت العبرية بعد ذلك على يد أولاده من السريانية البابلية واللغات الأخرى في فلسطين. فالأرجح أن جبرئيل كلمة سريانية.

وفي معاني الأخبار/٤٩: (ومعنى إسرائيل: عبد الله، لأن إسرا هو عبد، وإيل هو الله عز وجل. وروي في خبر آخر أن إسرهو القوة وإيل هو الله عز وجل وكذلك جبرئيل). والمرجح أن يكون جبرئيل بمعنى قدرة الله وقوته.

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملائكة

في نهج البلاغة (١/ ١٦٨) من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام في وصف خلق الملائكة، قال: (ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته ملأ بهم فروج فجاجها، وحشى بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس، وسُترات الحُجب وسُرادات المجد. ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع سُبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها.

أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات أولى أجنحة، تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً مما انفرد به: بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائع عن سبيل مرضاته. وأمدهم بفوائد المعونة، وأشعر قلوبهم تواضع إخبارات السكينة، وفتح لهم أبواباً دُلاًلاً إلى تماجيده. ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده.

لم تثقلهم موصرات الآثام، ولم ترتحلهم عُقب الليالي والأيام، ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم، ولم تعترك الظنون على معاهد يقينهم، ولا قدحت قاذحة الإحن فيما بينهم،

ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمايرهم. وما سكن من عظمتهم وهيبته جلالتهم في أثناء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوسوس فتتزعج برينها على فكرهم. منهم من هو في خلق الغمام الدُّلح (الثقيلة)، وفي عظم الجبال الشُّمخ، وفي فترة الظلام الأبهم. ومنهم من خرق أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية.

قد استفرغتهم أشغال عبادته، ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته. وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره. قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشرّبوا بالكأس الروية من محبته، وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيعة خيفته، فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم. ولم تُنفذ طول الرغبة إليه مادة تضرعهم، ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم، ولم يتوهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم، ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم، ولم تحفّ لطول المناجاة أسالات ألسنتهم، ولا ملكتهم الأشغال فتقطع بهمس الجوار إليه أصواتهم، ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم، ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم، ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات، ولا تنتضل في همهم خدائع الشهوات. قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم، لا يقطعون أمد غاية عبادته، ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومحافته. لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فيتوانى جدّهم، ولم تأسرهم الأطلع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهدهم، ولم يستعظموا ما مضى من أعمالهم، ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم، ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم، ولم يفرقهم سوء التقاطع، ولا تولاهم غلُّ التحاسد، ولا شعبتهم مصارف الرئب، ولا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء إيمان، لم يفكهم من ربقتهم زيغ ولا عدول، ولا وني ولا فتور. وليس في أطباق السماوات موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد، أو ساع حافد، يزدادون على طول الطاعة برهم علماً، وترداد عزة ربهم في قلوبهم عظماً).

وقال علي عليه السلام (نهج البلاغة: ٦/٢): (بل إن كنت صادقاً أيها المتكلف لو صف ربك فصف جبرائيل

وميكائيل وجنود الملائكة المقربين، في حجرات القدس مرجحني (منحني) متوهة عقولهم أن يحدوا أحسن الخالقين).

أقول: في هذه الفقرات حقائق ومعلومات عن الملائكة ﷺ، ولا بد أنه ﷺ سمعها من رسول الله ﷺ. وغرضنا منها ما يرتبط بجبرئيل والنبي ﷺ.



جبرئيل عليه السلام في القرآن والسنة

١. الروح الأمين

قال تعالى: **وَإِنَّهُ لَنَزْلُ رُبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.**

٢. روح القدس

وقال تعالى: **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ.** وقد فسر عامة المفسرين الروح الأمين وروح القدس بجبرئيل عليه السلام.

٣. الرسول الكريم

قال تعالى: **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ.** في الكافي (٤٣٣/١)، عن الإمام الكاظم عليه السلام أن الرسول الكريم هنا جبرئيل عليه السلام.

٤. قوي عند ربه مطاع من الملائكة

قال تعالى: **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ.** أي أن جبرئيل عليه السلام له قوة عند الله أي قدرة من الله تعالى، وأنه مطاع من الملائكة، وأمين على ما يحمل من أوامر ورسائل.

٥. أفق رؤية النبي ﷺ لجبرئيل مضيئة لا إبهام فيها

قال تعالى: **وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ.** والمقصود به جبرئيل عليه السلام وأن النبي ﷺ رآه في الأفق المبين بدون إبهام، وأن الله تعالى وجبرئيل ليس بخيالاً في إطلاعه على غيب الله تعالى. وهذا يرد قول عائشة في البخاري بأن النبي لم يعرف جبرئيل وأنه غطه وكاد يخنقه!

٦. له قوى متعددة وهو معلم النبي ﷺ

قال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أُوْحَىٰ. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ. لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ.

أي: ما ضل النبي وما ارتكب غواية. ولا ينطق إلا بالوحي وليس بالهوى. وقد علمه جبرئيل الذي هو شديد القوى. والنبي ذو شدة في خلقه فرباه الله بتعليم جبرئيل وتعليمه وهو في الأفق الأعلى، فاعتدل. ثم اقترب في حجب النور فرأى ملكوت السماوات، وتدل ونظر إلى الأسفل فرأى ملكوت الأرض. ثم كان أقرب ما يكون إلى أقصى الحجب فأوحى الله إليه ما أوحى. وكانت رؤية قلبه صادقة فلا تجادلوه. ثم وصل إلى سدرة المنتهى فرأى عندها جبرئيل والجنة بقربها، رأى الأنوار وما يغشى السدره، ولم يزغ فيها بصره ولا قلبه. فالصفات في الآيات كلها للنبي ﷺ إلا قوله علمه شديد القوى، فهي لجبرئيل عليه السلام.

لكن عائشة قالت إن الصفات في الآيات بعد علمه شديد القوى لجبرئيل وليس للنبي ﷺ وتبعها عامة أتباع المذاهب إلا النادر، وتأثر بذلك بعض الشيعة، وبعض المفسرين تردد وتحير! قال البخاري (٨٤/٤): (عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها فأين قوله: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟ قالت: ذاك جبرئيل).

وقد رد قولها الإمام زين العابدين عليه السلام فقال إنها صفات لرسول الله ﷺ.

روى في علل الشرائع (١٣٢/١) (عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى عن ذلك. قلت: فلم أسرى بنبيه محمد ﷺ إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدايع خلقه. قلت: فقول الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟ قال: ذاك رسول الله ﷺ دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى).

وفي بصائر الدرجات/ ٢١٠، بسند صحيح: (عن عبد الصمد بن بشير قال: ذكر عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام بدو الأذان وقصة الأذان في إسرائ النبي ﷺ حتى انتهى إلى السدرة قال فقالت سدرة المنتهى: ما جاوزني مخلوق قبلك، قال: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. قال فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. قال: وأخذ أصحاب اليمين يمينه ففتحه فنظر إليه فإذا فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم.

قال فقال له: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. قال فقال رسول الله ﷺ: وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. قال فقال رسول الله ﷺ: لَا تَفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. قال فقال الله: لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. قال فقال رسول الله ﷺ: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. قال فقال الله: قد فعلت. قال: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا.. إلى آخر السورة.

وكل ذلك يقول الله: قد فعلت. قال ثم طوى الصحيفة فأمسكها بيمينه، وفتح صحيفة أصحاب الشمال، فإذا فيها أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، قال فقال رسول الله ﷺ: رَبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ. قال فقال الله: فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ.

قال: فلما فرغ من مناجاة ربه رُدَّ إلى البيت المعمور، ثم قص قصة البيت والصلاة فيه، ثم نزل ومعه الصحيفة فدفعهما إلى علي بن أبي طالب عليه السلام).

وفي تفسير القمي (٣٣٤/٢): (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى: يعني رسول الله ﷺ قال: وحدثني ياسر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً إلا صاحب مرة سوداء صافية).

٧. لا ييخل الله عليه بغيه ولا ييخل هو والنبي ﷺ

قال تعالى: وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ.

في تفسير القمي (٤٠٨/٢): (ما هو تبارك وتعالى على نبيه بغيه بضنين عليه).

أي ليس بخيلاً بالغيب الذي ينبغي بيانه للنبي ﷺ، وكذلك جبرئيل عليه السلام.

٨. مولى المؤمنين وناصرهم

قال تعالى: **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ.**

وقد ذكر جبريل في النصرة بعد الله تعالى، لأنه دائم التواصل مع النبي ﷺ وهو أقرب اليه من صالح المؤمنين ومن الملائكة، الذين قد يرسلون لنصرته.

٩. سيد الملائكة بعد إسرائيل

ورد وصف جبرئيل بأنه سيد الملائكة، وورد وصف إسرائيل به وهو أقوى.

ففي تفسير القمي (٢٧/٢) بسند صحيح عن الباقر عليه السلام قال: (بيننا رسول الله ﷺ جالس وعنده جبرئيل إذ حانت من جبرئيل عليه السلام نظرة قبل السماء فامتقع لونه حتى صار كأنه كُرْكَمَة (أصفر) ثم لاذ برسول الله ﷺ، فنظر رسول الله ﷺ إلى حيث نظر جبرئيل فإذا شيء قد ملأ ما بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب من الأرض، ثم قال: يا محمد إني رسول الله إليك أخبرك أن تكون ملكاً رسولاً أحب إليك أو تكون عبداً رسولاً؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل وقد رجع إليه لونه، فقال جبرئيل: بل كن عبداً رسولاً، فقال رسول الله: بل أكون عبداً رسولاً، فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا، ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية، ثم رفع اليمنى فوضعها في الثالثة، ثم هكذا حتى انتهى إلى السماء السابعة، كل سماء خطوة، وكلما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل الصر (عصفور) فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل فقال: لقد رأيتك ذعراً وما رأيت شيئاً كان أذعري من تغير لونك، فقال: يا نبي الله لا تلمني أتدري من هذا؟ قال: لا، قال: هذا إسرائيل حاجب الرب ولم ينزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض، فلما رأيت منحنطاً ظننت أنه جاء بقيام الساعة، فكان الذي رأيت من تغير لوني لذلك، فلما رأيت ما اصطفاك الله به رجع إلي لوني ونفسي. أما رأيت كلما ارتفع صغر إنه ليس شيء يدنو من الرب إلا صغر لعظمته. إن هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوته حمراء، فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جيئه، فنظر فيه ثم يلقيه لنا فنسعى به في السماوات والأرض. إنه لأدنى خلق الرحمن منه وبينه وبينه سبعون حجاباً من نور، تقطع

دونها الأبصار ما لا يعد ولا يوصف. واني لأقرب الخلق منه وبينني وبينه مسيرة ألف عام! أقول: إن جبرئيل عليه السلام عنده معلومات عن علامات القيامة ووقتها، لكن حالته وخوفه، تدل على إيمانه بالبدا، وهو عدم الحتم على الله تعالى.

العلاقة الحميمة بين النبي ﷺ وجبرئيل عليه السلام

كان النبي ﷺ يخاطبه: أخي أوحىبي. قال عليه السلام: (قال لي حبيبي جبرئيل عليه السلام: تَطَيَّبْ يوماً ويوماً لا، ويوم الجمعة لا بد منه). (الكافي: ٥١١/٦).

وقال عليه السلام: (أتاني جبرئيل وقد انقطع عني الوحي ثلاثة أيام فقلت: ما أبطأ بك يا حبيبي جبرئيل؟ فقال: يا محمد، كيف تنزل عليكم الملائكة وأنتم لا تستاكون ولا تستنجون بالماء ولا تغسلون براجمكم). (دعائم الإسلام: ١١٩/١).

ولا تغسلون براجمكم: أي أيديكم وتحت أظافركم.

وقال عليه السلام: (لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودعني جبرئيل عليه السلام فقلت: حبيبي جبرئيل أفي هذا المقام تفارقني! فقال: يا محمد إني لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنتي).

ثم رُجَّ بي في النور ما شاء الله، فأوحى الله إلي: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلعة فاخترتك منها فجعلتك نبياً، ثم اطلعت ثانياً فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكم الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار). (كفاية الأثر: ٧١).

وفي الثاقب في المناقب ٢٨٥: أن فاطمة عليها السلام وهي جنين في بطن أمها كانت تحدثها وتؤنسها، فقال لها النبي ﷺ: يا خديجة من تكلمين؟ قالت: يا رسول الله إن الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلمني، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: يا خديجة، هذا أخي جبرئيل عليه السلام يخبرني أنها ابنتي، وأنها النسمة الطاهرة المطهرة وأن الله تعالى أمرني أن أسميها فاطمة وسيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون، ففرحت خديجة بذلك).

صفة جبرئيل عليه السلام

في الإختصاص للمفيد/٥٤: في جواب النبي ﷺ لعبد الله بن سلام: (قال: فأخبرني عن جبرئيل في زي الإناث أم في زي الذكور؟ قال: في زي الذكور ليس في زي الإناث. قال: فأخبرني ما طعامه وشرابه؟ قال: طعامه التسبيح وشرابه التهليل، قال: صدقت يا محمد. قال: فأخبرني ما طول جبرئيل؟ قال: إنه على قدر بين الملائكة ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني، له ثمانون ذؤابة وقصة جعدة وهلال بين عينيه، أغر أدعج محجل، ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل، له أربع وعشرون جناحاً خضراً مشبكة بالدرد والياقوت، مختمة باللؤلؤ. وعليه وشاح، بطانته الرحمة، أزواره الكرامة، ظهارته الوقار، ريشه الزعفران، واضح الجبين، أقى الأنف، سائل الخدين مدور اللحيين، حسن القامة، لا يأكل ولا يشرب ولا يمل ولا يسهو، قائم بوحى الله إليه إلى يوم القيامة. قال: صدقت يا محمد).

وفي خصائص السيوطي (٢٠٠/١): (عن شريح بن عبيد أن النبي ﷺ لما صعد إلى السماء رأى جبرئيل في خلقه: منظومة أجنحته من الزبرجد واللؤلؤ والياقوت. قال: فخیل إلي أن ما بين عينيه قد سد الأفق، وكنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي). وفي التوحيد للصدوق/٢٦٣: (وقوله في آخر الآية: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. رأى جبرئيل عليه السلام في صورته مرتين هذه المرة ومرة أخرى. وذلك أن خلق جبرئيل عظيم، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلا الله رب العالمين).

وفي تفسير القرطبي (٨٧/١٧): (كان يأتي إلى النبي ﷺ في صورة آدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبي ﷺ أن يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وكان النبي ﷺ بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض إلى المغرب، فخر النبي ﷺ مغشياً عليه. فنزل إليه في صورة آدميين وضمه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، فلما أفاق النبي ﷺ قال: يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة. فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي، وإن لي ست مائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب).

فقال: إن هذا لعظيم! فقال: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله إسرافيل له ست مائة جناح، كل جناح منها قدر جميع أجنحتي، وانه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع، يعني العصفور الصغير).

أقول: لا يمكن قبول قولهم إن النبي ﷺ قد غشي عليه من رؤية جبرئيل عليه السلام، فهذا الخوف لا موجب له، على أنه لا يتفق مع أخلاق النبي ﷺ!

وأسوأ منه ما رواه أحمد (٣٢٢/١): (فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه النبي ﷺ صُعِقَ فَاتَاهُ فَنَعَشَهُ ومسح البزاق عن شديقه)!

أما عدد أجنحة جبرئيل عليه السلام فقد استفاض الحديث عند الجميع أنها ست مائة جناح، والأربعة وعشرون المذكورة هي الخضراء.

دحية بن خليفة الكلبي صحابي ممدوح

قال ابن عبد البر في الإستيعاب (٤٦١/٢): (دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، من كلب بن وبرة في قضاة. كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدرًا وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وبقي إلى خلافة معاوية).

وكان دحية تاجراً له قافلة بين الشام والحجاز، فإذا وصلت قافلته إلى مدينة ضربوا أمامها بالطبول ورقصوا، ولما وصلت إلى المدينة وكان يوم الجمعة سمع الصحابة المصلون طبلها فركضوا إليها وتركوا النبي ﷺ يخطب! ولم يبق معه إلا علي عليه السلام وبضعة نفر، فوبخهم الله: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

كان دحية جسيماً جميلاً، قيل كان أجمل أهل زمانه، إذا دخل المدينة خرجت النساء لمشاهدته، فكان يتلثم حتى لا تفتن به امرأة.

وكان إذا قدم زار النبي ﷺ وأتى بهدية للحسن والحسين عليه السلام، وكان جبرئيل عليه السلام ينزل بصورة دحية، فرآه الحسنان عليه السلام فجاءا يدوران حوله!

ففي مناقب آل أبي طالب (١٦١/٣): (الحسن البصري وأم سلمة: إن الحسن والحسين دخلا على رسول الله ﷺ وبين يديه جبرئيل فجعلا يدوران حوله يشبهانه بدحية الكلبي، فجعل جبرئيل

يومئ بيده كالمتناول شيئاً فإذا في يده تفاحة وسفر جلة ورمانة، فناولهما وتهلل وجههما وسعيا إلى جدهما فأخذها منهما فشمهما ثم قال: صيرا إلى أمكما بما معكما وابدءا بأبيكما، فصارا كما أمرهما فلم يأكلوا حتى صار النبي إليهم فأكلوا جميعاً، فلم يزل كلما أكل منه عاد إلى ما كان، حتى قبض رسول الله ﷺ قال الحسين عليه السلام: فلم يلحقه التغير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتى توفيت، فلما توفيت فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي، فلما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام فقد السفرجل وبقي التفاح على هيئته عند الحسن عليه السلام حتى مات في سمه، وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء، فكنت أشمها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي).



وأرسل النبي ﷺ دحية رسولاً إلى قيصر، ففي الثاقب في المناقب/١٠٧: (عن الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ أنفذ دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم فتغل في فيه فتكلم بالرومية. ولما أنفذ عبد الله بن جحش إلى كسرى تغل في فيه فتكلم بالفارسية الدرية)!

وفي دلائل الإمامة للطبري الشيعي/١٣: (بعث رسول الله ﷺ دحية الكلبي بكتابه إلى هرقل قيصر الروم، فاستمع هرقل إلى الكتاب، فقال لدحية: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف الأعظم في الروم، واذكر له أمر صاحبك وانظر ماذا يقول. فجاءه دحية وأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ فقال له ضغاطر: والله إن صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم، قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: فوثبوا عليه فقتلوه ﷺ! فرجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر، فقال: قد قلت إنا نخافهم على أنفسنا).

وفي الخرائج للقطب الراوندي (١٣١/١): (قال دحية الكلبي: بعثني رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر فأرسل إلى الأسقف فأخبره بمحمد ﷺ وكتابه فقال: هذا النبي الذي كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم. فقال الأسقف: أما أنا فمصدقته ومتبعه. فقال قيصر: أما أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي. ثم قال قيصر: إلتمسوا لي من قومه ها هنا أحداً أسأله عنه، وكان أبو سفيان

وجماعة من قريش دخلوا الشام تجاراً فأحضرهم، قال: ليدنّ مني أقربكم نسباً به، فأتاه أبو سفيان فقال: أنا سائل عن هذا الرجل الذي يقول إنه نبي. ثم قال لأصحابه: إن كذب فكذبوه. قال أبو سفيان: لولا الحياء أن يؤثر أصحابي عني الكذب لأخبرته بخلاف ما هو عليه!

فقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل؟ قلت: لا. قال: فأشرف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قلت: ضعفاؤهم. قال: يزيدون أو ينقصون؟ قلت: يزيدون. قال: يرتد أحد منهم سخطاً لدينه؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. قال: فهل قاتلكم؟ قلت: نعم. قال: فكيف حربكم وحربه؟ قلت: ذو سجال مرة له، ومرة عليه؟ قال: هذه آية النبوة. قال: فما يأمركم؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصوم والعفاف والصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد. قال: هذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أنه يخرج ولم أظن أنه منكم، فإنه يوشك أن يملك ما تحت قدمي هاتين. ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقياءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه!

وإن النصارى اجتمعوا على الأسقف ليقتلوه فقال: إذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه سلامي وأخبره أنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن النصارى أنكروا ذلك عليّ. ثم خرج إليهم فقتلوه!

أقول: لا يغرك كلام هرقل فهو نفاق سياسي، زعم أنه مؤمن بالنبي ﷺ وفي نفس الوقت وضع خطة لغزو المدينة، وأعد جيش الشام، وأنشأ قاعدة في دومة الجندل عند ملكها الأكيدر فيها ألفا مقاتل، وأمد أبا عامر الراهب في المدينة ليقاوم النبي ﷺ ويبنى مسجد الضرار!

وقد يكون هرقل أراد أن يقتل المسيحيون البابا المسمى ضغاطر، وهو معرب اوتوكراتور Autacrotor حيث أظهر الإسلام وأرسل له دحية إلى روما، فشجعه أن يسلم لكي يقتله الناس! وروي أن النبي ﷺ أرسل رسالة إلى ضغاطر فقد تكون مع رسالة هرقل، وقد تكون بعدها، وقد ذكرت الروايات أن البابا كان في روما فلا بد أن دحية قصده في روما، ولعله كان في الشام في طريقه إلى بيت المقدس.

وكان دحية مع النبي ﷺ في فتح خيبر فلما قسموا الغنائم والسبي كانت صفية بنت حي بن أخطب رئيس بني قريظة في سهم دحية، فاشترها منه النبي ﷺ وأعتقها وتزوجها. وذكر في الإستيعاب (١٨٦٨/٤) أن النبي ﷺ تزوج بنت دحية واسمها شراف، وقال في المحبر إنها أخته، فماتت في الطريق قبل أن يدخل بها.



قال الشريف المرتضى في رسائله (٢٥/٤): (إن نزول جبرئيل عليه السلام بصورة دحية كان لمسألة من النبي ﷺ لله تعالى في ذلك، فأما تصويره فليس بقدرته بل الله تعالى يصوره كذلك حقيقة لا شكلاً. والذي كان يسمعه النبي ﷺ من القرآن من جبرئيل في الحقيقة كان. فأما إبليس والجن فليس يقدران على التصور، وكل قادر بقدرة. فحكمهم سواء في أنهم لا يصح أن يصوروا نفوسهم، بل اقتضت المصلحة أن يتصور بعضهم بصورة، يصوره الله تعالى للمصلحة. فأما جبرئيل عليه السلام وسماعه الوحي فيجوز أن يتكلم الله تعالى بكلام يسمعه فيعلمه، ويجوز أن يقرأه من اللوح المحفوظ.

فأما ما يعلم جبرئيل من صفات الله تعالى، فطريقه الدليل، وهو والعلماء فيه واحد. فأما محله من السماء، فقد روي أنه في السماء السابعة. فأما ما يخطر بباله، فلا يجوز أن يتجاوز فيه لأن جبرئيل عليه السلام معصوم لا يصح أن يفعل قبيحاً). أقول: ثبت أن النبي ﷺ لم يقترح على ربه شيئاً أبداً، فلا بد أن يكون الله تعالى خير في الصورة التي يرغب أن يأتيه بها جبرئيل عليه السلام، فاختر صورة دحية.



أوصاهم النبي ﷺ أصحابه إذا رأيتوني جالساً مع دحية الكلبي فلا يأتينا أحد. وروى في الكافي بسند صحيح (٥٨٧/٢): (أن أبا ذر أتى رسول الله ﷺ ومعه جبرئيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول الله ﷺ فلما رآهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد هذا أبو ذر قد مر بنا ولم يسلم علينا، أما لو سلم لرددنا عليه، يا محمد إن له دعاء يدعو به معروفاً عند أهل السماء فسله عنه إذا عرجت إلى السماء، فلما ارتفع جبرئيل

جاء أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال له رسول الله: ما منعك يا أبا ذر أن تكون سلمت علينا حين مررت بنا؟ فقال: ظننت يا رسول الله أن الذي كان معك دحية الكلبي قد استخلىته لبعض شأنك، فقال: ذاك جبرئيل يا أبا ذر وقد قال: أما لو سلم علينا لرددنا عليه، فلما علم أبو ذر أنه كان جبرئيل دخله من الندامة حيث لم يسلم عليه ما شاء الله، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا الدعاء الذي تدعو به؟ فقد أخبرني جبرئيل ﷺ أن لك دعاء تدعو به معروفاً في السماء، فقال: نعم يا رسول الله أقول: اللهم إني أسألك الأمن والإيمان بك، والتصديق بنبيك، والعافية من جميع البلاء، والشكر على العافية، والغنى عن شرار الناس).

كان جبرئيل ﷺ يستأذن للدخول على النبي ﷺ

قال الصدوق في الإعتقادات في دين الإمامية ٨١: (باب الإعتقاد في كيفية نزول الوحي من عند الله في الأمر والنهي: اعتقادنا في ذلك أن بين عيني إسرافيل لوحاً، فإذا أراد الله تعالى أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل، فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل، ويلقيه ميكائيل إلى جبرائيل، فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء. وأما الغشوة التي كانت تأخذ النبي ﷺ فإنها كانت تكون عند مخاطبة الله إياه حتى يثقل ويعرق. وأما جبرئيل ﷺ فإنه كان لا يدخل عليه حتى يستأذنه إكراماً له، وكان يقعد بين يديه قعدة العبد).

وفي كمال الدين ٨٥: (إن النبي ﷺ كان يكون بين أصحابه فيغمر عليه وهو يتصاب عرقاً، فإذا أفاق قال: قال الله عز وجل كذا وكذا، أمركم بكذا، ونهاكم عن كذا. وأكثر مخالفتنا يقولون إن ذلك كان عند نزول جبرئيل ﷺ عليه، فسئل الصادق ﷺ عن الغشوة التي كانت تأخذ النبي ﷺ أكانت تكون عند هبوط جبرئيل ﷺ فقال: لا، إن جبرئيل كان إذ أتى النبي ﷺ لم يدخل عليه حتى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذلك عند [بعد] مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة).

وفي الكافي (٤/٤٥٢): (عن عمر بن يزيد قال: حاضت صاحبتى وأنا بالمدينة وكان ميعاد جمالنا وإبان مقامنا وخروجنا قبل أن تطهر، ولم تقرب المسجد ولا القبر ولا المنبر، فذكرت ذلك لأبي عبد الله ﷺ فقال: مرها فلتغتسل ولتأت مقام جبرئيل ﷺ فإن جبرئيل كان يجيء فيستأذن على رسول الله ﷺ وإن كان على حال لا ينبغي أن يأذن له قام في مكانه حتى يخرج إليه، وإن أذن

له دخل عليه. فقلت: وأين المكان؟ فقال: حيال الميزاب الذي إذا خرجت من الباب الذي يقال له: باب فاطمة عليها السلام.

وفي علل الشرائع (٧/١): (عن الصادق عليه السلام قال: كان جبرئيل إذا أتى النبي ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه).

أقول: باب جبرئيل في المسجد النبوي الشريف معروف، وهو من جهة البقيع.

قرن الله بالنبي ﷺ إسماعيل مدة ثم جبرئيل عليه السلام

قال المفيد في الاختصاص ١٣٠: (قرن إسماعيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يسمع الصوت ولا يرى شيئاً ثم قرن به جبرئيل عليه السلام عشرين سنة وذلك حيث أوحى إليه فأقام بمكة عشر سنين، ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها عشر سنين وقبض عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة).

وفي أعلام النبوة للماوردي (٣١٠/١): (روى الشعبي وداود بن عامر أن الله تعالى قرن إسماعيل بنبوة رسوله ﷺ ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ويعلمه الشيء بعد الشيء ولا ينزل عليه بالقرآن، فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة وغير مبعوث إلى الأمة).

أقول: المرجح عندي أن الله تعالى قرن إسماعيل به عليه السلام كان قبل بعثته بثلاث سنين. وقرن به جبرئيل عليه السلام من البعثة وما بعدها.

في مناقب آل أبي طالب (٤١/١): (وسمعت مذاكرة أنه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ ستين ألف مرة).

وهذا القول بعيد لأن مجموع البعثة ثلاث وعشرون سنة، وهي ثمانية آلاف يوم وكسراً، فلو كان يتردد عليه كل يوم خمس مرات، فينزل ثم يصعد مكرراً ليأتي بالجواب، لكان نزوله نحو أربعين ألف مرة.

وفي الفواكه الدواني للقيرواني (١٥): (ومما يدل على مزية المصطفى أيضاً أنه لم يكن لأحد معجزات كمعجزاته كمية ولا كيفية، ولا نزل عليه جبريل كعدد نزوله عليه فإنه نزل عليه أربعاً وعشرين ألف مرة، وقيل ستاً وعشرين).

وفي علم اليقين للفيض الكاشاني (٤٨٧/١): (قيل: نزل جبرئيل على آدم اثنتي عشرة مرة، وعلى

إدريس أربع مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة مرتين في صغره وأربعين في كبره، وعلى موسى أربع مائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات، ثلاث مرات في صغره وسبع مرات في كبره وعلى نبينا ﷺ أربعاً وعشرين ألف مرة. صلوات الله عليهم).
ولا نعرف مستنداً لهذا القول، ولا من قاله، فهو ظن وليس علماً.

رأى النبي ﷺ جبرئيل ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ بصورته الأصلية

قال تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ.

قال الصدوق في التوحيد/١١٦: (سئل الصادق عليه السلام قول الله عز وجل: لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ. قال: رأى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل، له ست مائة جناح، قد ملأ ما بين السماء إلى الأرض).

وفي تفسير القمي (٢٠٧/٢): (في قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ).

قال الصادق عليه السلام: خلق الله الملائكة مختلفة، وقد رأى رسول الله ﷺ جبرئيل وله ست مائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل، قد ملأ ما بين السماء والأرض. وقال: إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وإنما يعيشون بنسيم العرش).

وفي التوحيد للصدوق/٢٦٣: (وأما قوله: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ يعني محمداً ﷺ كان عند سدرة المنتهى حيث لا يتجاوزها خلق من خلق الله. وقوله في آخر الآية: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ.

رأى جبرئيل في صورته مرتين هذه المرة ومرة أخرى وذلك أن خلق جبرئيل عظيم فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلا الله رب العالمين).

وفي البرهان في تفسير القرآن (١٩٩/٥): (أن جبرئيل قال للنبي ﷺ: يا محمد، لو رأيت إسرافيل الذي رأسه تحت العرش، ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة واللوح المحفوظ بين

حاجبيه، وإنه إذا ذكر اسم الله يبقى كالعصفور).

وفي سبل الهدى (٣٩/٣): (فقال له جبرئيل عليه السلام: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله تعالى إسرافيل له ستائة جناح، كل جناح قدر أجنحتي).
وروي أن لإسرافيل اثني عشر ألف جناح، وقد تكون الست مئة الكبيرة، والأجنحة الباقية ليست بقدرها.

جبرئيل عليه السلام من قبل آدم عليه السلام إلى نبينا ﷺ

في إعداد الأرض لآدم عليه السلام

في الكافي (٤٠٩/١): (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن جبرئيل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه: الفرات، ودجلة، ونيل مصر، ومهران، ونهر بلخ، فما سقت أو سُقي منها فلأمام).

مع آدم عليه السلام

في علل الشرائع (١/٢) من حديث أمير المؤمنين عليه السلام مع اليهودي: (وسمي آدم آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وذلك أن الله تعالى بعث جبرئيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات، طينة بيضاء وطينه حمراء وطينة غبراء وطينة سوداء، وذلك من سهلها وحزنها، ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه: ماء عذب، وماء ملح، وماء مر، وماء متن).

وفي بصائر الدرجات/٣٧: (عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إن الله بعث جبرئيل إلى الجنة فأتاه بطينة من طينتها، وبعث ملك الموت إلى الأرض فجاءه بطينة من طينتها، فجمع الطينتين ثم قسمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، وجعل شيعتنا من طينتنا).

وفي المحاسن (١٩١/١): (عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك بين ثلاثة، فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاثة؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: فإني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين: إنصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما، وعرج).

مع نوح ﷺ

وفي الكافي (٢٨٥/٨): (عن الإمام الصادق ﷺ قال: عاش نوح ﷺ بعد الطوفان خمس مائة سنة، ثم أتاه جبرئيل فقال: يا نوح إنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك فانظر إلى الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة التي معك فادفعها إلى ابنك سام، فإني لا أترك الأرض إلا وفيها عالم تعرف به طاعتي ويعرف به هداي، ويكون نجاة فيما بين مقبض النبي ومبعث النبي الآخر، ولم أكن أترك الناس بغير حجة لي وداع إلي وهاد إلى سبيلي وعارف بأمرِي، فإني قد قضيت أن أجعل لكل قوم هادياً أهدي به السعداء ويكون حجة لي على الأشقياء. قال: فدفع نوح ﷺ الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة إلى سام، وأما حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به قال: وبشرهم نوح ﷺ وأمرهم باتباعه وأمرهم أن يفتحوا الوصية في كل عام وينظروا فيها ويكون عيداً لهم). وفي رواية: عاش بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة.

مع إبراهيم ﷺ

وفي الخصال ٣٣٦، عن الإمام الكاظم ﷺ قال: (إن إبراهيم ﷺ لما وضع في المنجنيق غضب جبرئيل ﷺ فأوحى الله عز وجل إليه يا جبرئيل ما يغضبك، قال: يا رب إبراهيم خليلك ليس على وجه الأرض أحد يعبدك غيره، سلطت عليه عدوك وعدوه، فأوحى الله إليه: أسكت فإنها يجعل العبد الذي هو مثلك يخاف الفوت. فأما أنا فهو عبد آخذه إذا شئت!

قال: فطابت نفس جبرئيل ثم التفست إلى إبراهيم ﷺ فقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فأهبط الله عز وجل عندها خاتماً فيه ستة أحرف لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فوضت أمري إلى الله، أسندت ظهري إلى الله، حسبي الله قال: فأوحى الله عز وجل إليه بأن تحتّم بهذا الخاتم فإني أجعل النار عليك برداً وسلاماً).

وفي المحاسن (٣٨٠/٢): (لما قذف إبراهيم ﷺ في النار هبط عليه جبرئيل بقميص في قصبة فضة فألبسه إياه، ففرت عنه النار ونبت حوله النرجس).

وقد يكون أعطاه الخاتم أولاً، ثم جاءه بالقميص.

وفي الكافي (٤٠/٤)، عن الإمام الصادق ﷺ أن جبرئيل نزل على إبراهيم ﷺ فقال له: (أرسلني

ربك إلى عبد من عبيده يتخذه خليلاً. قال إبراهيم عليه السلام: فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت؟ قال: فأنت هو. قال: وممّ ذلك؟ قال: لأنك لم تسأل أحداً شيئاً قط، ولم تُسأل شيئاً قط فقلت: لا). وفي المحاسن (٣٣٦/٢): (قال: سميت التروية لأن جبرئيل أتى إبراهيم عليه السلام يوم التروية فقال: يا إبراهيم إرتو من الماء لك ولأهلك، ولم يكن بين مكة وعرفات ماء، ثم مضى به إلى الموقف فقال: إعترف واعرف مناسكك فلذلك سميت عرفة، ثم قال له: إزدلف إلى المشعر الحرام، فسميت المزدلفة).

مع موسى عليه السلام

في مناقب آل أبي طالب (٤٥/٣): (كان في عصا موسى عجائب عجزت السحرة عنها، وفي سيف علي عجائب عجزت الكفرة عنها. في عصي موسى أربعة أحوال: هي عصاي، ثم تحركت حية تسعى، ثم كبرت، فإذا هي ثعبان، ثم التفتت فإذا هي تلقف ما يأفكون. ونزل جبرئيل بعصا موسى فأعطاها شعيباً، وأعطاها شعيب موسى، وكانت من اللوز المر، وكان رأسها ذا شعبتين).

وفي علل الشرائع (٦٠/١): (قال موسى في نفسه: ما أرى أن الله عز وجل خلق خلقاً أعلم مني، فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل: يا جبرئيل أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك، وقل له إن عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتبعه وتعلم منه، فهبط جبرئيل على موسى بما أمره به ربه عز وجل، فعلم موسى أن ذلك لما حدثت به نفسه، فمضى هو وفتاه يوشع بن نون حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُدًا.. (الآيات).

وفي من لا يحضره الفقيه (٢٣٦/٢): (قال الصادق عليه السلام: لما حج موسى عليه السلام نزل عليه جبرئيل فقال له موسى: يا جبرئيل ما لمن حج هذا البيت بلا نية صادقة ولا نفقة طيبة؟ قال: لا أدري حتى أرجع إلى ربي عز وجل، فلما رجع قال الله عز وجل: يا جبرئيل ما قال لك موسى؟ وهو أعلم بما قال، قال: يا رب قال لي: ما لمن حج هذا البيت بلا نية صادقة ولا نفقة طيبة، قال الله

عز وجل: إرجع إليه وقل له: أهب له حقي وأرضي عنه خلقي، قال فقال: يا جبرئيل فما لمن حج هذا البيت بنية صادقة ونفقة طيبة؟ قال: فرجع إلى الله تعالى فأوحى الله إليه قل له: أجعله في الرفيق الأعلى مع النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

مع عيسى عليه السلام

في شجرة طوبى للحائري (٤٣٨/٢): (روى أن عيسى بن مريم عليه السلام قال لأمه: يا أماه إني وجدت مما علمني الله هذه الدار دار فناء وزوال، والآخرة هي التي لا تحرب أبداً، تعالى أجيبني يا أماه نأخذ من هذه الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية، فانطلقا إلى جبل لبنان، وكانا فيه يصومان النهار ويقومان الليل، ويأكلان من ورق الأشجار، ويشربان من ماء الأمطار فمكثا في ذلك زمناً طويلاً، ثم إن عيسى هبط ذات يوم من الجبل إلى الوادي يلتقط الحشيش والبقول لإفطارهما، فلما هبط عيسى نزل ملك الموت على مريم وهي معتكفة في محرابها فقال: السلام عليك فغشي عليها ثم أفاق، فقالت: من أنت يا عبدالله فقد اقشعر من صوتك جلدي وارتعدت فرائصي وطار عقلي! فقال: أنا الذي لا أرحم الصغير لصغر سنه، ولا أوقر الكبير لكبره، أنا الذي لا استأذن على الملوك ولا أهاب الجبابرة، أنا مخرب الدور والقصور، وعامر القبور، والمفرق بين الجماعات والأخوة والأخوات والآباء والأمهات، أنا قابض الأرواح، أنا ملك الموت. فقالت: جئتني زائراً أم قابضاً؟ قال: بل جئتك قابضاً، فبكت وقالت: أمهلني حتى يجيء ولدي عيسى فقال: لم أؤمر بذلك فقبض روحها، ولما جاءها عيسى عليه السلام وعلم بموتها بكى وهبط من الجبل إلى قرية من قرى بني إسرائيل فنادى بصوت حزين: السلام عليكم، وأضاء وجهه لهم، قالوا له: من أنت؟ قال: أنا روح الله عيسى بن مريم، إن أمي ماتت غريبة فأعينوني على غسلها وكفنها ودفنها فقالوا: يا روح الله إن هذا الجبل كثير الأفاعي والحيات لم يسلكه أباًؤنا وأجدادنا منذ ثلاث مائة سنة فهذا الحنوط والكفن فسر، فتولى عيسى غسلها فرأى جبرئيل وميكائيل وهبطت الحور العين فتولوا أمرها، فلما كفنها عيسى رمى بنفسه عليها وهو يبكي حتى بكى الملائكة من بكائه فجاء جبرئيل ورفعها).

عداوة اليهود لجبرئيل عليه السلام!

قال الله تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ. مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ.

قال القمي (٥٤/١)، والواحدي (٣٢/١): (نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله إن لنا في الملائكة أصدقاء وأعداء فقال ﷺ من صديقكم ومن عدوكم؟ فقالوا جبرئيل عدونا لأنه يأتي بالعذاب ولو كان الذي ينزل عليك القرآن ميكائيل لآمنّا بك، فإن ميكائيل صديقنا وجبرئيل ملك الفضاضة والعذاب وميكائيل ملك الرحمة، فأنزل الله: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ..).

وفي الإحتجاج (٤٨/١): (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتوه بعد الله بن سوريا فقال: يا محمد كيف نومك فإنا قد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال: تنام عيني وقلبي يقظان. قال: صدقت يا محمد. ثم قال: أخبرني عن ربك ما هو؟ فنزلت: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.. إلى آخرها. فقال ابن سوريا: صدقت. خصلة بقيت لي إن قتلها آمنت بك واتبعتك: أي ملك يأتيك بما تقول عن الله؟ قال: جبرئيل. قال ابن سوريا: ذاك عدونا من بين الملائكة ينزل بالقتل والشدة والحرب، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنّا بك، لأن ميكائيل كان مسدد مملكتنا وجبرئيل كان مهلك مملكتنا، فهو عدونا لذلك.

فقال له سلمان الفارسي رضي الله عنه: وما بدء عداوته لكم؟ قال: نعم يا سلمان عادانا مراراً كثيرة، وكان من أشد ذلك علينا أن الله أنزل على أنبيائه أن بيت المقدس يخرب على يد رجل يقال له بخت نصر وفي زمانه، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت، فلما بلغنا ذلك الخبر الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم نبياً كان يعد من أنبيائهم يقال له دانيال في طلب بخت نصر ليقتله، فحمل معه وقر مال لينفقه في ذلك، فلما انطلق في طلبه لقيه ببابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوة ولا منعة، فأخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبرائيل وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أمر بهلاككم فإن الله لا يسلطك عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي شيء تقتله، فصدقه صاحبنا وتركه ورجع إلينا فأخبرنا بذلك، وقوي بخت نصر وملك وغزانا وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذة عدواً!

فقال سلمان: يا ابن سوريا فبهذا العقل المسلوك به غير سبيله ظلمتم، أرأيتم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر وقد أخبر الله تعالى في كتبه على السنة رسله أنه يملك ويخرب بيت المقدس، أرادوا تكذيب أنبياء الله في إخبارهم، أو اتهموهم في إخبارهم أو صدقوهم في الخبر عن الله، ومع ذلك أرادوا مغالبة الله، هل كان هؤلاء ومن وجهوه إلا كفاراً بالله، وأي عداوة يجوز أن يعتقد لجبرئيل وهو يصده عن مغالبة الله عز وجل، وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى.

فقال ابن سوريا: قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه ولكنه يمحو ما يشاء ويثبت. قال سلمان: فإذا لا تثقون بشيء مما في التوراة من الأخبار عما مضى وما يستأنف فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت، وإذا لعل الله قد كان عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطلا في دعواهما، لأن الله يمحو ما يشاء ويثبت ولعل كلما أخبراكم به عن الله أنه يكون لا يكون وما أخبراكم به أنه لا يكون لعله يكون، وكذلك ما أخبراكم أنه لم يكن لعله كان، ولعل ما وعده من الثواب يمحوه ولعل ما توعد به من العقاب يمحوه فإنه يمحو ما يشاء ويثبت. إنكم جهلتم معنى يمحو الله ما يشاء ويثبت، فلذلك أنتم بالله كافرون ولأخباره عن الغيوب مكذبون، وعن دين الله منسلخون. ثم قال سلمان: فإني أشهد أنه من كان عدواً لجبرئيل فإنه عدو لميكائيل وأنها جميعاً عدوان لمن عاداهما مسلمان لمن سالمهما، فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان رضي الله عنه: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ..).





الفصل السابع والثلاثون

مالية النبي ﷺ

صورة عامة عن مالية النبي ﷺ

أفراسه

في مناقب آل أبي طالب (١٤٦/١): (فصل: في أمواله ورقيقه:

الوَرْد أهداه تميم الداري، والطَّرَب سمي لتشوفه وحسن صهيله ويقال هو الظرب، واللَزَّاز وقد أهداه المقوقس سمي بذلك لأنه كان ملزراً موثقاً. واللحيف، أهداه ربيعة بن أبي البراء وسمي بذلك لأنه كان كالمتلحف بعرفه والصحيح أنه الورد الذي أعطاه الداري وسماه النبي ﷺ اللحيف، ومرتجز وقد صحفوه فقالوا المرتجز، وهو المشتري من الأعرابي الذي شهد فيه خزيمة. والسَّكْب، وكان أول فرس ركبه، وأول ما غزا عليه في أحد، وكان ابتاعه من رجل من فزارة، ويقال إسمه بريدة الملاح. ومنها: اليعسوب، والسَّبْحة، وذو العقاب، والملاوح.

بغاله

أهدى إليه المقوقس دَلْدَل، وكانت شهباء فدفعها إلى علي بن أبي طالب ثم كانت للحسن ثم للحسين بن علي ثم كبرت وعميت وهي أول بغلة ركب في الإسلام وقال التاريخي: أهدى إليه فروة بن عمرو الجذامي بغلة يقال لها فضة.

حُمْرُهُ

أهدى له المقوقس يعفور مع دلدل، وأعطاه فروة الجذامي غفير مع فضة.

إِبِلُهُ

العضباء، وكانت لاتسبق، والجدعاء، والقصواء ويقال القضاواء وهي ناقة اشتراها النبي ﷺ من أبي بكر بأربع مائة درهم وهاجر عليها نفقت عنده والصهباء. ومنها: البغوم، والغيم، والنوق، ومروة.

وكان له عشر لقاح يجلبها يسار كل ليلة قربتين عظيمتين يفرقها على نسائه، منها مهرة أرسل بها سعد بن عبادة، والشقراء، والريا، ابتاعهما بسوق النبط، والحباء، والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة، وبردة، وكانت منايح رسول الله ﷺ سبع أعنزير عاهن ابن أم أيمن وهي: عجوة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، وأطلال، وأطراف. وكانت له مائة من الغنم.

الحوائط السبع والصفايا

وكان مخرنق أحد بني النضير حبراً عالماً أسلم وقاتل مع رسول الله وأوصى بهاله لرسول الله ﷺ وهو سبع حوائط وهي: المينب، والصايفه، والحسنى، ويرقد، والعواف، والكلاء، ومشربة أم إبراهيم.

وكان له صفايا ثلاثة مال بني النضير، وخيبر، وفدك، فأعطى فدك والعوالي فاطمة عليها السلام، وروي أنه وقفه عليها.

وكان له من الغنيمة الخمس وصفني بصطفيه من المغنم، ما شاء قبل القسمة وسهمه مع المسلمين كرجل منهم، وكانت له الأنفال.

وكان ورث من أبيه أم أيمن فأعتقها، وورث خمسة أجمال أوارك، وقطيعه غنم، وسيفاً مأثوراً وورقاً، أي سيفاً تاريخياً ثميناً، ونقداً مسكوكاً.

سيوفه

ذو الفقار، والمنخدم، والرسوب ورثه من أبيه، والعضب أعطاه سعد بن عباد، وأصاب من بني قينقاع بتاراً، وحتفاً، وسيفاً قلعيّاً.

رماحه

أصاب ثلاثاً من بني قينقاع وكان له رمح يقال له المستوفي، وكان له عنزة يقال لها المثنى أنفذها النجاشي، فكان بلال يحملها بين يديه يوم العيد ويخرج بها في أسفاره فتركز بين يديه يصلي إليها. ويزعمون أنها هي التي يحملها المؤذنون بين يدي الخلفاء.

دروعه

ذات الفضول، أعطاها سعد بن عباد، والفضة، ودرعان أصابهما من بني قينقاع وهما السعدية وذات الوشاح، ويقال: كانت عنده درع داود النبي لبسها لما قتل جالوت.

قسيه

البيضاء وكانت من شوحط، والصفراء من نبع، والروحاء، أصاب هذه الثلاثة من بني قينقاع، والكرع ويقال كرار. وكان له ترس يقال له الزلوق، وترس فيه تمثال رأس كبش أذهبه الله. وكان له جعبة يقال له الكافورة. ودخل مكة وعلى رأسه مغفر يقال له السبوع.

رايته

العقاب، ولونها أبيض.

[أدواته]

وكان له قضيب يسمى المشقوق ومحجن، ومختصرة تسمى العرجون، ومنطقة من أديم منشور، فيها ثلاث حلق من فضة، والأبزيم، والطرف من فضة. وكان له قرح مضرب بثلاث

ضبات فضة، وتور من حجارة يقال له المخضب، وقدح من زجاج، ومغتسل من صفر، وقطيفة، وقصعة، وخاتم فضة نقش محمد رسول الله. وأهدى له النجاشي خفين أسودين ساذجين فلبسهما.

وقالت عائشة: كان فراش النبي ﷺ الذي يرقد فيه من آدم حشوه ليف، وكانت ملحفته مصبوغة بورس أو زعفران، وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر، ويعتم بالسحاب، ودخل مكة يوم الفتح عليه عمامة سوداء، وكانت له ربعة (علبة) فيها مشط عاج ومكحلة ومقراض وسواك.

[أثوابه]

ويقال: ترك يوم مات عشرة أثواب ثوب حبرة، وإزاراً عمانياً وثوبين صحارين، وقميصاً سحولياً، وجبة يمنية، وكساء أبيض، وقلائنس صغاراً لاطئة ثلاثاً أو أربعاً، وإزاراً طوله ثلاثة أشبار، وتوفي في إزار غليظ من هذه اليمانية، وكساء يدعى بالملبدة.

[سريره ومنبره ومسجده]

وكان له سرير أعطاه أسعد بن زرارة. وكان منبره ثلاثة مراقي من الطرفاء عمله غلام نجار اسمه ميمون، وكان مسجده بلا منارة، وكان بلال يؤذن على الأرض.

[شعاره]

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ: يا منصور أمت. وقال لمزينة: ما شعاركم؟ قالوا: حرام، قال: شعاركم حلال. وكان شعار المهاجرين يوم أحد يا بني عبدالله، والخزرج: يا بني عبدالرحمن، والأوس: يا بني عبدالله.

مواليه

سلمان الفارسي، وزيد بن حارثة، وابنه أسامة، وأبو رافع أسلم، ويقال اسمه بندويه العجمي، وهبه العباس وأعتقه النبي ﷺ لما بشر بإسلام العباس وزوجه سلمى، فولد له عبيدالله كاتب أمير المؤمنين، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسفينه، إسمه مفلح الأسود ويقال

رومان البلخي، وكان لأم سلمة فأعتقه واشترطت عليه خدمة النبي ﷺ، وثوبان الحميري اشتراه النبي ﷺ وأعتقه وبقي في خدمته وخدمة أولاده إلى أيام معاوية، ويسار النوبي أسر في غزوة بني ثعلبة فأعتقه وهو الذي قتله العرنيون، وشقران واسمه صالح بن عدي الحبشي، ورثه عن أبيه ويقال هو من أولاد دهاقين الري، ومدعم الخثعمي وهو هدية فروة بنت عمر والجذامي، وأبو مويبة من مولدي مزينة أعتقه النبي، وأبو كبشة واسمه السليم من مولدي أرض دوس أو مكة فاشتراه وأعتقه، مات في أول يوم من جلوس عمر، وأبو بكرة هشام واسمه نقيع، تدلى من الحصن على بكرة ونزل من حصن الطاييف إلى النبي فانتعق، وأبو أيمن واسمه رباح وكان أسود، وكان يستأذن على النبي ﷺ ثم صيره مكان يسار حين قتل، وأبو لبابة القرظي اشتراه النبي فأعتقه، وفضالة وهبه رفاعة بن زيد الجذامي وقتل بوادي القرى، وأنيسة بن كردى من العجم، قتل في بدر وقيل توفي في أيام أبي بكر، وكركره أهدي له فأعتقه، ويقال مات وهو مملوك، وأبو مرة كان مما أفاء الله عليه من العرب وهو أبو ضميرة، ويقال اشتريته أم سلمة للنبي فأعتقه ويقال هو روح بن شيرزاد من ولد كشتاسب الملك وبنه، من مولدي السراة، وأسلم، الأصفر الرومي، والحبشة الحبشي، وماهر، كان المقوقس أهدها إليه، وأبو ثابت، وأبو نيزر، وأبو سلمى، وأبو عسيب، وأبو رافع الأصغر، وأبولقيط، وأبو البشر، ومهران، وعبيد، وأفلاح، ورفيع، ويسار الأكبر.

إماؤه

حارثة بنت شمعون، أهدها له ملك الحبشة، وسلمى، ورضوى، وأم أيمن إسمها بركة، وأسلمة، وأنسة، ومويبة، وقيل هما من مواليه، وكان له خصي يقال له مأبورا).

وفي تاريخ المدينة لعمر بن شبة النميري (١٧٣/١): (ما جاء في أموال النبي ﷺ وصدقاته ونفقاته بالمدينة وأعراضها: عن ابن شهاب قال:

كانت صدقات رسول الله ﷺ أموالاً لمخريق اليهودي قال عبد العزيز: بلغني أنه كان من بقايا بني قينقاع ثم رجع حديث ابن شهاب قال: وأوصى مخريق بأمواله للنبي ﷺ وشهد أحداً فقتل به، فقال رسول الله ﷺ: مخريق سابق اليهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة. قال: وأسماء أموال مخريق التي صارت للنبي ﷺ: الدلال، وبرقة، والأعواف،

والصافية، والميثب، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم.

فأما الصافية والبرقة والدلال والميثب، فمجاورات بأعلى السورين من خلف قصر مروان بن الحكم، فيسقيها مهزور.

وأما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور، فإذا خلفت بيت مدراس اليهود، فحيث مال أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدي، فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه، وإنما سميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم من رسول الله ﷺ ولدته فيها، وتعلقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة، فتلك الخشبة اليوم معروفة في المشربة.

وأما حسنى فيسقيها مهزور، وهي من ناحية القف.

وأما الأعواف فيسقيها أيضاً مهزور، وهي أموال بني محمم.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: كانت الدلال لامرأة من بني النضير، وكان لها سلمان الفارسي، فكاتبته على أن يحییها لها ثم هو حر، فأعلم ذلك النبي ﷺ فخرج إليها فجلس على فقير، ثم جعل يحمل إليه الودي فيضعه بيده، فما عدت منها ودية أن أطلعت. قال: ثم أفاءها الله على رسوله ﷺ. قال: والذي تظاهر عندنا أنها من أموال النضير، ومما يدل على ذلك أن مهزوراً يسقيها، ولم يزل يسمع أنه لا يسقي إلا أموال بني النضير.

قال الواقدي: وقف النبي ﷺ: الأعواف وبرقة وميثب والدلال وحسنى والصافية ومشربة أم إبراهيم، سنة سبع من الهجرة.

وقال الواقدي: قال مخريق يوم أحد: إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله، فهي عامة صدقات رسول الله ﷺ.

عن سعيد بن المسيب قال: قال النبي ﷺ ليهود يوم فتح خيبر: أقركم ما أقركم الله على أن التمر بيننا وبينكم. فكان يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص بينه وبينهم، ثم يقول: إن شئتم فلکم، وإن شئتم فلي، فكانوا يأخذونه.

عن الشعبي: أن النبي ﷺ دفع خيبر إلى أهلها على النصف، وعلى أن يكفوا المسلمين المؤونة حتى يبلغ التمر، ولهم الحطب وسواقط النخل، فلما بلغت التمرة، بعث إليهم عبد الله بن رواحة

وكان مسترضعاً فيهم ففرحوا به وقالوا: مرحباً بك وبمن جئت من عنده، كيف أنت وكيف صاحبك الذي تركت وراءك؟ فقال: أما أنا فصالح، وأما صاحبي فوالله هو أحب إلي من نفسي التي بين جنبي، ولأنتم أبغض إلي من عددكم من القردة والخنزير. قالوا: فكيف تعدل علينا؟ قال: لن يحملني حب صاحبي على أن أجور له عليكم، ولا يحملني بغضي إياكم أن لا أعدل عليكم. قالوا: بهذا قامت السموات والأرض. قال: فطاف في النخل ونظر، فقال: إن شئتم أن أكيل لكم كذا وكذا، ولنا الحطب وسواقط النخل قال: ففرحوا بذلك وقبلوه، ثم كالوا التمرة فلم يجدوها نقصت شيئاً مما خرص ولا زادت!

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما افتتح النبي ﷺ خيبر كانت سهمانها ثمانية عشر سهماً، جمع كل رجل من المهاجرين معه مائة رجل يضم إليه، فكانوا ألفاً وثمان مائة. سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أعطانا النبي ﷺ نصيبنا من خيبر، وأبو بكر وعمر، غير أن الناس كثروا على عمر، فأرسل إلينا فجمعنا فقال: إن الناس قد كثروا، فإن شئتم أعطيتكم مكان نصيبكم من خيبر مالا. فنظر بعضنا إلى بعض، فقتل عمر ولم يعطنا شيئاً، فقبضها عثمان، وذكرنا له ذلك فقال: إن عمر قبضها ولم يعطكم. فأبى أن يعطينا!

ملاحظة عامة

هذه صورة عامة عن ملكيته ﷺ في كل عمره الشريف في مكة والمدينة، وغرضنا أن نبين ملكيته في مراحل عمره، وأن ننفي كذب السلطة عن فقر أمه حتى زهدت فيه المرضعات. وكذبهم في فقر عمه أبي طالب حتى أخذوا اثنين من أولاده ليخففوا عنه، وحتى اضطر أن يبيع سقاية الحاج لأخيه العباس. أما كذبهم في أن النبي ﷺ قال أموالي ترثها الدولة، ولا يرثها أولادي وأرحامي، فهي الكذبة الكبرى التي ردها أهل البيت ﷺ، وغص بها كاذبوها. وأصلها إطاعتهم لليهود الذين نصحوهم بإفقار آل محمد ﷺ!

عبد المطلب كان رئيساً كبيراً وثرياً

يدلك على أن عبد المطلب صاحب ثروة أنه لما خلاص إبله من أبرهة نحر منها مئة ناقة، وأطعمها للناس، وعندما فدى ولده عبد الله من الذبح بمئة ناقة ذبحها وأطعمها للناس. كما

كان يطعم الحجيح في موسم الحج أو يؤمن لهم الماء في مكة ومنى وعرفات، فمثل هذا لا يصح عليه كذبة قريش بأنه فقير زهدت المرضعات بطفله لأن أباه متوفى!

إن مكذوباتهم عن فقر عبد المطلب غرضها مدح بقية رؤساء قريش بأنهم كانوا أصحاب ثروة طائلة. ومكذوباتهم عن فقر أبي طالب لإثبات أن تربية النبي ﷺ لعللي كانت للتخفيف عن أبيه لفقره! ولتبرير مصادرة العباس حق السقاية والرفادة فقالوا اشتراها من أبي طالب، لئلا تصل الى علي ﷺ!

ما ورثه النبي ﷺ عن أبيه وأمه

قال البلاذري (٩٦/١): (وورث رسول الله ﷺ من أبيه أم أيمن واسمها بركة فأعتقها، وخمسة أجمال أو أراك، وقطيعه غنم، وسيفاً مأثوراً، وورقاً. فكانت أم أيمن تحضنه. ويسمونها أمي، وقال بعض الرواة: ورث أم أيمن من أمه فأعتقها. وقال آخرون: ورث ولأعها من أبيه).

كما ورث النبي ﷺ عن أبيه غلامه شقران الذي شارك في تجهيزه. (تاريخ دمشق: ٤/ ٢٧١). وقيل شقران من أولاد دهاقين الري.

وقد ذكرت وراثته عامة المصادر، ومنها مناقب آل أبي طالب (١٤٧/١).

ورث من أمه أمتها أم أيمن

في دلائل النبوة للبيهقي (١٥٠/١): (قال ابن شهاب: وكان من شأن أم أيمن أم أسامة بن زيد، أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد ما توفي أبوه فكانت أم أيمن تحضنه حتى كبر رسول الله ﷺ فأعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة ثم توفيت بعد ما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر).

وفي مجموع النووي (٣٠٧/١٥): «يقال: كانت من سبي الحبشة الذين قدموا زمن الفيل، فصارت لعبد المطلب فوهبها لعبد الله والد النبي، وتزوجت قبل زيد عبيداً الحبشي فولدت له أيمن فكُنيت به».

ولما توفيت آمنة أم النبي ﷺ في طريق عودتهم من المدينة: «رجعت به أم أيمن

على البعيرين اللذين قدموا عليهما وكانت تحضنه). (الطبقات: ١١٦/١).

قال النبي ﷺ: «من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن، فتزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد». (الطبقات: ٢٢٤/٨).

وفي الطبقات (١١٧/١) وتاريخ دمشق (٨٥/٣): «قال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: إحتفظ به فإننا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه! فقال عبد المطلب لأبي طالب: إسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به.

وقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله ﷺ: يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة. وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ بابني فيؤتى به إليه، فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته».

وقد روت أم أيمن عن طفولة النبي وشبابه ﷺ. قالت: (الطبقات: ١٦٨/١) «ما رأيت النبي ﷺ شكى صغيراً ولا كبيراً جوعاً ولا عطشاً! كان يغدو فيشرب من زمزم، فأعرض عليه الغداء فيقول: لا أريده أنا شبعان».

وقالت (الطبقات: ١١٩/١): «رأيت رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين يبكي خلف سرير عبد المطلب، حتى دفن بالحجون».

وكان النبي ﷺ يقول لها: يا أمه، ويزورها في بيتها. (الطبقات: ٢٢٣/٨).

وكان يثق بها ويعتمد عليها، فقد وضع عندها أمانات الناس: «فلما أراد الهجرة سلمها إلى أم أيمن، وأمر علياً عليه السلام أن يردها». (الحدائق: ٢١/٤٣٣).

وفي الثاقب لابن حمزة/١٩٦: (قالت أم أيمن: خرجت إلى مكة فأصابني عطش شديد في الجحفة، حتى خفت على نفسي، ثم رفعت رأسي إلى السماء وقلت: يا رب، أتعطشني وأنا خادمة ابنة نبيك، فنزل إلي دلو من السماء فشربت، وحق سيدتي ما جعت ولا عطشت سبع سنين). وروي هذا عن فضة خادمة الزهراء عليها السلام.

وفي المحتضر/٢٤٢: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: جاء رسول الله ﷺ ذات ليلة يطلبني، فقال: أين

أخي يا أم أيمن؟ قالت: ومن أخوك؟ قال: علي. قالت: يا رسول الله! تزوجه ابنتك وهو أخوك! قال: نعم، أما والله يا أم أيمن، لقد زوجتها كفواً شريفاً وجيهاً في الدنيا والآخرة).

وفي دلائل النبوة للبيهقي (١٤٩/١) أن أم أيمن واجهت الفارين في أحد، فحثت التراب في وجوههم وقالت لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك).

وبقيت أم أيمن لا تجيد نطق العربية! «قالت يوم حنين سبت الله أقدامكم! فقال لها النبي ﷺ: أسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان». (الطبقات: ٨/ ٢٢٥).

ورث من أمه أمتها نائلة أم عمه العباس

سئل الإمام الصادق عليه السلام كم ولدًا لعبد المطلب؟ فقال: عشرة والعباس، ولم يقل أحد عشر. وتقدم من الكافي (٢٥٩/٨) أن الإمام الصادق عليه السلام كان عنده كتاب كتبوه في دار الندوة على العباس لأن أمه نائلة كانت أمة لأم الزبير وأبي طالب وعبد الله، فأخذها عبد المطلب فأولدها فلاناً، فقال له الزبير: هذه الجارية ورثناها من أمنا وابنك هذا عبد لنا، فتحمل عليه ببطن قريش، قال فقال: قد أجبتك على خلة على أن لا يتصدر ابنك هذا في مجلس، ولا يضرب معنا بسهم. فكتب عليه كتاباً وأشهد عليه.

أين صارت ثروة النبي ﷺ التي ورثها

الجواب: أنها كانت بيد جده عبد المطلب ثم بيد عمه أبي طالب، ومن البعيد أنه صرفها كلها ولم ينمها، بل المرجح أن عبد المطلب نهاها ثم نهاها أبو طالب ثم النبي ﷺ. لكن رواية قريش يعتمدون القول إن النبي ﷺ كان فقيراً وعمه أبا طالب وجده كذلك، لأغراض عندهم!

قال البلاذري (٩٦/١): (قالوا: وضم أبو طالب رسول الله ﷺ بعد موت عبد المطلب. دخل منزله وإن عياله لفي ضيقة وخلّة، لا يكادون يشبعون لقلة ما عندهم. فكان رسول الله ﷺ إذا أكل معهم، كفاهم ما يجدون من الطعام وأشبعهم حتى يتملّوا. وكان رسول الله ﷺ في أكثر أيامه يصبح فيأتي زمزم، فيشرب منها شربة. فربما عرض عليه الغداء فيقول: لا أريده، أنا شعبان). لاحظ قول البلاذري: (قالوا) أي هذا هو التاريخ المتبنى عندهم!

وفي إمتاع الأسماع للمقريزي (٩٩/٤): (قال الواقدي: عن نافع بن جبير قال: سئل

رسول الله ﷺ: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم وأنا ابن ثماني سنين. قالوا: فلما توفي عبد المطلب ضم أبو طالب رسول الله ﷺ إليه وهو يومئذ ابن ثماني سنين، وكان يكون معه، وكان أبو طالب لأمال له، وكان له قطيعة من إبل تكون بعرة فيبدو إليها، ويؤتي بلبنها إذا كان حاضراً بمكة. وكان أبو طالب قد رق عليه وأحبه، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، وكان إذا أراد أن يعشيهم أو يغديهم يقول: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم وكانوا يفضّلون من طعامهم. وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده فيقول أبو طالب: إنك لمبارك. وكان الصبيان يصبحون شعثاً رمصاً، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحياً).

وقال في (١٤/١): (وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان تصبيحهم أول البكرة فيجلسون وينهبون، ويكف رسول الله ﷺ يده لا ينهب معهم، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدة). أقول: تراهم يذكرون بعض الكرامات للنبي ﷺ ويجعلون جوها فقر أبي طالب، وجوع أطفاله حتى أنهم ينهبون الطعام من أمام بعضهم! ويؤكدون على ذلك. لأن غرضهم إثبات فقر أبي طالب فقراً شديداً وذم أولاده!

سقاية الحج تكذب رواياتهم عن فقر أبي طالب

كانت سقاية الحاج ورفادتهم خاصة ببني هاشم، فكان عليهم أن يؤمّنوا الماء للحجاج طول موسم الحج، في مكة ومنى وعرفات، فيبنوا الأحواض وينقلوا الماء من زمزم أو غيرها إليها. وكان عليهم أن يطعموا الحجاج إذا كانت مجاعة كما فعل هاشم، أما في السنوات العادية فيذبحون لهم الأنعام التي أهديت لذلك، ويكملونها منهم.

وقد جعل عبد المطلب الرفادة والسقاية بعده لابنه أبي طالب رضي الله عنهما فكان أبو طالب يتفق على ذلك نحو ثلاثين ألف درهم سنوياً، واستمر على ذلك أكثر من أربعين سنة، من وفاة عبد المطلب إلى وفاته، ولم يذكر التاريخ أنه طلب مساعدة من الحجاج، أو من زعماء قريش.

وعندما هاجر النبي ﷺ ومعه أبناء أبي طالب، تصدى العباس للسقاية والرفادة، وأخذها

من عقيل وطالب، وزعم أنه أخذ امتيازها من أبي طالب لأنه اقترض منه عشرة آلاف درهم وأنفقها على الحجاج، ثم اقترض منه أربعة عشر ألفاً، واشترط عليه العباس إن لم يوفها أن تكون له السقاية، فلم يوفها فصارت السقاية له! (تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦).

وجاء رواية السلطة ليرروا قول العباس، فقالوا إن أبا طالب كان فقيراً لا يستطيع الإنفاق على أسرته! وأنه بلغ من شدة فقره أنهم خففوا عنه عائلته فأخذ حمزة ابنه جعفرأً، وأخذ النبي ﷺ علياً ﷺ وأخذ العباس طالباً. وغرضهم من ذلك أن يجعلوا فضيلة علي ﷺ في اختيار النبي ﷺ له وتربيته له صدفة بسبب فقر أبي طالب، وأن يثبتوا أن حق السقاية للعباس، لكن طالباً وجعفر كانا يعيشان في بيت أبي طالب ولم يكونا كما زعمت الرواية عند العباس وحمزة! راجع: تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦ والمستطرف: ٢٨٩/١، وأخبار مكة: ١٠٦/٢.

وقد ذكرنا في السيرة النبوية أن هذه الرواية تفرد بها ابن مجاهد مولى مخزوم وتلميذ ابن عباس، والجمحي ولم يوثقوه. وقلنا إن الصحيح في تربية النبي ﷺ لعلي ﷺ روايات أبي رافع كما في مناقب آل أبي طالب (٢٩/٢) قال: «ذكر أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق، أن النبي ﷺ حين تزوج خديجة قال لعمه أبي طالب: إني أحب أن تدفع إلي بعض ولدك، يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاك عندي. فقال أبو طالب: خذ أيهم شئت، فأخذ علياً». والصحيح في السقاية أنه لما توفي أبو طالب وهاجر جعفر وعلي ولم يتصدّ لذلك أبناءه عقيل وطالب، تصدى لذلك أخوه العباس فسكت عنها أبناءه! ولما فتح النبي ﷺ مكة سكت عنها فقالوا أقرها بيد العباس!

كان أبو طالب يسقي الحجاج اللبن والعسل

كانوا يستقون الماء من بئر زمزم، ويضعونه في أحواض ليشرب منه الحجاج وكان أبو طالب يسقي الحاج في بعض الأيام العسل واللبن. وعندما تولى السقاية العباس قطع سقاية العسل واللبن، وكان يضع في أحواض زمزم زيبياً، من ماله أو مما يأخذه رباً من أهل الطائف.

روى مسلم في صحيحه: ٨٦/٤: (عن بكر بن عبد الله المزني قال: كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال: مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن، وأنتم تسقون النبيذ،

أمن حاجة بكم أم من بخل! فقال ابن عباس: الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل، قدم النبي على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقي فضله أسامة وقال: أحسستم وأجلمتم كذا فاصنعوا، فلا نريد تغيير ما أمر به).

أقول: قول ابن عباس خلاف الواقع لأن النبي ﷺ رفض أن يشرب من ماء سقاية العباس، فقد اتفقوا على أنه شمه فقطب وجهه ورده!

قال ابن حجر في فتح الباري (٣٤/١٠) وصححه، قال: (عطش النبي ﷺ وهو يطوف فأتي بنبيذ من السقاية فقطب! فقيل أحرامٌ هو؟ قال: لا، عليّ بذنوبٍ من ماء زمزم، فصب عليه وشرب). وفي تفسير الرازي (٤٦/٦): (فشمه فقطب وجهه ورده، فقال العباس: يا رسول الله أفسدت على أهل مكة شرابهم! فقال: ردوا عليّ القدح فردوه عليه فدعا بماء من زمزم وصب عليه وشرب). وفي رواية البخاري (١٦٧/٢): (أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس: يا فضل إذهب إلى أمك، فأت رسول الله بشراب من عندها، فقال: إسقني. قال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه).

فقد خاف العباس أن يقول الناس إن النبي ﷺ حرّم سقاية العباس. وقد حرص فقهاء السلطة على تحليل نبيذ العباس ومدحوه، فجعلوا الشرب منه من مستحبات الحج، بينما نهى الأئمة من أهل البيت ﷺ عن شربه، لأن العباس وبنيه كانوا يتركون الزبيب منقوعاً في الماء أياماً، فيصير مسكراً. ففي الكافي (٤٠٩/٦)، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام. فقلت له: هذا نبيذ السقاية بفناء الكعبة. فقال لي: ليس هكذا كانت السقاية إنما السقاية زمزم. أفندري من أول من غيرها؟ قال قلت: لا. قال: العباس بن عبد المطلب كانت له حَبْلَةٌ، أفندري ما الحبلّة؟ قلت: لا، قال: الكرم فكان ينقع الزبيب غدوة ويشربونه بالعشي وينقعه بالعشي ويشربونه من الغد يريد به أن يكسر غلظ الماء عن الناس. وإن هؤلاء قد تعدوا فلا تشربه، ولا تقر به).

أدلة إضافية على غنى أبي طالب

أولها: أنهم نصوا على أن أبا طالب كان عنده قطيع جمال في عرفات في منطقة عرنة، كما تقدم من إمتاع الأسماع. وذكره غيره.

ثانيها: أنه كان يطبخ فيوزع على المحتاجين اللحم والمرق، وكان علي يوزعه، وورد أن علياً عليه السلام قال لأمه زبيدي لآل فلان لأن عائلتهم كثيرة، واجعليه من سهمي. ثالثها: أن أبا طالب لما خطب خديجة للنبي ﷺ قال: (والمهر علي في مالي، الذي سألتموه، عاجله وآجله). (الكافي: ٣٧٥/٥). والمهر قد يكون مئة بعير.

رابعها: شهادة المؤرخ اليعقوبي بأن أبا طالب أنفق ماله على بني هاشم في حصار الشعب، قال: (فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين، حتى أنفق رسول الله ماله، وأنفق أبو طالب ماله، وأنفقت خديجة بنت خويلد ماله، وصاروا إلى حد الضر والفاقة). خامسها: أنه كان يذهب للتجارة مع قافلة قريش إلى الشام فله فيها بضاعة، وكان في مكة يبيع البز أي القماش والعطر (المعارف لابن قتيبة/ ٥٧٥، والمحاسن للبيهقي/ ٨١، والمحاسن للجاحظ/ ١٥٠/١). وبذلك يتضح أن فقر أبي طالب أكذوبة نشرتها السلطة فصارت مشهورة!

أما قول أبي طالب إن النبي ﷺ وإن كان مقلًا في المال فهو أفضل قريش، لا يعني أن النبي ﷺ فقير لا مال له، بل يعني أن ماله قليل بالنسبة إلى أموال خديجة الطائفة.

كما أن قوله فالمهر من مالي تكريم للنبي، ولا يعني أنه ﷺ لا يستطيع دفع المهر.

أما قوله إن خديجة أنفقت كل مالها، فمعناه ما كان تحت يدها، فقد كانت أموالها متفرقة في البلاد وبقي النبي ﷺ ينفق منها حتى بعد هجرته، قال أبو رافع إن النبي ﷺ اشترى مكان بيته ومسجده في المدينة من مال خديجة.

وهبت خديجة كل أموالها للنبي ﷺ

كما هيأ الله سارة لإبراهيم عليه السلام فوهبته كل أموالها، هيأ خديجة لنبينا ﷺ فوهبته كل أموالها. قال الله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ.

وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى: أي متحيراً كيف يدعو إلى ربه فهداه برسالته، وإلا فهو نبي قبل الأربعين وفي الأربعين بعث رسولا.

وَوَجَدَكَ غَائِلًا فَأَغْنَى: أي صاحب عيال لا بد أن تنفق عليهم، فأغناك بهال خديجة، ثم أحل لك ولأمتك الغنائم.

في أمالي الطوسي/٤٦٨: (قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله يعني ابن أبي رافع: أَوَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَجِدُ مَا يَنْفِقُهُ هَكَذَا (يقصد شراء مكان مسجده) فقال: إني سألت أبي عما سألتني وكان يحدث بهذا الحديث فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة ﷺ؟ وقال: إن رسول الله ﷺ قال: ما نفعتني مال قط مثل ما نفعتني مال خديجة ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يفك من ماله الغارم والعاني، ويحمل الكل، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة. وكانت قريش إذا رحلت غيرها في الرحلتين يعني رحلة الشتاء والصيف كانت طائفة من العير لخديجة، وكانت أكثر قريش مالا، وكان ﷺ ينفق منه ما شاء في حياتها ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها).

وفي البحار (٢٢/١٦): (وكان لخديجة في كل ناحية عبيد ومواشي حتى قيل: إن لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرقة في كل مكان، وكان لها في كل ناحية تجارة، وفي كل بلد مال، مثل مصر والحبشة وغيرها).

وفي البحار (٧١/١٦): «يا معاشر العرب إن خديجة تشهدكم على أنها قد وهبت نفسها ومالهها وعبيدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والمواشي والصدقات والهدايا، لمحمد ﷺ». «

وروى البخاري (٨٠/٥)، أن عمر قال لأسماء بنت عميس: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم! فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعط جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ! وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونُخاف. وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له كذا وكذا، قال: ليس بأحق بي

منكم. وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان».

سرقوا إنفاق خديجة وادعوه لأبي بكر وعثمان

أخذوا قول النبي ﷺ: ما نفعني مال قط كما نفعني مال خديجة ﷺ ووضعوا بدل خديجة أبا بكر! وأخذوا قول النبي ﷺ: لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، فوضعوا إسم أبي بكر وعمر بدل علي فكذبوا على النبي ﷺ أنه قال أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون، وليس علياً! وجعلوا ذلك على لسان ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني في الإسلام مال أحد ما نفعني مال أبي بكر، منه أعتق بالاً، ومنه هاجر نبيه، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وأخوة الإسلام أفضل. أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». (تاريخ دمشق: ٢٠/٣٠ و٢٠٦، وتاريخ بغداد: ٣٨٣/١١). ورأى بعض أئمتهم أنه كذب مفضوح فقال إنه موضوع!

قال ابن حجر في لسان الميزان (٢٣/٢): «قال الذهبي هذا كذب، وهو من بشر، قال ثم قال ابن عدي: ورواه مسلم بن إبراهيم عن قزعة. قال الذهبي: وقزعة ليس بشيء». وبعضهم لم يستح فاحتج به وكابر، وزعم أنه يستوجب تفضيل أبا بكر على علي عليه السلام!

لكن القرطبي قبله فقال في تفسيره (٢٦٨/١): «وروي عنه ﷺ أنه قال: أبو بكر وعمر بمنزلة هارون من موسى! وهذا الخبر ورد ابتداء، وخبر علي ورد على سبب فوجب أن يكون أبو بكر أولى منه بالإمامة!».

وقبله الباقلاني فقال في التمهيد (٤٦٣): «فإن قالوا هذا من أخبار الآحاد التي لا نعلمها ضرورة ولا بدليل! قيل: إن جازت لكم هذه الدعوى جاز لخصمكم أن يزعم أن جميع ما رويتموه وتعلقتم به في النص والتفضيل من أخبار الآحاد التي لا نعلمها ضرورة ولا بدليل فلم يلزم القول بها. ولا جواب لهم).

أقول: جوابنا على ما ذكره الباقلاني اعتراف عدد من أئمتهم بكذب خبرهم وصحة أخبارنا، أما زعم القرطبي أن الحديث في حق علي عليه السلام له سبب هو أن النبي ﷺ لم يصحب علياً إلى تبوك، وتركه والياً على المدينة، فشكى إليه قول المنافقين، فقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

لكنه قال ذلك لأبي بكر وعمر بدون مناسبة، وقد أخطأ القرطبي بأن هذا أقوى، لأن مناسبات الحديث توثيقات تدل على ظرف صدوره وتتضمن فوائد كثيرة في بحثه، بينما ادعاء المدعي أن رسول الله ﷺ قال كذا، بدون مناسبة يُضَعَّف الحديث، ولهذا تجد أن أحاديث الفضائل التي ادعوا لها فلان وفلان لا مناسبة لها، أو مناسبة غير معقولة وقد تضع اليد على كذب الحديث! هذا، وقد تحايل بعض رواتهم فحذفوا فقرة منزلة هارون واحتجوا بباقيه! قال الترمذي (٢٩٧/٥) وأبو يعلى (٤١٨/١): «عن علي قال قال رسول الله ﷺ: رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله. رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا، تركه الحق وما له صديق! رحم الله عثمان تستحييه الملائكة. رحم الله علياً: اللهم أدر الحق معه حيث دار!»!

هذا، وقد تبارى الرواة في تضخيم ثروة أبي بكر التي أنفقها على رسول الله ﷺ. أما عائشة فرفعت سقفها وجعلتها ثروة خيالية حتى تحير فيها علماء السلطة! قالت كما في سنن النسائي (٣٥٨/٥): «فخرت بهال أبي في الجاهلية، وكان قد ألف ألف أوقية! فقال النبي ﷺ: أسكتي يا عائشة».

وروته مصادرهم ووثقه علماءهم أو صححوه، كتهذيب الكمال: ٣٩٢/٢٣، وميزان الاعتدال: ٣٧٥/٣، ومجمع الزوائد: ٣١٧/٤، وأمثال الراهمزمي: ١٣١، وفتح الباري: ٩/٢٢٢، وتاريخ بخاري الكبير: ١/٢٢٤، وتهذيب الكمال: ٤١٦/٢١، وتهذيب التهذيب: ٣٢٥/٨، وسنة ابن أبي عاصم/٢٢٥ وإعانة الطالبين: ١٩٩/٤، والطبراني الكبير: ٢٣/١٧٤.

فتكون ثروة أبي بكر حسب قول عائشة ألف مليون درهم وهو أمر غير معقول! ولهذا اضطر الذهبي رغم تعصبه المفرط أن يجعل المبلغ ألف أوقية، بدل مليون أوقية! قال في سيره (١٨٥/٢): «وأعتقد لفظة ألف الواحدة باطلة، فإنه يكون أربعين ألف درهم، وفي ذلك مفخر لرجل تاجر، وقد أنفق ماله في ذات الله، ولما هاجر كان قد بقي معه ستة آلاف درهم، فأخذها صحبته. أما ألف ألف أوقية فلا تجتمع إلا لسلطان كبير».

والصحيح أن الألف الثانية أيضاً زائدة، وأن إنفاق أبي بكر من أصله مكذوب.

ثم زادت عائشة في ثروة أبيها، قال الأميني في (الغدير: ٥٠/٨): (ونضدت له ثلاث مئة وستين كرسياً في داره، وأسدت على كل كرسي حلة بألف دينار، كما سمعته عن الشيخ محمد

زين العابدين البكري (١٣٤)، وأنت تعلم ما يستتبع هذا التجميل من لوازم وآثار، وأثاث ورياش، ومناضد، وأواني وفرش، لا تقصر عنها في القيمة، وما يلزم من خدم وحشم، وقصور شاهقة، وغرف مشيدة، وما يلزم هذه البسطة في المال من خيل وركاب وأغنام ومواشي، وضیعة وعقار). وزادت عائشة على ثروة أبيها مقامه في الآخرة: «قالت: قال رسول الله ﷺ الناس كلهم يحاسبون إلا أبا بكر!» (الصواعق المحرقة / ٧٤).

وفي تاريخ بغداد (١١٨/٢): «عن أنس قال قال رسول الله ﷺ قلت لجبرئيل حين أسري بي إلى السماء: يا جبرئيل أعلى أمتي حساب؟ قال كل أمتك عليها حساب، ما خلا أبا بكر الصديق فإذا كان يوم القيامة قيل يا أبا بكر أدخل الجنة، قال: ما أدخل حتى أدخل معي من كان يحبني في الدنيا». فجعلت أباها أفضل من النبي ﷺ لأن النبي ﷺ يحاسب وأبو بكر فوق الحساب.

رد علماؤنا روايات إنفاق أبي بكر وعثمان

قالوا إنها مكذوبة لأن أبا بكر كان فقيراً وكان أبوه يعمل عند ابن جدعان بطعام بطنه. وفي المدينة كان منزله خيمة شعر في السُّنح حتى ولي الخلافة، وقد طلب من المسلمين راتباً وهو خليفة، ثم طلب زيادته!

وأما قولهم إنه اشترى عبيداً وأعتقهم، فقد كذبه الواقدي وابن إسحاق وقالوا إن النبي ﷺ اشترى بلالاً وابن فهيرة وأعتقهما. (شرح النهج: ٢٧٣/١٣).

ولو كان كلامهم صحيحاً في إنفاقه على النبي ﷺ لظهر أثره في حصار النبي ﷺ في الشعب مثلاً، وعندما لانجد أثراً للملايين التي زعموا أنه أنفقها، نعرف أن تعظيمهم له كاذب!

بل ردها بعض علماء السنة ومنهم كبير المعتزلة، قال في شرح النهج (٢٧٤/١٣): (قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: أخبرونا على أي نوائب الإسلام أنفق هذا المال، وفي أي وجه وضعه، فإنه ليس بجائر أن يخفى ذلك ويُدرس حتى يفوت حفظه، وينسى ذكره، وأنتم فلم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم.

وكيف يدعى له الإنفاق الجليل، وقد باع من رسول الله ﷺ بعيرين عند خروجه إلى يثرب وأخذ منه الثمن في مثل تلك الحال، وروى ذلك جميع المحدثين، وقد رويتم أيضاً أنه كان

حيث كان بالمدينة غنياً موسراً، ورويت عن عائشة أنها قالت هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم، وقتلتم إن الله تعالى أنزل فيه: وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى، في أبي بكر ومسطح بن أثانة، فأين الفقر الذي زعمتم أنه أنفق حتى تخلل بالعباءة! ورويت أن الله تعالى في سمائه ملائكة تخللوا بالعباءة وأن النبي ﷺ رآهم ليلة الإسراء، فسأل جبرائيل عنهم فقال هؤلاء ملائكة تأسوا بأبي بكر بن أبي قحافة صديقك في الأرض، فإنه سينفق عليك ماله، حتى يخلل عباءة في عنقه! وأنتم أيضاً ورويت إن الله تعالى لما أنزل آية النجوى، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ.. الآية. لم يعمل بها إلا علي بن أبي طالب وحده، مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده، وأبو بكر في الحال التي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته، فعاتب الله المؤمنين في ذلك فقال: أَشَفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فجعله سبحانه ذنباً يتوب عليهم منه، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة، فكيف سخت نفسه بإنفاق أربعين ألفاً وأمسك عن مناجاة الرسول، وإنما كان يحتاج فيها إلى إخراج درهمين.

وأما ما ذكر من كثره عياله ونفقته عليهم، فليس في ذلك دليل على تفضيله، لأن نفقته على عياله واجبة، مع أن أرباب السيرة ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئاً وانه كان أجيراً لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذبان).

أقول: الصحيح أن النبي ﷺ هاجر على ناقته العضباء المأمورة. واشترى من أبي بكر بغيراً لدليله ابن أريقط، ومات هذا البعير قبل أن يصل إلى المدينة فاستأجر له النبي ﷺ بغيراً، وقد وثقنا ذلك في السيرة النبوية.





الفصل الثامن والثلاثون

عطاءات النبي ﷺ

وأنت تباري الريح كرمًا

في الكافي بسند صحيح (٢٣٦/١) وعلل الشرائع (١٦٧/١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عليه السلام فقال للعباس: يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عدااته؟ فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني شيخ كثير العيال قليل المال من يطيقك وأنت تباري الريح؟ قال: فأطرق ﷺ هنيئة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد وتنجز عدااته وتقضي دينه؟ فقال بأبي أنت وأمي شيخ كثير العيال قليل المال وأنت تباري الريح. قال: أما إني سأعطيها من يأخذها بحقها ثم قال: يا علي يا أخا محمد أنتنجز عداات محمد وتقضي دينه وتقبض تراثه؟ فقال: نعم بأبي أنت وأمي، ذاك عليّ ولي. قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من أصبعه فقال: تختم بهذا في حياتي، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في أصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم. ثم صاح: يا بلال علي بالمغفر والدرع والراية والقميص وذو الفقار والسحاب والبرد والأبرقة والقضيب.

قال: فوالله ما رأيتها غير ساعتني تلك يعني الأبرقة فجئى بشقة كادت تخطف الأبصار فإذا هي من أبرق الجنة، فقال: يا علي إن جبرئيل أتاني بها وقال: يا محمد إجعلها في حلقة الدرع واستدفر بها مكان المنطقة.

ثم دعا بزوجي نعال عربيين جميعاً أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف والقميصين، القميص الذي أسري به فيه، والقميص الذي جرح فيه يوم أحد،

والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين والجُمع، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه. ثم قال: يا بلال علي بالبعثتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والقصوى، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله ﷺ يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله ﷺ وحيزوم، وهو الذي كان يقول: أقدم حيزوم. والحمار غفير فقال: إقبضها في حياتي).

أكبر عطاياه من أموال خديجة ؓ وغنائم حنين

في أمالي الطوسي/٤٦٨، أن النبي ﷺ أمر علياً ؓ: (أن يتاع رواحله وللنواطم ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم. قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله يعني ابن أبي رافع أوكأن رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إني سألت أبي عما سألتني، وكان يحدث بهذا الحديث، فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة ؓ؟ وقال: إن رسول الله ﷺ قال: ما نفعني مال قط مثلاً نفعني مال خديجة، وكان رسول الله ﷺ يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكل، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة. وكانت قريش إذا رحلت غيرها في الرحلتين، يعني رحلة الشتاء والصيف، كانت طائفة من العير لخديجة، وكانت أكثر قريش مالاً، وكان ﷺ ينفق منه ما شاء في حياتها، ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها).

أقول: حرفوا قول النبي ﷺ: ما نفعني مال قط مثلاً نفعني مال خديجة فجعلوه: ما نفعني مال قط مثلاً نفعني مال أبي بكر! ولم يُعرف متى ولا على أي شيء أنفقه! وأما غنائم حنين فأصدر النبي ﷺ أمره إلى الراجعين من فرارهم أن يجمعوها ويرسلوها إلى الجعرانة، وجعل بديل بن ورقاء مسؤولاً عليها.

قال ابن سعد (١٥٤/٢): (كان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألف بغير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة فاستأنى رسول الله ﷺ بالسبي أن يقدم عليه وفدهم وبدأ بالأموال فقسمها وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل قال ابني يزيد قال أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل قال ابني

معاوية قال أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل فأعطاه إياها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها وأعطى النصر بن الحارث بن كلفة مائة من الإبل، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين بعيراً، وأعطى مخزومة بن نوفل خمسين بعيراً، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل، فقال في ذلك شعراً فأعطاه مائة من الإبل، ويقال خمسين وأعطى ذلك كله من الخمس وهو أثبت الأقاليل عندنا، ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ثم فضها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل وعشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم له.

قال ابن سعد (١٥٣/٢): (وقدم وفد هوازن على النبي ﷺ وهو أربعة عشر رجلاً ورأسهم زهير بن صرد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة فسألوه أن يمن عليهم بالسبي فقال: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً. فقال أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وسأسأل لكم الناس، فقال المهاجرون والأنصار ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم، فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة، فلا. وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم، فلا. وقالت بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ فقال العباس بن مرداس: وهتموننا! وقال رسول الله ﷺ إن هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين وقد كنت استأنيت بسبيهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً، فمن كان عنده منهم شئ فطابت نفسه أن يرده فسيبل ذلك، ومن أبى فليرد عليهم وليكن ذلك قرضاً علينا ست فرائض من أول ما يفئ الله علينا. قالوا رضيينا وسلمنا، فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ولم يختلف منهم أحد غير عيينة بن حصن، فإنه أبى أن يرد عجوزاً صارت في يده

منهم، ثم ردها بعد ذلك! وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قبطية قبطية.

وكان رسول الله ﷺ انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الإنصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة بقية من ذي القعدة ليلاً فأحرم بعمره ودخل مكة فطاف وسعى وحلق رأسه، ورجع إلى الجعرانة من ليلته كبائت، ثم غدا يوم الخميس فانصرف إلى المدينة فسللك في وادي الجعرانة حتى خرج على سرف، ثم أخذ الطريق إلى مر الظهران ثم إلى المدينة).

في إعلام الوري (٢٣٩/١): «كان في السبي أخته بنت حليمة فلما قامت على رأسه قالت: يا محمد أختك شياء بنت حليمة! قال فتزع رسول الله ﷺ برده فبسطه لها فأجلسها عليه ثم أكب عليها يسائلها وهي التي كانت تحضنه إذ كانت أمها ترضعه. قال: وكلمته أخته الشيماء في مالك بن عوف فقال: إن جاءني فهو آمن، فأتاه فرد عليه ماله وأعطاه مائة من الإبل!

وأدرك وفد هوازن رسول الله ﷺ بالجعرانة وقد أسلموا.. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنا لو ملحننا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر، ثم ولي منا مثل الذي وليت، لعاد علينا بفضلهم وعطفهم وأنت خير المكفولين، وإنما في الحظائر خالاتك وبنات خالاتك وحواضنك وبنات حواضنك اللاتي أَرْضَعْنَك، ولسنا نسألك ما لا إنما نسألكهن. وقد كان رسول الله ﷺ قسم منهن ما شاء الله.

فلما كلمته أخته قال: أما نصيبي ونصيب بني عبد المطلب فهو لك، وأما ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم، فلما صلوا الظهر قامت فتكلمت وتكلموا، فوهب لها الناس أجمعون إلا الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن فإنهما أبيا أن يهبا وقالوا: يا رسول الله إن هؤلاء قوم قد أصابوا من نساءنا، فنحن نصيب من نساءهم مثل ما أصابوا.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فئ نصيبه، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم).

وقال الواقدي في مغازيه (٩٤٥/٢): (قال أبو سفيان: ابني يزيد أعطه! قال رسول الله ﷺ: زنوا ليزيد أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل. قال أبو سفيان: ابني معاوية يا رسول الله! قال: زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل. قال أبو سفيان: إنك الكريم فذاك أبي وأمي!

ولقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سألته فنعمة المسالم أنت، جزاك خيراً!

وأعطى في بني أسد. قال: حدثني معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير قالاً: حدثنا حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ بحنين مائة من الإبل فأعطانيها ثم سألت مائة فأعطانيها، ثم سألت مائة فأعطانيها، ثم قال رسول الله ﷺ: يا حكيم ابن حزام، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذ بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من السفلى.

وفي بني عبدالدار: النضير وهو أخو النضر بن الحارث بن كلدة، مائة من الإبل. وفي بني زهرة: أسيد بن حارثة حليف لهم مائة من الإبل.

وأعطى العلاء بن جارية خمسين بغيراً وأعطى مخزوم بن نوفل خمسين بغيراً. وقد رأيت عبد الله بن جعفر ينكر أن يكون أخذ مخزوم في ذلك وقال: ما سمعت أحداً من أهلي يذكر أنه أعطى شيئاً. ومن بني مخزوم: الحارث بن هشام مائة من الإبل، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل. وأعطى في بني جمح صفوان بن أمية مائة بغير ويقال إنه طاف مع النبي ﷺ وهو يتصفح الغنائم إذ مر بشعب مما أفاء الله عليه فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوءة. فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه فقال رسول الله ﷺ: أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي، وأشهد أنك رسول الله! وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل. وفي بني عامر بن لؤي أعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل. وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل. وأعطى هشام بن عمر خمسين من الإبل. وأعطى في العرب الأقرع بن حابس مائة من الإبل. وأعطى عيينة بن بدر مائة من الإبل. ومالك بن عوف مائة من الإبل.

قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقه الضمري! فقال رسول الله ﷺ: أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلها مثل عيينة والأقرع، ولكنني تألفتها ليسلماً ووكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه).

وفي إعلام الوري (٢٦٣/١): فقال رسول الله ﷺ: يا علي قم فاقطع لسانه! قال عباس بن

مرداس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشد علي من يوم خثعم، فأخذ علي بيدي فانطلق بي فقلت: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: إني ممض فيك ما أمرت، حتى أدخلني الحظائر فقال: أعقل ما بين أربعة إلى مائة. قال: قلت بأبي أنتم وأمي، ما أكرمكم وأحلمكم وأجملكم وأعلمكم.

فقال لي: إن رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة. قال: فقلت لعلي: أشر أنت علي. قال: فإني أمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى. قال: فإني أفعل «.

هذا، وقد كانت هزيمة المسلمين سريعة، وكان بعدها مباشرة محاولات القرشيين وهوازن اغتيال النبي ﷺ، فكانت حماية بني هاشم، وحملات علي عليه السلام المضادة، حيث انتقى أربعين من فرسانهم حملة الرايات فقتلهم واحداً بعد الآخر فانهمزوا! ويحتاج ذلك إلى أربع ساعات أو نحوها، ومعناه أنه لم يحن الظهر حتى تم النصر للنبي ﷺ وانهمز أعداؤه شذر مذر!

أما قائداهم مالك بن عوف الذي كان يهدر ويصيح أروني محمداً حتى أقتله! وجاء بالفعل إلى قرب مكان النبي ﷺ فتصدى له أيمن عليه السلام فقتله مالك، وكان النبي ﷺ ينتظره لكنه تراجع ولم يتقدم! ولعل علياً عليه السلام قصده فهرب أو أحس بالملائكة فارتعب، ثم تصاعد دوي تكبيرات علي عليه السلام وهو يجندل حامل رايتهم ذا الخمار وأخاه عثمان وأبا جرول، فهرب مالك إلى الطائف!

وثالث مال كثير قسمه النبي ﷺ خراج البحرين، ففي البخاري (١٠٨/١) (عن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ بمال من البحرين فقال: أنشروه في المسجد وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ).

فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه، إذ جاء العباس فقال يا رسول الله أعطني فلاني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً. فقال له رسول الله ﷺ: خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يُقْلُهُ فلم يستطع! فقال: يا رسول الله أوامر بعضهم يرفعه إلي. قال: لا. قال: فارفعه أنت علي. قال: لا. فشر منه ثم ذهب يُقْلُهُ فقال: يا رسول الله أوامر بعضهم يرفعه. قال: لا. قال فارفعه أنت علي. قال: لا. فشر منه، ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق، فما زال رسول الله ﷺ يتبعه ببصره حتى خفي علينا، عجباً من حرصه! فما قام رسول الله ﷺ وشم منها درهم).

عطايا حنين أثارت بعض الصحابة!

كانت غنائم حنين أكبر غنائم غنمها النبي ﷺ في كل حروبه! فقد جاءت هوازن بكل ماتملك إلى المعركة، فبذلك أمرهم رئيسهم كعب بن مالك، وقد نصحه كبيرهم ذوالصمة أن لا يفعل، فقال كلا، إن وجود نسائهم وأموالهم معهم يدفعهم إلى القتال لحمايتهم!

لكنهم سرعان ما انهزموا وتركوا أموالهم ونساءهم فوقعت في يد النبي ﷺ. وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يعطي أكثرها لزعماء قريش لتأليف قلوبهم، وفي نفس الوقت لامتحان الأنصار وبقية المسلمين الذين لم يعطهم، فكان امتحاناً صعباً!

قال اليعقوبي (٦٣/٢): (وأعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم هوازن وأعطى اثني عشر رجلاً مائة مائة من الإبل، وهم: أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة العبدري والحارث بن هشام بن المغيرة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية بن خلف وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ومالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري والأقرع ابن حابس، وأعطى الباقين ما دون ذلك... وسأله الأنصار ودخلها غضاضة، فقال رسول الله: إني أعطي قوماً تألفاً وأكلكم إلى إيمانكم. وتكلم بعضهم فقال: قاتل بنا محمد حتى إذا ظهر أمره وظفر أتى قومه وتركنا).

وفي الكافي (٤١/٢) بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام، قال زرارة: «سألت عن قول الله عز وجل: وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ. قال: هم قوم وحدوا الله عز وجل وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهم في ذلك شكاً في بعض ما جاء به محمد ﷺ فأمر الله عز وجل نبيه أن يتألفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم ويثبتوا على دينهم الذي دخلوا فيه وأقروا به، قريش وسائر مضر، منهم أبو سفيان بن حرب، وعيينة بن حصن الفزاري، وأشباههم من الناس، فغضبت الأنصار واجتمعت إلى سعد بن عباد فانطلق بهم إلى رسول الله ﷺ بالجعرانة فقال: يا رسول الله أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم، فقال: إن كان هذا الأمر من هذه الأموال التي قسمت بين قومك شيئاً أنزله الله علينا، وإن كان غير ذلك لم نرض! قال زرارة: وسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار أكلكم على قول سيدكم سعد؟ فقالوا: سيدنا الله ورسوله، ثم قالوا في الثالثة: نحن على مثل

قوله ورأيه! قال زرارة: فسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فحط الله نورهم».

أقول: من عجائب التاريخ موقف سعد والأنصار عند غنائم حنين فقد عرفوا النبي ﷺ وشهدوا بصدقه ورأوا معجزاته، وبذلوا في سبيله أموالهم وأرواحهم، ولما أعطى غيرهم ولم يعطهم انخفض مستوى إيمانهم، فحط الله نورهم!

وقد عالج النبي ﷺ هذا الهبوط الذي حدث في الأنصار، بتطبيب خواطرهم والدعاء لهم، وهي معالجة تهدؤهم، لكنها لا ترفع مستواهم لأن ذلك بأيديهم.

واعترض عمر وذو الخويرة على النبي ﷺ

روى المسلمون أن النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن الكبيرة بعد معركة حنين اعترض عليه عمر بن الخطاب! قال عمر (مسند أحمد: ٢٠١/١): «قسم رسول الله ﷺ قسمة فقلت يا رسول الله لغير هؤلاء أحق منهم، أهل الصفة! قال فقال رسول الله ﷺ: إنكم تخيرونني إنكم تسألوني بالفحش، تريدون أن تبخلوني ولست بباخل!»!

وقال مسلم (١٠٣/٣): (قال عمر: فقلت والله يا رسول الله لغير هؤلاء كان أحق به منهم! قال إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش، أو يبخلوني فلست بباخل).

كما اعترض عليه ذو الخويرة مؤسس الخوارج حرقوص بن زهير وقال له: إعدل يا محمد! فوالله إنها قسمة ما أريد بها وجه الله! فأجابه النبي ﷺ: (البخاري: ٥٢/٨ و٦٠/٤) فقال: (ويلك من يعدل إذا لم أعدل! فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله. رحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر!) وأخبر النبي ﷺ أن حرقوصاً وأصحابه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأنهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة! (فتح الباري: ٢٥٣/١٢). وقد قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام.

تريدون أن تبخلوني ما أنا بباخل

في كنز العمال (٥٤٩/١٠) وصححه على شرط الشيخين: (عن أنس أن رسول الله ﷺ عام حنين سأل الناس فأعطاهم من البقر والغنم والإبل، حتى لم يبق شيء من ذلك فماذا تريدون؟ أتريدون أن تبخلوني؟ فوالله ما أنا ببخيل ولا جبان ولا كذوب، فاجذبوا ثوبه حتى بدا منكبه فكأنها انظر

حين بدا منكبه إلى شقه القمر من بياضه).

وفي مستدرك الحاكم (٥٠٩/١): (وقال ﷺ: لو كان لكم في يدي مثل جبال تهامة لأقسمته بينكم، ولم تجدوني كذوباً ولا جباناً ولا بخيلاً).

وفي مغني ابن قدامة (٣٢٠/٧): (أعطى صفوان بن أمية الأمان واستنظره صفوان أربعة أشهر لينظر في أمره، وخرج معه إلى حنين فلما أعطى النبي العطايا قال صفوان مالي؟ فأوماً النبي ﷺ إلى واد فيه إبل محملة فقال: هذا لك! فقال صفوان إن هذا عطاء من لا يخشى الفقر!

وفي رواية أن صفوان: طاف معه والنبي ﷺ يتصفح الغنائم إذ مر بشعبٍ مما أفاء الله عليه، فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفس أحدٍ قط إلا نفس نبي، وأشهد أنك رسول الله!

لكل نبي بطانتان بطانة خير وبطانة شر

في البخاري (١٢١/٨): (قال النبي ﷺ: قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى). وقد ورد الحديث بأن هاتين البطانتين تختلفان بعد الرسل فيغلب أهل الباطل على أهل الحق ويضطهدونهم!

ففي كتاب سليم (١٣٧): (قال النبي ﷺ: يا علي، ما بعث الله رسولاً إلا وأسلم معه قوم طوعاً وقوم آخرون كرهاً، فسلط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً فقتلواهم ليكون أعظم لأجورهم! يا علي، وإنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والإختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجعلهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه، ولا يتنازع في شئ من أمره، ولا يحدد المفضول ذا الفضل فضله. ولو شاء عجل النعمة فكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره. ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى).

وقد روى الطبراني في الأوسط (٣٧٠/٧): (عن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: ما اختلفت أمة

بعد نبئها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها).

وحاول الألباني أن يضعفه لأن فيه موسى بن عبيدة وهو شيعي، وقالوا عنه حديثه ضعيف لكن نصوا على أنه صدوق! (ضعيف سنن الترمذي/١٣٧).

غنائم حنين يملكها من قاتل ولم يهرب

الغنيمة لمن قاتل، وبهذه القاعدة تكون غنائم حنين للنبي ﷺ وبني هاشم الذين ثبتوا معه وقاتلوا ودافعوا. ويكون لعلي عليه السلام الشطر الأكبر من غنائم حنين لأنه قتل أربعين من قادة هوازن أصحاب الرايات، فسبب ذلك هزيمتهم وفرارهم! لذلك فالنبي ﷺ كان يعطي عطايه من ملكه وملك هؤلاء الذين خولوه، وبحكم أن له الولاية العامة الشاملة.

ولو طبق النبي ﷺ قاعدة: ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب للنبي ﷺ، والغنيمة لمن قاتل، والفار لا سهم له، لكانت أكثر غنائم حروبه لعلي عليه السلام. لكنه خفف عن المسلمين ولا بد أن علياً عليه السلام جعل سهمه تحت تصرفه ﷺ.

فلسفة هذا الكرم النبوي الجزيل

يظهر أن الإحسان وعطاء المال يؤثر حتى على تفكير الشخص، وقد غيره من الشر إلى الخير، فيرى الحق بعد أن كان ينكره، وقد رأيت أن صفوان بن أمية وهو من عتاة مشركي قريش لما أعطاه النبي ﷺ مئة بغير أو أكثر، قال: هذا عطاء من لا يخشى الفقر، وهذا الكرم لا يكون إلا من نبي! وقال: والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي. وأسلم!

وهذا هو معنى تشريع المؤلفات قلوبهم، أو تشريع العطاء المالي لكي يسلموا.

وهذا معنى أن النبي ﷺ بدأ دعوته لقريش والعرب بتطميئعهم إن آمنوا بأموال كسرى وقيصر، فهو استثمار مشروع للطمع الدنيوي في الدعوة.

وقد ألغى عمر سهم المؤلفات قلوبهم، جهلاً منه بحكمته، أو لأن بعض زعماء قريش شكوا له أن الناس يقولون لهم لستم مسلمين بل مؤلفات قلوبكم! فأراد عمر أن يزيل عنهم ما اعتبره الناس عاراً!

والظاهر أن القصة التالية أرادها النبي ﷺ تعليماً لنا لنحسن الظن بالناس، ونعرف أن الإحسان أسلوب مهم في إصلاح المجتمع. قال في مناقب آل أبي طالب (٣٨٤/١) في تفسير قوله تعالى: رَجُلٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهِ زُورُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ:

نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك أن النبي أعطى علياً يوماً ثلاث مائة دينار أهديت إليه قال علي: فأخذتها وقلت والله لأتصدقن الليلة من هذه الدنانير صدقة يقبلها الله مني، فلما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله أخذت مائة دينار وخرجت من المسجد فاستقبلتني امرأة فأعطيتها الدنانير فأصبح الناس بالغد يقولون تصدق علي الليلة بمائة دينار على امرأة فاجرة، فاغتممت غماً شديداً.

فلما صليت القابلة صلاة العتمة أخذت مائة دينار وخرجت من المسجد وقلت: والله لأتصدقن الليلة بصدقة يتقبلها ربي مني، فلقيت رجلاً فتصدق عليه بدنانير، فأصبح أهل المدينة يقولون تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل سارق فاغتممت غماً شديداً وقلت: والله لأتصدقن الليلة بصدقة يتقبلها ربي مني، فصليت العشاء الآخرة مع رسول الله، ثم خرجت من المسجد ومعني مائة دينار فلقيت رجلاً فأعطيته إياها، فلما أصبحت قال أهل المدينة تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل غني، فاغتممت غماً شديداً فأتيت رسول الله ﷺ فخبرته فقال لي: يا علي هذا جبرئيل يقول لك إن الله عز وجل قد قبل صدقاتك وزكى عملك، إن المائة دينار التي تصدقت بها أول ليلة وقعت في يدي امرأة فاسدة، فرجعت إلى منزلها وتابت إلى الله عز وجل من الفساد وجعلت تلك الدنانير رأس مالها، وهي في طلب بعل تتزوج به، وإن الصدقة الثانية وقعت في يدي سارق فرجع إلى منزله وتاب إلى الله من سرقة وجعل الدنانير رأس ماله يتجر بها، وإن الصدقة الثالثة وقعت في يدي رجل غني لم يترك ماله منذ سنين فرجع إلى منزله ووبخ نفسه وقال: شحاً عليك يا نفس! هذا علي بن أبي طالب تصدق علي بمائة دينار ولا مال له، وأنا قد أوجب الله علي مالي الزكاة لأعوام كثيرة لم أركه فحسب ماله وزكاه وأخرج زكاة ماله كذا ديناراً. وأنزل الله فيك: رَجُلٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.. الآية..).

ومعناه أن النبي ﷺ أعطاه هذا المبلغ الكبير وأمره أن يعطيه أثلاثاً لأول من يلقاه عند

خروجه من المسجد، فصادف هؤلاء الذين سمعت قصتهم!
فلا تعجب من تشريع سهم المؤلفة قلوبهم في ميزانية الدولة الإسلامية.

النبي ﷺ أجود الناس صدراً وأجود ما يكون في رمضان

جاء في وصف أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ: (وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة). (الشماثل للترمذي/١٨).

وفي الشماثل للنبهاني (٢٤٦/١): (عن جابر قال: ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال: لا. وكان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه).

وعن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ.. كان أجود بالخير من الريح المرسلة. إذا جاءه مال لم يبنته، بل يعجل قسمته، لا يبيت عنده ديناراً ولا درهماً.

وأتاه رجل فسأله فأعطاه غنماً سدت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال: أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

ولما قفل ﷺ من حنين وجاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة خطفت رداءه فوقف ﷺ وقال: أعطوني ردائي! لو كان لي عدد هذه العضاء (ورق شجرة) نعماً لقسمته بينكم ثم لاتجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً».

وفي العرش لابن أبي شيبه/٨٤: (عن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله فأعطاه، ثم جاءه فسأله فقال: ما عندي، ولكن استقرض علينا حتى يأتينا فتفضيك، قال عمر قلت: يا رسول الله! هذا أعطيت ما عندك، فإذا لم يكن عندك فلا تكلفه، فكره رسول الله قولي، حتى عرف الكراهية في وجهه، فقام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، أعط ولا تخف من ذي العرش إقللاً. قال: فتبسم رسول الله حتى عرف السرور في وجهه وقال: بهذا أمرت).





الفصل التاسع والثلاثون

ظلمات النبي ﷺ من قريش

المظلوم الأول في العالم

كانت ظلامة بطون قريش للنبي ﷺ في ثلاثة أمور:

١. أرسله الله رسولاً فمنعوه من تبليغ رسالة ربه.
٢. عملوا ليلهم ونهارهم بكل ما استطاعوا لقتله.
٣. شنوا عليه حملة افتراءات وبهتان، ونشروا ذلك في الناس!

ظلامة قريش كانت على تنزيل القرآن وعلى تأويله

فقد وقفت قريش ضد دعوة النبي ﷺ الى الإسلام وصدت عن سبيل الله، وعملت لقتل النبي ﷺ، وعقدت مؤتمراً وقعت فيه صحيفة المقاطعة لبني هاشم، حتى يسلموهم النبي ﷺ ليقتلوه!

وقد أسلم مع النبي ﷺ عدد من القرشيين، لكن إسلام أكثرهم كان سياسياً على أمل أن ينتصر بنو هاشم على بقية البطون فيأخذوا مكة، ويكون لهؤلاء موقع في دولتهم لأنهم كانوا أشخاصاً مهينين، من قبائل مغمورة. لذلك طلبوا من النبي ﷺ أن يقاتل قريشاً، فأنزل الله فيهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ.

وقال المفسرون السنة إنهم منافقون من قريش، وسموا منهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد

بن أبي وقاص، وآخرين. وفي برهان الزركشي (٤٢٢/١): «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا! هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا، من القوم الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ».

وفي تفسير الرازي (١٨٤/١٠): «والأولى حمل الآية على المنافقين لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، ولا شك أن من هذا كلام المنافقين.. فالمعطوف في المنافقين وجب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً».

وبعد أن هاجروا الى المدينة كانوا يطالبون النبي ﷺ بأن يشاركوه في قيادة المسلمين: وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا!

وهؤلاء هم الطبقة السياسية من المنافقين القرشيين، وهم أخطر على الإسلام من المنافقين العاديين، لأنهم أصحاب طموح سياسي، وقد ساءهم الله تعالى: مرضى القلوب، وتحدث عنهم في اثنتي عشرة آية، ووصفهم بأنهم وقحون يفرون في الحرب ثم يحملون النبي ﷺ الهزيمة لأنه لم يشركهم في القيادة!

وهم الذين قال لهم الله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا.

والذين قال لهم النبي ﷺ في حجة الوداع: (ويحكم أو قال ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض). (مسند أحمد ١٠٤/٢).

وهم وأتباعهم الذين قال النبي ﷺ عنهم (البخاري: ٢٠٨/٧): (بيننا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)!

وقد صرحت رواية البخاري بأن المطرودين عن الخوض صحابة، قال (٩٧٥/٢): (يرد على الخوض رجالاً من أصحابي فيحلئون عنه فأقول يا رب أصحابي! فيقول: فإنه لا علم لك

بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري!) ونحوه مسلم: ١٥٠/١ و: ٦٦ / ٧ وابن ماجه: ٢ / ١٤٤٠ وأحمد: ٢ / ٢٥ و ٤٠٨ و: ٣ / ٢٨، والبيهقي في سننه: ٤ / ١٤، وغيرهم.

قال المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب في كتابه: الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية/٢٦٢، ملخصاً: «أدركت بطون قريش مايرمي له محمد، وفهمت توجه الترتيبات الإلهية، وأنه صار بحكم المؤكد أن قيادة عصر ما بعد النبوة ستكون في بني هاشم، وبالتحديد في علي الذي قتل الأحبة والسادات، ومن بعد علي ستكون في بنيه، فمن يتقدم عليهم وهم أبناء الرسول، ومن يحاربهم وهم ناصية بني هاشم، ومن يرفض الإنقياد لهم وهم أبناء النبي، وإذا تحققت هذه النوايا والتوجهات، فمعنى ذلك أن الهاشميين قد أخذوا النبوة وأخذوا الخلافة معاً، أو جمعوا ما بين النبوة والخلافة، وبين الدين والملك معاً، وهذا يعني أنهم قد أخذوا الشرف كله، واختصوا بالفخر كله، وحرّموا منها بطون قريش، وتلك والله كارثة برأيهم، الموت خير من مواجعتها، أو العيش في ظلالها!

وتفتقت عقلية بطون قريش عن خطة قبلية سياسية مثلى، تجمع بين الصيغة السياسية الجاهلية وبين نظام الإسلام السياسي، وتقوم على خلط الأوراق وإعادة ترتيبها من جديد، تحت إشراف رجالات البطون المسكونة أنفسهم بمرض الصيغة السياسية الجاهلية! لذلك وضعوا مجموعة من الأوراق لمواجهة الترتيبات الإلهية لعصر ما بعد النبوة، والإلتفاف عليها!

ثم عدد المؤلف أوراق البطون القرشية، ومنها أنهم عصبوا دم ساداتهم الذين قُتلوا في مواجهة قريش للنبي بعلي! فهو الذي قتلهم بوصفه حامل راية النبي في كل المواقع، وبوصفه أقوى فرسان الإسلام على الإطلاق.

ثم أوضح كيف قرر زعماء بطون قريش معالجة منظومة الحقوقية الإلهية التي وثقت مكانة أهل البيت بالقرآن الكريم والسنة، فاخترقوا الآيات بالتأويل والتفسير، وتحميل النص عدة معان تضيع المقصود الشرعي منه!

ثم اخترقوا سنة النبي بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير برفع شعار: حسبنا كتاب الله، بمعنى أن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لسنة النبي! بل رفعوا هذا الشعار بمواجهة النبي نفسه

عندما أراد أن يكتب وصيته للأمة، رفعه عمر بن الخطاب! وعندما توج أبو بكر رفعه رسمياً وتم حصر ما يمكن حصره من الأحاديث النبوية المكتوبة وأمر بإحراقها! وكذلك فعل عمر، ومنعاً رسمياً رواية السنة أو كتابتها، لأن كتاب الله وحده يكفي!

ولم يكتفوا باختراع مقولة لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا بين النبوة والخلافة حتى قرروا عزهم سياسياً عزلاً كاملاً!

ثم قال المحامي: «وعملياً وطوال رئاسة ذلك نفر للأمة لم يصدف أن استعملوا أو استعانوا بأي رجل من آل محمد، ولا بأي رجل يتعاطف مع آل محمد، وذلك من قبيل سد الذرائع!

قال عبد الله بن عباس: إن عمر قد أرسل إليه وقال له: إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شيء لم أره منك وأعياني ذلك فما رأيك بالعمل لي؟ قال ابن عباس فقلت: لن أعمل لك حتى تخبرني بالذي في نفسك؟ قال عمر ما تريد إلى ذلك؟ قال ابن عباس فقلت: أريده فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أني لست من أهله فقبلت عملك هنالك، فإني قلما رأيته طلبت شيئاً إلا عاجلته! فقال عمر: يا بن عباس إني خشيت أن يأتي الذي هو آت (الموت) وأنت في عملك فتقول هلم إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم!

فمن حرص عمر على مصلحة المسلمين وكرهيته المطلقة لرئاسة آل محمد يريد حتى بعد وفاته أن يتأكد بأنه لا يوجد في ولايات الدولة ولا أعمالها رجل واحد يؤيد حق آل محمد بالرئاسة! وهو يثق بمعاوية ويثق بكل ولايته لأنه وإياهم على خط واحد، ولهم هدف واحد وهو الحيلولة بين آل محمد وبين الرئاسة العامة للأمة، لأن ذلك نفر لا يرون أنه ليس للأمة مصلحة في رئاسة آل محمد، بل المصلحة كل المصلحة بإبعاد آل محمد عن حقهم برئاسة الأمة، وإبعاد أولياء آل محمد عن الولايات والإمارات والأعمال والوظائف العامة حتى لا يوطدوا لآل محمد!

لهذه الأسباب هان على ذلك نفر تجاهل سنة الرسول، وكافة الترتيبات الإلهية المتعلقة بنظام الحكم أو بمن يخلف الرسول، وأقنعوا أنفسهم بأن الترتيبات الإلهية التي أعلنها الرسول في هذا المجال ليست في مصلحة الإسلام ولا في مصلحة المسلمين! ومع الأيام أقنعوا الأكثرية التي حكموها بذلك! إن هذا هو البلاء المبين! »

أقول: واستمر هذا البلاء المبين على الشيعة في كل العصور، واضطهدوهم أشد اضطهاد، وما زالت الحكومات على دين قريش تضطهدهم وتقتلهم في البلاد!

الإختراع القرشي الكافر قولهم للنبي ﷺ: أمك هذا أم من الله؟

أعجب قريشاً القرآن ومشروع نبوة محمد القرشي، لكن القاعدة عندهم أن كل مدح صدر منه ﷺ لعترته وأسرته بني هاشم فهو منه وليس من الله!

وكل ذم صدر منه لرؤساء بطون قريش فهو منه وليس من الله!

وقالوا كان يلعنهم في خطبه ويقنت بلعنهم في صلاته فنزل جبرئيل وأمسك بيده وقال له: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ! إن الله لم يبعثك سبأاً ولا فحاشاً!

قال البيهقي في سننه (٢١٠/٢): (عن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله يدعو على مضر (قريش) إذ جاءه جبرئيل فأومأ إليه أن اسكت فسكت فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك سبأاً ولا لعناً! وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً، لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. ثم علمه هذا القنوت: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك ونخاف عذابك الجذ، إن عذابك بالكافرين ملحق. ثم قال البيهقي: هذا مرسل وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيحاً موصولاً!)

أقول: اخترع عمر هاتين السورتين وكان يصلي بهما، كما وثقناه في تدوين القرآن.

ثم وضعوا على لسان النبي ﷺ أحاديث يعترف فيها بخطئه ويتوب من لعن زعماء قريش! ويدعوا الله تعالى أن يجعل لعنته على من لعنه أو سبه أو آذاه (صلاة وقربة، زكاة وأجر، زكاة ورحمة، كفارة له يوم القيامة، صلاة وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة، مغفرة وعافية وكذا وكذا... بركة ورحمة ومغفرة وصلاة، فإنهم أهلي وأنا لهم ناصح) على حد تعبير رواياتهم!

فقد روى ذلك بخاري (١٥٧/٧) وفيه: اللهم فأيا مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة. وفصلها مسلم (٢٦/٨) وفيه: اللهم إنا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيا مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة

تقربه بها إليك يوم القيامة). وروى مسلم سبع روايات من هذا النوع. وأحمد: ٣٩٠/٢ و ٤٨٨ و ٤٩٦ و ٣/٣٨٤ و ٥/٤٣٧ و ٤٣٩ و ٦/٤٥ والدارمي: ٣١٤/٢ والبيهقي: ٦٠/٧.. الخ.

وكلها تصور النبي ﷺ جالسا على كرسي الاعتراف بأنه سبَّابٌ لَعَانٌ فَحَّاشٌ مؤذٍ للناس، يُبينهم، ويضربهم بالسوط! وأنه تاب ودعا لمن ظلمهم من الفراعنة والأبالسة، بهذا الخير الطويل العريض!

أما بخاري فعقد في صحيحه أربعة أبواب! روى فيها أن الله رد لعن نبيه على المشركين والمنافقين، ولم يسم بخاري الملعونين في أكثرها حفظاً لكرامتهم! قال في (٣٥/٥): (باب: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.. قال حميد وثابت عن أنس: شَجَّ النبي يوم أحد فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.. عن سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله عز وجل: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، إلى قوله فإنهم ظالمون).

ثم أورد بخاري رواية أخرى تجعل فلاناً وفلاناً الملعونين أحياء من قبائل العرب وليسوا زعماء قريش! قال: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف، يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من العرب حتى أنزل الله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.. الآية).

وقال بخاري في (١٥٥/٨): (باب قول الله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.. عن ابن عمر أنه سمع النبي يقول في صلاة الفجر رفع رأسه من الركوع قال اللهم ربنا ولك الحمد في الأخيرة، ثم قال: اللهم العن فلاناً وفلاناً، فأنزل الله عز وجل: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ).

أقول: فالقرشيون حتى المسلمون منهم يرون أن لعن النبي ﷺ لزعماء المشركين وفراعنتهم ووطغاتهم كان من عنده، وأن الله تعالى خطأه ووبَّخه فتاب، وحكم الله لهم جميعاً بالجنة!

وقد روى الذهبي (ميزان الاعتدال: ٣٥٥/٣) قاعدة عمر في نجاة القرشيين جميعاً يوم القيامة! قال: (سمعت رسول الله يقول: سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له)!

والنبي ﷺ يقصد آل محمد ﷺ، وعمر يقصد زعماء قريش! راجع: الدرالمشور: ٢٥١/٥، الترمذي: ٢٩٨/٥، الحاكم: ٣/ ١٢٩، مجمع الزوائد: ١٠٨/١.

أقول: كذلك كفروا بمدحه ﷺ لبني هاشم وعترته، فزعموا أنه من عنده! فعندما كان يمدح فاطمة ﷺ ويقول هي سيدة نساء أهل الجنة، ويمدح الحسن والحسين ﷺ ويقول: هما سيدا شباب أهل الجنة، وعندما أخذ بيد علي ﷺ في يوم غدير خم وأعلنه خليفته وقال: من كنت مولاه فهذا مولاه، كانت قريش تقول: إنه يحابي عترته، يرفع بضبع ابن عمه، وقالوا ما يزال يرفع خسيصة ابن عمه، يريد أن يحمل بني هاشم على رقابنا!

وجاء مبعوثهم جابر بن النضر العبدي من بني عبد الدار من مكة الى المدينة بعد إعلان الغدير في حديث صحيح، رواه من أئمة السنين أبو عبيد الهروي في كتابه: غريب القرآن، قال: «لما بَلَغَ رسول بغدير خم ما بَلَغَ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك! ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شيعى منك أم من الله؟! فقال رسول الله ﷺ: والذي لا إله إلا هو إن هذا إلا من الله! فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله لرسوله: اقرأ: سَأَلْتُكَ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.. الآية».

ظلمة قريش ما زالت فاعلة الى اليوم!

ألف المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب كتاب: المواجهة مع النبي وآله. ويقصد مواجهة قريش للنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته. وكتبت أنا: رسالة في صراع قريش مع النبي وآله ﷺ في حياته وبعد وفاته. وهو سياق يساعد على معرفة معالم السيرة النبوية، وفهم خطب النبي ﷺ في حجة الوداع، ومنها بشارته بالأئمة الإثني عشر ﷺ، وخطبة الغدير التي أعلن فيها ولاية علي ﷺ على الأمة.

كما أنه يكشف منهج قريش في تكبرها وإصرارها على الباطل، من فجر الإسلام وفي حياة

النبي ﷺ، وقد تمثل ذلك في بني أمية وامتد الى يومنا!

أول دعوى عالمية يوم القيامة دعوى النبي وعلي ﷺ ضد قريش!

علي ﷺ أول مظلوم يفتح ملفه يوم الحساب، كما روت أصح كتب مخالفيه: (أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمان يوم القيامة)! (صحيح بخاري: ٦/٥).

وأول خصومة في محكمة القيامة تعني أهم دعوى في جريمة على مستوى البشرية، وعلي ﷺ هو المدعي فيها نيابة عن النبي ﷺ وأصالة عن نفسه، والمدعى عليه القرشيون أصحاب الفعاليات الخبيثة ضد النبي ﷺ وعلي.

من الذي سيحضر من قريش للخصومة يوم القيامة؟

والسؤال: عندما يجثو علي ﷺ بين يدي الله تعالى ويقدم شكواه على قريش، فمن هم خصومه الذين سيحضرهم الله تعالى؟

والجواب: أنهم الموقعون على صحيفة المقاطعة من قريش، وعددهم أربعون شيخ قبيلة وشخصية، كما تقدم في فصل الصحيفتين.

ثم الموقعون على الصحيفة الملعونة الثانية وعددهم كما روى الإمام الباقر عن أبيه زين العابدين ﷺ أربعة، قال الباقر ﷺ: (دخلت مع أبي الكعبة فضلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً! قال قلت: ومن كانوا؟ قال: كان الأول والثاني، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم ابن الحبيبة «!

ثم عدلوا نص الصحيفة في المدينة وأعطوها الى أبي عبيدة ليرسلها الى مكة ويجعلها بدل تلك، كما في رواية حذيفة، وأشهدوا عليها أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة، وعشرين رجلاً غيرهم: وهم سعيد بن العاص الأموي، وأسامة بن زيد، والوليد بن أبي ربيعة، وسعيد بن زيد بن نفيل، وأبو سفيان بن حرب، وسفيان بن أمية، وأبو حذيفة بن عتبة، ومعاذ بن جبل، وبشير بن أبي سعيد الأنصاري، وسهل بن عمر، وحكيم بن حزام الأسدي، وصهيب بن سنان الرومي، والعباس بن مرداس السلمي، وأبو مطيع بن أسد العبدى، وقعد ابن عمر، وسالم مولى أبي

حذيفة، وسعيد بن مالك، وخالد بن عرفطة، ومروان بن الحكم، والأشعث بن قيس.
قال حذيفة: حدثني أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر أن القوم اجتمعوا في دار أبي بكر، فتوامروا في ذلك، وأسماء تسمع جميع كلامهم، فأمرها سعيد بن العاص أن يكتب على اتفاق منهم).
ومع الأربعين في صحيفة المقاطعة يكون المجموع ثمانية وسبعين رجلاً، فهؤلاء الخصوم الأساسيون للنبي ﷺ وعلي ﷺ من قریش!
وهم المؤسسون لظلمة النبي ﷺ وعترته ﷺ وظلمة الإسلام، ولا بد أن يضاف إليهم غيرهم من أدواتهم وأتباعهم في عصرهم وفي الأجيال اللاحقة.



الظلمة الثانية: إضلال الذين يهتدون على يد النبي ﷺ

١. قانون هداية النبي ﷺ للناس، يقابله قانون إضلال الناس

قال الله تعالى عن نموذج منها: وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا. وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا. فكل نبي له عدو مجرم يعمل لإضلال من يهديهم. وكل رسول له أكثر من عدو. وسيد المرسلين ﷺ صاحب الهداية العظيمة له عدد كبير من الأعداء المضلين!

وقد أجاب الله تعالى في بقية الآية عن سؤال يأتي إلى الذهن: مادام مع كل نبي عدو مجرم مضل، فمن سيهتدي وكيف سيتنصر المؤمنون؟

فقال: وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا. ومعناه أن هذا الإمتحان والفتنة يبقى معها هامش للفعل الرباني في هداية المؤمنين وثباتهم على الهداية وانتصارهم.

وقد حاول مفسرو السلطة أن يبعدوا الأعداء المجرمين والذين اتخذوا القرآن مهجوراً عن الصحابة، ويجعلوهم المشركين، لكن يرددهم ما رواه البخاري (١٢١/٨): (أن النبي قال: ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى). والبطانة الأصحاب الخاصون.

كما يردده قوله تعالى في فتنه المؤمنين: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ.

فهي تنص على فتنه المؤمنين بعد إيمانهم، فقوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ، يختص بالمجرمين من بطانته الشريرة، أو يشملهم.

وهنا قد تقول: ألا يجب على النبي أن يكشف هؤلاء المضلين ويحذر منهم؟

والجواب: المصلحة أن لا يبينهم بصراحة، لتبقى حرية الإعتداء والضلال متكافئة، كقوله تعالى: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى.

فلو كانت أخفى أو أوضح مما هي الآن لم يتم قانون: لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فيجب أن تكون خفية في وضوح واضحة في خفاء. وأن يكون المضلون العاملون مع الأنبياء ﷺ خافين في وضوح واضحين في خفاء! ل يتم الإمتحان بمعرفتهم، كالإمتحان بإضلالهم.

٢. قانون الهداية والضلال قانون رباني فعال في كل العصور وكل الناس، وعناصر الهداية والضلال متكافئة، والإنسان هو الذي يقوي هذه أو هذه، فيهتدي أو يضل. والمجرمون المضلون كانوا في حياة النبي ﷺ، وهم في كل عصر يعملون بنشاط في إضلال الناس عن الحق!

لقد قضى الله تعالى أن يكون الصراع بين الخير والشر فاعلاً في داخل الإنسان بين فجوره وتقواه، وبينه وبين الناس، وبين الناس والفئات والدول، فهو الطريق الوحيد لصهر الإنسان وبلورته، وإظهار تبره من ترابه!

٣. كان الصحابي أبي بن كعب يتأوه من إضلال أمة النبي ﷺ من جماعة اتفقوا فيما بينهم وتعاهدوا! قال: (ألا هلك أهل العقدة والله ما آسى عليهم، إنما آسى على من يضلون من الناس! فقيل له: يا صاحب رسول الله من هؤلاء أهل العقدة وما عقدتهم؟ فقال: قوم تعاهدوا بينهم إن مات رسول الله لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولا يولوهم مقامه! أما والله لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومن فيهم مقاماً أبين به للناس أمرهم! قال: فما أت عليه الجمعة!)

وتقدم حديث أبي بن كعب في فصل الصحيفة الملعونة!



الظلمة الثالثة: رفعوا رؤساء قريش الى مستوى النبي ﷺ وأعظم!

رأى القرشيون أنهم بحاجة الى أن يرفعوا مقام قادتهم، فأعطوهم صفات عالية وجعلوا لهم مناقب تضعهم في مستوى النبي ﷺ! وأحياناً أفضل منه! وطبيعي أن يكون حظ عمر أوفر من غيره لأنه القائد الذي اختاره زعماء البطون وقدموه ليواجه النبي ﷺ ويقول له: لا نريد وصيتك، حسبنا كتاب الله، ويقول للناس إن نبيكم يهجر فاستفهموه لأريكم أنه يهجر ويهذي! فصاح الطلقاء: القول ما قاله عمر، لا نريد أن يكتب وصية!

وبعد انتصارهم على النبي ﷺ جعلوا عمر في صف النبي ﷺ! فقالوا: إنه كان مرشحاً للنبوّة وإن النبي ﷺ قال: لو لم أبعث لبعث عمر! وقال: ما تأخر الوحي عليّ إلا ظننت أنه نزل على ابن الخطاب!

وجعلوه محدثاً محدثه الملائكة، وينطق ملكٌ على لسانه فلا يقول إلا الحق حتى في غضبه! بينما قال النبي ﷺ إنه بشر يغضب كما يغضب البشر!

وقالوا: إن النبي دعا ربه أن يعز الإسلام بعمر، وكان قبله ذليلاً فعزّ به.

وقالوا: إن عمر كان يقترح على النبي ﷺ الأمر فينزل الوحي بما قاله، وقد يكون مخالفاً لقول النبي ﷺ، وقد بلغت موافقات الله لعمر ٢٧ موافقة، ونظموا فيها القصائد، وألفوا الكتب! وقالوا: إن النبي أتى في منامه بكأس العلم فشرب منه وسقى الباقي لعمر!

وزaidوا على النبي ﷺ فقالوا إن عمر معصوم عصمة أفضل من عصمة النبي، لأن الشيطان يهرب من عمر ولا يهرب من النبي ﷺ فقد جاءه في صلاته وصارعه مدة حتى أمسكه! بينما لا يجرو أن يأتي الى عمر، بل يهرب منه، فإذا سلك عمر فجأ سلك الشيطان فجأ آخر!

وقال ابن حجر في شرح البخاري (٣٨/٧): «فيه فضيلة عظيمة لعمر، تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه. وقبل ابن حجر رواية أن الشيطان يخزُّ لوجهه إذا لقي عمر!

وتحايل في التأويل فقال هي عصمة جائزة، وعصمة النبي ﷺ واجبة! ولا مانع أن تكون العصمة الجائزة لغير النبي أفضل من عصمته! لأن النبي ﷺ كما قال الألباني وابن القيم في زاد المعاد (٢٦٨/١): «كان يصلي فجاءه الشيطان ليقطع عليه صلاته، فأخذه فخنقه حتى سال

لعابه على يده»!

فعصمة عمر أعلى من عصمة النبي ﷺ لأنها عصمة جائزة، وعصمة النبي ﷺ عصمة واجبة دونها بدرجة! وقد فصلناه ووثقناه في ألف سؤال وإشكال (٤٤٩/٣).



الظلامة الرابعة: الحط والتنقيص من مقام النبي ﷺ

وقد بدؤوا بالخط من مقام عترته ﷺ فأنكروا مناقبهم، واشتغل رواة الحكومة بذلك، فزعموا أن علياً كان مكروهاً ثقيلاً على النبي ﷺ!

ثم تعدى ذلك من العترة النبوية الى نفس النبي ﷺ فكذبوا عليه وافتروا! وقد كتبنا في ألف سؤال وإشكال (١٧٦/٢): (البخاري نموذجاً للطعن في عصمة نبينا ﷺ والإنتقاص من مقامه! علماً بأنه يوجد أضعافه في مصادرهم!

فقد بدأ البخاري كتابه عن بدء الوحي بفرية قرشية تقول إن النبي ﷺ من الأساس لم يكن على يقين من نبوته بل كان في شك وحيرة! حتى طمأنه قسيس نصراني، ثم تأخر عليه الوحي فعاد اليه الشك وقرر أن يتحذر!

ثم زعم البخاري أن النبي ﷺ غير معصوم حتى في تبليغ رسالة ربه، فقد غلبه الشيطان فخان الرسالة وغير القرآن، وكفر ومدح أصنام قريش وقال: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى! وسجد لها هو والمشركون، وكان بعض زعماء قريش مسناً فرفع الحصى بيده وسجد عليه!

ثم زعم ثالثاً، أن نبينا ﷺ ليس أفضل من أنبياء بني إسرائيل عليه السلام! فموسى على عيوبه ومعاصيه! أفضل منه، ويونس على تركه لقومه ومغاضبته خير منه، وعيسى خير منه ومن جميع الأنبياء عليهم السلام!

وزعم رابعاً، أن نبينا ﷺ عصبي المزاج سئ الأخلاق مع المسلمين، غير مسدد في منطقته، وأنه ينطق عن الهوى ويسب ويشتم ويلعن بغير حق! ويؤذي ويجلد الناس ظلماً وعدواناً! ولذلك تاب ودعا لمن لعنهم!

وزعم خامساً، أن النبي ﷺ ساذج ضعيف الشخصية والتدبير، يقع في أخطاء فظيعة، فيصححها له عمر، وينزل الوحي موبخاً له مؤيداً لعمر!

وزعم سادساً، أن النبي ﷺ ظالم لقومه، فقد ظلمهم في بدر وأخذ منهم أسارى بغير حق، وأخذ من الأسرى فدية مقابل إطلاقهم، فعاقبه الله بهزيمته، وجرحه وكسر أسنانه في أحد!

وزعم سابعاً، أن النبي ﷺ غير مسدد في قضائه بين المسلمين، فقد يقضي لشخص بالباطل لأنه حاذق في كلامه!

وزعم ثامناً، أن النبي ﷺ ينهى عن الأمر ويرتكبه هو، فقد نهى المسلمين عن التمني وقول (لو) لكنه تمنى وقالها مرات!

وزعم تاسعاً، أن النبي ﷺ صاحب ذهن مشوش ينسى كثيراً، فقد نسي أنه جُنُب فلم يغتسل وبدأ في صلاته! كما نقص ركعات الصلاة وأخطأ في قراءة القرآن في صلاته، فصحح له بدوي!

وزعم عاشراً، أن النبي ﷺ غلب عليه المرض في آخر حياته فأخذ يهذي، وطلب من المسلمين أن يأتوه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتاباً يؤمنهم من الضلال، فرفض ذلك عمر وقال نبيكم غلب عليه الوجع، وأيده أكثر الحاضرين، ومنعوه من كتابة ذلك العهد!

وحادي عشر، قالت عائشة إن النبي ﷺ سُحِرَ ففقد ذاكرته وبقيسته أشهر مسحوراً، يُحِيلُ إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، وأنه أتى زوجته ولم يأتها!

وقد فصلنا ذلك في كتاب: الماء الجاري في غسل البخاري.





الفصل الأربعون

أحقاد قريش وبغضها لبني هاشم!

التعصب المذموم باطنه التكبر

كان التعصب للقبيلة حتى بالباطل هو الثقافة السائدة عند بعثة النبي ﷺ لذلك واجه النبي ﷺ التعصب القرشي والبغض والحقد عليه وعلى بني هاشم، لمجرد ادعائه النبوة، وحكمهم عليه بالقتل قبل أن يسمعوا منه!

وقد عقد الكليني رحمه الله باباً في الكافي (٣٠٧/٢) بعنوان: باب العصبية، روى فيه قول النبي ﷺ: **من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربق الإيـمان من عنقه**. وقوله ﷺ: **من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية**.

أما التعصب الممدوح فهو التعصب للمظلوم والتعصب للحق، فقد روى الكليني في نفس الباب قول الإمام السجاد عليه السلام: **العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين**، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم).

وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام أن التكبر هو الباعث الحقيقي على التعصب، فالتكبر أدنى درجات الإلحاد. قال عليه السلام (نهج البلاغة: ١٣٧/٢): **الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمىً وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين** فقال سبحانه وهو العالم بمضمورات القلوب ومحجوبات الغيوب: **إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ**

مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعُدَّ اللهُ إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبرية، وادرع لباس التعزز، وخلع قناع التذلل. ألا ترون كيف صغره الله بتكبره، ووضعه بترفعه فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعد له في الآخرة سعيراً).

التعصب الممدوح مقدس وباطنه نصرة الحق

كان النبي ﷺ متعصباً لنبوته، ومتعصباً لنفسه، ومتعصباً للمؤمنين، ومتعصباً لأسرته بني هاشم، كل ذلك بأمر ربه، وكله تعصب ممدوح.

وتعصب المسلمين للنبي ﷺ واجب، ففي تفسير الإمام العسكري عليه السلام / ٤٦١، أن عبد الله بن سلام اليهودي لما أسلم قال لرسول الله ﷺ: قد تمت الحجج وانزاحت العلل، وانقطعت المعاذير، فلا عذر لي إن تأخرت عنك، ولا خير فيَّ إن تركت التعصب لك).

فالتعصب للنبي ﷺ مقدس لأنه تعصب للحق. وكذا للأئمة من عترته عليه السلام.

في الإحتجاج (١٢/١)، أن الإمام الرضا عليه السلام قال: (أفضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته وذله ومسكنته، أن يغيث في الدنيا مسكيناً من محبينا، من يد ناصب عدو الله ولرسوله ﷺ). يقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محله من جنان الله، فيحملونه على أجنحتهم يقولون له: مرحباً، طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار).

أقول: تمدح الملائكة هذا العالم المدافع عن أهل البيت عليه السلام بأنه متعصب للأئمة من عتره النبي ﷺ. فهو تعصب ممدوح وليس مذموماً، لأنه دفاع عن خير الخلق محمد وعترته الأئمة الأخيار الأطهار المظلومين، صلوات الله عليهم!

وفي ذوب النصار لابن نما ٩٧، أن زين العابدين عليه السلام قال لعنه محمد بن الحنفية، في موقفه من ثورة المختار: (يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت).

وقال المجلسي (البحار: ٢٨٤/٧): (وأما التعصب في دين الحق والرسوخ فيه والحماية له، وكذا في المسائل اليقينية والأعمال الدينية أو حماية أهله أو عشيرته بدفع الظلم عنهم فليس من الحمية والعصبية المذمومة، بل بعضه واجب).

التعصب القومي المذموم والممدوح

طور أمير المؤمنين عليه السلام التعصب القومي فقال للعرب (نهج البلاغة: ١٥٠/٢): (ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشئ من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء، أو حجة تليط بعقول السفهاء، غيركم، فإنكم تتعصبون لأمر لا يعرف له سبب ولا علة، أي للقبيلة حتى بالباطل. أما إبليس فتعصب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته فقال: أنا ناري وأنت طيني. وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم. فقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذنين).

فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجدهاء والنجدهاء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغبية، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة. فتعصبوا لخالل الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيط، واجتناب الفساد في الأرض. واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثالات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم).

كانت قبائل قريش تبغض بني هاشم وتتعصب ضدهم

كان هاشم رضي الله عنه محسوداً من ابن أخيه أمية وكافة قريش، فنافره أمية، أي طلبه للمباراة أيها أفضل، وأن يحكم بينهما حكم.

قال البلاذري في أنساب الأشراف (٦١/١): (كان أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ذا مال، فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم في إطعام قريش، فعجز عن ذلك، فشمت به ناس من قريش وعابوه لتقصيره فغضب، ونافر هاشماً على خمسين ناقة سودا لخدق تنحر بمكة، وعلى الجلاء عشر سنين، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق وكان منزله عسفان).

وكان مع أمية أبو همهمة بن عبد العزى الفهري، وكانت ابنته عند أمية. فقال الكاهن: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، في منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منها وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر. فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فتلك أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية).

وقال المقرئ في النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم/٦٣:

(أقول: هذا رسول الله ﷺ قد أبعد بني أمية عنه وأخرجهم من ذوي قرباه! كما خرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب فرض الخمس من الجامع الصحيح، فقال: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سعيد ابن المسيب، عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال رسول الله ﷺ: إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد. وقال الليث: ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس ولا لبني نوفل).

حسدوا عبد المطلب فتحالفوا ضده!

قال اليعقوبي في تاريخه (٢٤٨/١): (ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر، طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف.. فتطيب بنو عبد مناف، وأسد، وزهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فسموا حلف المطيين. فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه، فهو منا! فأدخلت أيديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم، فسموا اللعقة. وكان تحالف المطيين ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً).

وسماه عبد المطلب حلف الفضول ليكون امتداداً لحلف قديم لأبناء إسماعيل عليه السلام وأخواهم من جرهم لحماية البيت ومنع الظلم فيه، يقال لهم: الفضل بن الحارث والفضيل بن وداعة والفضيل بن فضالة). (سنن البيهقي: ٦ / ٣٦٧، وفتح الباري: ٤ / ٣٨٧، والمجموع: ١ / ٣٨٤، والفائق: ٢ / ٣١٢).

بغض القرشيين الذين أسلموا لبني هاشم!

قال عثمان لعلي رضي الله عنه: (ما أصنع إن كانت قريش لا تحبكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأن وجوههم شنوف الذهب، تشرب أنوفهم قبل شفاههم)! يقصد أن قتلى بدر المشركين وجوههم جميلة كأقراط الذهب، وأنوفهم طويلة جميلة.

(نثر الدرر/ ٢٥٩، وتذكرة ابن حمدون/ ١٥٦٧، وشرح النهج/ ٩/ ٢٢) والمناقب/ ٣/ ٢١).

وقد أخذ عثمان صفات بني عبد المطلب فنسبها لقتلى بدر!

قال ابن سعد (٩٤/١): (فلم يكن في العرب بنو أب مثل بني عبد المطلب أشرف منهم ولا أجسم! شُئ العراني تشرب أنوفهم قبل شفاههم). (وتاريخ دمشق: ٣/ ١١٦، والمنمق/ ٣٥).

وكان الأولى بعثمان أن يشكر النبي ﷺ وعلياً رضي الله عنه على قتلهم مشركي بدر لأنهم بذلك أسسوا دولة يحكمها عثمان، لكن قريشاً تريد دولة النبي ﷺ وتريد الثأر لمن قتلهم لتأسيسها!

فلا يمكن للبطون أن تحب بني هاشم أبداً، لأنهم قتلوا ساداتها يوم بدر!

فهي صاحبة ثأر عند النبي ﷺ وعند علي رضي الله عنه وبني هاشم، إلى يوم القيامة!



ثم تأمل قول عمر لابن عباس: (فقال: يا ابن عباس، أتدري ما منع الناس منكم؟ قال لا يا أمير المؤمنين. قال: لكنني أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا جحفاً (تتكبروا) فنظرت قريش لنفسها فاخترت، ووفقت فأصاب! فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع، قال قل ما تشاء: قال أما قول أمير المؤمنين: إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبِطْ أَعْمَالَهُمْ.

وأما قولك: إنا كنا نجحف، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. وقال له: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وأما قولك فإن قريشاً اختارت، فإن الله تعالى يقول: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ. وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش

من حيث نظر الله لها لو فقت وأصاب قريش.

فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول!

فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تنسب هاشماً إلى الغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله لهم: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.

وأما قولك حقداً فكيف لا يحقد من غضب شيء ويراه في يد غيره! (شرح النهج ٥٣/١٢).



وروا أن خالة معاوية كانت تردد كلام عثمان في وجه زوجها عقيل بن أبي طالب! فكانت تقول له كما في غريب الحديث للحري (٢٠٨/١): (لا يحبكم قلبي يا بني هاشم أبداً! أين أخي، أين عمي، أين فلان أين فلان! كأن أعناقهم أباريق الفضة، ترد أنوفهم قبل شفاههم!) وقال القرطبي في تفسيره (١٧٦/٥): (دخل عليها يوماً وهو برمٌ فقالت له: أين عتبة بن ربيعة؟ فقال: على يسارك في النار إذا دخلت! فنشرت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك، فأرسل ابن عباس ومعاوية فقال ابن عباس: لأفرقنَّ بينهما وقال معاوية: ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف. فأتياهما فوجداهما قد سداً عليهما أبوابها وأصلحا أمرهما!)



لما تولى عثمان الخلافة فرح أبو سفيان وقال: تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة! (الإستيعاب: ١٦٧٩/٤). وكان أبو سفيان أعمى وعمره ٩٣ سنة كما قال البلاذري، فطلب أن يقوده إلى قبر حمزة حتى إذا لمس القبر بيده ركله برجله وقال: يا أبا عمار! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه أمس صار في يد غلماننا يتلعبون به! (شرح النهج: ٥١/٤). فلا تستبعد أبداً أن يكون أبو سفيان وقف على قبر النبي ﷺ وقال له شبيهاً بما قاله لحمزة رضي الله عنه!

التعصب الواجب والمقدس

يسمى التعصب في اللغة العربية، الحمية، والمذموم منها حمية الجاهلية، والمدحوح حمية الدين والحق، وحمية للنبي ﷺ وتعصبه وغيرته لربه عز وجل، ولنبوته، ولشخصه، ولعترته، وللمؤمنين. وكله واجب ومقدس.

وقد عقدنا فصلاً لغضب النبي ﷺ وأوردنا فيه أكثر من عشرين مورداً، غضب فيها النبي ﷺ لربه ونفسه وعترته والمؤمنين، وتعصب لهم.

أهدر النبي ﷺ دم أناس هجوه

فعندما فتح مكة أصدر أمره بقتل بضعة أشخاص كانوا ناشطين في عداء الإسلام، وقيل عشرون، فيهم جاريثان كانتا تتغنيان بهجاء النبي ﷺ.

في مصنف ابن أبي شيبة (٥٢٩/٨): (فأما ابن خطل فوجد متعلقاً بأستار الكعبة فقتل، وأما مقيس بن صبابه فوجدوه بين الصفا والمروة فبادره نفر من بني كعب ليقتلوه، فقال ابن عمه نميلة: خلوا عنه، فوالله لا يدنو منه رجل إلا ضربته بسيفي هذا حتى يبرد، فتأخروا عنه فحمل عليه بسيفه ففلق به هامته وكره أن يفخر عليه أحد).

وفي معاني الأخبار/٣٤٧: (فهرب وهجا النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: من وجد عبدالله بن سعد بن أبي سرح ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة فليقتله).

وهذا تعصب من النبي ﷺ لنفسه، لكنه واجب لأنه بأمر ربه عز وجل.

نسج الله ولاية عترة النبي ﷺ في متن عقيدة الإسلام وشريعته

فقد أوجب لهم حق الموالاة والمودة والطاعة وربطه بالإيمان بالنبي ﷺ ونسجه في أحكام الشريعة حتى لا تستطيع الأمة أن تنقلب عليه!

وقد أوردنا عدداً من حقوقهم في كتاب ألف سؤال وإشكال (٩/٣) تحت عنوان: الحقوق التي فرضها الله تعالى لأهل البيت ﷺ. لكن ثقافة السلطة القرشية لا تعرف أتباعها من حقوق أهل البيت ﷺ إلا وجوب مودتهم التي يفرضها قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

في القُرْبَى، ووصية النبي ﷺ بهم المتواترة: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ثم تفسر ذلك بحبهم كما تحب أشخاصاً محترمين! ثم تنصب مقابلهم أشخاصاً ما أنزل الله بهم من سلطان، وتفضلهم عليهم!

ونذكر فيما يلي بعض حقوق أهل البيت ﷺ بإيجاز

الحق الأول: الاعتراف بأنهم ﷺ ورثة الكتاب الإلهي.

روى ابن شعبة الحراني في تحف العقول/٤٢٥: «لما حضر علي بن موسى ﷺ مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا ﷺ: لا أقول كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟ فقال الرضا لنفسه: فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، ثم جعلهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم!

ثم قال الرضا ﷺ: هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا، وهم الذين قال رسول الله ﷺ: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم! قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم آل أو غير آل؟ فقال الرضا ﷺ: هم آل. فقالت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته! فقال الرضا ﷺ: أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: فتحرم على الأمة؟ قالوا: لا. قال ﷺ: هذا فرق بين آل وبين الأمة، ويحكم أين يذهب بكم، أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون! أما علمتم أنها وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم! قالوا: من أين قلت يا أبا الحسن؟ قال ﷺ: من قول الله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثة النبوة والكتاب في المهتدين

دون الفاسقين!

أما علمتم أن نوحاً سأل ربه فقال: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ، وذلك أن الله وعده أن ينجيّه وأهله فقال له ربه تبارك وتعالى: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ! فقال المأمون: فهل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال الرضا: إن الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه. قال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ قال الرضا عليه السلام: في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وقال الله في موضع آخر: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحسدوهم عليهما بقوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، والملك هاهنا الطاعة لهم).

الحق الثاني: فريضة مودتهم عليه السلام فقد جعلها الله تعالى أجر رسوله ﷺ على تبليغ الرسالة فريضة على الأمة، فقال تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ.

وهذه الفريضة ميزة لآل النبي ﷺ عن جميع آل الأنبياء وذرياتهم عليهم السلام. وهي أجر على جهود النبي ﷺ في تبليغ الرسالة، وهي ضمان للأمة من الانحراف عن رسالة ربها، وضمانة لتحقيق أهدافها.

أما إذا لم يؤدّ المسلمون العترة عليهم السلام ولم يطيعوهم، فلا ضمان لهم من الضلال والانحراف! وهذا صريح قوله ﷺ: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً!

قال القاضي عياض (الشفاعة ٤٧/٢): «ومن توقيره ﷺ وبرّه، برّ آله وذريته وأمّهات المؤمنين أزواجه، كما حض عليه وسلّكه السلف الصالح قال الله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا، الآية. وقال تعالى: وَأَرْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ. عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ: أنشدكم الله أهل بيتي، ثلاثاً، قلنا لزيد: من أهل بيته؟ قال آل علي، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل العباس).

الحق الثالث: فرض الله طاعتهم بعد النبي ﷺ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.

قال الفخر الرازي في تفسيره (١٤٤/١٠): «إعلم أن قوله: وأولي الأمر منكم، يدل عندنا على أن إجماع الأمة حجة، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ. والخطأ لكونه خطأ منهياً عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالإعتبار الواحد وإنه محال!

فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً».

أقول: وصل الرازي إلى الحق ثم تعمد الانحراف عنه فقال إن المعصوم الواجب الطاعة هو الأمة كلها. لكن متى تحصل على إجماع الأمة كلها، إنه محال عرفي، لأنه ينخرم بمخالفة فرد واحد. ومحال أن يأمر الله تعالى بطاعة أمة لا يتحقق إجماعها عادة!

ثم إن لهذا الرأي لوازم باطلة عديدة، منها: أن يكون أولو الأمر نفس المأمورين بالطاعة! ومنها: أن شرط طاعتهم لا يتحقق في أي مسألة مختلف فيها!

ومنها: أن طاعتهم لا ترفع الخلاف، ولا تحقق الغرض من فرضها!

لذلك، لا بد أن يكون المعصومون الذين فرض الله طاعتهم أشخاصاً، وقد سماهم النبي ﷺ، وهم عترته الذين أوصى بهم ﷺ مع القرآن.

فالصحيح ما رواه في مناقب آل أبي طالب (٢٤٢/١): «عن جابر بن عبد الله قال: لما نزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، قلت: يارسول الله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته؟ فقال ﷺ: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن

أبي طالب ثم الحسن والحسين ثم عد تسعة من ولد الحسين .

وفي كفاية الأثر ١٠٠: « عن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: أنت الإمام والخليفة بعدي، وابناك سبطاي، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وتسعة من صلب الحسين أئمة معصومون ومنهم قائمنا أهل البيت ».

الحق الرابع: فرض الله الصلاة عليهم وقرنهم مع نبيه ﷺ في صلاة الفريضة! قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. فأمر النبي ﷺ أمته أن يقرنوهم به ولا يصلوا عليه بدونهم ولا يفردوهم عنه بالصلاة! (صحيح بخاري: ٤ / ١١٨).

وقد وروى أحاديثها في مجمع الزوائد (١٠٦٣/١٠) وأولها « عن بريدة قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وآل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ».

وسميت الصلاة الإبراهيمية لأنها تجعل آل محمد ﷺ كآل إبراهيم عليه السلام . راجع: موطأ مالك: ١ / ١٦٥، ومسندوه ٣٤٩، وكتاب الأم: ١ / ١٤٠، وصحيح بخاري: ٤ / ١١٨ و ٦ / ٢٧ و ٧ / ١٥٦، ومسلم: ٢ / ١٦، وابن ماجه: ١ / ٢٩٣، وأبي داود: ١ / ٢٢١، والترمذي: ٥ / ٣٨، والنسائي: ٣ / ٤٥، وأحمد: ٤ / ١١٨ و ٢٤٤ و ٥ / ٣٥٣ و ٤٢٤، والدارمي: ١ / ١٦٥ و ٣٠٩، والحاكم: ١ / ٢٦٨، والبيهقي: ٢ / ١٤٦ و ٣٧٨، وكنز العمال: ٢ / ٢٦٦. وقد أورد المفسرون عدداً منها كالدراهمشور: ٥ / ٢١٥، والفقهاء كالنووي في المجموع: ٣ / ٤٦٦، وابن قدامة في المغني: ١ / ٥٨٠، وابن حزم في المحلى: ٣ / ٢٧٢.

لكن أتباع السلطة لا يطبقون ذلك إلا في صلاتهم، فيحذفون آل محمد من الصلاة عليه ﷺ في غير الصلاة ويضعون بدلهم أصحابه، أو يحشرون الصحابة معهم بلا نص ولا دليل إلا الهوى!

الحق الخامس: فرض الله الخمس لبني هاشم، وهي ميزانية خاصة في ميزانية الدولة الإسلامية، ومع ذلك حرموهم منه!

قال ابن قدامة في المغني (٢ / ٥١٩): « لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة، وقد قال النبي ﷺ: إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ﷺ إنما هي أوساخ الناس. أخرجه مسلم. وعن أبي هريرة قال: أخذ الحسن تمر من تمر الصدقة فقال النبي ﷺ: كخ كخ، ليطرحها، وقال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة! متفق عليه. قال: ولا لمواليهم: يعني أن موالي بني هاشم، وهم

من أعتقهم هاشمي لا يعطون من الزكاة.

وقال أكثر العلماء يجوز لأنهم ليسوا بقراة النبي ﷺ فلم يمنعوا الصدقة كسائر الناس، ولأنهم لم يعوضوا عنها بخمس الخمس، فإنهم لا يعطون منه فلم يجوز أن يجرموها كسائر الناس. لنا: ما روى أبو رافع أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع: إصحبني كيما تصيب منها، فقال: لا، حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله، فانطلق إلى النبي ﷺ فسأله فقال: إنا لا تحل لنا الصدقة وإن موالى القوم منهم». أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ولأنهم ممن يرثهم بنو هاشم بالتعصيب، فلم يجوز دفع الصدقة إليهم كبني هاشم. وقولهم إنهم ليسوا بقراة. قلنا: هم بمنزلة القراة بدليل قول النبي ﷺ الولاء لحمة كلحمة النسب. وقوله: موالى القوم منهم. وثبت فيهم حكم القراة من الإرث والعقل والنفقة، فلا يمتنع ثبوت حكم تحريم الصدقة فيهم» (فتاوى اللجنة الدائمة للدويش ٦٩/١٠).

ونكتفي من مصادرنا برواية الكافي (٥٤٠/١) عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «وإنما جعل الله هذا الخمس خاصة لهم، دون مساكين الناس وأبناء سبيهم، عوضاً لهم من صدقات الناس، تنزيهاً من الله لقرابتهم برسول الله ﷺ، وكرامةً من الله لهم عن أوساخ الناس، فجعل لهم خاصة من عنده ما يغنيهم به عن أن يصيرهم في موضع الذل والمسكنة. ولا بأس بصدقات بعضهم على بعض. وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قراة النبي ﷺ الذين ذكرهم الله فقال: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وهم بنو عبد المطلب الذكر منهم والأنثى، ليس فيهم من أهل بيوتات قريش، ولا من العرب أحد، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليتهم».

وهذا التكريم من الله تعالى لعترته ﷺ وعشيرته بني هاشم. لا يشمل نساء النبي ﷺ فلا حق لمن في الخمس لأنهن لا تحرم عليهن الصدقة!

قال في فتح الباري (٢٨١/٣): «قال ابن المنير في الحاشية: إنها أورد البخاري هذه الترجمة ليحقق أن الأزواج لا يدخل مواليتهم في الخلاف، ولا يحرم عليهن الصدقة قولاً واحداً. لئلا يظن الظان أنه لما قال بعض الناس بدخول الأزواج في الآل أنه يطرد في مواليتهم، فبين أنه لا يطرد ثم أورد المصنف في الباب حديثين.. وقال الجمهور يجوز لهم (موالي نساء النبي ﷺ) لأنهم ليسوا

منهم حقيقة، ولذلك لم يعوضوا بخمس الخمس ومنشأ الخلاف قوله منهم أو من أنفسهم هل يتناول المساواة في حكم تحريم الصدقة أو لا؟ وحجة الجمهور أنه لا يتناول جميع الأحكام فلا دليل فيه على تحريم الصدقة، لكنه ورد على سبب الصدقة وقد اتفقوا على أنه لا يخرج السبب وإن اختلفوا هل يخص به أو لا ويمكن أن يستدل لهم بحديث الباب، لأنه يدل على جوازها لموالي الأزواج وقد تقدم أن الأزواج ليسوا في ذلك من جملة الآل فمواليهم أخرى بذلك!

وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٢٤٣/٤): «عن أم عطية قالت: بعث إلي رسول الله بشاة من الصدقة فبعثت إلى عائشة منها بشىء، فلما جاء رسول الله قال: هل عندكم من شىء؟ فقالت: لا، إلا أن نسيبة بعثت إلينا من الشاة التي بعثتم بها إليها فقال: إنها قد بلغت محلها! متفق عليه. وذكر ابن المنير أنها لا تحرم الصدقة على الأزواج، قولاً واحداً».

وقد صادرت الحكومات خمس بني هاشم، ففي جامع أحاديث الشيعة (٦٢٢/٨) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما ولي أبو بكر قال له عمر: إن الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن علي الخمس والفى وفداً، فإن شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً رغبة في الدنيا. وفيه: أن الإمام الصادق عليه السلام سأل أحدهم: «ما تقول قريش في الخمس؟ قال قلت تزعم أنه لها. قال عليه السلام: ما أنصفونا والله! لو كان مباهلة لتباهلنا بنا ولئن كان مبارزة لتبارزن بنا، ثم يكونوا هم وعليّ سواء!»

الحق السادس: جعلهم النبي ﷺ وصيته في أمته كالقرآن فهم عدلاء القرآن! فقال ﷺ (أمالى الصدوق/٦١٦، ومسنده أحمد: ١٧/٣): «إني خلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم».

وهذه الوصية في الحديث المتواتر الجمع لا تعم كل بني هاشم كحق الخمس بل تخص العترة أو الآل أو أهل البيت بالمعنى الخاص، وهم مصطلح إسلامي لأقارب النبي القريبيين، الذين حددهم النبي ﷺ تحديداً حسياً بالكساء والأسماء، فعرفوا باسم أهل الكساء، وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين عليه السلام).

روى أحمد في مسنده (٣٢٣/٦) عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: إئتيني بزوجه

وابنيك فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فذكياً، قال ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد! فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، إنك حميد مجيد. قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال: إنك على خير!

لوازم الوصية النبوية بأهل البيت عليهم السلام

لهذه الوصية النبوية دلالات بليغة ولوازم بينة خالفوها:

منها: أن القرآن معصوم: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، فكذلك العترة معصومون لأنهم عدلاء القرآن.

ومنها: أنهم الأئمة الإثنا عشر الربانيون الذين بشر بهم النبي ﷺ في أحاديثه. فلو كان المبشر بهم غيرهم لما تركهم وأوصى هؤلاء!

ومنها: أن النبي ﷺ سيسأل المسلم عن عمله بوصيته، فإن لم يعمل بها لم يقبله! فقد قال ﷺ: وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما. « (كفاية الأثر / ٩١)

ومنها: وجوب أخذ القرآن والسنة من العترة عليهم السلام لأن أي وصية بعلماء وكتاب، تعني أنهم الأمناء على الكتاب، فيجب أخذ نصه وتفسيره منهم.

ومنها: أن العترة عليهم السلام أفضل الأمة وأعلمها، فلو كان في الأمة أفضل منهم أو أعلم منهم، أو كان سيوجد فيها أعلم منهم، لما صح الأمر بالرجوع إليهم.

ومنها: أنهم عليهم السلام أئمة الأمة والحكام عليها، فلا يجوز لأحد أن يتأمر على من أمره الله ورسوله ﷺ عليه.



غضب النبي ﷺ من ذم عمر لأسرته!

في كتاب سليم/٢٣٥: (قال علي عليه السلام: مررت بالصهاكي (صهاك جدة عمر) يوماً فقال لي: ما مثل محمد إلا كمثل نخلة نبتت في كناسة!

فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فغضب النبي ﷺ وخرج مغضباً فأتى المنبر،

وفزعت الأنصار فجاءت شاكاة في السلاح لما رأت من غضب رسول الله ﷺ فقال: ما بال أقوام يعيرونني بقرابتي وقد سمعوا مني ما قلت في فضلهم وتفضيل الله إياهم وما اختصهم الله به من إذهاب الرجس عنهم وتطهير الله إياهم، وقد سمعتم ما قلت في أفضل أهل بيتي وخيرهم مما خصه الله به وأكرمه وفضله من سبقه في الإسلام وبلائه فيه وقرابته مني وأنه بمنزلة هارون من موسى، ثم تزعمون أن مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في كناسة! ألا إن الله خلق خلقه ففرقهم فرقتين، فجعلني في خير الفريقين، ثم فرق الفرقة ثلاث فرق، شعوباً وقبائل وبيوتاً وجعلني في خيرها شعباً وخيرها قبيلة. ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. فحصلت في أهل بيتي وعترتي، أنا وأخي علي بن أبي طالب.

ألا وإن الله نظر إلى أهل الأرض نظرة فاختارني منهم، ثم نظر نظرة فاختار أخي علياً ووزيري ووصيي وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي. فبعثني رسولاً ونبياً ودليلاً، فأوحى إليَّ أن أتخذ علياً أخاً وولياً ووصياً وخليفة في أمتي بعدي. ألا وإنه ولي كل مؤمن بعدي، من والاه والاه الله ومن عاداه عاداه الله، ومن أحبه أحبه الله ومن أبغضه أبغضه الله، لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا كافر. رب الأرض بعدي وسكنها، وهو كلمة الله التقوى، وعروة الله الوثقى. أتريدون أن تطفئوا نور الله بأفواهكم: وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. ويريد أعداء الله أن يطفئوا نور أخي ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

يا أيها الناس، ليبلغ مقالتي شاهدكم غائبكم، اللهم اشهد عليهم.

يا أيها الناس، إن الله نظر نظرة ثالثة فاختار منهم بعدي اثني عشر وصياً من أهل بيتي، وهم خيار أمتي، منهم أحد عشر إماماً بعد أخي واحداً بعد واحد، كلما هلك واحد قام واحد منهم. مثلهم كمثل النجوم في السماء كلما غاب نجم طلع نجم، لأنهم أئمة هداة مهتدون، لا يضرهم كيد من كادهم ولا خذلان من خذلهم، بل يضر الله بذلك من كادهم وخذلهم.

فهم حجة الله في أرضه وشهداءه على خلقه، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله. هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي. أول الأئمة أخي علي خيرهم، ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، وأمهم ابنتي فاطمة).

غضب النبي ﷺ من تتبع أبي بكر وعمر سره!

في الكافي (٥٦٥/٥) بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن أبا بكر وعمر أتيا أم سلمة فقالا لها: يا أم سلمة إنك قد كنت عند رجل قبل رسول الله فكيف رسول الله من ذاك في الخلوة، فقالت: ما هو إلا كسائر الرجال!

ثم خرجا عنها وأقبل النبي ﷺ فقامت إليه مبادرة فرقاً أن ينزل أمر من السماء فأخبرته الخبر فغضب رسول الله ﷺ حتى تربد وجهه، والتوى عرق الغضب بين عينيه، وخرج وهو يجرد رداؤه حتى صعد المنبر، وبادرت الأنصار بالسلح، وأمروا بخيلهم أن تحضر، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس ما بال أقوام يتبعون عيبي ويسألون عن غيبي، والله إني لأكرمكم حسباً وأطهركم مولداً، وأنصحكم لله في الغيب!

ولا يسألني أحد منكم عن أبيه إلا أخبرته! فقام إليه رجل فقال: من أبي؟ فقال: فلان الراعي. فقام إليه آخر فقال: من أبي؟ فقال: غلامكم الأسود! وقام إليه الثالث فقال: من أبي؟ فقال: الذي تنسب إليه [فوقع عمر على قدمي وقال]: يا رسول الله اعف عنا عفا الله عنك، فإن الله بعثك رحمة فاعف عنا عفا الله عنك، وكان النبي ﷺ إذا كلم استحيا وعرق وغض طرفه عن الناس حياء حين كلموه، فنزل: فلما كان في السحر هبط عليه جبرئيل عليه السلام بصحفة من الجنة فيها هريسة فقال: يا محمد هذه عملها لك الحور العين فكلها أنت وعلي وذريتكم فإنه لا يصلح أن يأكلها غيركم! فجلس رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام فأكلوا فأعطي رسول الله ﷺ في المباضة من تلك الأكلة قوة أربعين رجلاً، فكان إذا شاء غشي نساءه كلهن في ليلة واحدة).

ظلامه أهل البيت عليه السلام أعظم ظلامه في التاريخ!

روى الجميع أن النبي ﷺ طلب من الصحابة في مرض وفاته، أن يكتب لأمتة عهداً يؤمنها من الضلال ويجعلها سيدة العالم!

وعرف الطلقاء أنه سيكتب لهم بطاعة علي وعترته عليه السلام! فوقف في وجهه عمر بن الخطاب وصاح: حسبنا كتاب الله! النبي غلب عليه الوجع! وصاح خلفه الطلقاء: القول ما قاله عمر!

ومعنى يهجر: أنه خرفان يهذي!

روى ذلك البخاري في سبع مواضع، منها (٣٦/١): «عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا! فاختلفوا وكثر اللغط! قال ﷺ: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع! فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه.»

« فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: قوموا! »

وفي صحيح مسلم (٧٥/٥): «عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ! قال: قال رسول الله ﷺ: إئتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله يهجر! وفي رواية أخرى: فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.»

وفي مسند أحمد (٣٤٦/٣): «دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده، قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها!»

وفي مجمع الزوائد (٣٣/٩): «عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي قال: أدعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتاباً لا تضلون بعدي أبداً، فكرهنا ذلك أشد الكراهة! ثم قال: أدعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده أبداً! فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن رقبتن! فقال رسول الله ﷺ: دعوهن فإنهن خير منكم!»

وهذه شهادة من النبي ﷺ برواية عمر بأن نساء اللواتي طالبن بإطاعته في أن يكتب عهده، خير من صحابته الذين رفضوا ذلك!

لهذا كانت أول قضية كبرى تطرح في المحشر محاكمة القرشيين خصوم النبي ﷺ وعلي ﷺ! ففي البخاري (٦/٥): «عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة!»

وقال رواة السلطة إن خصومته تكون مع من قتلهم في بدر! لكن لا يصح ذلك، لأن مبارزة المشركين لا خصومة فيها حتى تحتاج إلى محكمة.

فعلي عليه السلام يكون أول مدعي على قريش بالوكالة عن النبي صلى الله عليه وآله وبالأصالة عن نفسه وقضيته الأولى في المحشر، لأن جريمة قريش هي الأولى في العالم!

مأساة عترة نبينا صلى الله عليه وآله أعظم مأساة في التاريخ!

روى الجميع إخبار النبي صلى الله عليه وآله بمأساة عترته وأهل بيته عليه السلام بعده، وأنه بكى لذلك مراراً بدموع غزيرة! فعن عبدالله بن مسعود قال: «أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به، ولا سكتنا إلا ابتدأنا، حتى مرت فتية من بني هاشم، فيهم الحسن والحسين، فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا: يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه! (عندما ترى الحسنين) قال:

إنما أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاء وتطريداً وتشريداً، حتى يأتي قوم من هاهنا من نحو المشرق أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه مرتين أو ثلاثاً، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً».

رواه ابن حماد والحاكم (٤/٤٦٤) وصححه، وابن حبان وصححه، وابن شعبة، وغيرهم. وقد استوفينا مصادره وطرقه وألفاظه في معجم أحاديث الإمام المهدي (١/٣٨١).

أشد اللعنات على من ظلم عترة النبي صلى الله عليه وآله

روى الحاكم (١/٣٦١ و٩٠/٤) هذا الحكم الشرعي وصححه على شرط البخاري، عن عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب: المكذب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجبروت يذل من أعز الله ويعز من أذل الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي» وفي: ٢/٥٢٥، بلفظ آخر، وابن حبان (١٣/٦٠) والطبراني في الأوسط (٢/ ١٨٦، والكبير: ٣/ ١٢٧، و: ١٧/ ٥٧٨).

وفسر المناوي في فيض القدير (٤/ ١٢١ و١٢٧) من استحل ظلم العترة فقال: «يعني من فعل بأقاربي ما لا يجوز فعله، من إيذاهم، أو ترك تعظيمهم، فإن اعتقد حله فكافر، وإلا فمذنب». وفي تخريج الأحاديث (٣/ ٣٣٦): «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي.

ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازَ عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقيني يوم القيامة». والثعلبي (٨/ ٣١٢) والقرطبي (١٦/ ٢٢).

وفي المعرفة للحاكم/٩٦، عن ابن عمر قال: «قال النبي ﷺ: يا عبدالله أتاني ملك فقال: يا محمد وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على مَ بعثوا؟ قال قلت: على مَ بعثوا؟ قال على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب!

وقال الحاكم: لم نكتبه إلا عن ابن مظفر وهو عندنا حافظ ثقة مأمون».

ورواه من مصادرنا الكافي (٢/ ٢٩٣)، عن الباقر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: خمسة لعنتهم وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والتارك لستتي، والمكذب بقدر الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمستأثر بالفئ المستحل له».

وفي كامل الزيارات/٣٣٢، عن الباقر عليه السلام في زيارة عاشوراء: «اللهم خُصَّ أنت أول ظالم ظلم آل نبيك باللعن ثم العن أعداء آل محمد من الأولين والآخرين».

وفي أمالي الطوسي/١٦٤: «قال رسول الله ﷺ: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وقتلهم وعلى المعترض عليهم والساب لهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم».

وفي كمال الدين/٥٢٠، من أجوبة الإمام المهدي عليه السلام: «فقد قال النبي ﷺ: المستحل من عترتي ما حرم الله ملعون على لسان كل نبي. فمن ظلمنا كان من جملة الظالمين وكانت لعنة الله عليه لقوله تعالى: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»

أقول: لعن الأنبياء السابقين عليهم السلام لظالمي عترة النبي ﷺ لأن الله تعالى عرفهم ما يجري عليهم لما أخذ ميثاقهم على ولاية نبينا ﷺ وولايتهم.

وقد روت ذلك مصادرهم، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما أسري بي ليلة المعراج اجتمع عليّ الأنبياء عليهم السلام في السماء فأوحى الله إلي: سلهم يا محمد بماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب». (خصائص الوحي المبين/١٧٠، والطرائف/١٠١، عن أبي نعيم وبنابيع المودة: ٢/ ٢٤٦، عن أبي هريرة. ونهج الحق/١٨٣، عن ابن عبد البر. والصراط المستقيم: ١/ ١٨١، عن الثعلبي، والكشاف: ٤/ ٩٤ والكنجي في كفاية الطالب/١٣٦. ونفحات الأزهار: ٥/ ٢٦٠، و: ١٦/ ٣٦٦، وبحث روايته وسنده عندهم، وقد

ردَّ في نفحات الأزهار (٢٠ / ٣٩٢، و ٣٩٦) على باطل ابن تيمية حيث أنكر وجود هذا الحديث!



أعلن النبي ﷺ في حجة الوداع اللعنة على ظالمي عترته !

كان إعلان هذه اللعنة النبوية في حجة الوداع بصيغة اللعنة على من ادعى لغير أبيه !
فقد روى ابن ماجه (٩٠٥/٢)، أنه ﷺ خطبهم في حجة الوداع على راحلته فقال: « ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل » والترمذي: ٢ / ٢٩٣، وأحمد: ٤ / ٢٣٩، والدارمي: ٢ / ٢٤٤ و ٣٤٤، والبخاري: ٢ / ٢٢١، و: ٤ / ٦٧.
واستعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب عمداً لكي يصل إلى الأجيال ولا تطمسه قريش !
وقد روى البخاري (٤ / ٦٧) لمن من تولى غير مواليه! ومسلم (٤ / ١١٥) بروايات، والترمذي (٣ / ٢٩٧) والبيهقي (٨ / ٢٦).
ويقصد النبي ﷺ: من تولى غيره وغير علي عليه السلام لأنها الأبوان المعنويان لهذه الأمة! ويدل على ذلك أن الولد الذي يهرب من أبيه وينتسب إلى آخر ثم يتوب تقبل توبته! بينما هذا الذي لعنه النبي ﷺ لا يقبل منه صرف أي توبة، ولا عدل أي فدية! فهي عقوبة الردة والخروج من الملة، وليست عقوبة ولد يدعو نفسه لغير أبيه!

ويدل عليه أيضاً أن هذه اللعنة جاءت بعد ذكر النبي ﷺ أهل بيته وحقهم في الخمس.
ففي مسند أحمد (٤ / ١٨٦): « خطبنا رسول الله ﷺ وهو على ناقته فقال: ألا إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي، وأخذ وبرة من كاهل ناقته، فقال: ولا ما يساوي هذه أو ما يزن هذه. لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه »!

وأعلنها النبي ﷺ في مرض وفاته لما منعه من كتابة وصيته!

فسرت مصادرنا حديث لعن النبي ﷺ لظالمي عترته عليه السلام (أما لي المفيد / ٣٥٣، والطوسي / ١٢٣) وروت أنه لما كثر طلقاء قريش في المدينة، وأظهروا عملهم ضد أهل بيته عليه السلام وقالوا: إنما مثل محمد في بني هاشم كمثّل نخلة نبتت في كبا، أي مزبلة! فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب وأمر علياً عليه السلام أن يصعد المنبر ويحييهم وقال له: يا علي إنطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد منبري،

ثم تدعو الناس إليك، فتحمد الله تعالى وتثني عليه وتصلي عليَّ صلاة كثيرة ثم تقول: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره! فأتيت مسجده وصعدت منبره، فلما رأته قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي فحمدت الله وأثنت عليه وصليت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة ثم قلت: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي، على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره. قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسر! فقلت: أُبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرجعت إلى النبي فأخبرته الخبر فقال: إرجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله وأثن عليه وصل عليَّ ثم قل: أيها الناس، ما كنا لنجيئكم بشيء إلا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإني أنا أبوكم، ألا وإني أنا مولاكم، ألا وإني أنا أجيركم!»!

وفي تفسير فرات/٣٩٢، عن عطاء بن أبي رباح بتفصيل، وفيه: يا علي انطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبو المؤمنين!»!



الفهرس

مقدمة ٥

الفصل الأول

٧..... ختم النبوة برسول من ذرية إسماعيل عليه السلام

الفصل الثاني

١٥..... يُنم الرسول ﷺ ضاعف الرحمة في شخصيته

١٥..... معنى يتم النبي ﷺ

١٦..... لئلا يكون لأحد عليه طاعة

١٦..... لأمعنى للصدفة في كل الكون

١٧..... تأثير اليتيم على الشخصية

الفصل الثالث

١٨..... أنا ابن عبد المطلب!

١٩..... حسدت قريش عبد المطلب وعملت للحط منه

١٩..... بنو عبد المطلب لا يفرون في الحرب إلا العباس!

الفصل الرابع

- أنا ابن الذبيحين ٢٢
- معنى افتخار النبي ﷺ بأنه ابن الذبيحين ٢٥

الفصل الخامس

- أنا أفصح من نطق بالضاد! العربية ليست بأب ولا أم ٢٦
- علاقة الفصاحة بقريش وبني زهرة وبني سعد؟ ٢٨

الفصل السادس

- كثرة مكذوباتهم في رضاع النبي ﷺ ! ٢٩
- الرواية الرسمية لرضاع النبي ﷺ ٢٩
- استرضعت في بني زهرة ونشأت في بني سعد ٣٠
- من الإشكالات القاصمة على الرواية الرسمية ٣١

الفصل السابع

- لماذا لم يقاتل النبي ﷺ قريشاً في مكة؟ ٣٤
- مما يدل على أن الغلبة كانت لبني هاشم ٣٤
- طلب المنافقون من النبي ﷺ أن يقاتل قريشاً في مكة ٣٦
- سبب عدم القتال في مكة حفظ حرمة مكة ٣٧
- وسبب عدم القتال في مكة أن حقانية النبوة قد تخفى ٣٨
- ما هي الخطة الربانية للنبي ﷺ ؟ ٣٨

الفصل الثامن

- لولا أبو طالب لما نجحت دعوة النبي ﷺ ٣٩
- مواقف أبي طالب غيرت ميزان القوة ٣٩

٤٤..... نظرة في شعر أبي طالب ﷺ

٤٥..... ملاحظات حول شعر أبي طالب ﷺ

الفصل التاسع

٤٨..... لماذا صبر النبي ﷺ ثلاث سنين حتى صدع بما يؤمر؟

٥٠..... زعماء قريش أسوأ من الفراعنة والجبارين!

الفصل العاشر

٥٣..... لماذا أخذ النبي ﷺ أبابكر معه في هجرته؟

٥٣..... جعلوا آية الغار سيفاً قتلوا به من خالفهم!

الفصل الحادي عشر

٥٧..... نقاط عن والدي النبي ﷺ

٥٧..... كان عبدالله أحب أولاد عبد المطلب اليه

٥٨..... زواج عبدالله من أمّنة بنت وهب ؓ

٥٩..... رضع النبي ﷺ من أمه أمّنة ثم أخذته حليمة

٦٠..... قال النبي ﷺ: أنا ابن العواتك

٦٠..... توفي عبدالله والنبي ﷺ طفل ابن شهرين

٦٢..... رأيت آثار النبي ﷺ قبل أن يزيلها أعداؤه

٦٣..... رثاء أبي طالب وأمّنة لعبدالله ؓ

٦٤..... إيمان والدي النبي ﷺ

٦٥..... زيارة النبي ﷺ قبر والديه عبدالله وأمّنة

الفصل الثاني عشر

- ٦٧ من طفولة النبي ﷺ وشبابه
- ٦٩ كراماته عند ولادته وسنيه الأولى ﷺ
- ٧٠ رد روايتهم بأن النبي ﷺ تعرّى

الفصل الثالث عشر

- ٧٣ أنواع نزول الوحي على النبي ﷺ
- ٧٣ آيات في الوحي
- ٧٣ أنواع الوحي
- ٧٣ أوحى إلى أم موسى، والحواريين، وإلى قومه
- ٧٣ وإلى النحل، والسموات، والأرض
- ٧٤ وحي شياطين الإنس والجن إلى بعضهم
- ٧٤ المعنى اللغوي للوحي
- ٧٤ الوحي ستة أنواع
- ٧٥ حالات الوحي على نبينا ﷺ
- ٧٧ روح القدس المرافق للنبي والإمام عليهما السلام
- ٧٨ حالات الوحي والإلهام لأئمتنا عليهما السلام

الفصل الرابع عشر

- ٨٠ تبسم النبي ﷺ وضحكه
- ٨٠ تفسير: وإنك لعلّ خلق عظيم
- ٨١ ممازحة النبي ﷺ لبعض الناس
- ٨١ نهى النبي ﷺ عن كثرة المزاح والضحك
- ٨٢ شجع الإسلام الدعابة وأمر بالاعتدال فيها وفي الضحك

- نعيمان المزاح في عهد النبي ﷺ ٨٢
- فماذج من تبسم النبي ﷺ وضحكه ٨٥
- فصل جامع في آداب النبي ﷺ وتبسمه ومزاحه ٨٥
١. قال ابن شهر آشوب في كتابه القيم مناقب آل أبي طالب (١/١٢٦) ملخصاً ٨٥
٢. مازح النبي ﷺ علياً علياً فأجابه علي عليه السلام فتبسم ٨٧
٣. وتبسم ﷺ للمختضبين بالورس والحناء والوسم ٨٧
٤. وتبسم لما حدثت فاطمة أمها عليه السلام وهي جنين ٨٧
٥. وتبسم لفاطمة عليها السلام تدور الرحي في بيتها وحدها ٨٨
٦. وتبسم لامرأة شكت زوجها العنين ٨٨
٧. وضحك لمذنب حمل الحسين عليه السلام يستشفع بهما ٨٨
٨. وتبسم ﷺ لتأمين المؤمن في كل حالته ٨٩
٩. وضحك ﷺ لأعرابي آمن وطمع بناقة ٨٩
١٠. تبسم لعلي عليه السلام لما اشترى منه جبرئيل عليه السلام درعه ٩٠
١١. ضحك ﷺ من شجاعة أم هاني أمام أخيها علي عليه السلام ٩٠
١٢. ضحك ﷺ استنكاراً لنذر امرأة نذراً غير شرعي! ٩١
١٣. تبسم ﷺ من شخص أساء معه الخلق ٩٢
١٤. وتبسم تعجباً من سوء توفيق عائشة ٩٢
١٥. وتبسم لامرأة كرهت زوجها ودعا لهما ٩٢
١٦. وتبسم ﷺ لأعرابي من بني سعد ٩٣
١٧. وكذبوا على النبي ﷺ بأنه وافق الحاخام على التجسيم وتبسم! ٩٣
١٨. وكذبوا على النبي ﷺ أنه جَوَزَ المنكر وتبسم! ٩٤
١٩. وكذبوا على النبي ﷺ أنه تبسم وضحك واستمع الغناء! ٩٤
٢٠. وكذبوا على رسول الله ﷺ من أجل عائشة! ٩٤

٢١. وكذبوا على النبي ﷺ بأنه فضل عائشة ومدحها لأنها شتمت ضرثا!..... ٩٥
٢٢. وحرفوا أن رسول الله ﷺ غضب على عمر بأنه تبسم له!..... ٩٥
٢٣. وصدقوا في قولهم تبسم النبي ﷺ من رعب عمر في حرب الخندق ٩٧
٢٤. وصدقوا في قولهم تبسم النبي ﷺ من قول عمر في حنين ٩٧
٢٥. وصدقوا في أن عمر ضحك حتى انقلب على ظهره فتبسم النبي ﷺ ٩٨
- حديث أن النبي ﷺ ما رؤي بعدها ضاحكاً!..... ٩٩
- ومما جاء في رؤيا النبي ﷺ ١٠٠
- وروى الجميع أن مالك خازن النار لم يضحك للنبي ﷺ ١٠١
- وتفردت رواية النعماني بأن خازن النار تبسم للنبي ﷺ ١٠٢
- فقد روى أن النبي ﷺ لم يضحك بعد آية: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ١٠٣
- وروى أن النبي ﷺ لم يضحك بعد آية: فَإِمَّا تَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ١٠٣

الفصل الخامس عشر

- متى غضب النبي ﷺ ١٠٤
١. غضب لقول اليهود إن الله استراح!..... ١٠٤
٢. غضب على خالد لما أهان عمار بن ياسر..... ١٠٥
٣. غضب لما قال المنافقون عنه إنه نخلة نبتت في مزبلة!..... ١٠٥
٤. غضب لما تجسس أبو بكر وعمر عن شأنه الشخصي!..... ١٠٨
٥. غضب من حفلة خمر أقامها الصحابة قبيل وفاته!..... ١٠٩
٦. غضب لما جاءه عمر مجزء من التوراة مترجم ليتبيناه!..... ١١٠
٧. غضب لما تكلم ابن شاس وابن وقاص على علي عليه السلام!..... ١١١
٨. غضب لما جاءه بريدة برسالة من خالد يشكو علياً عليه السلام..... ١١١
٩. غضب من تطويل إمام الجماعة لصلاته..... ١١٤

١٠. غضب من زوجته زينب بنت جحش لإهانتها صفية ١١٤
١١. وغضب لما طالبه سهيل بن عمرو بإرجاع من جاءه مسلماً ١١٤
١٢. غضب من اعتراضهم على تأميره أسامة ١١٦
١٣. غضب من اعتراض حرقوص بن زهير ١١٦
١٤. غضب من كلام المنافقين لعلي عليه السلام ١١٧
١٥. غضب من فرارهم في خيبر ١١٧
١٦. غضب من كلام عائشة في حق خديجة عليها السلام ١١٨
١٧. غضب من اتهام عائشة لمارية القبطية عليها السلام ١١٩
١٨. غضب من أصحاب مؤامرة عقبة تبوك ١١٩
١٩. وغضب من أصحاب مؤامرة عقبة هرشى ١٢٠
٢٠. وغضب لسلمان لما أراحه أعرابي من مكانه ١٢١
٢١. وغضب من رجل قاس سلبت منه الرحمة ١٢٢
٢٢. وغضب من يمانى جادله جدالاً سيئاً ١٢٢
٢٣. وغضب على رجل يتكلم بدون علم ١٢٢
٢٤. وغضب على رجل سرق طفلاً فباعه ١٢٢
٢٥. وغضب من عيينة بن حصن ١٢٣
٢٦. وغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من كذب علياً عليه السلام ١٢٣
٢٧. وغضب على الذين منعوه أن يكتب وصيته ١٢٤
- غضب مكذوب نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٥
- زعموا أنه غضب لشكاية المددي على خالد بن الوليد ١٢٥
- وزعموا أن رجلاً شكى أبا بكر فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٥
- وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالف القرآن في تفضيل الرسل عليه السلام! ١٢٥
- زعموا أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الصوم فغضب! ١٢٥

الفصل السادس عشر

- ١٢٧..... كيف يبلغ النبي ﷺ الى الجن؟
- ١٢٧..... نبينا ﷺ مرسل الى الإنس والجن
- ١٢٧..... بلغ النبي ﷺ الجن فكلمهم وهم في مكانهم وكانوا يأتونه
- ١٢٩..... خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ
- ١٣٠..... لاسلطان للجن على الإنس
- ١٣١..... جنة الجن في الآخرة بين الجنة والنار

الفصل السابع عشر

- ١٣٢..... اشترى النبي ﷺ في المدينة مكان مسجده وبيوته
- ١٣٢..... اشترى النبي ﷺ مكان مسجده ومنزله!
- ١٣٣..... صادروا مسجد النبي ﷺ ومنزله بحجج واهية

الفصل الثامن عشر

- ١٣٦..... شريط من سيرة فاطمة الزهراء
١. كانت تحدث أمها وهي حمل في بطنها..... ١٣٦
٢. زوجها النبي ﷺ من علي عليه السلام بأمر ربه..... ١٣٦
٣. عاشت مع أمها عليها السلام معاناة محاصرة قريش في الشعب..... ١٣٨
٤. تسأل النبي ﷺ عن أمها عليها السلام لما توفيت..... ١٣٨
٥. دعت علي فراعنة قريش فاعتبره النبي ﷺ إذناً بالدعاء عليهم!..... ١٣٨
٦. أخبرت أباه بمؤامرة قريش ليلة الهجرة!..... ١٣٩
٧. هاجرت الى أبيها ونزلت معه في بيت أبي أيوب..... ١٣٩
٨. بنى لها غرفة في بيته وأوكلها الى أم سلمة..... ١٤٠
٩. خاطت لعلي عليه السلام قميصاً للحرب..... ١٤٠

١٠. لما أصيب النبي ﷺ انقضت إلى أخذ كالصقرا! ١٤١
١١. خَيْرَها الله في أن يعطيها الحسنين ﷺ! ١٤١
١٢. نزل عليها اللوح فيها أسماء الأئمة ﷺ ١٤٢
١٣. فاطمة ﷺ رُبَّت المجتمع النسائي المسلم ١٤٣
١٤. كات تخدم أباهما ﷺ وترعاه فسماهما: أم أبيها ١٤٤
١٥. بكى الزهراء عند النبي ﷺ في مرضه ١٤٤
١٦. نعي فاطمة لأبيها ﷺ ١٤٦
١٧. جولتها على الأنصار مع علي ﷺ ١٤٧
١٨. خطبة الزهراء ﷺ في المسجد النبوي ١٤٨
١٩. زيارة أبي بكر وعمر لفاطمة ١٥٠
٢٠. الهجوم على بيتها وإسقاط جنينها ومرضها ١٥٠
٢١. أوصت بأن لا يصلوا على جنازتها ولا قبرها! ١٥١
٢٢. الأحكام العرفية في مسجد النبي ﷺ عند قبره! ١٥٢
٢٣. إجرااتهم لمنع مجلس فاطمة ﷺ ١٥٢

الفصل التاسع عشر

- لماذا أجاز الله للنبي ﷺ أن يتزوج ما شاء؟ ١٥٣
- أحل الله للنبي ﷺ أن يتزوج ما شاء ١٥٣
- لم يتزوج على خديجة ﷺ وزواجه بعدها ١٥٤
- قد يأمر الله نبيه أن يتزوج بامرأة كافرة! ١٥٥
- تحريم الزواج بأزواج النبي ﷺ بعده ١٥٥
- المكائد والعراك بين أزواج النبي ﷺ! ١٥٦
- تقول عائشة كنا حزينين! ١٥٦

- ١٥٦ يارسول الله أدرك نساءك يقتتلن!
- ١٥٦ تكسيرهن الأواني أمام النبي ﷺ!
- ١٥٧ تعالي يا حفصة نفسد لها زينتها!
- ١٥٧ كان عائشة وحفصة تؤذيان صفية بنت حي
- ١٥٨ عائشة وحفصة تحدان عروس النبي ﷺ
- ١٥٩ آذين مارية وتفرغن لها واتهمنها!
- ١٦٠ وكان عندهن تفنن في الخبائث والشماتة ببعضهن!
- ١٦٠ وكن يقتلن جواريهن باسم الحد الشرعي!

الفصل العشرون

- ١٦١ **علاقة النبي ﷺ باليهود**
- ١٦١ سكن اليهود الحجاز بعد المسيح ينتظرون النبي الموعود
- ١٦٣ المحامد يوسف عرف مولد النبي ﷺ
- ١٦٥ لا تشبهوا باليهود والنصارى والمجوس!
- ١٦٦ نماذج من وفود اليهود وأسلتهم للنبي ﷺ
- ١٨٢ كيف حَزَب اليهود الأحزاب؟
- ١٨٣ غدر بني قريظة بالمسلمين
- ١٨٤ وقالت اليهود يد الله مغلولة!
- ١٨٥ نموذج من عناد اليهود وردهم للحق!
- ١٨٦ من تأثير اليهود على بعض الصحابة
- ١٨٧ سمي النبي ﷺ عمر وجماعته (المتهوكين)

الفصل الحادي والعشرون

١٩١	طعام النبي ﷺ وشرابه
١٩١	كان قليل الأكل وعامة طعامه خبز الشعير
١٩٤	وقد يأكل اللحم وغيره
١٩٤	ويأكل الفاكهة إن وجدت
١٩٥	وكان يتواضع في جلسته للأكل
١٩٦	وفي كثير من حالات الجوع كان الله ينزل الله له الطعام
١٩٧	ويقبل الدعوة من كل مسلم
١٩٨	ويذكر الله عند البدء بالأكل وبعده
١٩٩	كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق أصابعه ويغسل يديه
١٩٩	ونهى عن أشياء في الطعام والشراب
٢٠٠	وقالوا الطعام يبطل الوضوء وهو غير صحيح
٢٠٠	كذبوا على النبي ﷺ بأنه كان يشرب النبيذ

الفصل الثاني والعشرون

٢٠٣	يسلط الله رسله على من يشاء
٢٠٣	الأرض ومن فيها ملك لله تعالى
٢٠٣	ملكية المعصوم أكبر من بقية الملكيات
٢٠٤	الأرض كلها للإمام عليه السلام
٢٠٤	القانون الطبيعي وأصل الملكية عندهم في طريق مسدود
٢٠٥	حروب النبي ﷺ منها دفاعية ومنها هجومية
٢٠٦	حروب النبي ﷺ مشروعة لاسترداد حريته في الدعوة

الفصل الثالث والعشرون

- ٢١٠ محاولات قريش واليهود اغتيال النبي ﷺ
- ٢١٠ غضبت قريش وقررت قتل النبي ﷺ لجرد بعثته!
- ٢١٣ أراد اليهود أن يغتالوه فنهاهم الراهب بحيرا
- ٢١٣ وحاول بنو النضير أن يغتالوا النبي ﷺ
- ٢١٥ وحاول بنو قريظة أن يغتالوا النبي ﷺ
- ٢١٦ وحاول قوم من اليهود أن يغتالوا النبي ﷺ
- ٢١٦ استنفرت قريش وبنو هاشم للقتال فتراجعت قريش!
- ٢١٩ واصلت قريش مطالبتها بأبطال بتسليمها النبي ﷺ
- ٢٢٠ الذين تعاقدوا على قتل النبي ﷺ
- ٢٢٠ محاولات أبي سفيان وأبي لهب وأبي جهل اغتيال النبي ﷺ
- ٢٢١ النبي ﷺ يرد بالمثل
- ٢٢٢ محاولة صفوان بن أمية اغتيال النبي ﷺ
- ٢٢٢ محاولة شيبه بن عثمان العبدري اغتيال النبي ﷺ
- ٢٢٤ حاول عامر بن الطفيل اغتيال النبي ﷺ
- ٢٢٥ محاولة دعثور بن الحارث اغتيال النبي ﷺ
- ٢٢٦ محاولة النضر بن الحارث العبدري اغتيال النبي ﷺ
- ٢٢٨ ورث جابر بن النضر أباه في الكفر والعناد!

الفصل الرابع والعشرون

- ٢٣٠ صحيفتا قريش الملعونتان!
- ٢٣٠ مؤتمر زعماء قريش لإجبار بني هاشم على تسليم النبي ﷺ
- ٢٣٠ نسخة صحيفة المقاطعة

أبوطالب يدعو على ظالمي بني هاشم ويدخل الشعب.....	٢٣١
أرخ أبوطالب حصار الشعب بقصائد ومقطوعات.....	٢٣٢
النبي ﷺ يخلد مكان مؤتمر المقاطعة.....	٢٣٤
كثرة مكذوبات الخلافة في حصار الشعب!.....	٢٣٧
أفلتت الحقيقة من غابة الكذب القرشي!.....	٢٣٨
الصحيفة الملعونة الثانية لعزل عترة النبي ﷺ.....	٢٣٩
نسختان للصحيفة الملعونة الثانية.....	٢٤١
نص الصحيفة الملعونة الثانية برواية حذيفة.....	٢٤١
مؤامرة عقبة هرثى لقتل النبي ﷺ.....	٢٤٤
حديث حذيفة الطويل وبضمنه مؤامرة عقبة هرثى.....	٢٤٦
أبي بن كعب أراد أن يفضح أهل الصحيفة فقتلوه!.....	٢٦١

الفصل الخامس والعشرون

النبي ﷺ والعطر.....	٢٦٥
اهتمام النبي ﷺ بالطيب وحث المسلمين على استعماله.....	٢٦٥
الطيب جمال مقدس.....	٢٦٥
الطيب من سنن الأنبياء والعطر من سنن المرسلين ﷺ.....	٢٦٨
جعل ثلث مهر الزهراء ﷺ للطيب.....	٢٦٨
كان أفضل عطر النبي ﷺ المسك وكان له ممسكة.....	٢٦٨
فارة المسك أو نافجة الغزال.....	٢٦٩
استعمالات الطيب أوسع من التعطر به.....	٢٧٠
يحرم الطيب على المخرم.....	٢٧٠
كفى بالماء طيباً للمؤمن.....	٢٧١

٢٧١	العطور الكيماوية والعطور الطبيعية
٢٧١	المتعطرات للرجال لجذبهم وصيدهم
٢٧١	أهم منافع الطيب المنصوص عليها

الفصل السادس والعشرون

٢٧٣	رأي النبي ﷺ في المرأة وتعامله معها
٢٧٣	الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة
٢٧٣	من أخلاق الأنبياء ﷺ حب النساء
٢٧٥	رد أهل البيت ﷺ مقولة أكثر أهل النار النساء!
٢٧٦	من حديث النبي ﷺ مع النساء
٢٧٦	ملاحظات
٢٧٨	مع هند زوجة أبي سفيان في فتح مكة
٢٧٩	أرملة سعد بن ربيعة
٢٧٩	تفسير الواصلة والموصولة
٢٨٠	مدح النبي ﷺ لأم رحيمة
٢٨٠	الأم أحق بأبنائها من أبيهم
٢٨٠	يارسول الله زوجني
٢٨٠	حق الزوج على الزوجة أكبر
٢٨١	مع امرأة جريئة سليطة اللسان
٢٨١	اجتماع نساء النبي ﷺ وفاطمة ﷺ عند وفاته
٢٨٢	مع فاطمة بنت أسد رضي الله عنها
٢٨٣	مع أم هاني بنت أبي طالب ﷺ
٢٨٤	مدح النبي ﷺ لنساء قريش بعكس رجالهم

٢٨٤.....	رفض النبي ﷺ زوجة حسناء لأنها لم تُبتلى
٢٨٥.....	من أراد اغتصاب امرأة فقتلته فدمه هدر
٢٨٥.....	رحمة الشريعة بالمسن والحامل والمرضع والمريض
٢٨٦	الزنا يورث الفقر ويخرب الديار
٢٨٦	الشعر أحد الجمالين
٢٨٦	أقرب ما تكون المرأة الى ربها
٢٨٦	التأليف بين الزوجين
٢٨٧	كان يسأل عن امرأة مريضة
٢٨٧	مع سفانة بنت حاتم الطائي
٢٨٨	وقد يمزح النبي ﷺ مع المرأة
٢٨٩.....	يحفظ خديجة ؓ في صديقاتها
٢٨٩.....	قال لعجوز: اختضي
٢٩٠.....	جاءته بنت خالد بن سنان
٢٩٠.....	ألا أخبركم بشر نسائكم
٢٩١	المرأة الحسناء من أسرة سيئة
٢٩١	من أسئلة النساء للنبي ﷺ
٢٩١	إن الله أرفأ بالإناث من الذكور
٢٩٢.....	أما كان فيكم رجل رحيم القلب؟!
٢٩٣.....	من عشق وعف فات كان شهيداً!

الفصل السابع والعشرون

٢٩٥.....	رأي النبي ﷺ في الأطفال وتعامله معهم
٢٩٥.....	نعمة الأطفال العظيمة

٢٩٦.....	الرحمة بالإطفال عند النبي ﷺ من أسس الشخصية
٢٩٦.....	أما سمعتم صراخ الصبي؟!.....
٢٩٧.....	ماذا أصنع لك إذا نزع الله الرحمة من قلبك!.....
٢٩٧.....	من أخلاق النبي ﷺ مع طفل بال في حجره
٢٩٨.....	من أخلاق النبي ﷺ مع الصبيان والشباب
٢٩٩.....	كان يؤقّى له بالمولود ليباركه ويدعو له ويحنّكه
٢٩٩.....	مسح على رأس غلام أبيض شعره فلم يشب
٢٩٩.....	كان يمسح بيده فيبقى عطره
٢٩٩.....	وامتنع عن مباركة بعض الأطفال!.....
٣٠٠.....	نقاط في تربية الأطفال وتأديبهم
٣٠٠.....	سعة مواضيع الطفل وتعددتها
٣٠٠.....	مسؤولية الوالدين وثوابهما في تربية الأطفال
٣٠١.....	حب الأطفال والوفاء بالوعد معهم
٣٠٢.....	احترام الطفل وإكرامه
٣٠٢.....	ضرورة اللعب للصبي
٣٠٣.....	ضرورة النظافة للأطفال
٣٠٣.....	تفسير: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
٣٠٤.....	أنا وكافل اليتيم كهاتين
٣٠٤.....	العقيقة والختان في اليوم السابع
٣٠٤.....	وجوب ستر الوالدين عند المقاربة عن الأطفال
٣٠٥.....	التفريق بين الأطفال في النوم
٣٠٥.....	قاعدة في تربية الطفل
٣٠٥.....	التأثير السلبي لأكل الحرام على الطفل

- ٣٠٦..... يصح الحج بالطفل الصغير
- ٣٠٦..... ساووا بينهم في العطية
- ٣٠٧..... وجوب الإستئذان داخل الأسرة
- ٣٠٧..... حكم الأطفال المعاقين والذين يموتون صغاراً
- ٣٠٨..... قوم نوح المغرقون لم يكن فيهم طفل

الفصل الثامن والعشرون

- ٣٠٩..... **طفلان لا كالأطفال!**
- ٣٠٩..... سلوك النبي ﷺ مع الحسنين ﷺ كله بأمر ربه عز وجل
- ٣٠٩..... هدف النبي ﷺ من معاملته الخاصة للحسن والحسين ﷺ
- ٣١١..... حديث: فهو معي في درجتي في الجنة
- ٣١٢..... احتجاج المأمون بمبايعة النبي ﷺ للحسنين ﷺ
- ٣١٢..... جعل الله أبناء بنت النبي ﷺ أبناءه
- ٣١٢..... واختار الله لهما أحسن الأسماء
- ٣١٣..... قطع النبي خطبته وأخذ الحسنين ﷺ إليه
- ٣١٣..... كانا يركبان على ظهر النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد!
- ٣١٤..... رأى النبي ﷺ الحسين ﷺ فتقدم عن أصحابه وأخذه
- ٣١٥..... أمر الحسن والحسين ﷺ أن يتصارعا!
- ٣١٥..... تعويز النبي ﷺ للحسن والحسين ﷺ
- ٣١٦..... منع النبي ﷺ الحسن ﷺ من الأكل من مال الصدقة
- ٣١٦..... ضاع الحسنان ﷺ فاستنفر النبي ﷺ المسلمين
- ٣٢٣..... ملاحظات من الحديث الشريف
- ٣٢٣..... من دعاء النبي ﷺ للحسن والحسين ﷺ

الفصل التاسع والعشرون

الذين لعنهم النبي ﷺ	٣٢٥
اللعن والبراءة عقيدة في كل الأديان	٣٢٥
أهم الملعونين في القرآن	٣٢٦
لم تفهم قريش معنى اللعن في الإسلام!	٣٢٨
المفهوم الإسلامي للعن	٣٢٩
مكذوباتهم في أن الله نهى نبيه ﷺ عن لعن قريش!	٣٣٠

الفصل الثلاثون

الملعونون على لسان النبي ﷺ في السنة	٣٣٢
كثرة الملعونين على لسان النبي ﷺ	٣٣٢
الذين جاؤوا لقتله ليلة الهجرة	٣٣٣
أصحاب مؤامرة العقبة في الرجوع من تبوك	٣٣٥
أصحاب عقبة هرثى	٣٣٥
الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية	٣٣٦
المتخلفون عن جيش أسامة	٣٣٧
أبوسفيان، وابناه يزيد ومعاوية	٣٣٨
أبوالعاص وابنه الحكم وأولاده	٣٣٩
العاص وابنه عمرو	٣٤٠
المغيرة بن شعبة	٣٤١
سهيل بن عمرو العامري	٣٤١
صفوان بن أمية	٣٤٢
عقبة بن أبي معيط وابنه الوليد	٣٤٢

أمية بن خلف	٣٤٣
الوليد بن المغيرة وابنه خالد بن الوليد	٣٤٤
الأسود بن المطلب، وابنه هبار	٣٤٦
عبدالله بن خطل وقينتهاه	٣٤٨
عكرمة بن أبي هب	٣٤٨
سعد بن أبي سرح	٣٤٩
عتبة بن أبي وقاص	٣٤٩
عبدالله بن شهاب الزهري	٣٥٠
الحارث بن هشام بن المغيرة	٣٥٣
النضر بن الحارث العبدري	٣٥٣

الفصل الحادي والثلاثون

حكم الأمة بعد نبيها ﷺ طليق وعتيق وملعون ومأبون!	٣٥٦
سياسة الإسلام العجيبة مع قريش وثقيف!	٣٥٦
من الغرائب أن أمتنا يحكمها الملعونون على لسان نبيها ﷺ!	٣٥٨
لذلك صاح مخرج أفلام مصري!	٣٥٨
نموذج من الخلفاء العباسية :	٣٦٢
كان حضرة الخليفة مخنثاً يطلب الرجال!	٣٦٢
المتوكل الشاذ الفاسد صار: محي السنة ومن أقطاب العالم!	٣٦٣
وأسوأ من أولاد الزنا والمخانيث الملعونون على لسان رسول الله ﷺ	٣٦٤

الفصل الثاني والثلاثون

من أدعية النبي ﷺ	٣٦٥
أهمية الدعاء في حياة كل إنسان	٣٦٥

- دَعَاؤُهُ ﷺ وشكواه إلى ربه لما كذبه أهل الطائف ٣٦٦
- دعاء جده عبدالمطلب لما استسقى به ﷺ ٣٦٦
- دَعَاؤُهُ ﷺ في الإستسقاء ٣٦٧
- دَعَاؤُهُ ﷺ في يوم بدر ٣٦٨
- دَعَاؤُهُ ﷺ يوم أُحُد ٣٦٨
- دَعَاؤُهُ ﷺ في أيام الأحزاب ٣٦٩
- دَعَاؤُهُ ﷺ لعلي يوم خيبر ٣٧٠
- دَعَاؤُهُ ﷺ بأن يتولاه الله تعالى ٣٧٠
- دَعَاؤُهُ ﷺ بالعافية من جار السوء ٣٧١
- إستعاذته من شر المال والعيال والأصحاب ٣٧١
- دَعَاؤُهُ ﷺ إذا أصابه همٌّ وحُزن ٣٧١
- دَعَاؤُهُ ﷺ قبل النوم، وعندما يستيقظ ٣٧١
- دَعَاؤُهُ ﷺ إذا أصبح وأمسى ٣٧٢
- دَعَاؤُهُ ﷺ عند الطعام ٣٧٢
- دَعَاؤُهُ ﷺ بعد الطعام ٣٧٣
- دَعَاؤُهُ ﷺ في الشكر على نعمة الخبز ٣٧٣
- دَعَاؤُهُ ﷺ إذا شرب الماء ٣٧٣
- دَعَاؤُهُ ﷺ إذا رأى فاكهة جديدة ٣٧٣
- إذا لبس ثوباً جديداً ٣٧٣
- الدعاء عند التخلي والوضوء ٣٧٤
- دَعَاؤُهُ ﷺ إذا نظر في المرأة ٣٧٤
- دَعَاؤُهُ ﷺ إذا أراد النهوض من مجلسه ٣٧٤
- دَعَاؤُهُ ﷺ إذا سمع صوت الرعد ٣٧٤

- دعاؤه ﷺ إذا ركب دابته للسفر ٣٧٤
- دعاؤه ﷺ في سفره ومنزله ٣٧٤
- دعاؤه ﷺ في الإستخارة ٣٧٥
- دعاؤه ﷺ في صلاته وصومه وحجه ٣٧٥
- دعاؤه ﷺ في افتتاح الصلاة ٣٧٥
- دعاؤه ﷺ بعد صلاة الظهر ٣٧٥
- دعاؤه ﷺ بعد الصلاة ٣٧٦
- دعاء القنوت الذي علمه ﷺ للإمام الحسن عليه السلام ٣٧٦
- دعاؤه ﷺ إذا هلّ هلال شهر رمضان ٣٧٦
- دعاؤه ﷺ عند إفطاره من صومه ٣٧٧
- من أدعيته ﷺ في شهر رمضان ٣٧٧
- دعاؤه ﷺ إذا لبس ثوباً جديداً أو ثوباً إحرامه ٣٧٧
- دعاؤه ﷺ يوم عرفة ٣٧٧
- دعاء علمه ﷺ لوسوسة الصدر ٣٧٨
- دعاؤه ﷺ لطلب الحاجة ٣٧٩
- دعاؤه ﷺ للمريض ٣٧٩
- دعاء مجوامع الخير ٣٧٩
- دعاؤه ﷺ في طلب العون والنصر ٣٧٩
- من أدعيته ﷺ لعلي عليه السلام ٣٨٠
- اللهم املاً قلبه علماً وفهماً ٣٨٠
- دعاء علمه ﷺ لعلي عليه السلام وهو مريض ٣٨١
- دعاء علمه ﷺ لعلي عليه السلام إذا وقع في بلية ٣٨١
- دعاؤه ﷺ لعلي وفاطمة عليهما السلام عند زواجهما ٣٨١

- ٣٨١..... دعاؤه ﷺ للحسنين عليهما السلام
- ٣٨٢..... دعاؤه ﷺ لعلي وفاطمة والحسين عليهما السلام
- ٣٨٣..... دعا بالبركة لعبد الله بن جعفر
- ٣٨٣..... دعاؤه ﷺ بالمغفرة للنجاشي
- ٣٨٤..... دعا بالشباب لعمر بن الحمق
- ٣٨٤..... دعا على كسرى حين مزق كتابه
- ٣٨٤..... دعا على الحكم بن أبي العاص
- ٣٨٥..... من أدعيته القصار ﷺ

الفصل الثالث والثلاثون

- ٣٨٦..... أهم خصائص النبي ﷺ وشمائله
- ٣٨٦..... كثرة خصائص النبي ﷺ وكثرة المؤلفات فيها
- ٣٨٧..... عددوا من خصائصه أكثر من مائة
- ٣٨٨..... أول خصائصه ﷺ مقامه العظيم الذي تفرد به
- ٤٠٣..... شمائل النبي ﷺ وكثرة المؤلفات فيها
- ٤٠٣..... خلاصة كتاب الشمائل المحمدية للترمذي
- ٤٠٤..... حديث ابن أبي هالة بل حديث الحسن في وصف النبي ﷺ
- ٤٠٤..... بحث في سند الحديث
- ٤١٠..... ما لم نذكره من شمائل الترمذي
- ٤١٢..... نماذج من كتاب: الأنوار في شمائل المختار للبغوي

الفصل الرابع والثلاثون

- ٤١٥..... كيف كان رسول الله ﷺ يمضي يومه
- ٤١٥..... كيف يمضي ليلته ﷺ؟

- ٤١٦..... تأكيد النبي ﷺ على السواك
- ٤١٩..... تأكيد النبي ﷺ على تناول طعام العشاء
- ٤٢٠..... هل يجب على النبي ﷺ القسمة بين أزواجه؟

الفصل الخامس والثلاثون

- ٤٢٢..... مفهوم بيعة المسلمين للنبي ﷺ
- ٤٢٢..... معنى البيعة
- ٤٢٢..... آيات البيعة
- ٤٢٣..... بيعة الناس للنبي ﷺ نوعان
- ٤٢٤..... البيعة مسح على اليد وليست مصافحة
- ٤٢٥..... البيعة للنبي ﷺ لا تنشئ حق الطاعة بل هي إقرار به
- ٤٢٦..... أهم مبايعات المسلمين للنبي ﷺ
- ٤٢٦..... بيعة الأنصار الأولى والثانية
- ٤٢٨..... بيعة أهل المدينة ويهود المدينة للنبي ﷺ
- ٤٢٨..... أ. التعاقد بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين
- ٤٢٩..... ب. التعاقد لتحديد إقليم الدولة ومكان المجتمع الجديد
- ٤٢٩..... ج- التعاقد مع أتباع الديانات المقيمين في المدينة
- ٤٣٠..... د. تكييف هذا العقد
- ٤٣١..... هـ. الخطوط العريضة لهذا الملحق أو العقد التنظيمي
- ٤٣٢..... بيعة المسلمين قبل معركة بدر
- ٤٣٤..... بيعة الحديبية أو بيعة الشجرة أو الرضوان
- ٤٣٦..... بيعة الطلقاء بعد فتح مكة
- ٤٣٨..... بيعة الغدير في حجة الوداع

- أربعة أمور حدثت في يوم الغدير ٤٣٩
- تهنئة أمير المؤمنين ﷺ في الغدير كان معها بيعة ٤٤٠

الفصل السادس والثلاثون

النبي ﷺ وجبرئيل والملائكة ﷺ ٤٤٣

- شخصية جبرئيل ﷺ بين الملائكة ٤٤٣
- معنى كلمة الملك والملاك والملائكة ٤٤٣
- كلمة جبريل وجبرئيل وجبرائيل ٤٤٤
- خطبة أمير المؤمنين ﷺ في وصف الملائكة ٤٤٤
- جبرئيل ﷺ في القرآن والسنة ٤٤٧
١. الروح الأمين ٤٤٧
٢. روح القدس ٤٤٧
٣. الرسول الكريم ٤٤٧
٤. قوي عند ربه مطاع من الملائكة ٤٤٧
٥. أفق رؤية النبي ﷺ لجبرئيل مضيئة لإيمانه فيها ٤٤٧
٦. له قوى متعددة وهو معلم النبي ﷺ ٤٤٨
٧. لا ييخل الله عليه بغيه ولا ييخل هو والنبي ﷺ ٤٤٩
٨. مولى المؤمنين وناصرهم ٤٥٠
٩. سيد الملائكة بعد إسرائيل ٤٥٠
- العلاقة الحميمة بين النبي ﷺ وجبرئيل ﷺ ٤٥١
- صفة جبرئيل ﷺ ٤٥٢
- دحية بن خليفة الكلبي صحابي ممدوح ٤٥٣
- كان جبرئيل ﷺ يستأذن للدخول على النبي ﷺ ٤٥٧

٤٥٨.....	قرن الله بالنبي ﷺ إسماعيل مدة ثم جبرئيل ﷺ
٤٥٩.....	رأى النبي ﷺ جبرئيل ﷺ بصورته الأصلية
٤٦٠.....	جبرئيل ﷺ من قبل آدم ﷺ الى نبينا ﷺ
٤٦٠.....	في إعداد الأرض لآدم ﷺ
٤٦٠.....	مع آدم ﷺ
٤٦١.....	مع نوح ﷺ
٤٦١.....	مع إبراهيم ﷺ
٤٦٢.....	مع موسى ﷺ
٤٦٣.....	مع عيسى ﷺ
٤٦٤.....	عداوة اليهود لجبرئيل ﷺ !

الفصل السابع والثلاثون

٤٦٦.....	مالية النبي ﷺ
٤٦٦.....	صورة عامة عن مالية النبي ﷺ
٤٦٦.....	أفراسه
٤٦٦.....	بغاله
٤٦٧.....	حمرة
٤٦٧.....	إبله
٤٦٧.....	الحوائط السبع والصفايا
٤٦٨.....	سيوفه
٤٦٨.....	رماحه
٤٦٨.....	دروعه
٤٦٨.....	قسية

- رأيتُه ٤٦٨
- [أدواته] ٤٦٨
- [أثوابه] ٤٦٩
- [سريره ومنبره ومسجده] ٤٦٩
- [شعاره] ٤٦٩
- مواليه ٤٦٩
- إمأؤه ٤٧٠
- ملاحظة عامة ٤٧٢
- عبد المطلب كان رئيساً كبيراً وثرياً ٤٧٢
- ما ورثه النبي ﷺ عن أبيه وأمه ٤٧٣
- ورث من أمه أمتها أم أيمن ٤٧٣
- ورث من أمه أمتها نتيلة أم عمه العباس ٤٧٥
- أين صارت ثروة النبي ﷺ التي ورثها ٤٧٥
- سقاية الحج تكذب رواياتهم عن فقر أبي طالب ٤٧٦
- كان أبو طالب يسقي الحجاج اللبن والعسل ٤٧٧
- أدلة إضافية على غنى أبي طالب ٤٧٩
- وهبت خديجة كل أموالها للنبي ﷺ ٤٧٩
- سرقوا إنفاق خديجة وادعوه لأبي بكر وعثمان ٤٨١
- رد علماؤنا روايات إنفاق أبي بكر وعثمان ٤٨٣

الفصل الثامن والثلاثون

- عطاءات النبي ﷺ ٤٨٥
- وأنت تباري الريح كرمًا ٤٨٥

- ٤٨٦ أكبر عطايا من أموال خديجة عليها السلام وغنائم حنين.
- ٤٩١ عطايا حنين أثارت بعض الصحابة!
- ٤٩٢ واعترض عمر وذو الخويصرة على النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٤٩٢ تريدون أن تبخلوني ما أنا بباخل.
- ٤٩٣ لكل نبي بطانتان بطانة خير وبطانة شر.
- ٤٩٤ غنائم حنين يملكها من قاتل ولم يهرب.
- ٤٩٤ فلسفة هذا الكرم النبوي الجزيل.
- ٤٩٦ النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس صدراً وأجود ما يكون في رمضان.

الفصل التاسع والثلاثون

- ٤٩٧ **ظلمات النبي صلى الله عليه وسلم من قريش**
- ٤٩٧ المظلوم الأول في العالم.
- ٤٩٧ ظلامة قريش كانت على تنزيل القرآن وعلى تأويله.
- ٥٠١ الإختراع القرشي الكافر قوهم للنبي صلى الله عليه وسلم: أمنك هذا أم من الله؟
- ٥٠٣ ظلامة قريش ما زالت فاعلة الى اليوم!
- ٥٠٤ أول دعوى عالمية يوم القيامة دعوى النبي وعلي صلى الله عليه وسلم ضد قريش!
- ٥٠٤ من الذي سيحضر من قريش للخصومة يوم القيامة؟
- ٥٠٥ الظلامة الثانية: إضلال الذين يهتدون على يد النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٥٠٧ الظلامة الثالثة: رفعوا رؤساء قريش الى مستوى النبي صلى الله عليه وسلم وأعظم!
- ٥٠٨ الظلامة الرابعة: الحط والتنقيص من مقام النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأربعون

- ٥١٠ **أحقاد قريش وبغضها لبني هاشم!**
- ٥١٠ التعصب المذموم باطنه التكبر.

- ٥١١.....التعصب الممدوح مقدس وباطنه نصرة الحق
- ٥١٢.....التعصب القومي المذموم والممدوح
- ٥١٢.....كانت قبائل قريش تبغض بني هاشم وتتعصب ضدهم
- ٥١٣.....حسدوا عبد المطلب فتحالفوا ضده!
- ٥١٤.....بغض القرشيين الذين أسلموا لبني هاشم!
- ٥١٦.....التعصب الواجب والمقدس
- ٥١٦.....أهدر النبي ﷺ دم أناس هجوه
- ٥١٦.....نسح الله ولاية عترة النبي ﷺ في متن عقيدة الإسلام وشريعته
- ٥١٧.....ونذكر فيما يلي بعض حقوق أهل البيت ﷺ بإيجاز
- ٥٢٣.....لوازم الوصية النبوية بأهل البيت ﷺ
- ٥٢٣.....غضب النبي ﷺ من دم عمر لأمرته!
- ٥٢٥.....غضب النبي ﷺ من تتبع أبي بكر وعمر سره!
- ٥٢٥.....ظلامه أهل البيت ﷺ أعظم ظلامه في التاريخ!
- ٥٢٧.....مأساة عترة نبينا ﷺ أعظم مأساة في التاريخ!
- ٥٢٧.....أشد اللعنات على من ظلم عترة النبي ﷺ
- ٥٢٩.....أعلن النبي ﷺ في حجة الوداع اللعنة على ظالمي عترته!
- ٥٢٩.....وأعلنها النبي ﷺ في مرض وفاته لما منعه من كتابة وصيته!

